





ثمن العدد

البحرين دينار ، السعودية ١٥ ريالا، قطر ١٥ ريالا، الكويت دينار ونصف، الإمارات ١٥ درهما، عمان ريال ونصف، اليمن ١٥ ريالا، تونس دينار ونصف، الجزائر ٢٠ دينارا، المغرب ٢٠ درهما، ليبيا ديناران، مصر ١٠ جنيهات، سوريا ٥٠ ليرة، لبنان ٢٠٠٠ ليرة، الأردن دينار واحد، السودان جنيه واحد.

قسيمة الاشتراك

تصدر المجلة مرتين في السنة، ويدفع الاشتراك بالدينار البحريني أو ما يعادله ويرسل إلى
مجلة العلوم الإنسانية - كلية الآداب - جامعة البحرين - ص.ب: ٣٢٠٣٨

الرجاء اعتماد اشتراكي في المجلة ولمدة:

☐ سنة واحدة ☐ سنتين

للأفـــراد

البحرين:	☐ سنة واحدة ٣ د.ب	☐ سنتان ٦د.ب
البلاد العربية:	☐ سنة واحدة ٥ د.ب	☐ سنتان: ١٠د.ب
الدول الأخرى:	☐ سنة واحدة ٧ د.ب	☐ سنتان ١٤ د.ب

للمؤسسات

البحرين والبلاد العربية:	☐ سنة واحدة ٤ د.ب	☐ سنتان ٨ د.ب
الدول الأخرى:	☐ سنة واحدة ٨ د.ب	☐ سنتان ١٦ د.ب

تدفع الاشتراكات إما بشيك لأمر مجلة العلوم الإنسانية كلية الآداب - جامعة البحرين على أحد المصارف البحرينية أو بتحويل مصرفي إلى حساب رقم (٨٨٥٠٠٨٠٢) لدى بنك البحرين الوطني

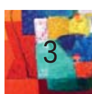
اسم المشترك وعنوانه

الاسم: .... المهنة: ....

العنوان: ....




مجلة العلوم الإنسانية
مجلّة دوريّة محكمة تصدرُ عن كلّية الآداب - جامعة البحرين







وعليه أن يشير فيما إذا كان البحث قد قدم إلى مؤتمر، أو ندوة وأنه لم ينشر ضمن أعمال المؤتمر، كما يشار إلى اسم أية جهة علمية، أو غير علمية، قامت بتمويل البحث، أو المساعدة على إعداده.

٤- يمنح الباحث نسختين من العدد الذي يتضمن بحثه بالإضافة إلى عشر (١٠) مستلات من المادة، كما يمنح أصحاب المناقشات، والمراجعات والتقارير، وملخصات الرسائل الجامعية نسخة من العدد الذي يتضمن مشاركاتهم.

ثالثاً: المصادر والحواشي:

١- يشار إلى جميع المصادر بأرقام الحواشي التي تنشر في أواخر البحث، ويجب أن تعتمد الأصول العلمية المتعارفة في التوثيق والإشارة بحيث تتضمن: اسم المؤلف، وعنوان الكتاب، أو المقال، واسم الناشر، أو المجلة، ومكان النشر إذا كان كتاباً، وتاريخ النشر، والمجلد، والعدد، وأرقام الصفحات إذا كان مقالاً.

٢- يزود البحث بقائمة للمصادر منفصلة عن الحواشي، وفي حالة وجود مصادر أجنبية تضاف قائمة بها منفصلة عن قائمة المصادر العربية، ويراعى في إعدادها الترتيب الألفبائي لأسماء المؤلفين.

رابعاً: إجازة النشر:

يتم إبلاغ أصحاب المساهمات بتسلم المادة خلال أسبوعين من تاريخ التسلم، مع إخطارهم بقبولها للنشر، أو عدم القبول بعد عرضها (في حالة البحوث) على محكمين، تختارهم المجلة على نحو سري. أو بعد عرضها على هيئة التحرير (في حالة المساهمات الأخرى). وللمجلة أن تطلب إجراء تعديلات شكلية، أو شاملة على البحث قبل إجازته.

جميع الأفكار الواردة في المجلة تعبر عن آراء كاتبيها، ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر المجلة.

العنوان: مجلة العلوم الإنسانية، كلية الآداب - جامعة البحرين.
ص. ب: ٣٢٠٣٨ مملكة البحرين.
هاتف: رئيس التحرير ٤٣٨٤٢٩ ١٧ ـ ٤٣٨٤٢٣ ١٧ - فاكس: ٤٤٩٦٢٠ ١٧
البريد الإلكتروني: e-mail: hssj@admin.uob.bh
الموزع في البحرين والوطن العربي: مؤسسة الأيام للطباعة والنشر والتوزيع
ص. ب: ٣٢٣٢ - المنامة - مملكة البحرين
هاتف: ٧٢٥١١١ ١٧ - فاكس: ٧٢٣٧٦٣ ١٧







قواعد النشر بالمجلة

ترحب مجلة العلوم الإنسانية بنشر الأبحاث والدراسات العلمية المتخصصة ذات الصلة باللغويات، والأدب والنقد المقارن، والدراسات الفكرية والفلسفية، والاجتماع، والتاريخ، والجغرافيا والتربية وعلم النفس، والفنون والتراث الشعبي والإنثروبولوجيا، والآثار، وذلك وفقاً للقواعد الآتية:

أولاً: قواعد عامة:

١- تنشر المجلة الأبحاث والدراسات الأكاديمية الأصيلة، وتقبل للنشر فيها الأبحاث المكتوبة باللغة العربية، أو اللغة الإنجليزية التى لم يسبق نشرها، وفي حالة القبول يجب ألا تنشر المادة في أي دورية أخرى دون إذن كتابي من رئيس التحرير.

٢- تنشر المجلة الترجمات، والقراءات ومراجعات الكتب، والتقارير، والمتابعات العلمية حول المؤتمرات، والندوات، والنشاطات الأكاديمية المتصلة بحقول اختصاصها، كما ترحب بالمناقشات الموضوعية لما ينشر فيها، أو في غيرها من المجلات، والدوريات، ودوائر النشر العلمي.

٣- ترحب المجلة بنشر ما يصل إليها من ملخصات الرسائل الجامعية (التى تمت مناقشتها وإجازتها) في حقول العلوم الإنسانية شريطة أن يكون الملخص من إعداد صاحب الرسالة.

٤- يلتزم الباحث بإرسال ملخصين بالعربية والإنجليزية للبحوث والدراسات على ألا يزيد عدد كلمات كل منها على ٢٠٠ كلمة.

٥- ترسل البحوث مطبوعة على IBM text only مصححة بصورتها النهائية على Disk خاص يتضمن البحث، والخلاصة باللغتين العربية والإنجليزية. ويمكن إرسالها بصورة attache file إلى البريد الإلكتروني للمجلة.

٦- توجه جميع المراسلات باسم رئيس تحرير مجلة العلوم الإنسانية - جامعة البحرين
ص. ب: ٣٢٠٣٨ - فاكس: ١٧٤٤٩٦٢٠
هاتف: ١٧٤٣٨٤٢٩ - ١٧٤٣٨٤٢٣

ثانياً: الأبحاث:

١- يقدم الأصل مطبوعاً على الحاسوب على ألا تزيد عدد صفحات البحث على ٤٠ صفحة مطبوعة (أو مكتوبة بخط واضح) مضبوطة ومراجعة مراجعة دقيقة، على أن ترقم الصفحات ترقيماً متسلسلاً بما في ذلك الجداول، والأشكال.

٢- تطبع الجداول، والصور، واللوحات على أوراق مستقلة، ويشار في أسفل الشكل إلى مصدره، أو مصادره، مع تحديد أماكن ظهورها في المتن.

٣- يذكر الباحث اسمه وجهة عمله على ورقة مستقلة، ويجب إرفاق نسخة من السيرة العلمية إذا كان الباحث يتعاون مع المجلة للمرة الأولى،



مجلة العلوم الإنسانية
مجلة دورية محكمة تصدر عن كلية الآداب - جامعة البحرين

العدد 13 - شتاء 2006

❖ دور الإعلام في التوعية البيئية في الأردن — د. علي العنانزة — 202

❖ التربية البيئية من وجهة نظر إسلامية — د. عبد اللطيف آل محمود — 240

❖ في تحوّلات ثقافة البيئة البَحْرية بالمجتمع التّونسي — د. عادل بالكحلة — 294

قراءات ومراجعات

❖ دلالة العلم الحديث في المشروع الحضاري العربي — أ.د الغالي أحرشاو — 337

❖ المثقف العربي في مواجهة التبدلات الثقافية لعصر العولمة — د. مسعود ضاهر — 347

❖ البحث عن المتاعب في النظرية — د. إسماعيل عثماني — Eng. Side 9





المحتويات

الأبحاث

- المكانة المهنية لعلم الاجتماع في المجتمع السعودي دراسة ميدانية على الباحثين الاجتماعيين بالمؤسسات الاجتماعية بمدينة الرياض — د. عبد العزيز الغريب — 10
- الأدب المقارن في جامعات دول شبه الجزيرة العربية الواقع والطموح -دراسة ميدانية- — د. أحمد صالح الطامي، د. برهان محمد أبو عسلي — 58
- التنظير والتطبيق في العمل التأريخي الخلدوني قراءات في المقدمة — د. جميل موسى النجار — 116

المحور:

دراسات البيئة من منظورات مختلفة

- القضايا البيئية في الصحف القطرية — د. حسن المهندي، د. ربيعة الكواري — 152



Human Sciences Arabic13 4/16/12 3:08 PM Page 8

مجلة العلوم الإنسانية
مجلة دورية محكمة تصدر عن كلية الآداب - جامعة البحرين

الأبحاث

- المكانة المهنية لعلم الاجتماع في المجتمع السعودي دراسة ميدانية على الباحثين الاجتماعيين بالمؤسسات الاجتماعية بمدينة الرياض

  د. عبد العزيز الغريب

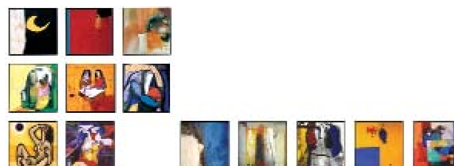
- الأدب المقارن في جامعات دول شبه الجزيرة العربية الواقع والطموح -دراسة ميدانية-

  د. أحمد صالح الطامي

  د. برهان محمد أبو عسلي

- التنظير والتطبيق في العمل التأريخي الخلدوني قراءات في المقدمة

  د. جميل موسى النجار



الأبحاث



لوحة الغلاف

للفنان: عمر الراشد

Occupational Status of Sociology in Saudi Society Field Study on Researchers at Social Institutions in Riyadh City

Dr. Abdul-Aziz Al-Ghareeb

Abstract

This study concentrates on determining the occupational status of the science of Sociology. More specifically, it attempts to determine the status of the job of «social researcher", as perceived by social researchers themselves. Such determination is reached at by assessing the level of the social researchers' contentment with regards of occupational status, as well as how they look at the possible role of such job title in attaining a reputable social status, and, finally by studying their suggestions regarding improving their current social status.

This investigation is carried out by seeking answers for the main question raised in the study: «what is the social status of Sociology in the Saudi society?» The method of social survey was utilized and a case study of a sample of 91 social researchers (in a variety of social institutions in Riyadh city) was developed.

The most remarkable results of the study was that the majority of social researchers

a) Do not have - for a variety of reasons - occupational satisfaction;

b) Feel that their occupation has negative impact on their social status;

c) Do not feel that they enjoy any occupational advantage by being social researchers;

d) Realize that their specialty lacks any positive role to play in attaining social status.

Finally, the study develops some recommendations to improve the occupational status of social researchers to their satisfaction.



المكانة المهنية
لعلم الاجتماع في المجتمع السعودي
دراسة ميدانية على الباحثين الاجتماعيين بالمؤسسات الاجتماعية بمدينة الرياض

د. عبد العزيز الغريب *

الملخص

تركز موضوع هذه الدراسة في تحديد المكانة المهنية لعلم الاجتماع، ومهنة الباحث الاجتماعي على وجه التحديد، كما يراها الباحثون الاجتماعيون، من خلال معرفة مدى رضاهم عن وضعهم المهني، ودور مهنة الباحث الاجتماعي في تحقيق المكانة الاجتماعية، أو الصيت الاجتماعي، والتعرف على مقترحاتهم؛ لرفع مكانتهم المهنية. من خلال الإجابة عن السؤال الرئيس للدراسة: ما المكانة المهنية لعلم الاجتماع بالمجتمع السعودي ؟. وقد تم استخدام منهج المسح الاجتماعي، وتطبيق الدراسة الميدانية على عينة تكونت من (٩١) من الباحثين الاجتماعيين في المؤسسات الاجتماعية في مدينة الرياض. ومن أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة عدم رضا الغالبية من الباحثين الاجتماعيين عن مهنتهم، وأن هناك العديد من الأسباب في عدم رضا الباحثين الاجتماعيين عن مهنتهم. كما أشارت الدراسة إلى أن الغالبية من الباحثين الاجتماعيين يشعرون بتأثير مهنتهم في مكانتهم الاجتماعية. وأن الغالبية من الباحثين الاجتماعيين لا يشعرون بتميز مهني، لكونهم باحثين اجتماعيين. كما أشارت نتائج الدراسة إلى أن الغالبية من الباحثين الاجتماعيين يقرون بعدم وجود دور لتخصصهم المهني في تحقيق الصيت الاجتماعي. كما توصلت الدراسة إلى مجموعة من المقترحات؛ للرفع من المكانة المهنية لمهنتهم من وجهة نظر الباحثين الاجتماعيين.

*** أستاذ مساعد، قسم الاجتماع والخدمة الاجتماعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.***

الاقتصادية من خلال إقامة المشروعات المختلفة، وتنويع مصادر الدخل الوطني، وتوفير قدرات المملكة الدفاعية؛ لحماية الدين والوطن. وقد تم حتى الآن إنجاز ست خطط منذ عام ١٣٩٠هـ /١٩٧٠م حتى عام ١٤٢٠هـ /١٩٩٩م، وبدأت خطة التنمية السابعة في عام ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م. وقد أسهمت هذه الخطط في تغيرات كبيرة في بنية المجتمع السعودي ونظمه، وحدث تطور كبير في التعليم، والصحة، والمواصلات، والاتصالات، وتنوعت مصادر الإنتاج الاقتصادي وازدهر القطاع التجاري، وظهرت منظومة جديدة من المهن والأعمال، وحدث تحول في التدرج الاجتماعي، وظهرت بعض الظواهر الاجتماعية الجديدة والأنماط السلوكية والقيم الحديثة.

وقد كان التعليم في الجزيرة العربية محدوداً في مادته ونطاقه، عبارة عن نشاط أهلي وجهود فردية، يقوم بها بعض العلماء وأئمة المساجد، ولكن بعد توحيد المملكة ونتيجة للازدهار الاقتصادي، حدث تغير كبير في البناء المهني وتقسيم العمل، وبرزت الحاجة إلى التخصصات العلمية والفنية والمهارات الإدارية وغيرها؛ مما استلزم ظهور نمط جديد من التعليم يلبي الاحتياجات الجديدة والتخصصات الحديثة، ولذلك حدث تغير شامل في نمط التعليم ونطاقه، وتوسع التعليم؛ ليشمل العلوم الحديثة بالإضافة إلى العلوم الشرعية، وقفز التعليم قفزات كبيرة، بحيث أصبح من غير الممكن المقارنة بين مراحله المختلفة للفرق الشاسع بينها، وللسرعة الهائلة في هذا المجال، سواء في مجال التعليم العام أو تعليم الفتاة، أو التعليم الفني، أو التعليم العالي، وهو الذي يهمنا في هذه الدراسة، حيث توسع هذا النوع من التعليم، الذي بدأ في عام ١٣٦٩هـ /١٩٤٩م، بإنشاء كلية الشريعة في مكة المكرمة، ثم على شكل كليات بسيطة سرعان ما أصبحت جامعات متعددة الكليات والتخصصات، التي وصل عددها حاليا إلى ثماني جامعات تضم جميعها أكثر من ٨٠ كلية ومعهداً عاليا، هذا بالإضافة إلى كليات إعداد المعلمين، وكليات الآداب والتربية، والخدمة الاجتماعية، والتربية الفنية، والاقتصاد المنزلي، المنتشرة في

المقدمة:

مر المجتمع السعودي بتغيرات اجتماعية واقتصادية سريعة خلال مسيرته التاريخية. كان لها كبير الأثر في الأوضاع المهنية والحراك الاجتماعي في المجتمع السعودي. فقد أحدث توطين البادية آثاراً اجتماعية كبيرة، من أهمها تَعَوُّد البدو على حياة الاستقرار ونمط الحياة في الأرياف والمدن، وتدريبهم على الأعمال والمهن الجديدة مثل الأعمال الزراعية، والأعمال العسكرية، والعمل في قطاعات الدولة المختلفة، كما أضعفت عملية التوطين بنية القبيلة وقلصت الكثير من وظائفها، وأصبحت الدولة المركزية هي المسئولة عن الحياة المعيشية والوظائف والحماية الأمنية، وأصبحت القبائل وحدات صغيرة في البناء الاجتماعي للبلاد؛ لا يتعدى تأثيرها خارج نطاقها، وأصبح الولاء والانتماء إلى الدولة والوطن، واندمجت القبائل مع بعضها في الهجر والأرياف. وبعد ظهور النفط وتزايد كمياته حدثت تغيرات اجتماعية كبيرة في نمط الحياة الاجتماعية وأسلوب المعيشة، وحدث حراك اجتماعي. ومع أن الحياة الاجتماعية كانت بسيطة قبل اكتشاف النفط وتركزها على الرعي والزراعة والصيد وبعض الصناعات البسيطة، وهجرة البعض للبلدان القريبة نتيجة للفقر والبحث عن لقمة العيش. وبظهور النفط ظهرت فرص عمل جديدة وانتعاش اقتصادي تمخض عن هجرة كبيرة من الريف والبادية إلى المدن؛ بحثاً عن فرص عمل أفضل في قطاع النفط وفي المؤسسات الخدمية والصناعية، واستطاعت شركات النفط أن تعلم وتدرب أبناء البادية والريف، وأن تجعل منهم عمالاً فنيين ومهنيين يعملون في صناعة النفط وتصديره. (العبدالله، ١٩٩٩: ٥٥٦).

وفي عام ١٣٩٠هـ /١٩٧٠م حدث تحول جديد في مسيرة التغير الاجتماعي في المجتمع السعودي مع تطبيق أول خطة تنموية للبلاد، والتي سعت إلى تحقيق مجموعة من الأهداف الاستراتيجية منها: المحافظة على القيم والآداب الإسلامية، ورفع المستوى الثقافي والوعي بين المواطنين، وتنمية الموارد البشرية، وتنمية الموارد

أول دراسة من نوعها في المجتمع السعودي؛ لتحديد مكانة الباحث الاجتماعي، كما يراها الباحثون الاجتماعيون. حيث تم التركيز في ذلك على المتغيرات الآتية: (الرضا المهني، والتميز المهني، والمشكلات المهنية، والأجور والمزايا والحوافز المالية، ونموذج القيادة، وأسلوب الإدارة والإشراف المؤسسي، والتقدير المعنوي في العمل، والصيت الاجتماعي، والتقدير المجتمعي) . وهذا بلا شك نتوقع أن يعطي صورة حول المهام والأعباء والأدوار المهنية الفعلية التي يقوم بها الباحث الاجتماعي؛ لتحديد مدى وضوحها بالنسبة لهم، وكذلك المهام والمسئوليات المتوقعة منهم، أو التي هم أنفسهم يأملون القيام بها، ومن ثَمَّ انعكاس ذلك على مكانتهم المهنية بشكل عام، من خلال تطبيقها على مجموعة من الباحثين الاجتماعيين العاملين في المؤسسات الاجتماعية بمدينة الرياض. راجيا أن يكون في ذلك انطلاقة لدراسات جديدة في هذا المجال.

- أهداف الدراسة :

سعت الدراسة إلى تحقيق مجموعة من الأهداف، وهي:

١- التعرف على مدى رضا الباحثين الاجتماعيين عن مهنتهم، وأسباب ذلك.

٢- التعرف على شعور الباحثين الاجتماعيين بأن لمهنتهم تأثيراً في تحديد مكانتهم الاجتماعية.

٣- التعرف على شعور الباحثين الاجتماعيين بتميز مهني معين.

٤- التعرف على دور تخصصهم المهني في تحقيق الصيت الاجتماعي.

٥- التعرف على مقترحاتهم؛ لرفع مكانتهم المهنية.

- أسئلة الدراسة :

السؤال الرئيس: ما المكانة المهنية لعلم الاجتماع بالمجتمع السعودي؟.

وتفرع من هذا التساؤل التساؤلات الفرعية الآتية:

مختلف مدن المملكة العربية السعودية ومحافظاتها الخاصة بتعليم البنات التابعة لوزارة المعارف، وكليات التقنية التابعة للمؤسسة العامة للتعليم الفني والتدريب المهني، والكليات الصحية التابعة لوزارة الصحة، وكذلك الكليات العسكرية المختلفة التابعة لوزارة الدفاع، ووزارة الداخلية، ورئاسة الحرس الوطني. (آل عبد الله،١٩٩٩: ٥٧٢).

هذا التنوع والتعدد في الكليات لا شك أنه زود سوق العمل، بالكثير من المخرجات التي يصل أعدادها في العام الواحد إلى أكثر من أربعين ألف خريج وخريجة، على مؤسسات القطاعين العام والخاص استيعابهم وتوظيفهم، أو هكذا يجب أن يكون، لو كان هناك تنسيق مسبق مع احتياجات سوق العمل ومؤسسات التعليم العالي، بحيث ترتبط المخرجات مع الاحتياجات الوظيفية، وهو ما لا يروق لمؤسسات التعليم العالي، التي تبعد نفسها عن مناقشة مثل هذا الأمر وتراه بعيداً عن أهدافها الرئيسة، وأن خدمة المجتمع يعد هدفاً رئيساً لتلك المؤسسات ، كما أفرز ذلك مهناً عديدة ومتنوعة أفرزتها التخصصات العلمية المتنوعة في الجامعات السعودية، مما يجعل الكثيرين يفكرون كثيراً في التحاق أبنائهم بالتعليم العالي واختيار التخصص الملائم الذي من خلاله سيجد هذا الفرد المكانة المهنية التي يطمح إليها، ومن ثَمَّ برز ما يسمى بظاهرة المكانة المهنية، وما تعود على الفرد، أو لا تعود عليه بقيمة ومميزات يحملها بين أفراد مجتمعه.

تحديد موضوع الدراسة :

مما سبق ونظراً للتحولات والتغير الاجتماعي، وبالذات في سلم الحراك الاجتماعي والمهني، إذ أصبح هناك العديد من المهن التي تخدم المجتمع، وحيث إن المهنة تعد إحدى الموضوعات الرئيسة في علم التدرج الاجتماعي، ولما للمهنة من دور رئيس في تحديد المكانة الاجتماعية للفرد في المجتمع، و نظراً للنقص الكبير في دراسات المهن في المجتمع السعودي، فإن هذه الدراسة تعد - في حدود علم الباحث -

الاجتماعي الذي يؤديه الراشد في المجتمع، والذي يحصل عن طريقة - بشكل مباشر أو غير مباشر - على نتائج اجتماعية ومالية، والذي يشكل بؤرة الاهتمام الرئيسة في حياته. ويلاحظ أن الفرد شديد الحساسية لمكانة مهنته، أو الأهمية الاجتماعية التي ينسبها الآخرون إلى عمله؛ إذ تختلف المهن عن بعضها من حيث المكانة الاجتماعية، بالمهنة التي تدر على أصحابها دخلاً عالياً تجعل لهم في بعض الأحيان أعلى مكانة اجتماعية، على حين أن بعض المهن التي لا تدر دخلاً عالياً وتستلزم جهدا، قد تجعل صاحبها في مكانة منخفضة نسبيا (إبراهيم، ١٩٨٤: ١٠٢). ويشير فيكتور فروم (VictorVroom) إلى أن هناك خمسة عوامل مهمة تعمل كدوافع للعمل وهي: الأجر، والطاقة المبذولة في العمل، وإنتاج السلع والخدمات، والتفاعل الاجتماعي، والمكانة المهنية. (إبراهيم، ١٩٨٤: ١٠٤).

وتعد المهنة من أشهر المعايير في المقاييس العلمية لمكانة الفرد في المجتمعات الحديثة. حيث يُعَدُّ الألماني جستاف شمولر (Sch Moiier, 1904) من أوائل من أكد أهمية المهنة في تحديد الوضع الاجتماعي لأفراد المجتمع، وعن أهمية المهنة في تحقيق المكانات للأفراد يقول: إن تفاوت المراتب الاجتماعية إن هو إلا اختلاف المهن، لأن المهنة ليست أمراً مكتسبا أي خارجا عن الإنسان إنما هي الإنسان نفسه، وهو لا يقصد بهذا أن المهن المختلفة تنتج من صفات غريزية للإنسان، وإنما يقصد أن مزاولة مهنة معينة - بما تتركه تلك المزاولة من عادات وأخلاق ومن نوع الملبس والمأكل والمسكن ومن تقدير وتصور للأشياء والناس – تطبع الإنسان بطابع جسماني ونفسي في آن واحد يختلف عما تتركه مزاولة مهنة أخرى من طابع. (الفندي، د ت، ص ٥٦). كما عدت المهنة من أكثر مقاييس التدرج الاجتماعي دلالة، وأكثر مقاييسه كفاءة في التمييز بين مجموعات مختلفة من الناس سواء على المستوى الاجتماعي أو السلوكي، فضلاً عن كونها أكثرها ثباتاً واستقرارا. (درويش، ١٩٨٣، ص ٧٣). لذلك عَدَّ (بوتو مور) مقاييس الهيبة المهنية من أهم مقاييس التدرج الاجتماعي والحراك

س١: ما مدى رضا الباحثين الاجتماعيين عن مهنتهم ؟ وما أسباب ذلك ؟.

س٢: هل يشعر الباحثون الاجتماعيون بأن لمهنتهم تأثيراً في تحديد مكانتهم الاجتماعية ؟

س٣: هل يشعر الباحثون الاجتماعيون بتميز مهني معين ؟ وما أسباب ذلك؟.

س٤: هل من دور لتخصصهم المهني في تحقيق الصيت الاجتماعي ؟.

س٥: ما مقترحاتهم؛ لرفع مكانتهم المهنية ؟.

أولاً: الإطار النظري للدراسة:

١- المكانة المهنية:

يقصد بالعمل: أي فعالية تستخدم لتوفير الحياة، وهناك من يعرفه بأنه :أي فعالية تنتج أي شيء ذي قيمة للأفراد الآخرين، أما الوظيفة فتعني أدوار العمل، فيمكن أن يكون ذلك موقعاً مهنياً، وكل عمل يتطلب مهمات خاصة تنفذ في سياقات محددة، وكل واحدة تشمل مجموعة من الواجبات والمسئوليات، حيث إن عدد الأعمال يساوي عدد الأفراد في سوق العمل في أي فترة زمنية (البداينة،٢٠٠٠: ٩٤). ويعرف العمل بأنه، ما يقوم به الإنسان من نشاط إنتاجي سواء كان ذلك في شكل مهنة أو وظيفة أو حرفة (عبد الباقي، ١٩٧٧: ٣٣). أما العمل بالمعنى الاقتصادي فهو أحد عناصر الإنتاج المعروفة، ويراد به: كل جهد عقلي أو بدني في مجال النشاط الاقتصادي؛ لغرض الكسب على وجه العموم.

أما المهنة فهي الطريقة التي تصنف بها المشاغل في مجموعات تضاف بناء على التشابه في المستوى (البداينة، ٢٠٠٠،ص٩٤). كما يقصد بالمهنة الصفة الرسمية التي يوصف بها الفرد، كأن نقول: هذا مدرس، وهذا طبيب، وهذا طيار، بمعنى أنها مكانة مكتسبة لم يولد الفرد بها. (المجالي، ١٩٩٠: ٨٩). وتعرف المهنة بأنها: الدور

الصيت الذي يتمتع به الفرد في مكانته، هو صيت مرتبط بصيت المهنة بالدرجة الأولى، ويمكن رد هذا الصيت إلى ثلاثة مصادر: أولها: قيمة الخدمات التي تؤديها، والربح الذي يحصل عليه من يمارسها، والمشاعر الجمالية التي تولدها في النفس. (جوسمان، ١٩٧٤: ٣٩). وقد توصل البداينة (٢٠٠) في تحليله للهيبة المهنية، إلى أن المكانة الاقتصادية للمهنة تعد من أهم العوامل المؤثرة في تحقيق الهيبة المهنية للأعمال والمهن السائدة في المجتمع، ومن ثم المكانة الاجتماعية، ثم المكانة السياسية.

ويؤكد الكثيرون من علماء الاجتماع أهمية المهنة التي يمارسها الفرد في تحديد مكانته الاجتماعية، وتقييم الأفراد فيما بينهم، ويظهر ذلك واضحا في المجتمعات الكبيرة نسبيا والمعقدة (المدن الكبرى) التي تقل فيها معرفة الفرد بالآخرين، لذلك يستخدم عدداً قليلاً من الرموز والمؤشرات لتحديد المكانة الاجتماعية لهم، منها: الدخل، ووسائل المعيشة، وأحيانا يستخدم المهن التي يمكن أن تكون مؤشراً جيداً لمستوى التعليم والمهارة الفنية والدخل، حيث أشار ليونارد رايسمان (L . Raisman) إلى أن المهنة أصبحت كافية لتحديد الوضع الاجتماعي؛ فقد أصبح يقابلها مكانة اجتماعية وترتيب في سلم اجتماعي للمراتب، لأن المهن اقترنت وظيفياً بعملية التصنيع، ولأنها يمكن أن تشكل أساسا للتقييم الاجتماعي، ولم تعد الثروة هي التي لها الشأن في الحكم على المكانة الاجتماعية، فقد رُتبت على أنها شيء غير مهم، والذي أصبح له الشأن في هذا الترتيب الاجتماعي هو التربية والتدريب والمسئولية ومظاهر الرفاهية الاجتماعية للمهن التي يمكن أن تمنح مقاما اجتماعيا. وعلى هذه الأسس أصبحت المهنة أساسا للفروق الاجتماعية، فالفارق يقوم على أساس دقيق من الاختلافات طالما أن المهن تتعدد لتقابل احتياجات التصنيع. ويؤكد شنيدر (Schneider) ذلك بقوله: إذا اعتبرنا الصناعة أهم منابع الوظائف؛ فهي في الوقت نفسه من أهم منابع المراكز الاجتماعية في المجتمع، فالتصنيع هو العامل الكبير

الاجتماعي في المجتمع الحديث. (مور، ١٩٧٨: ٢٤١).

وقد بلغ تقدير (سوروكن) للمهنة، أن جعل أحد أشكال الترتيب الاجتماعي الرئيسة مرتبطاً بالمهنة، وهو ما عبر عنه بالتدرج المهني. فقد أشار إلى أن المهنة تعمل على تشكيل الإنسان ككل، فهي لا تحدد فقط مقدار دخله أو تغير مظهره، أو تحدد ملبسه وسلوكه، بل تشكل أيضاً عملياته العقلية من إدراك وإحساس وانتباه، كما تؤثر في آرائه ومعتقداته وأخلاقياته. كما أوضحت دراسة كل من (جاكسون) و (توماس لازويل) أهمية العامل المهني في تحديد المركز الاجتماعي والمكانة الاجتماعية لأفراد المجتمع، فهي من ناحية تربط العوامل الاقتصادية بوسائل الإنتاج، كما أنها من ناحية أخرى تحدد موقف العمل الذي يترك بدوره آثاراً واضحة في الترتيب الاجتماعي، وفي أنماط المكانة. (السيد وجابر، ١٩٩٧: ١٠٨).

وتعد الهيبة المهنية من أهم العوامل في تحديد المكانة المهنية، ويعد ترتيب المهن المحور الأساس في بيان الهيبة المهنية، فالإجماع الاجتماعي على احترام العمل عنصر مهم في قبوله لدى أفراد المجتمع. إذ تشير النظرية البنائية الوظيفية إلى أن المهن تؤدي إلى تكوين تدرج اجتماعي، وهي موصل إلى المصادر النادرة (المعرفة، والسلطة، والملكية، والقوة)، وأن الفروق في القوة تؤدي إلى فروق في الامتيازات، وأن الفروق في القوة والامتيازات تؤدي إلى فروق في الهيبة المهنية، فالمهنة متغير مهم في ترتيب الأفراد هرميا، وترتبط عاليا بالدخل والتعليم، ومن المحتمل جدا أن يكون الأفراد الذين هم أكثر تعليماً يملكون هيبة مهنية عالية، ولديهم مقدار جيد من الثراء. وقد وجد دنكن (Duncan 1961) وجود علاقة خطية بين التعليم والدخل في التنبؤ بالمكانة الاجتماعية. (البداينة، ٢٠٠٠: ٩٤). كما توصل لويد وارنر (L.Warner) في دراسته في ثلاثينات القرن الماضي بمدينة (يانكي سيتي) و (جونز فيل) بالولايات المتحدة الأمريكية إلى أن وظيفة الموظف في المصنع هي التي تحدد وضعه الاجتماعي. (حسن، ١٩٨٢: ٢٦١). وأشار أندريه جوسان (Andre Joussain) إلى أن

في ضوء ما سبق يمكننا القول: إن المهنة لها تأثير كبير في أوضاع الأفراد في المجتمع، وتحديد مكانات أفراده ومراتبهم، ومن ثَمَّ فإن انتماء الفرد في المجتمع إلى مهنة معينة لا شك أن ذلك يعني مباشرة المكانة التي سيحصل عليها في ضوء تقييم المجتمع لهذه المهنة، فكيف ينظر الباحثون الاجتماعيون لمكانتهم المهنية بحكم انتمائهم إلى علم الاجتماع ؟.

٢- مكانة علم الاجتماع في المجتمع السعودي:

لم يتوافر للباحث دراسات حول علم الاجتماع في المجتمع السعودي، وأوضاعه العلمية والمهنية؛ لأنه في حدود علم الباحث ليس هناك دراسات أجريت في هذا المجال، بل إن معظم الدراسات إن لم يكن جميعها تدور حول مشكلات وقضايا تطبيقية في علم الاجتماع في المجتمع السعودي، أكثر منها تناقش قضايا تنظيرية وفلسفية لهذا العلم. ولكن قد لا يكون علم الاجتماع في المجتمع السعودي بمعزل عن الوضع العلمي والمهني لعلم الاجتماع في الوطن العربي، خاصة إذا ما علمنا أن معظم مؤسسي علم الاجتماع في المجتمع السعودي كانوا أساتذة من الوطن العربي. وبالتأكيد في بداية الأمر نقلوا تجاربهم وخبراتهم وأيدلوجياتهم لطلابهم في الجامعات السعودية. وقد نشأ علم الاجتماع في المجتمع الخليجي، ومن ضمنها المجتمع السعودي مرتبطاً بتأسيس الجامعات في الدول الخليجية، تلاه الاهتمام بالبحث العلمي. أي إن ارتباط هذا التخصص اعتمد على التوسع الذي حدث في مجال التعليم الجامعي، وليس لحاجة مجتمعية أثبتتها دراسات علمية اجتماعية، إذ كان للثروة النفطية ودورها الرئيس في التوسع في مجال التعليم الذي حظي بقسط كبير من الإنفاق الحكومي بصفته الأداة التي تؤهل المواطنين للانتقال من الحياة التقليدية إلى الحياة العصرية، كما أنه ارتبط بمظاهر تحديث الدولة وأجهزتها، فقد كان قطاع التعليم أكبر قطاع نال التشجيع والاهتمام، وأخذ يتوسع بنسب مضاعفة في جميع أنحاء المجتمعات الخليجية ذوات الظروف المتشابهة (أبو العينين،

والرئيس الذي يحدد الأوضاع الاجتماعية في المجتمعات المعاصرة التي اتجهت نحو التصنيع. (حجازي، ١٩٧٨: ١٧١).

وقد أشارت البحوث إلى أهمية التعليم والمهنة والدخل لقياس المكانة الاجتماعية، وأضاف بعضها بعض المتغيرات الأخرى كالمكانة الاجتماعية للوالدين والعرق والجنس والعمر وغيرها. (هيس وآخرون، ١٩٨٩: ٢٧٦). وقد حاول (ريتشارد كولمان Richard Colman 1987) تحديد طريقة الحكم على الوضع الاجتماعي وخلص إلى أن الدخل يعد العامل الأول أو الوظيفة المحترمة، فالثروة أو الدخل تشكل بعداً كمياً وكيفياً فيما يتعلق بمستوى المعيشة، وقام (نوك Nock وروسي Rossi ١٩٧٩م) بدراسة عن أهمية المهنة والتعليم لتقويم الوضع الاجتماعي، وبالرغم من أن وظيفة الزوج تعد أهم عامل في تحديد الوضع الاجتماعي؛ فإن المبحوثين وضعوا في الاعتبار أيضا عمل الزوجة وتعليمها وتعليم الأبناء البالغين، وخَلَصَ الباحثان إلى أنه توجد عدة عوامل وأبعاد ترتبط وتتداخل فيما يتعلق بالتقدير الاجتماعي للعائلات (هيس وآخرون، ١٩٨٩: ٢٨١).

وقد وجه (جورفيتش) انتقاداً للمعيار المهني كمحدد وحيد للأوضاع الاجتماعية، والمغالاة في تأثيره في تشكل المراكز والمكانات الاجتماعية، ومن هذه الانتقادات:

١- أن تقسيم العمل، وخاصة التقسيم إلى مهن، ليس هو السبب في تكدس الثروات، وإنما هو الأثر المترتب عليها.

٢- أن الاستعداد المهني ليس وراثيا، طالما أنه لا يرتبط بالثروة ولا بوسائل الإنتاج.

٣- أن المؤيدين للمعيار المهني يتناولون المهن أحياناً بمفهومها الضيق، أي بصفتها جماعة حقيقية ملموسة، وأحيانا بمعنى شديد الاتساع بصفتها فئة مهنية، وبهذه الكيفية وحدها يستطيع الانتقال من المهنة إلى الطبقة. ولكن هؤلاء يجدون أنفسهم أمام أفراد لا مهنة لهم، ومنهم ملاك الأراضي وأصحاب الثروات والمتقاعدون والعاطلون، ويتساءل (جوريفتش): هل يمكن ضم هؤلاء في وضع اجتماعي واحد؟. (الجوهري، ١٩٧٩: ٢٦٧).

الاجتماع بالجامعات السعودية:

- يعد قسم الدراسات الاجتماعية، بجامعة الملك سعود أول أقسام الاجتماع (عام ١٩٧٢م) ثم قسم الاجتماع بجامعة الملك عبد العزيز (١٩٧٧م) وشعبة الاجتماع بكلية التربية بالمدينة المنورة (١٩٧٨م)، وقسم الاجتماع بجامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية بكلية العلوم الاجتماعية بالرياض (١٩٧٧م) وقسم الاجتماع بكلية العلوم العربية والعلوم الاجتماعية بالقصيم (١٩٨٢م)، وأخيراً قسم الدراسات الاجتماعية بجامعة الملك فيصل (١٩٨٢م)، وقسم الخدمة الاجتماعية بجامعة أم القرى عام ١٩٨٢م، وإن كانت وزارة المعارف (الرئاسة العامة لتعليم البنات - سابقاً -) قد أنشأت أقساماً للاجتماع في كلياتها في عام (١٩٧١م) وألغيت في عام (١٩٨٢م) بعد إنشاء المعهد العالي للخدمة الاجتماعية، الذي تغير؛ ليصبح كلية الخدمة الاجتماعية (انظر - مكتب التربية لدول الخليج العربية،١٩٩٤).
- اختلاف الخطط الدراسية سواء من حيث أعداد الساعات المنهجية، أو من حيث المقررات الدراسية، وهي تختلف تبعاً لأهداف كل جامعة، الذي تنطلق منه أهداف القسم ذاته، مما جعل هناك اختلافاً في مناهجها العامة والتخصصية.
- تختلف الأقسام في صيغة طرحها لتخصص علم الاجتماع، فهو يطرح في بعضها كتخصص منفرد مثل جامعة الملك عبد العزيز، وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في كلية العلوم العربية والاجتماعية بالقصيم، وفي بعضها الآخر وهو الغالب كشعبة داخل القسم مثل جامعة الملك سعود، وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في كلية العلوم الاجتماعية بالرياض- كان قسماً مستقلاً حتى عام ١٤٢١هـ دمج معه قسم الخدمة الاجتماعية -، وجامعة الملك عبد العزيز في كلية التربية بالمدينة المنورة- تم إلغاء القسم-، وجامعة الملك فيصل. (أبو

١٩٩٣: ٢١٤) ، وفيما يلي بيان بالجامعات التي تدرس علم الاجتماع في المجتمع السعودي:

م	الجامعة	الكلية	القسم
١	جامعة الملك سعود	الآداب	الدراسات الاجتماعية
٢	جامعة الملك عبد العزيز	الآداب والعلوم الإنسانية كلية التربية بالمدينة المنورة	علم الاجتماع قسم العلوم الاجتماعية- شعبة الاجتماع
٣	جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية	-العلوم الاجتماعية بالرياض -العلوم العربية والاجتماعية بالقصيم	الاجتماع والخدمة الاجتماعية علم الاجتماع
٤	جامعة أم القرى	- كلية العلوم الاجتماعية	- قسم الخدمة الاجتماعية
٥	جامعة الملك فيصل	التربية	الدراسات الاجتماعية
٦	وزارة المعارف (الرئاسة العامة لتعليم البنات - سابقاً)	قسم الاجتماع	ألغيت الأقسام مع إنشاء كلية الخدمة الاجتماعية
٧	جامعة الملك خالد	كان هناك قسم للاجتماع في كل من كلية العلوم العربية والاجتماعية بأبها التابعة لجامعة الإمام أنشئ عام (١٩٨١م)، وكلية التربية التابعة لجامعة الملك سعود أنشئ عام (١٩٧٧م)، وقد ألغي كل منهما بعد الدمج في عام ١٩٩٨م، وأصبحا مركزاً للبحوث والاستشارات الاجتماعية للقطاعين العام والخاص في عام ٢٠٠١م.	

وتنص الأهداف الرئيسة لكل قسم من أقسام الاجتماع على أن مهماته تتركز في إعداد الكفاءات البشرية في مجال الدراسات الاجتماعية والنفسية من باحثين وأخصائيين ومدرسي المواد الاجتماعية، وذلك لتلبية احتياجات المملكة من الباحثين الاجتماعيين للعمل في المؤسسات ومراكز الخدمة الاجتماعية والمؤسسات التربوية (انظر - دليل جامعة الملك عبد العزيز، ٢٠٠١). وإن كان المعهد المتوسط الخاص بالخدمة الاجتماعية الذي أنشأته وزارة العمل والشئون الاجتماعية بالتعاون مع الأمم المتحدة عام ١٣٨١هـ، قد سبق الجامعات في تخريج دفعات من الباحثين والأخصائيين الاجتماعيين. **ومن الملحوظات التي يمكن تسجيلها على أقسام علم**

وتعد وزارة العمل والشئون الاجتماعية أكبر مجال تتاح الفرصة فيها للعمل لخريج علم الاجتماع، يليها وزارة الصحة بمستشفياتها التي تديرها أو التي تشغل ذاتيا، هذا بالإضافة إلى وزارة الداخلية ممثلة في مديرية السجون العامة، والجامعات، والرئاسة العامة لرعاية الشباب وغيرها من مؤسسات الدولة الأخرى، والقطاع الخاص في بعض الوظائف التي تتطلب مؤهلاً جامعياً تخصصياً. وكانت وزارة المعارف والمؤسسات التعليمية الأخرى تعد أيضا منفذاً خاصاً لتوظيف خريجي أقسام علم الاجتماع، إلا أنه في السنوات الأخيرة عزفت عن ذلك، حيث كانوا يلتحقون مدرسين أو مشرفين اجتماعيين، وحتى الآن ليس هناك دراسة حددت أسباب ذلك. ويشير الباحث إلى أنه ليس هناك إحصاءات دقيقة حول أعداد الباحثين الاجتماعيين العاملين في وزارة العمل والشئون الاجتماعية، إذ يبلغ عدد الموظفين العاملين في هذه الوزارة بوكالاتها الثلاث (وكالة الوزارة لشئون العمل، ووكالة الوزارة للشئون الاجتماعية، ووكالة الضمان الاجتماعي) أكثر من (٦٠٠٠) موظف من مختلف الدرجات والمسميات، يبلغ عدد الباحثين الاجتماعيين ٩٥٠ وظيفة من مختلف الدرجات. (انظر - وزارة العمل والشئون الاجتماعية، ٢٠٠٠)، وعلى الرغم من قدم هذا التاريخ نجد أن الباحث يرى أنه لن تكون هناك زيادات كبيرة في أعداد الوظائف لقلة الوظائف الجديدة في السنوات الأخيرة، أو ندرتها إن صح التعبير نتيجة للظروف الاقتصادية. وبمقارنة مخرجات أقسام علم الاجتماع مع أعداد الباحثين الاجتماعين المعينين وفق تخصصهم في وزارة العمل والشئون الاجتماعية، وجدنا أن لدينا ما يصل إلى (١٠,٦٥٠) من خريجي الأقسام العلمية في الجامعات والكليات في علم الاجتماع، أعدوا كباحثين أو أخصائيين اجتماعيين لا يعملون في تخصصاتهم التي أعدوا لها، وهذا يعني أن الأقسام العلمية لعلم الاجتماع تعد طلابها لتخصصات أخرى، وليس لتخصصهم، مما يعني أن كل ما تعلمه الخريج سيذهب دون مردود على العلم ذاته، ولن يتم تطبيق أي شيء منه.

العينين،١٩٩٣: ٢٢٠). ولم يستطع الباحث الحصول على إحصاء دقيق لأعداد خريجي أقسام الاجتماع أو الدراسات الاجتماعية بالجامعات السعودية. واجتهادا لو وضعنا أن كل قسم يخرج بمعدل ٨٠ طالباً وطالبة في العام الجامعي الواحد، وفي الفصلين الدراسيين، وفي ضوء تاريخ إنشاء كل من الجامعات، بعيدا عمّا تخرجه الرئاسة العامة لتعليم البنات، لوجدنا أن لدينا أعداداً كبيرة من خريج تلك الأقسام يصل إلى (١١,٦٠٠) باحثٍ اجتماعي أو أخصائي اجتماعي تخرج حتى عام ١٤٢٢هـ /٢٠٠٢م.

والفرصة متاحة لخريج أقسام علم الاجتماع في الحصول على وظائف في القطاع الحكومي بمسميات تخصصية، تتراوح ما بين المرتبة الخامسة والمرتبة العاشرة، ومن أشهر المسميات الوظيفية المخصصة لهم هي: (باحث اجتماعي - وأخصائي اجتماعي - ومشرف اجتماعي - وأخصائي رعاية - وباحث تنمية) إضافة إلى مسميات مرتبطة بالإدارات والأقسام والشعب داخل الأجهزة التي يتوافر بها مثل هذه الوظائف. وقد وضع نظام الخدمة المدنية في تصنيفه لوظائف القطاع الحكومي هذه الوظائف ضمن الوظائف التخصصية في المجموعة العامة للوظائف الاجتماعية والثقافية، واشترط لها مؤهلاً جامعياً. حيث نص النظام على أن وظائف المجموعة النوعية لوظائف الشئون الاجتماعية تقوم بأعمال الرعاية الاجتماعية، وإجراء الدراسات، واقتراح البرامج التطويرية للمجتمع، والإشراف الاجتماعي على التجمعات الطلابية في المدارس والجامعات والإسكان الداخلي (السنيدي، ١٩٩٤: ١٤٠). مع الإشارة إلى أن نظام تصنيف الوظائف لا يفرق هنا بين تخصص علم الاجتماع، ومهنة الخدمة الاجتماعية، بل إنَّ هذا النظام يتيح أن يعين في مثل هذه الوظائف خريج علوم الشريعة، وعلم النفس. ومن الوظائف المتاحة لخريج علم الاجتماع في برامج تشغيل المستشفيات، وإن كانت قاصرة على وظيفة (أخصائي اجتماعي) يتنافس خريج علم الاجتماع في الحصول عليها مع خريج الخدمة الاجتماعية، وأيضًا مجال الجمعيات والمؤسسات الخيرية المختلفة.

٢- **الدوافع الخارجية:** وتشمل سياسة المؤسسة، والإشراف الفني، والإمكانات المتاحة، والدخل، والعلاقات الشخصية مع الرؤساء، والأمن الوظيفي، والوضع الاجتماعي، والحياة الشخصية. (المقوشي، ٢٠٠٢: ٥٠٦).

أما عن الدراسات فكما أشرنا فهي قليلة تلك الدراسات التي تناولت موضوع المكانة المهنية، ولكن هناك بعض الدراسات التي تناولتها بشكل غير مباشر، فقد توصل إبراهيم (١٩٨٤) في دراسته عن المكانة المهنية ودوافع العمل ، إلى أن الحاجة المادية ليست هي الدافع المثالي والوحيد للعمل بين جميع الأفراد، وأن ارتفاع المكانة المهنية يؤدي إلى زيادة الأهمية النسبية للدوافع الاجتماعية للعمل .

وفي دراسة الهيجان (١٩٩٩) عن ضغوط العمل في المؤسسات، أشار إلى أن المكانة المهنية التي يشغلها الأفراد، وإن تباينت درجاتها بين العليا والوسطى والإشرافية، تفرض على شاغلها عدداً من المسئوليات والواجبات والتغيرات، التي تحصل في طبيعة مهماتهم ومطالب الوقت الملحة عليهم وخطورة القرارات التي يتخذونها وتصارع القيم والمصالح في المنظمات التي يعملون بها. ومن أهم العوامل التي تسبب الضغوط للعاملين وبخاصة المشرفون التنفيذيون هو: عدم وجود نطاق كافٍ من الصلاحية لديهم في اتخاذ القرارات، وتدخل الإدارة العليا في شئونهم، وتكليفهم بأعمال خارج مهماتهم المحددة. ولا شك أن هذه الأسباب تعني بشكل عام قصوراً في التطور الوظيفي الذي يحتاج إليه الباحثون الاجتماعيون؛ للشعور بمكانتهم المهنية، باعتبار أن التطور الوظيفي الذي يحتاج إليه العاملون يتمثل في الآتي:

- فرص الاستخدام الكامل لمهاراتهم الوظيفية.
- اكتساب مهارات جديدة ومتنوعة.
- الاستشارة في مجال المهنة أو الوظيفة من أجل اتخاذ قرارات متعلقة بالعمل، لذلك فإن عدم توافر التطور الوظيفي يشعر الموظف بعدم أهميته وانخفاض مكانته، أو الثقة به داخل المؤسسة، مما قد يعوق الاستقرار الوظيفي لذلك

٣- الدراسات السابقة:

قليلة - في حدود علم الباحث - هي الدراسات العربية في مجال المكانة المهنية للوظيفة أو المهنة التي ينتمي إليها الفرد في المجتمع، وإن كان هناك دراسات تناولت موضوع الرضا الوظيفي، واعتبار مكانة المهنة جزء من هذا الرضا، على الرغم من أن المهنة والوظيفة عامل رئيس كما أشرنا إلى تحديد المكانة الاجتماعية للفرد في المجتمع الحديث، والتوسع الكبير الذي شهده علم التدرج الاجتماعي حاليا، واعتباره فرعاً رئيساً من فروع علم الاجتماع في الدول المتقدمة. وقد سعى الباحث إلى التركيز على الدراسات التي طبقت في المجتمعات العربية للتشابه الكبير بينها وبين المجتمع السعودي، في معظم الظروف والخلفيات.

ولعلنا قبل مناقشة تلك الدراسات نشير إلى ما توصلت إليه نظرية الدور التي تؤكد أهمية تلافي صراع الأدوار المهنية في المؤسسات، لتأثير ذلك في الوضع المهني داخل المؤسسة ذاتها والتدرج المهني ذاته في المجتمع، وانعكاسه على العاملين بغض النظر عن نوع المهنة ذاتها، حيث إن مثل هذا الصراع في الأدوار يرجع إلى عدة أسباب، لعل من أهمها: ١- عدم الدقة في اختيار العاملين المناسبين للعمل. ٢- عدم وضوح مهمات الدور لدى العاملين لعدم تأهيلهم وإعدادهم بما يتناسب مع الدور المتوقع منهم داخل المؤسسة مما يفقدهم مواكبة المستجدات. ٣- عدم الاهتمام بالتخصصية التي تعد ضرورية للقيام بالأدوار الوظيفية في المؤسسات الحديثة (الباز،٢٠٠١: ٤٣٤).

كما ترى **نظرية الدوافع الموضوعية** أن هناك دوافع ذاتية، وأخرى داخلية تؤثر في وضع المهنة في المجتمع، وفي رضا الأفراد على مهنة معينة، ومن ثَمَّ ارتفاع مكانتها أو انخفاضها، ومن تلك الدوافع:

١- الدوافع الذاتية: وتشمل الإنجاز، وتقدير النجاح، والترقي الوظيفي، والاهتمام الشخصي بهذه المهنة، والقدرة على تحمل المسئولية، والإبداع في العمل.

مع إحدى الدراسات التي طبقت هناك بعد حذف بعض المهن غير الشائعة في المجتمع الأمريكي مما يعني عدم وجود تأثير للتباين الثقافي بين المجتمعين، والملاحظ هنا أن الباحث الذي قام بإجراء الدراسة ينتمي إلى تخصص علم الاجتماع، ومع ذلك لم يضع وظيفة الباحث الاجتماعي ضمن قائمة المهن الشائعة في المجتمع الأردني، والتي بلغ عددها (٦٠) وظيفة.

كما توصلت دراسة الزعبي والغنام (١٩٨٦)، إلى أن المهن الآتية تحتل أعلى المراتب، وهي: مدرس جامعي، وطبيب، ومهندس، ومدير عام، وقاض، وصيدلي، وضابط في الجيش، ومالك أراضٍ، أما أدنى المراتب فقد احتلتها المهن الآتية: عامل تنظيفات، وسباح، وعامل المجاري، وعتال، ونادل. وتقاربت دراسة الزعبي والغنام السابقة مع ما توصلت إليه دراسة العسيري (٢٠٠٠) حول الطموحات المهنية لدى أطفال المناطق الريفية والحضرية في المجتمع السعودي، توصل إلى مجموعة من المهن التي يطمح الأطفال أن يشغلوها في كبرهم ولم يكن من بينها وظيفة الباحث الاجتماعي، وكانت هذه الوظائف هي: طبيب، ومدرس، وعسكري، وطيار، وضابط، ورجل أعمال، ومهندس، وكذلك لم يكن هناك فروق تذكر بين الأطفال الذكور في تحديدهم لترتيب تلك المهن بين الأطفال المقيمين في الريف أو المقيمين في الحضر.

أما فيما يتعلق بالرضا الوظيفي بوصفه أحد المحددات في ارتفاع المكانة للمهنة أو انخفاضها، فقد توصل العتيبي (١٩٩١) في دراسته للتعرف على مستويات الرضا لدى موظفي القطاعين الحكومي والخاص في دولة الكويت، إلى أن كل موظفي القطاعين غير راضين عن بعض أوضاعهم المهنية، خاصة فيما يتعلق بالأجور من مكافآت ورواتب ومزايا مالية، كما أن موظفي القطاع الخاص كان لديهم شعور أعلى بعدم الرضا عن مكانتهم ومنزلتهم المهنية من موظفي القطاع الحكومي. كما توصل المقوشي (٢٠٠٢) في دراسته عن الرضا الوظيفي والأداء المهني للصحفيين بالمجتمع السعودي، إلى أنهم يشعرون برضا وظيفي متوسط، وإن كان يميل نحو الارتفاع أكثر

الموظف، ويجعله دائم التفكير في البحث عن مؤسسة أخرى، أو حتى ينتقل لمجال مهني جديد. (هيجان، ١٩٩٩: ١٩٦).

كما توصل تريماك (Treimak,1977) في تحديده لـ٨٥ دراسة في ٦٠ دولة تتعلق بالمكانة المهنية، حيث توزعت هذه الدراسات على النحو الآتي: أوروبا الغربية، والمناطق الأنجلوسكسونية، وأوروبا الشرقية، وأفريقيا، وأسيا وأمريكا اللاتينية والكاريبي، أظهرت نتائج الدراسة أن هرمية الهيبة المهنية ثابتة بشكل أساس في جميع المجتمعات المعقدة الماضية والحاضرة، وقد احتلت المهن الآتية أعلى الرتب، وهي على التوالي، رئيس جامعة أو عميد، وطبيب، ومدرس جامعي، وعضو مجلس إدارة، ومحام، ونحات، وطبيب أسنان، وكيميائي، وعالم اجتماع، أما أدنى معدل فيعود إلى المهن الآتية، وهي على التوالي: ماسح أحذية، وزبال، ومزارع، وعامل نظافة، ونادل، وعامل محطة بنزين، وعامل بناء، وموظف، وكاتب، وسائق شاحنة (البداينة، ٢٠٠٠: ٩٧).

وقد توصل المجالي (١٩٩٠) إلى أن الوظائف الشائعة في الأردن تصنف لتحديد مكانتها الاجتماعية إلى ثلاث فئات في ضوء ثلاثة عناصر رئيسة هي: (التعليم العالي، والدخل المرتفع، والسلطة) وقد جاء في الفئة الأولى، وتشمل ٢٨وظيفة، كان من بينها الأطباء، والمحافظون، والقضاة، ورجال الأمن، وأساتذة الجامعات، والصيادلة، والمحامون وغيرهم، وفي الفئة الثانية التي بلغت (٢٨) وظيفة، جاء من بينها، علماء الدين، ورجال الصحافة، والمختار، وشيخ العشيرة، والوظائف المهنية والحرفية، والوظائف الثقافية والفنية، والمدرسون، والمحاسبون، وموظفو الحكومة، وموظفو القطاع الخاص، وغيرهم، وفي الفئة الثالثة التي اشتملت على (١١) وظيفة، جاء من بينها الحارس الليلي، والراعي، وساعي البريد، وبائع الحليب، وجامع القمامة، والجرسون، وماسح الأحذية. كما أشار المجالي (١٩٩٠) إلى أن هذا الترتيب للمهن جاء متوافقاً مع ترتيب هذه المهن في المجتمع الأمريكي عند مقارنتها

كما توصل عسكر وعباس (١٩٨٨) في دراستهما حول مدى تعرض بعض المهن الاجتماعية لضغط العمل، وقد جاء ترتيب هذه المهن وفقاً لأكثرها تعرضاً لضغوط العمل على نحو ما يلي: التمريض، فالتدريس، فالخدمة الاجتماعية، فالخدمة النفسية. كما توصل الطريري (١٩٩٥) في دراسته عن الضغط النفسي لمجموعة من الموظفين في قطاعات عمل مختلفة في المجال التعليمي، والصحي، والصناعي، والاجتماعي، والاقتصادي والتجاري، والخدمات العامة بالإضافة إلى قطاعات أخرى، إلى أن من يعملون في القطاع الاجتماعي هم أكثر تعرضاً للضغط النفسي، وأن ضغوط العمل تؤدي إلى انخفاض مكانة المهنة بشكل عام، حيث يظهر عن هذه الضغوط العديد من النتائج السلبية، التي تكمن في صور متعددة من الاضطرابات والأمراض، تشمل الجوانب السلوكية، والانفعالية، والعقلية للفرد، كما أنها قد تعوقه عن التفاعل الاجتماعي، وانقطاعه عن العمل تماما، واعتزاله التام في منزله، ومن الأمراض النفسية المصاحبة القلق، والاكتئاب، والاحتراق النفسي، والصرع، واضطرابات النوم وغيرها.

كما توصل الباز (٢٠٠١) في دراسته واقع العاملين في دور التربية الاجتماعية في المجتمع السعودي إلى أن ما نسبته ٨٣٪ من العاملين في مهنة مراقبين اجتماعيين في تلك الدور هم ممن لا يحملون تخصصاً في العلوم الاجتماعية، وأن ما نسبته ٥٢٪ من العاملين في وظيفة أخصائي اجتماعي أيضا لا يحملون مؤهلا تخصصياً في الخدمة الاجتماعية. أما حسين (٢٠٠٢) فقد توصل إلى أن المسئولين عن التوظيف في مستشفيات القطاع الخاص يحملون اتجاها سلبيا نحو قبول خريجي أقسام الخدمة الاجتماعية للعمل لدى تلك المستشفيات؛ لأسباب لا ترجع إلى عملية التأهيل الأكاديمي، بل نتيجة لزيادة المميزات المالية التي يتطلبها تعيين الأخصائيين الاجتماعيين السعوديين بالمقارنة مع ما يحصل عليه غير السعوديين لشغل وظيفة الأخصائي الاجتماعي.

من ميله نحو الضعف، وأن المستوى من الرضا له علاقة بإجادة الفنون الصحفية، إذ كلما زاد الرضا الوظيفي زاد إحساس الصحفي بإجادته للفنون الصحفية، وإن كان هناك انخفاض في دافع تقدير المجتمع للمهنة وإجادته لفنونها.

أما عن مهن الاجتماعيين، فقد تناولتها بعض الدراسات، حيث توصلت دراسة مادج (Madge 1994) إلى أن مؤسسات الرعاية الاجتماعية الإيوائية لا تعد من المؤسسات الجاذبة للمتميزين والمؤهلين، وأرجعت ذلك إلى انخفاض الرواتب، وقلة فرص الترقي، وانخفاض الروح المعنوية (الباز، ٢٠٠١).

كما توصلت دراسة درويش (١٩٨٣) عن مكانة المهنة وظروف التغير الاجتماعي في المجتمع المصري، إلى أن المكانة المهنية للأخصائي الاجتماعي في المجتمع المصري قد تدنت في عام ١٩٨٢م، عنها في عام ١٩٧٢م، ويبدو أن انهيار الأنظمة الاشتراكية العربية التي كانت سائدة في الستينات وبداية السبعينات وتحول المجتمع إلى الأنظمة الرأسمالية والانفتاح الاقتصادي، وزيادة الهجرة المكثفة للحرفيين والمهنيين، ودخول عناصر جديدة في البناء المهني مع ظهور مهن جديدة في سوق العمل، له دور في ذلك، حيث من المعروف المكانة العالية لعلم الاجتماع في تلك الأنظمة، كما توصلت الدراسة إلى أن هناك تغيراً نسبياً في المكانة الاجتماعية لبعض المهن في المجتمع، وإن كان هذا التغير لم يقلب بناء المكانة المهنية في المجتمع المصري. وعن الرضا الوظيفي عند الأخصائيين الاجتماعيين في المجتمع الكويتي توصل مختار (١٩٩٩) إلى أن هناك متغيرات مؤثرة في الرضا الوظيفي للأخصائي الاجتماعي في دولة الكويت من مجموع متغيرات مستقلة، وهذه المتغيرات هي العمر، وعبء العمل، والدخل، والمستوى التعليمي، والجنس. ومن الدراسات التي طبقت في المجتمع السعودي دراسة القحطاني (١٩٩٨)، فقد أشار إلى أن العلوم الاجتماعية جاءت في المرتبة السادسة من بين عشرة تخصصات علمية، يحتاج القطاع الخاص السعودي إلى خريجيها.

مرتبة متدنية، مما لا يساهم في الإفادة منها، كما أن ذلك يعني استمرار الحراك المهني، وتخلخل في التدرج الاجتماعي لأفراد المجتمع، ولا يساعد المجتمع على الثبات الذي قد يحتاج إليه في سعيه؛ للتنمية والتقدم الاجتماعي. وفيما يتعلق بمكانة الباحث الاجتماعي نجد أن دراسة إبراهيم (١٩٨٥) أشارت إلى عدم الحاجة المجتمعية إلى وظيفة الباحث الاجتماعي، ودراسة الزعبي والغنام (١٩٨٦) لم تضعه ضمن الوظائف ذات المكانة العالية، وكذلك دراسة المجالي (١٩٩٠) لم تضع الباحث الاجتماعي ضمن الوظائف الشائعة، كما توصلت دراسة درويش (١٩٨٣) إلى تدني مكانة الباحث الاجتماعي. على حين وضعته دراسة تريمان (١٩٧٧) ضمن الوظائف العليا ولكن وظيفة عالم الاجتماع وليس الباحث الاجتماعي، ولم يضعه العسيري (٢٠٠٠) ضمن الوظائف التي يطمح إليها الأطفال، على حين وضع الكردي (١٩٩٨) العالم الاجتماعي في مرتبة متدنية، ويفوقه العالم الطبيعي. على حين أشارت دراسة رضا (١٩٩٩) إلى عدم رضا الأخصائي الاجتماعي عن مهنته. واتفقت معها دراسة عسكر وعباس (١٩٨٨) في أن وظائف الخدمة الاجتماعية من الوظائف التي تتعرض لضغوط العمل. وكذك دراسة الطريري (١٩٩٥)، واتفقت دراسة القحطاني (١٩٩٨) ودراسة حسين (٢٠٠٢) على وجود اتجاه سلبي لوظائف الباحثين الاجتماعيين لدى القطاع الخاص في المجتمع السعودي.

وقد أفادت هذه الدراسة من تلك الدراسات في تحديدها للمكانة المهنية لأحد التخصصات العلمية وهو علم الاجتماع، وذلك باعتبار أن هذا العلم يعيش أزمة مهنية وغربة وظيفية في المجتمعات العربية، الذي بدوره قد يكون همش من دور الباحثين الاجتماعيين وخريجي أقسام علم الاجتماع، ومن هنا فهذه الدراسة جزء من الأبحاث والدراسات في مجال التدرج الاجتماعي، التي نسعى من خلالها إلى الكشف عن المكانة المهنية لعلم الاجتماع في المجتمع السعودي تطبيقا على الباحثين الاجتماعيين أنفسهم.

ولعلنا نختم عرضنا بالدراسات المرتبطة بالحاجة إلى علم الاجتماع في المجتمع وما يقدمه من منافع تطبيقية يستفيد منها أفراد المجتمع، فقد أشار إبراهيم (١٩٨٥) في بحثه عن مدى حاجة المجتمع العربي إلى مهنة علم الاجتماع، إلى أن هناك فئات مهنية لا يستطيع المجتمع أن يعيش بدونها، أهمها: الزراعيون، والعمال، والإداريون، ورجال الجيش، وأن هناك فئات أخرى لا يستطيع المجتمع التقدم بدونها، أهمها: المهندسون، والأطباء، والعلماء، والتقنيون، والاقتصاديون، وفئات أخرى، أما الاجتماعيون، والإنثروبولوجيون، والإعلاميون، والنفسيون، وفئات أخرى، فيمكن للمجتمع أن يعيش ويتقدم بغيرهم. وأنه من النادر أن يرغب الفرد في الانتماء إلى مهنة علم الاجتماع، حيث يندر أن يأتي الفرد طالباً أن يكون باحثاً اجتماعياً بمحض رغبته وإرادته، وإنما غالباً ما يكون إما بمحض الصدفة، أو لعدم وجود بديل أفضل متاح له.

كما توصل الكردي (١٩٩٨) -حول مكانة العلم الاجتماعي- إلى أنه يأتي في المرتبة الثانية بعد العلم الطبيعي، حيث إن العلم الطبيعي تأتى مكانته أرفع، بل إن العلم الاجتماعي تابع له، وإن العلم الطبيعي هو الذي يساهم في تقدم المجتمع مما يعزز من تطوره، وإنه أكثر العلوم موضوعية والتزاماً وحيادية، وإن هذا انعكس بدوره على المتخصصين في هذين العلمين، فأصبح العالم في العلوم الطبيعية أعلى مكانة وقدراً من العالم في العلوم الاجتماعية.

إذن الدراسات السابقة أكدت أن للمهنة تقديراً خاصاً لدى أفراد المجتمع، وأن هناك معايير محددة تكاد تتفق عليها جميع الثقافات في تحديد وضع معين أو ترتيب معين لوظيفة معينة، وهذا بالطبع سيكون له دوره المؤثر في المهنة ومكانتها داخل المجتمع، ومن ثَمَّ مستوى أداء شاغليها، وهى رضاهم عن ذلك، وما مدى شعورهم بالحقوق والواجبات المحددة لهم، والذي بدوره سيؤثر في مستوى الأداء الوظيفي للمجتمع ومؤسساته، وقد يؤثر في إنتاجيته وعطائه، كما أنه قد يقضي على مهن معينة قد تكون هناك حاجة ماسة إليها، ولكن لظروف معينة وضعها المجتمع في

سعود الإسلامية، حيث تم الأخذ بملحوظاتهم وتم إجراء التعديلات المهمة، كما تم تطبيقها على عينة من (١٠) باحثين اجتماعيين؛ للتأكد من ثبات الاستبانة، وتم تعديل الأسئلة في ضوء ذلك، وقد تضمنت الأسئلة والعبارات الجوانب الآتية:

- الرضا المهني، والشعور بالنجاح والتميز المهني، والهيبة المهنية.
- المشكلات المهنية.
- الأجور والمزايا والحوافز المالية.
- نموذج القيادة، وأسلوب الإدارة والإشراف المتبع.
- الصلاحيات الممنوحة لهم، ووضوح الإرشادات والأنظمة بالنسبة لهم، و القدرة في التدخل لاتخاذ القرارات.
- التقدير المعنوي في العمل سواء من القيادة الإدارية أو من المؤسسة ككل.
- الصيت الاجتماعي، والتقدير المجتمعي والمؤسسي.

وتم استخدام برنامج (Spss) الإحصائي؛ لتحليل بيانات الدراسة حيث استعملت التكرارات والنسب المئوية لوصف الخصائص الاجتماعية لعينة الدراسة، وللإجابة عن تساؤلات الدراسة ، كما تم استخدام الترتيب؛ لتحديد أكثر العوامل والأسباب تأثيراً في بعض تساؤلات الدراسة.

- مجتمع الدراسة وعينتها:

حيث قام الباحث باختيار عينة من الباحثين الاجتماعيين لتطبيق الدراسة عليهم، وتم اختيارهم بأسلوب العينة العمدية، أي إنه تم مقابلة المبحوثين ممن تنطبق عليهم محددات الدراسة منذ دخولهم لمقر عملهم حتى تم أخذ العينة كاملة، وقد لجأ الباحث إلى هذا الأسلوب من أساليب العينة غير الاحتمالي لوضعه بعض الخصائص الاجتماعية كمحددات للدراسة؛ ضمانا لتجاوب أفراد العينة معه، من مجتمع الباحثين العاملين بمؤسسات الرعاية الاجتماعية من دور ومراكز وجمعيات خيرية بالرياض، بحيث يكون الباحث الاجتماعي ممن تنطبق عليه محددات

ثانيا: الإجراءات المنهجية ونتائج الدراسة:

- منهج الدراسة:

المنهج هو الإطار العام الموجه للدراسة، وأحد الأركان الأساسية في الدراسات الاجتماعية الذي من خلاله تأخذ الدراسة الأسلوب العلمي السليم، وتم استخدام **منهج المسح الاجتماعي**، بوصفه أنسب المناهج لهذه الدراسة لكونه يقوم على دراسة الأوضاع الاجتماعية القائمة بقصد تحليلها وتفسير نتائجها، وذلك تطبيقاً على مجموعة من الباحثين الاجتماعيين لمعرفة نظرتهم إلى مهنتهم، وهل يعتبرونها مصدراً من مصادر حصولهم على مكانة اجتماعية عالية أو لا؟. وعن أوضاعهم الحالية والأدوار التي يمارسونها حالياً داخل مؤسساتهم ومدى قناعتهم بما يقومون به من مهام ومسئوليات نتيجة كونهم باحثين اجتماعيين ،كما اعتمد الباحث على الدراسة الاستكشافية في هذا البحث بوصفه أول بحث في حدود علم الباحث يتناول هذا المجال في المجتمع السعودي .

- أداة الدراسة:

تم الاعتماد على استبانة كأداة للدراسة، التي قام الباحث بإعدادها، احتوت على ٦٤ سؤالاً وعبارة، بما يتوافق مع طبيعة الدراسة وأهدافها، إضافة إلى سبعة أسئلة تتعلق بالبيانات الأولية للمبحوثين، وقد تم صياغة الأسئلة والعبارات اعتماداً على بعض المقاييس والاستبانات لبعض الدراسات القريبة من هذه الدراسة، وبخاصة (دراسة زين العابدين درويش ، ودراسة ذياب البداينة، ودراسة قبلان المجالي، ودراسة هادي مختار رضا، ودراسة نصر خليل محمد وآخرين، ودراسة عبد العزيز المقوشي، ودراسة راشد الباز) واختار الباحث هذه الأداة لمناسبتها لعينة الدراسة، ولطبيعة أهداف وتساؤلات الدراسة، وقد تم التأكد من صدق الاستبانة بأسلوب الصدق الظاهري؛ إذ تم عرضها على مجموعة من المحكمين في مجال علم الاجتماع وعلم النفس وعلم الإدارة العامة في جامعة الملك سعود، وجامعة الإمام محمد بن

١٧	دار الرعاية الاجتماعية	٣
١٩	مديرية الشئون الاجتماعية بمنطقة الرياض	٩
٢٠	مركز الخدمة الاجتماعية	٣
٢١	مركز التنمية الاجتماعية	٥
٢٢	جمعية البر الخيرية بالرياض	٦
٢٣	مركز الأمير سلمان الاجتماعي	٢
٢٤	مشروع ابن باز الخيري	٢
٢٥	الجمعية السعودية للتربية والتأهيل	٢
٢٦	الجمعية السعودية الخيرية للأطفال المعوقين	٢
٢٧	جمعية النهضة النسائية	٤
٢٨	جمعية الوفا الخيرية	٣
٢٩	الجمعية السعودية لرعاية الأيتام	٣
٣٠	جمعية الأمير فهد بن سلمان لأمراض الكلى	١
١٤	مركز التربية الفكرية للإناث	١
١٤	معهد التربية الفكرية للذكور	١
١٤	معهد النور للذكور	١
١٤	معهد النور للإناث	١
٣١	مركز الاستشارات الأسرية والإرشاد الاجتماعي	٢
	الإجمالي	٩١

تم تحديد هذه المؤسسات والجمعيات، اعتماداً على المصدرين الآتيين:

- دليل الجمعيات الخيرية بالمملكة العربية السعودية، إدارة الجمعيات الخيرية بوزارة العمل والشئون الاجتماعية، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.
- دليل المؤسسات الاجتماعية بمدينة الرياض، المركز الخيري للاستشارات الأسرية والإرشاد الاجتماعي، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

الدراسة ، وبلغ حجم العينة ٩١ باحثاً اجتماعياً وباحثة اجتماعية بما نسبته ١٠٪ من حجم مجتمع البحث، وهي عينة تتناسب مع طبيعة منهج الدراسة ونوع الدراسة التي استخدمها الباحث وأداة الدراسة ذاتها. وبذلك فإن وحدة العينة هو الباحث الاجتماعي، وقد بلغ مجتمع الدراسة الكلي ٩٦٧ وفق بيانات الإدارة العامة للشئون الاجتماعية بمنطقة الرياض.

وقد تم اختيار الباحثين الاجتماعيين من مؤسسات الرعاية الاجتماعية في مدينة الرياض # وفق الجدول الآتي:

م	المــؤسسة	عدد الباحثين الاجتماعيين
١	دار التربية الاجتماعية للبنين	٢
٣	دار التربية الاجتماعية للبنات	٣
٤	دار الملاحظة الاجتماعية	٣
٥	دار التوجيه الاجتماعي	٢
٦	مؤسسة رعاية الفتيات	٢
٧	دار الحضانة الاجتماعية	٣
٨	مكتب الضمان الاجتماعي	٥
٩	مكتب مكافحة التسول	٣
١٠	مؤسسة التربية النموذجية	٣
١١	مركز التأهيل الاجتماعي للذكور	٣
١٢	مركز التأهيل الشامل للذكور	١
١٣	مركز التأهيل المهني للذكور	٢
١٤	مركز التأهيل الشامل للإناث	٢
١٤	مركز التأهيل المهني للإناث	٢
١٥	مركز الرعاية النهارية للأطفال المعوقين	١
١٦	مؤسسة رعاية الأطفال المشلولين	٣

التخصصات المفتوحة للجنسين منذ وقت مبكر، كما أن المؤسسات الاجتماعية، التي تم اعتمادها كمجال مكاني لسحب عينة الدراسة عادة ما يكون لها قسمان مستقلان واحد لفئة الذكور، وآخر لفئة الإناث، في ضوء ثقافة المجتمع السعودي وقيمه .

الجدول رقم (٢) توزيع عينة الدراسة من حيث العمر

الجنــس	ك	٪
من ٢٢ سنة إلى أقل من ٢٦ سنة	٠	
من ٢٦ سنة إلى أقل من ٣٠ سنة	٨١	٨٩,١
من ٣٠ سنة إلى أقل من ٣٤ سنة	٦	٦,٦
من ٣٤ سنة إلى ٤٠ سنة	٣	٣,٣
٤٠ سنة فأكثر	١	١,٠
المجموع	٩١	١٠٠

يشير الجدول رقم (٢) إلى توزيع أفراد العينة حسب العمر ، حيث نلحظ أن النسبة العالية من عينة الدراسة تتركز أعمارهم في الفئة من ٢٦ سنة إلى أقل من ٣٠سنة بما نسبته (٨٩,١٪)، على حين توزع بقية النسب على الفئات العمرية الأخرى، حيث نجد ما نسبته (٦,٦٪) في الفئة العمرية من ٣٠سنة إلى أقل من ٣٤سنة، وما نسبته (٣,٣٪) في الفئة من ٣٤سنة إلى أقل من ٤٠ سنة، على حين كانت مفردة واحدة عمرها أكثر من ٤٠سنة بما نسبته (١,٠٪).

الجدول رقم (٣) الحالة الاجتماعية

الحالة الاجتماعية	ك	٪
متـــزوج	٨٦	٩٤,٥
عـــزب	٥	٥,٠٥

- **مجالات الدراسة:**
- **المجال المكاني:** مؤسسات الرعاية الاجتماعية من دور ومراكز وجمعيات خيرية بمدينة الرياض كما وردت في البيان رقم (أ).
- **المجال البشري:** الباحثون الاجتماعيون من الذكور والإناث، ممن تنطبق عليهم محددات البحث، والتي وضعها الباحث لتتناسب مع طبيعة أسئلة الدراسة وأهدافها وهي:
- أن يكون سعودي الجنسية.
- أن يكون باحثاً اجتماعيا بإحدى مؤسسات الرعاية الاجتماعية التابعة.
- أن يحمل مؤهلا تعليميا عاليا (جامعياً فما فوق) في تخصص علم الاجتماع.
- أن يكون أمضى في العمل فترة لا تقل عن ثلاث سنوات.
- **المجال الزماني:** تم تطبيق الاستمارة على المبحوثين في المدة من ١٤٢٣/٨/٢٧هـ وحتى ١٤٢٣/٩/٢٠هـ الموافق ٢٠٠٢/١١/٣م وحتى ٢٠٠٢/١١/٢٥م.
- مناقشة نتائج الدراسة:

الجدول رقم (١) توزيع عينة الدراسة من حيث الجنس

الجنس	ك	٪
ذكر	٥٠	٥٥,٠
أنثى	٤١	٤٥,٠
المجموع	٩١	١٠٠

يشير الجدول رقم (١) إلى توزيع أفراد العينة حسب الجنس، حيث نلحظ تقارب النسبة بين توزيع الجنسين عينة الدراسة، حيث بلغت نسبة الباحثين الاجتماعيين الذكور ما نسبته (٥٥,٠٪)، على حين بلغت نسبة الباحثات الاجتماعيات ما نسبته (٤٥,٠٪). وربما يعزى هذا التقارب إلى أن تخصص علم الاجتماع من

يحملون درجة الدبلوم يمكن إرجاعه إلى أن الإعداد المهني للباحث الاجتماعي السعودي يقوم على درجة البكالوريوس، حيث لا توجد مؤسسة تعليمية تمنح درجة الدبلوم في المجتمع السعودي. كما أن انخفاض نسبة المؤهلات العليا من البكالوريوس باعتبار أن حامل مثل هذا المؤهل قد يتقلد منصباً إداريا أعلى.

الجدول رقم (٥) سنوات الخبرة الوظيفية

سنوات الخبرة الوظيفية	ك	٪
أقل من سنة	٠	٠
من سنة إلى أقل من ٥ سنوات	٦	٦,٦
من ٥ سنوات إلى أقل من ١٠ سنوات	٧٩	٨٦,٨
من ١٠ سنوات إلى أقل من ١٥ سنة	٤	٤,٤
١٥ سنة فأكثر	٢	٢,٢
المجموع	٩١	١٠٠

يشير الجدول رقم (٥) إلى توزيع أفراد العينة حسب سنوات الخبرة الوظيفية، حيث نلحظ أن النسبة العالية هم من الذين خبرتهم من ٥ سنوات إلى أقل من ١٠ سنوات بما نسبته (٨٦,٨٪)، على حين توزعت بقية النسبة على فئات الخبرة الوظيفية الأخرى، حيث جاء ما نسبته (٦,٦٪) خبرتهم الوظيفية من سنة إلى أقل من ٥سنوات، على حين أن ما نسبته (٤,٤٪) جاءت سنوات خبرتهم الوظيفية ما بين ١٠ سنوات إلى أقل من ١٥سنة، وأخيرا ما نسبته (٢,٢٪) في الخبرة من ١٥ سنة فأكثر. ويمكن أن يرتبط ذلك بما ورد في الجدول رقم (٢) الخاص بتوزيع عينة الدراسة حسب العمر.

مطلـــق	٠	٠
أرمـــل	٠	٠
المجموع	٩١	١٠٠

يشير الجدول رقم (٣) إلى توزيع أفراد العينة حسب الحالة الاجتماعية، حيث نلحظ أن النسبة العالية هم من المتزوجين، بما نسبته (٩٤,٥٪)، على حين أن نسبة بسيطة ما زالوا عزاباً بما نسبته (٥,٥٪). وقد يرتبط ذلك بالجدول رقم (١) المتعلق بتوزيع عينة الدراسة حسب العمر، حيث إن المجتمع السعودي يمتاز اجتماعيا بالزواج المبكر. على حين لم يكن هناك أي مفردة من المبحوثين من فئة المطلقين أو الأرامل.

الجدول رقم (٤) المؤهل التعليمي

المؤهـل التعليمـي	ك	٪
دبلوم	٠	٠
بكالوريوس	٨٣	٩١,٢
ماجستير	٨	٨,٨
أخرى	٠	٠
المجموع	٩١	١٠٠

يشير الجدول رقم (٤) إلى توزيع أفراد العينة حسب المؤهل التعليمي، حيث نلحظ أن النسبة العالية هم من حملة مؤهل البكالوريوس بما نسبته (٩١,٢٪)، على حين أن نسبة قليلة جداً تحمل مؤهل الماجستير بما نسبته (٨,٨٪). وهي نسبة متوقعة باعتبار أن الحد الأدنى من المؤهل التعليمي لشغل وظيفة الباحث الاجتماعي في القطاعات الحكومية أو الأهلية هو البكالوريوس فما فوق. كما أن عدم وجود من

عدم الشعور بالتميز	٨٠	٨٨	٤
وجود غير متخصصين في وظائفهم نفسها	٧٩	٨٦,٨	٥
قلة الجهد المبذول في العمل	٧٨	٨٥,٧	٦
فقدان التقدير الاجتماعي	٧٧	٨٤,٦	٧
عدم وضوح إنجاز العمل بالنسبة للمجتمع	٧٣	٨٠,٢	٨
ضعف الحوافز	٦٦	٧٢,٥	٩
لايوجد مجموع لوجود أكثر من اختيار			

يشير الجدول رقم (٧) إلى أسباب عدم الرضا عن مكانتهم المهنية كما يراها الباحثون الاجتماعيون ، حيث جاء في المرتبة الأولى من الأسباب عدم تفهم الإدارة لطبيعة عملهم بما نسبته (٩٣,٤٪)، والمرتبة الثانية عدم احترام مقترحاتهم بما نسبته (٩٠,١٪)، وفي المرتبة الثالثة عدم إيمان الإدارة بدورهم بما نسبته (٨٩,٠٪)، عدم الشعور بالتميز بما نسبته (٨٨٪)، وفي المرتبة الرابعة وجود غير متخصصين في وظائفهم نفسها بما نسبته (٨٦,٨٪)، وفي المرتبة الخامسة قلة الجهد المبذول في العمل بما نسبته (٨٥,٧٪) ، وفي المرتبة السادسة فقدان التقدير الاجتماعي بما نسبته (٨٤,٦٪)، وفي المرتبة السابعة عدم وضوح إنجاز العمل بالنسبة للمجتمع بما نسبته (٨٠,٢٪)، وفي المرتبة الثامنة ضعف الحوافز بما نسبته (٧٢,٥٪). ونجد أن مثل هذه الأسباب تتفق مع نتائج بعض الدراسات السابقة، حيث نجد مثل هذه الأسباب وردت في دراسة عسكر وعباس (١٩٨٨) التي أشارت إلى أن وظائف الخدمة الاجتماعية من الوظائف التي تتعرض لضغوط العمل. وكذلك نتائج دراسة الطريري (١٩٩٥) التي أشارت إلى أن الوظائف في القطاع الاجتماعي من أكثر الوظائف تعرضاً لضغوط العمل. واتفقت معها أيضاً دراسة القحطاني (١٩٩٨) التي أشارت إلى أن المتخصصين في العلوم الاجتماعية يأتون في المرتبة السادسة من بين الوظائف التي يحتاج إليها القطاع الخاص في المجتمع

الجدول رقم (٦) مدى رضا الباحثين الاجتماعيين عن مهنتهم

السـؤال	ك	٪
راضٍ	١٣	١٤,٢
غير راضٍ	٧٨	٨٥,٨
الإجمالي	٩١	١٠٠

يشير الجدول رقم (٦) إلى مدى رضا الباحثين الاجتماعيين عن مهنتهم، ونلحظ أن الغالبية من الباحثين الاجتماعيين غير راضين عن مهنتهم بما نسبته (٨٥,٨٪)، على حين أجاب ما نسبته (١٤,٢٪) عن رضاهم عن مهنتهم. حيث يعد الرضا عن الوظيفة مؤشرا على حرص الموظف على عمله، كما أن الرضا يعد الأساس الأول لتحقيق توافقه النفسي والاجتماعي، ومعيار رئيس لتحديد المكانة الاجتماعية لأي مهنة. ونجد أن هذه النتيجة تتفق مع ما أشارت إليه دراسة رضا (١٩٩٩) إلى عدم رضا الأخصائي الاجتماعي عن مهنته. كما تتفق مع دراسة العتيبي (١٩٩١) ودراسة المقوشي (٢٠٠٢) وإن كانت هاتان الدراستان لم تطبقا على الباحثين الاجتماعيين، حيث طبقت دراسة العتيبي (١٩٩١) على مجموعة مختلفة من الموظفين، علي حين طبقت دراسة المقوشي (٢٠٠٢) على مهنة الصحافة.

الجدول رقم (٧) أسباب عدم الرضا الوظيفي لدى الباحثين الاجتماعيين

الأسباب	ك	٪	الترتيب
عدم تفهم الإدارة لطبيعة عملهم	٨٥	٩٣,٤	١
عدم احترام مقترحاتهم	٨٢	٩٠,١	٢
عدم إيمان الإدارة بدورهم	٨١	٨٩,٠	٣

الجدول رقم (٩) شعور الباحثين الاجتماعيين بتميز مهني معين

التميز المهني	ك	٪
نعم	٢٦	٢٨,٦
لا	٦٥	٧١,٤
الإجمالي	٩١	١٠٠

يشير الجدول رقم (٩) إلى مدى شعور الباحثين الاجتماعيين بتميز مهني معين لكونهم باحثين اجتماعيين، ونلحظ أن الغالبية من الباحثين الاجتماعيين لا يشعرون بتميز مهني بما نسبته (٧١,٤٪)، بينما أجاب ما نسبته (٢٨,٦٪) عن شعورهم بتميز مهني معين لكونهم يعملون باحثين اجتماعيين . ونجد أن ذلك يتفق مع ما توصل إليه الباز (٢٠٠١) من أن معظم العاملين في وظائف الأخصائيين والمراقبين الاجتماعيين ببعض مؤسسات الرعاية الاجتماعية هم ممن لا يحملون مؤهلاً متخصصاً في العلوم الاجتماعية. ودراسة مادج،(Madge (1994 التي توصلت إلى أن مؤسسات الرعاية الاجتماعية الإيوائية لا تعد من المؤسسات الجاذبة للمتميزين والمؤهلين.

الجدول رقم (١٠) أسباب عدم التميز المهني

الأسباب	ك	٪	الترتيب
شعورهم بأن قرارتهم لن تكون مفيدة	٨٨	٩٦,٧	١
سهولة العمل فعلياً	٨٧	٩٦	٢
وجود غير متخصصين يمارسون العمل نفسه	٨٥	٩٣,٤	٣
عدم الاهتمام بالتطوير	٨٣	٩١,٢	٤
روتينية العمل	٨٠	٨٨	٥

السعودي، وكذلك دراسة حسين (٢٠٠٢) التي أشارت إلى وجود اتجاه سلبي لوظائف الباحثين الاجتماعيين لدى مستشفيات القطاع الخاص في المجتمع السعودي.

الجدول رقم (٨)

شعور الباحثين الاجتماعيين بأن لمهنتهم تأثيراً في تحديد مكانتهم الاجتماعية

تأثير المهنة في المكانة الاجتماعية	ك	٪
نعم	٨٦	٩٤,٥
لا	٥	٥,٥
الإجمالي	٩١	١٠٠

يشير الجدول رقم (٨) إلى شعور الباحثين الاجتماعيين بتأثير مهنتهم كباحثين اجتماعيين في مكانتهم الاجتماعية ، ونلحظ أن الغالبية من الباحثين الاجتماعيين يشعرون بتأثير مهنتهم في مكانتهم الاجتماعية بما نسبته (٩٤,٥٪)، بينما أجاب ما نسبته (٥,٥٪) عن عدم شعورهم بتأثير مهنتهم في مكانتهم الاجتماعية. وتتفق هذه النتيجة مع عدد من الدراسات التي وضعت المهنة معياراً رئيساً لتحديد المكانة الاجتماعية للفرد في المجتمع، ومنها نظرية سوروكن في معايير الترتيب الاجتماعي واعتباره المعيار الرئيس، ودراسة دنكن (١٩٦١)، وكذلك نجد أن نتيجة هذه الدراسة تتفق مع دراسة إبراهيم (١٩٨٥) التي أشارت إلى عدم الحاجة المجتمعية إلى الباحثين الاجتماعيين، وكذلك دراسة الزعبي والغنام (١٩٨٦) التي لم تضعه ضمن الوظائف ذات المكانة العالية، وكذلك دراسة المجالي (١٩٩٠) التي لم تضع الباحث الاجتماعي ضمن الوظائف الشائعة. ودراسة درويش (١٩٨٣) التي أشارت إلى تدني مكانة الباحث الاجتماعي، وكذلك دراسة العسيري (٢٠٠٠) التي لم تضع وظيفة الباحث الاجتماعي ضمن الوظائف التي يطمح إليها الأطفال، على حين وضعت دراسة الكردي (١٩٩٨) العالم الاجتماعي في مرتبة متدنية ويفوقه العالم الطبيعي.

لارتباطها بالمكانة المهنية ذاتها؛ حيث إنَّ ذلك يتفق مع الدراسات التي أشارت إلى أهمية الجوانب المعنوية للمهنة، كما في دراسة إبراهيم (١٩٨٤)، وما أشارت إليه دراسة الهيجان (١٩٩٩) من أهمية دور المهن في اكتساب المهارات الوظيفية، والبرامج التطويرية التي توفرها المهنة لمن يشغلها التي تؤثر في الاستقرار المهني، وسعي الموظف إلى البحث عن مجال مهني أخر.

وكذلك تتفق مع الدراسات التي أشارت إلى تدني مكانة الباحث الاجتماعي كما في نتيجة دراسة إبراهيم (١٩٨٥) التي أشارت إلى عدم الحاجة المجتمعية إلى الباحثين الاجتماعيين، وكذلك دراسة الزعبي والغنام (١٩٨٦) التي لم تضعه ضمن الوظائف ذات المكانة العالية، وكذلك دراسة المجالي (١٩٩٠) التي لم تضع الباحث الاجتماعي ضمن الوظائف الشائعة. ودراسة درويش (١٩٨٣) التي أشارت إلى تدني مكانة الباحث الاجتماعي.كما تتفق هذه النتيجة مع الدراسات التي أشارت إلى ضغوط العمل كما في دراسة عسكر وعباس (١٩٨٨) التي أشارت إلى أن وظائف الخدمة الاجتماعية من الوظائف التي تتعرض لضغوط العمل. ودراسة الطريري (١٩٩٥) التي أشارت إلى أن الوظائف في القطاع الاجتماعي من أكثر الوظائف تعرضاً لضغوط العمل.

ومع الدراسات التي أشارت إلى وجود اتجاهات سلبية نحو الباحثين الاجتماعيين كدراسة القحطاني (١٩٩٨) التي أشارت إلى أن المتخصصين في العلوم الاجتماعية يأتون في المرتبة السادسة من بين الوظائف التي يحتاج إليها القطاع الخاص في المجتمع السعودي، وكذلك دراسة حسين (٢٠٠٢) التي أشارت إلى وجود اتجاه سلبي لوظائف الباحثين الاجتماعيين لدى مستشفيات القطاع الخاص في المجتمع السعودي.

وكذلك مع نتائج الدراسات المرتبطة بالمجال المهني ذاته لعمل الباحثين الاجتماعيين كدراسة الباز (٢٠٠١) التي أشارت إلى أن معظم العاملين في وظائف الأخصائيين والمراقبين الاجتماعيين ببعض مؤسسات الرعاية الاجتماعية هم ممن لا يحملون مؤهلاً متخصصاً في العلوم الاجتماعية. ودراسة مادج Madge (1994) التي

عدم ثقة الآخرين بهم	٧٩	٨٦,٨	٦
عدم الإفادة مما درس في الجامعة	٧٨	٨٥,٧	٧
عدم وجود جمعيات علمية	٧٥	٨٢,٤	٨
عدم وجود نماذج متخصصة في العمل	٧٢	٧٩,٢	٩
عدم وجود مجتمع مهني ينتمي إليه	٦٩	٧٥,٨	١٠
لا يوجد مجموع لوجود أكثر من اختيار			

يشير الجدول رقم (١٠) إلى أسباب عدم التميز المهني كما يراها الباحثون الاجتماعيون، ونلحظ تقارب الأسباب بشكل عام وارتفاعها، مما يعطي مؤشراً على الإحساس المهني لدى الباحثين الاجتماعيين، وحرصهم على مهنتهم ورغبتهم في الحرص على مهنتهم، وتوافر الغيرة المهنية لديهم، فقد جاء في المرتبة الأولى شعورهم بأن قراراتهم غير مفيدة، كأهم الأسباب في عدم وجود تميز مهني بما نسبته ٩٦,٧٪) ، وجاء في المرتبة الثانية سهولة العمل فعلياً بما نسبته (٩٦٪)، وجاء في المرتبة الثالثة وجود غير متخصصين يمارسون العمل نفسه بما نسبته (٩٣,٤٪)، أي إن هناك متخصصين في علوم أخرى يعملون في وظيفة باحث اجتماعي، على حين جاء في المرتبة الرابعة عدم الاهتمام بالتطوير بما نسبته (٩١,٢٪)، كما جاء في المرتبة الخامسة روتينية العمل بما نسبته (٨٨,٠٪)، أما عدم ثقة الآخرين بهم فقد جاء في المرتبة السادسة كسبب لعدم الشعور بالتميز المهني لدى الباحث الاجتماعي بما نسبته (٨٦,٨٪)، وفي المرتبة السابعة جاء سبب عدم الإفادة مما تم دراسته في الجامعة بما نسبته (٨٥,٧٪)، وجاء عدم وجود جمعيات علمية في المرتبة الثامنة بما نسبته (٨٢,٤٪)، وفي المرتبة التاسعة جاء سبب عدم وجود نماذج متخصصة للعمل بما نسبته (٧٩,٢٪)، وفي المرتبة العاشرة جاء سبب عدم وجود مجتمع مهني ينتمي إليه الباحث الاجتماعي بما نسبته (٧٥,٨٪). ونجد أن ذلك مرتبط بنتائج الجدول السابق رقم (٩). ومثل هذه النتيجة تتفق مع معظم نتائج الدراسات السابقة،

توفير الحوافز لهم	٨٢	٩٠,١	٣
تكثيف الدورات العلمية	٨١	٨٩,٠	٤
الاعتماد على تشخيصهم ومقترحاتهم لعلاج المشكلات	٧٩	٨٦,٨	٥
إتاحة الفرصة لهم لتعديل نماذج العمل	٧٨	٨٥,٧	٦
تبادل الزيارات مع الدول المتقدمة	٧٧	٨٤,٦	٧
إتاحة الفرصة لهم للمشاركة في المؤتمرات والندوات العلمية	٦٩	٧٥,٨	٨
لا يوجد مجموع لوجود أكثر من اختيار			

يشير الجدول رقم (١٢) إلى مقترحات الباحثين الاجتماعيين عينة الدراسة للرفع من المكانة المهنية لمهنتهم. حيث نلحظ أن التعيين للمختصين جاء في المرتبة الأولى بما نسبته (٩٦,٧٪)، وجاء مساواتهم مع الباحثين الاجتماعيين في المجالات الطبية أي على نظام الكادر في المرتبة الثانية بما نسبته (٩٤,٥٪)، وجاء توفير الحوافز لهم في المرتبة الثالثة بما نسبته (٩٠,١٪)، وجاء تكثيف الدورات العلمية في المرتبة الرابعة بما نسبته (٨٩,٠٪)، أما الاعتماد على تشخيصهم ومقترحاتهم في تحليل المشكلات فقد جاء في المرتبة الخامسة بما نسبته (٨٦,٨٪).كما جاء في المرتبة السادسة مقترح إتاحة الفرصة لهم لتعديل نماذج العمل بما نسبته (٨٥,٧٪)، أما تبادل الزيارات مع الدول المتقدمة في هذا المجال المهني فقد جاء في المرتبة السابعة بما نسبته (٨٤,٦٪)، وفي المرتبة الثامنة والأخيرة جاء مقترح إتاحة الفرصة لهم للمشاركة في المؤتمرات والندوات العلمية بما نسبته (٧٥,٨٪).

ونلحظ أن المقترحات التي جاءت في مراتب متقدمة مرتبطة بما قد يسمى الإغراء المهني للباحث الاجتماعي وأن يكون في مصاف المهن الأخرى، وبخاصة أن تكون مهنتهم لهم لا يعين فيها ممن هم في تخصصات أخرى، وكذلك اعتماد كادر لهم يميزهم من غيرهم من المهن ، وكذلك توافر حوافز لهذه المهنة تزيد من الإقبال عليها، أو على الأقل تدعم موقفها في منافسة المهن الأخرى، ولعل في هذه المقترحات

توصلت إلى أن مؤسسات الرعاية الاجتماعية الإيوائية لا تعد من المؤسسات الجاذبة للمتميزين والمؤهلين.

الجدول رقم (١١) دور التخصص المهني في تحقيق الصيت الاجتماعي

السؤال	ك	٪
نعم	٢٤	٢٦,٤
لا	٦٧	٧٣,٦
الإجمالي	٩١	١٠٠

يشير الجدول رقم (١١) إلى تأثير التخصص المهني في تحقيق الصيت الاجتماعي، ونلحظ أن الغالبية من الباحثين الاجتماعيين يقرون بعدم وجود دور لمهنتهم كباحثين اجتماعيين في تحقيق الصيت الاجتماعي الذي يأملونه بما نسبته (٧٣,٦٪)، على حين أجاب ما نسبته (٢٦,٤٪) بوجود دور لتخصصهم المهني في تحقيق صيت اجتماعي لهم. وهذا يتفق مع نتائج الجدول رقم (٩)، والجدول رقم (١٠) الذي أشار إلى جملة من الأسباب التي أدت إلى شعورهم بعدم التميز المهني. كما تتفق مع دراسة جوسمان (١٩٧٤) التي توصلت إلى أن للمهنة دوراً في تحقيق الصيت الاجتماعي للفرد في مجتمعه، ودراسة هيس (١٩٨٩) التي أشارت إلى دور المهنة في حصول الفرد على التقدير الاجتماعي من أفراد المجتمع.

الجدول رقم (١٢) مقترحات الباحثين الاجتماعيين لرفع مكانتهم المهنية

المقترحات	ك	٪	الترتيب
التعيين للمتخصصين فقط	٨٨	٩٦,٧	١
مساواتهم بالأخصائيين في المجالات الطبية	٨٦	٩٤,٥	٢

مهنتهم .

- أشارت نتائج الدراسة إلى أن هناك العديد من الأسباب في عدم رضا الباحثين الاجتماعيين عن مهنتهم، وجاء ترتيبها على النحو الآتي:
    - o في المرتبة الأولى عدم تفهم الإدارة لطبيعة عملهم.
    - o في المرتبة الثانية عدم احترام مقترحاتهم.
    - o في المرتبة الثالثة عدم إيمان الإدارة بدورهم.
    - o في المرتبة الرابعة عدم الشعور بالتميز.
    - o في المرتبة الخامسة وجود غير متخصصين في وظائفهم نفسها.
    - o في المرتبة السادسة قلة الجهد المبذول في العمل .
    - o في المرتبة السابعة فقدان التقدير الاجتماعي.
    - o في المرتبة الثامنة عدم وضوح إنجاز العمل بالنسبة للمجتمع.
    - o في المرتبة التاسعة ضعف الحوافز.
- **إجابة السؤال الثاني: هل يشعر الباحثون الاجتماعيون بأن لمهنتهم تأثيراً في تحديد مكانتهم الاجتماعية ؟**

أشارت نتائج الدراسة إلى شعور الباحثين الاجتماعيين بتأثير مهنتهم كباحثين اجتماعيين في مكانتهم الاجتماعية، حيث إن الغالبية من الباحثين الاجتماعيين يشعرون بتأثير مهنتهم في مكانتهم الاجتماعية.

- **إجابة السؤال الثالث: هل يشعر الباحثون الاجتماعيون بتميز مهني معين ؟ وما أسباب ذلك؟**
- أشارت نتائج الدراسة إلى أن الغالبية من الباحثين الاجتماعيين لا يشعرون بتميز مهني كونهم باحثين اجتماعيين.
- أشارت نتائج الدراسة إلى أسباب عدم التميز المهني كما يراها الباحثون الاجتماعيون، ونلحظ تقارب الأسباب بشكل عام وارتفاعها، مما يعطي مؤشراً

بالفعل ما يعزز مكانة المهنة لدى المجتمع بشكل عام بأفراده ومؤسساته.

وفي المستوى الثاني من المقترحات نجد أنها ارتبطت بالعمل اليومي للباحث الاجتماعي، كزيادة الدورات العلمية لهم، والاعتماد على توصياتهم ومقترحاتهم في التشخيص، وكذلك إتاحة الفرصة لهم لتعديل النماذج الخاصة بالعمل، وهذا قد يرتبط بالذات المهنية للباحث الاجتماعي، بحيث إن مساهمتهم المباشرة في العمل تجعل من قدراته ترتفع، ومن الممكن أن تزداد لديه القدرات الابتكارية أو الإبداعية، على حين العكس عندما يكون مسلوب الإرادة في العمل فهذا قد يضعف من حرصه على العمل أو الافتخار به.

أما في المستوى الثالث من المقترحات فقد جاءت في مجملها عن التمايز المهني المجتمعي، والزيارات العلمية للدول المتقدمة ، أو المشاركة في المؤتمرات والندوات العلمية، وهذا قد يكون نتيجة لحرص الباحث الاجتماعي على أن يكون تميزه المهني مشاهداً من قبل المجتمع، حيث من المعروف أن الزيارات الخارجية أو المؤتمرات والندوات تعطي مؤشرا على ارتفاع مكانة مهنة ما في المجتمع، أو على الأقل مؤسسات ترعاها مما يزيد من الاعتراف المجتمعي بها.

- الخلاصة والتوصيات :

وفي ضوء ما سبق يشير الباحث إلى أن غالبية الباحثين الاجتماعيين غير راضين عن مكانتهم المهنية، وغير راضين عن عملهم كباحثين اجتماعيين، ولا يشعرون بتميز عملهم لأسباب مختلفة، وهذا بدوره أثر في مكانتهم الاجتماعية في المجتمع، وجعلهم لا يشعرون بثقة في أنفسهم، ولا بالافتخار بكونهم باحثين اجتماعيين. حيث جاءت النتائج في ضوء الإجابة عن تساؤلات الدراسة على نحو ما يلي:

- **إجابة السؤال الأول: ما مدى رضا الباحثين الاجتماعيين عن مهنتهم ؟ وما أسباب ذلك ؟.**
- أشارت نتائج الدراسة إلى عدم رضا الغالبية من الباحثين الاجتماعيين عن

٣. المرتبة الثالثة توفير الحوافز لهم.
٤. المرتبة الرابعة تكثيف الدورات العلمية.
٥. المرتبة الخامسة الاعتماد على تشخيصهم ومقترحاتهم في تحليل المشكلات.
٦. المرتبة السادسة مقترح إتاحة الفرصة لهم لتعديل نماذج العمل.
٧. المرتبة السابعة تبادل الزيارات مع الدول المتقدمة في هذا المجال المهني.
٨. المرتبة الثامنة إتاحة الفرصة لهم؛ للمشاركة في المؤتمرات والندوات العلمية.

- **لذلك يوصي الباحث هنا بما يلي:**
- توفير الفرص التدريبية، التي تزود الباحثين الاجتماعيين بما يستجد في مجال علمهم، والتي تسهم في تحقيق الصيت الاجتماعي للمهنة داخل المجتمع.
- إصدار مجلة علمية مهنية متخصصة؛ لتكون نواة لتجمع مهني للباحثين الاجتماعيين، بحيث تكون ناطقة باسمهم داخل السلم الوظيفي في المجتمع، وتكون أشبه ببطاقة تعريفية للمهنة في المجتمع.
- تعميم مقرر العلوم الاجتماعية في مختلف الكليات والأقسام والتخصصات الجامعية، لإدراك الدور الرئيس لعلم الاجتماع في المجتمع المدني، وبخاصة في المجتمعات الحديثة.
- على الباحثين الاجتماعيين في المجتمع السعودي أن يكونوا أكثر وعيا عند استيعابهم للنظريات الحديثة، وألا يروا أن علم الاجتماع حكر على العالم الغربي، بالإفادة مما تحمله كتب السنة النبوية من ملامح رئيسة أرقى من الكثير من النظريات العلمية في تشخيصها للواقع الاجتماعي، وتفسير الكثير من الأحاديث النبوية الشريفة لمشكلات المجتمع واحتياجاته.
- قيام الجامعات بمراجعة دورية للمقررات الدراسية، والسعي إلى إضافة تقنيات

على الإحساس المهني لدى الباحثين الاجتماعيين، وحرصهم على مهنتهم، وتوافر الغيرة المهنية لديهم، فقد جاء ترتيبها على النحو الآتي:

١. المرتبة الأولى شعورهم بأن قراراتهم غير مفيدة.
٢. المرتبة الثانية سهولة العمل فعليا.
٣. المرتبة الثالثة وجود غير متخصصين يمارسون العمل نفسه.
٤. المرتبة الرابعة عدم الاهتمام بالتطوير.
٥. المرتبة الخامسة روتينية العمل.
٦. المرتبة السادسة عدم ثقة الآخرين بهم.
٧. المرتبة السابعة جاء سبب عدم الإفادة مما تم دراسته في الجامعة.
٨. المرتبة الثامنة عدم وجود جمعيات علمية.
٩. المرتبة التاسعة جاء سبب عدم وجود نماذج متخصصة للعمل.
١٠. المرتبة العاشرة جاء سبب عدم وجود مجتمع مهني ينتمي إليه الباحث الاجتماعي.

- **إجابة السؤال الرابع: هل من دور لتخصصهم المهني في تحقيق الصيت الاجتماعي؟.**
- أشارت نتائج الدراسة إلى تأثير التخصص المهني في تحقيق الصيت الاجتماعي للباحثين الاجتماعيين، ونلحظ أن الغالبية من الباحثين الاجتماعيين يقرون بعدم وجود دور لتخصصهم المهني في تحقيق الصيت الاجتماعي.
- **إجابة السؤال الخامس: ما مقترحاتهم لرفع مكانتهم المهنية ؟.**
- أشارت نتائج الدراسة إلى مقترحات الباحثين الاجتماعيين عينة الدراسة للرفع من المكانة المهنية لمهنتهم، وجاء ترتيبها على النحو الآتي:

١. المرتبة الأولى أن يكون التعيين للمختصين.
٢. المرتبة الثانية مساواتهم مع الباحثين الاجتماعيين في المجالات الطبية أي على نظام الكادر.

المراجع:

١- إبراهيم، سعد الدين

(١٩٨٥). تأمل الآفاق المستقبلية لعلم الاجتماع في الوطن العربي. **مجلة المستقبل العربي**، العدد (٥) ، مركز دراسات الوحدة العربية، تونس.

٢- إبراهيم، طلعت لطفي

(١٩٨٤). المكانة المهنية ودوافع العمل. **مجلة كلية الآداب**، العدد (١)، الرياض: جامعة الملك سعود.

٣- أبو العينين، فتحي

(١٩٩٣). علم الاجتماع في الأقطار الخليجية. **حولية كلية الآداب والعلوم الإنسانية**، العدد (١٦) ، قطر: جامعة قطر.

٤- الباز، راشد سعد

(٢٠٠١). العنصر الوظيفي في دور مؤسسات التربية الاجتماعية. **مجلة جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية**، العدد (٣٥)، الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

٥- البداينة، ذياب موسى

(٢٠٠٠). الهيبة المهنية للأعمال والمهن في المجتمع الأردني. **مجلة دراسات عربية**، العدد (٣)، القاهرة.

٦- جامعة الملك عبد العزيز

(٢٠٠١). **دليل الجامعة**. مطابع الجامعة.

٧- جوسمان، أندريه

(١٩٧٧). **طبقات المجتمع**. ترجمة السيد بدوي وأحمد راجح. القاهرة: دار سعد مصر.

٨- الجوهري، محمد

(١٩٧٩). **مقدمة في علم اجتماع التنمية**. القاهرة: مطابع سجل العرب.

٩- حجازي، محمد فؤاد

(١٩٧٨). **التغير الاجتماعي**. القاهرة: مكتبة وهبة.

١٠- حسين، عبد العزيز محمد

(٢٠٠٢). واقع الفرص الوظيفية لخريجي أقسام الخدمة الاجتماعية. **كتاب ندوة الأمن والمجتمع الثانية**، الرياض: كلية الملك فهد الأمنية .

ومهارات لخريجي أقسام الاجتماع، بحيث يصعب على غيرهم من خريجي التخصصات الأخرى أداء تلك الأعمال.

- مسايرة الأقسام العلمية في الجامعات السعودية للتقدم الذي حدث في العلوم الاجتماعية، وتزويد الباحثين الجدد بمهارات وتقنيات لممارسة أعمالهم، تجعل من الصعوبة بمكان على غيرهم من خريجي التخصصات العلمية ممارسة مهنتهم.
- الإسراع في تفعيل الجمعية السعودية لعلم الاجتماع والخدمة الاجتماعية، التي أنشئت في مطلع عام ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، ومقرها جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، لتمارس دورها كموجه مهني للعاملين في المجالات الاجتماعية، وليصبح الباحث الاجتماعي على قدم المساواة مع غيره من المهنيين الآخرين الذين لهم جمعيات علمية تراعى حقوقهم وتفعل من دورهم في المجتمع.
- زيادة مواد علم الاجتماع في التعليم العام، لضمان استيعاب أفراد المجتمع في سن مبكرة لأهمية علم الاجتماع وفوائده للمجتمع، كغيره من التخصصات العلمية في التعليم العام.
- سد الفجوة بين المنظرين والممارسين، وضرورة مشاركة المتخصصين في علم الاجتماع في مشاريع بحثية مشتركة مع الباحثين الاجتماعيين الممارسين، وضرورة الاعتماد عليهم في إعداد البحوث.
- دعوة الباحثين الممارسين؛ للمشاركة في الكتابة في الندوات والمؤتمرات التي تعقد مثل غيرهم من المهن الأخرى؛ ليكونوا أكثر قربا من الجانب النظري للعلم وإدراك أهميته.

٢٢- القحطاني، سالم سعيد
(١٩٩٨). مدى ملاءمة مخرجات التعليم العالي لمتطلبات سوق العمل في المملكة العربية السعودية. **كتاب ندوة التعليم العالي في المملكة العربية السعودية**، الرياض: وزارة التعليم العالي.

٢٣- المجالي، قبلان
(١٩٩٠). المكانة الاجتماعية للمهن والوظائف الشائعة في المجتمع الأردني. **مجلة العلوم الاجتماعية**، العدد (١)، المجلد (١٨)، الكويت: جامعة الكويت.

٢٤- محمد، نصر خليل وآخرون
(١٩٩٩). مقياس الرضا الوظيفي للأخصائي الاجتماعي في المؤسسات الأولية والثانوية. **كتاب المؤتمر العلمي الدولي الثاني عشر**، القاهرة: جامعة حلوان، كلية الخدمة الاجتماعية.

٢٥- مكتب التربية العربي لدول الخليج
(١٩٩٤). **دليل التعليم العالي في دول الخليج العربي**. الرياض: مطابع المكتب.

٢٦- المقوشي، عبدالعزيز علي
(٢٠٠٢). العلاقة بين الرضا الوظيفي والأداء المهني للصحفيين. **مجلة جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية**، العدد (٣٧)، الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

٢٧- مور، بوتو
(١٩٧٨). **تمهيد في علم الاجتماع**. ترجمة: محمد الجوهري وآخرين، القاهرة: دار المعارف.

٢٨- هيجان، عبد الرحمن أحمد
(١٩٩٩). **ضغوط العمل**. الرياض: معهد الإدارة العامة، مركز البحوث والدراسات الإدارية.

٢٩- هيس، بيث وآخرون.

٣٠- (١٩٨٩). **علم الاجتماع**. ترجمة: محمد مصطفى الشعبني. الرياض: دار المريخ.

٣١- وزارة العمل والشئون الاجتماعية.

٣٢- (٢٠٠٠). **نشوء وتطور الخدمات الاحتماعية والعمالية في المملكة العربية السعودية**. الرياض: مطابع دار الهلال للأوفست.

٣٣- الكردي، محمود.

٣٤- (١٩٩٨). دور العلم الاجتماعي في بنية العقل العربي. **المجلة الاجتماعية القومية**، المجلد (٣٥)، العدد (٢)، القاهرة: المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية.

١١- درويش، زين العابدين

(١٩٨٣). المكانة المهنية وظروف التغير في المجتمع المصري. **الكتاب السنوي لعلم الاجتماع**، العدد (٤)، القاهرة: دار المعارف.

١٢- رضا، هادي مختار

(١٩٩٩). العوامل التي تساهم في الرضا الوظيفي لدى الأخصائيين الاجتماعيين. **مجلة الخليج والجزيرة العربية**. المجلد (٢٤)، العدد (٩٤)، جامعة الكويت.

١٣- السنيدي، عبد الله راشد

(١٩٩٤). **مبادئ الخدمة المدنية وتطبيقاتها**. الرياض: مطابع الفرزدق.

١٤- السيد، السيد عبد المعطي، وجابر، سامية محمد

(١٩٩٧). **أسس علم الاجتماع**. القاهرة: دار المعرفة الجامعية.

١٥- الطريري، عبد الرحمن سليمان

(١٩٩٥). **الضغط النفسي**. الرياض: مطابع الصفحات الذهبية المحدودة .

١٦- عبد الباقي، زيدان

(١٩٧٧). **علم الاجتماع المهني**. القاهرة: دار النهضة العربية.

١٧- العتيبي، آدم غازي

(١٩٩١). الرضا الوظيفي بين موظفي القطاعين الحكومي والخاص بدولة الكويت. **مجلة الإدارة العامة**، العدد (٣٠)، الكويت: جامعة الكويت.

١٨- عسكر، علي، وعباس، أحمد

(١٩٨٨). مدى تعرض العاملين لضغوط العمل في بعض المهن الاجتماعية. **مجلة العلوم الاجتماعية**. المجلد (١٦)، العدد (٤)، جامعة الكويت.

١٩- عسيري، عبد الرحمن محمد

(٢٠٠٠). الطموحات المهنية لدى أطفال المناطق الريفية والحضرية بالمجتمع السعودي. **مجلة العلوم الاجتماعية**. المجلد (٢٨)، العدد (١)، جامعة الكويت.

٢٠- العبدالله ، إبراهيم محمد

(١٩٩٩). **التغير الاجتماعي في المملكة العربية السعودية**. مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد (٢٤)، الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

٢١- الفندي، محمد ثابت

(د ت). **الطبقات الاجتماعية**. القاهرة: دار الفكر العربي.

Comparative Literature at the Universities of Arabian Peninsula: Reality and Ambition

A Practical Study

Dr. Ahmed Al- Tami

Dr. Burhan Abu- Asali

Abstract

The aim of this research is to draw an approximative picture of the factual situation of comparative literature and its teaching at the universities of Arabian Peninsula. Through this picture, whose materials and facts where provided by chairmen and professors of comparative literature of the universities under study, the research will endeavour to thoroughly examine the problems and obstacles facing comparative literatures in both its teaching and spreading.

In addition, this paper will try to clarify the importance and necessity of comparative literature as a method of literary criticism in studying world literatures, revealing their hidden meanings, and discovering the creative texts deserving attention and study.

Thus, this research comes to fill a gap in the history of Arabic comparative literature studies by shedding light on an important part of the Arab World which lacks more studies in the area of comparative literatue.

الأدب المقارن في جامعات دول شبه الجزيرة العربية الواقع والطموح

دراسة ميدانية

د. أحمد صالح الطامي *

د. برهان محمد أبو عسلي *

الملخص:

يستهدف هذا البحث رسم صورة «تقريبية» عن واقع الأدب المقارن وتدريسه في جامعات دول شبه الجزيرة العربية ومن خلال هذه الصورة - التي كان لرؤساء أقسام اللغة العربية وأساتذة مادة الأدب المقارن ومُدَرِّسيها في تلك الجامعات الفضل الكبير في رسمها - يحاول هذا البحث استقصاء المشكلات والمعوقات التي تقف في وجه الأدب المقارن تدريساً وانتشارا.

وفضلاً عن ذلك فإنَّ هذا البحث سيحاول استجلاء أهمية الأدب المقارن وضرورته بوصفه منهجاً نقدياً في دراسة الآداب والكشف عن أسرارها، وما فيها من آثار إبداعية جديرة بالدراسة والاهتمام.

ومن هنا فإنَّ بحثنا هذا يأتي استكمالاً واستجابة لسدِّ ثغرة في تاريخ الدراسات العربية المقارنة في الوطن العربي. وذلك بتسليطه الضوء على بقعة من بقاع الوطن العربي ما تزال غير واضحة المعالم لدى كثير من باحثي الأدب المقارن العربي والعالمي على السواء.

* باحث ومتخصص في الأدب العربي الحديث ونقده، جامعة الملك سعود.

* باحث ومتخصص في الدراسات الأدبية والمقارنة، جامعة دمشق.



وقد رافق الاهتمام بالأدب المقارن في الجامعات المصرية إرسال موفدين إلى أوروبا للتخصص في هذا الميدان. وكانت ضرورات التدريس بحاجة ماسَّة إلى كتب ومراجع في الأدب المقارن. فألَّف عبد الرزاق حميدة كتاباً بعنوان «في الأدب المقارن» عام ١٩٤٨، وفي العام نفسه ظهر كتاب نجيب العقيقي «من الأدب المقارن». ورافق ظهور هذين الكتابين صدور ترجمة لكتاب فرنسي مهم جداً في الأدب المقارن، هو كتاب «الأدب المقارن» لـ بول فان تيجم Paul Van Tieghem[٤]. وانتهت هذه المرحلة من التأليف بظهور كتاب الدكتور إبراهيم سلامة «تيارات أدبية بين الشرق والغرب: خطة ودراسة في الأدب المقارن» وذلك عام ١٩٥١.

ويرى باحثو الأدب المقارن العربي أنّ مرحلة التدريس والتأليف هذه هي مرحلة غير المتخصصين في الأدب المقارن. فقد دلّت أعمال هؤلاء على قصور واضح في فهم الأدب المقارن، وعانت اضطراباً وتضارباً في تحديد مفهوم هذا الأدب[٥].

أمَّا المرحلة الثانية في الأدب العربي المقارن فبدأت في أوائل الخمسينات. وقد أطلق عليها مرحلة التأسيس أو المتخصصين[٦]. وتمثلت هذه المرحلة في محمد غنيمي هلال وحسن النوتي، اللذين عادا من الإيفاد بعد دراستهما في باريس وتخصصهما في الأدب المقارن على يد جان ماري كاريه Jean - Marie Carré، أحد كبار المقارنين في فرنسا حينذاك. وقد تَوَّج محمد غنيمي هلال عودته بتأليف كتاب: «الأدب المقارن» في عام ١٩٥٣. وأشار في مقدمة الطبعة الأولى إلى أنَّ هذا الكتاب يمكن تسميته «المدخل إلى الأدب المقارن» أو «الأدب المقارن ومناهج البحث فيه».

ومهما يكن من أمر فإنَّ كتاب محمد غنيمي هلال يُعَدُّ ((أول محاولة منهجية منظمة للتأليف في الأدب المقارن. ومنذ ظهوره طُبع عدة طبعات وظلَّ مصدراً أساسياً للأدب المقارن في الجامعات العربية حتى يومنا هذا، وأثرَّ منهجه في كثير من الباحثين))[٧].

هذه هي بدايات الأدب المقارن في الجامعات العربية. وهكذا كانت بداية التأليف والترجمة في الأدب المقارن عند العرب وما تزال مستمرة حتى وقتنا الحاضر.

المقدمة:

الأدب المقارن فرع من فروع الدراسات الأدبية الحديثة. ومجاله البحث والتقصّي في علاقات آداب الشعوب بعضها ببعض من حيث التأثير والتأثر، أو التشابه الفكري والثقافي والفني فيما بينها. وهذا الفرع من الدراسة حديث العهد في العالم؛ فقد عرفته أوروبا في الثلث الأول من القرن التاسع عشر. وكانت الجامعات الفرنسية الأولى من بين جامعات العالم التي عملت على بلورة مفهومه وإرساء قواعده والتأليف فيه. ويجمع مؤرخو الأدب المقارن على أنَّ تدريس الأدب المقارن بدأ في الجامعات الفرنسية عام ١٨٢٨، إذ في هذا العام ألقى آبل فرانسوا فيلمان في السوربون أولى محاضراته حول التأثير والتأثر في الأدب[١]. ومنذ هذا التاريخ أخذ الأدب المقارن، على قصور، يشقُّ طريقه إلى باقي الجامعات الفرنسية، ومنها انتقل إلى بعض الجامعات الأوروبية والأمريكية، وبعض جامعات العالم الأخرى.

وكانت الجامعات العربية، والمصرية خاصة، من بين هذه الجامعات التي انتقل إليها الأدب المقارن. ففي عام ١٩٣٨ أدخل الأدب المقارن مقرراً دراسياً في (كلية دار العلوم - جامعة القاهرة)[٢]. وفيما بعد حذت الجامعات المصرية الأخرى، والجامعات العربية حذو جامعة القاهرة فأدخلته في مناهجها الجامعية.

ومن الملاحظ أنَّ التجربة العربية في الأدب المقارن حديثة العهد بالقياس إلى تجارب الأمم الأخرى في هذا الميدان. فقد ظهر مصطلح الأدب المقارن في العربية متأخراً قرابة قرن أو أكثر على مولده في فرنسا. ويُرجع الدكتور علي شلش أسباب التأخر في هذا المصطلح وغيره من المصطلحات الأدبية والنقدية الأخرى إلى أمور، أهمها: ((اختلاف درجة التطور الاجتماعي، والنزعة المحافظة، والميل إلى التشكيك في الجديد، والرغبة الكامنة في صيانة التراث والدفاع عن النفس إزاء احتلال الطرف الآخر في المثاقفة لأوطاننا))[٣].

الوضع الحالي للأدب المقارن في جامعات دول شبه الجزيرة العربية (١٩٩٩ - ٢٠٠١):

في بحثنا هذا سنقصر الحديث على جانب مهم من جوانب دراسة الأدب المقارن في الوطن العربي. وهذا الجانب يتعلق بواقع الأدب المقارن في جامعات دول شبه الجزيرة العربية. مستهدفين رسم صورة تقريبية عنه، ومن خلال هذه الصورة سنقف على المشكلات والمعوقات التي تقف في وجه الأدب المقارن تدريساً وانتشارا.

ومن هنا فإن هذا البحث يأتي استكمالاً واستجابة لسدِّ ثغرة في تاريخ الدراسات العربية المقارنة في الوطن العربي من حيث كونه يسلط الضوء - لأول مرة - على بقعة من بقاع الوطن العربي ما تزال معالمها غير واضحة لدى كثير من باحثي الأدب المقارن العربي والعالمي على السواء. ومن أجل تحقيق هذا الهدف رأينا أن اعتماد طريقة البحث الميداني، المتمثلة في التقصِّي والمواجهة والاستفسار والمساءلة، هي من أنجح الطرق وأفضلها في مثل هذه الموضوعات؛ لأنها تُمكِّن الباحث من الوقوف على حقائق الأشياء التي يدرسها، وتساعده على الوصول إلى الاستنتاجات بيسر وسهولة، وأخيراً تُمكِّنه من إطلاق أحكام وآراء دقيقة وموضوعية، بعيدة كل البعد عن التعميمات.

وبناءً على ذلك فقد قمنا بإعداد استبانة حول مادة «الأدب المقارن» في جامعات دول شبه الجزيرة العربية، ورأينا أن تكون هذه الاستبانة في قسمين؛ إذ خصص القسم الأول منها لرؤساء أقسام اللغة العربية، وخصص القسم الثاني منها لأساتذة مادة الأدب المقارن ومُدرِّسيه[٨].

وقد اشتمل القسم الخاص برؤساء الأقسام على مجموعة من الأسئلة والاستفسارات المتعلقة ببداية تدريس مقرر الأدب المقارن من ناحية ومُدرِّسيه من ناحية أخرى، إضافة إلى مكانة المقرر من خطة القسم الدراسية؛ هل هو مقرر إجباري أو اختياري؟ وكذلك الفصول التي يُدرَّس فيها، وهل يقتصر تدريسه على المرحلة الجامعية الأولى، أو يُدرَّس في مرحلة الدراسات العليا؟ كما تضمَّن هذا

وبعد، فها قد مضى على تعاملنا مع الأدب المقارن، تدريساً وتأليفا، ما يزيد على نصف قرن من الزمن. فهل حققنا ما نصبو إليه في هذا الميدان؟ وهل قُدِّم الأدب المقارن في الدراسات العربية على الوجه الذي ينبغي أن يُقَدَّم عليه من حيث نظرياته واتجاهاته المختلفة، ومن حيث تحقيق الأهداف من تدريسه؟ وهل كان استقباله في الجامعات العربية على درجة واحدة من الأهمية؟ ولماذا انتعش في جامعة وأهمل في أخرى؟، وما أسباب ذلك الإهمال أو العزوف عنه؟ ما مدى استيعاب المؤلفات المقارنية الأجنبية، المترجمة أو غير المترجمة، وما مدى الإفادة منها أو الاتكاء عليها في الدراسات المقارنية العربية؟ وما الجديد الذي أضافه العرب إلى نظرية الأدب المقارن عموماً؟ ما حال الرابطة العربية للأدب المقارن، ولماذا انحسرت نشاطاتها؟ وهل لدينا بيبليوغرافيا شاملة ودقيقة عن الدراسات العربية المقارنة في الوطن العربي؟ وما واقع الأدب المقارن في الجامعات العربية حالياً، وبعد مضي أكثر من نصف قرن من الزمن على وجوده مقرراً دراسياً جامعياً؟

ما من شكٍّ أن هناك أسئلة كثيرة أخرى تراود دارس الأدب المقارن حين يتناول أي جانب من جوانبه، وما من شكٍّ أن هناك جوانب كثيرة في دراساتنا المقارنة ما تزال بحاجة إلى دراسة واستكمال.

والسبب في ذلك يعود ـ كما أشرنا – إلى حداثة هذا الفرع من الدراسة في حياتنا الأدبية، وإلى طبيعة الأدب المقارن نفسه، واختلاف اتجاهاته ومناهجه وتعدد مشكلاته، وكذلك إلى تنوع المناهج المقارنية التي تتلمذ المقارنون العرب على أصحابها في الغرب. وربما أيضاً إلى اتساع مساحة الوطن العربي وتنوع المشارب الثقافية والعلمية لكل قطر على حدة.

على أن هذا التعدد في المناهج والمشارب الثقافية والعلمية في الوطن العربي مفيد للباحثين العرب جدا، وفي وجوده إغناء للأدب العربي خاصة والثقافة العربية عامة. ولا ضير في ذلك. فقد عُرف عن أمتنا العربية الأخذ والعطاء منذ القديم، وبهما قويت ثقافاتها وعلومها واغتنت.

الإشارة إلى بداية تدريسه في القسم، وأنَّ هذا المقرر يُدرَّس الآن في مرحلة الدراسات العليا، وعلى مدى فصل دراسي واحد، وهو مقرر إجباري). ويضيف: ((كان هناك مقرر للأدب المقارن يحمل الرقم ٤٣٠ عرب، يُدرَّس في مرحلة البكالوريوس بالقسم لكنه ألغي في الخطة الجديدة بعد أن تغير النظام الدراسي من نظام الساعات إلى النظام الفصلي، وربما يعيد القسم النظر في هذا الإلغاء. فالقسم الآن بصدد إعادة النظر في خطته المعمول بها حالياً)).

ويذكر أنَّ هناك خمسة أساتذة يُدرِّسون الأدب المقارن و ((تخصصهم في الأدب المقارن فرعي عدا أستاذ واحد))، وهم:

١- د/ عبد العزيز السبيل.

٢- د/ معجب سعيد الزهراني.

٣- أ.د/ نذير العظمة.

٤- د / صالح بن معيض الغامدي.

٥- د/ صفاء أبو طالب (تخصص أساسي).

ويضيف الدكتور الغامدي أنَّه ((يوجد بالقسم حالياً مقرر واحد يحمل اسم (مدارس الأدب المقارن) يُدرَّس لكل طلاب الماجستير بالقسم)).

أما أساتذة مقرر الأدب المقارن - الذين أجابوا عن الاستبانة - فهم:

١- الدكتور صالح معيض الغامدي، وتخصصه «أدب عباسي»، ويحمل درجة الدكتوراه من جامعة إنديانا بالولايات المتحدة، وعنوان أطروحته: «السيرة الذاتية في الأدب العربي القديم»، ومن أعماله ترجمة كتاب: «الدور العربي في التاريخ الأدبي للقرون الوسطى» لمؤلفته راويا روزا مونيكل.

أما مراجعه في تدريس مقرر الأدب المقارن فهي - كما يذكر -: ((عدة مراجع عربية ومترجمة وأحياناً أجنبية. وينصب التركيز دائماً على أحدث الأبحاث والدراسات التي تنشر في الدوريات العربية والأجنبية)).

القسم من الاستبانة رأي رؤساء الأقسام واقتراحاتهم بشأن تطوير تدريس هذا المقرر.

أمَّا القسم الثاني فاشتمل على أسئلة تتعلق بأساتذة مقرر الأدب المقارن ومُدرِّسيه، من مثل تخصصاتهم الدقيقة وأبحاثهم أو مؤلفاتهم في الأدب المقارن، وأسئلة أخرى تتعلق بتوصيف مقرر الأدب المقارن عندهم، من مثل مفرداته ومراجعه واتجاهات دراسته النظرية والتطبيقية، وما لدى هؤلاء الأساتذة والمدرِّسين من اقتراحات وآراء تخدم البحث وتساعد على تطوير دراسة الأدب المقارن وتدريسه.

في أوائل شهر كانون الأول من عام ١٩٩٩ تَمَّ إرسال هذه الاستبانة إلى جامعات دول شبه الجزيرة العربية الآتية: جامعة الملك سعود (الرياض)، وجامعة الملك عبد العزيز (جدة)، وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالسعودية (المقرّ الرئيس بالرياض، فرع القصيم، فرع الأحساء)، وكلية التربية للبنات (بريدة - السعودية)، وجامعة الكويت (الكويت)، وجامعة قطر (الدوحة)، وجامعة البحرين (المنامة)، وجامعة الإمارات العربية المتحدة (العين)، وجامعة السلطان قابوس (مسقط - عمان)، وجامعة عدن (عدن - اليمن).

وفي وقت لاحق تَمَّ إرسال استبانة أيضاً إلى جامعة الملك فيصل (الأحساء - السعودية)، وجامعة أم القرى (مكة المكرمة).

كانت استجابة الإخوة في تلك الجامعات سريعة، وعلى غير ما هو معهود ومتوقع، فقد وصلت إلينا ردود بعض الجامعات في غضون شهر من إرسال الاستبانة وتوالت الردود، فيما بعد، تباعاً[٩]. ولم يتخلَّف عن الردِّ إلاَّ جامعة الملك فيصل.

وفيما يلي عرض إجابات تلك الجامعات حول الاستبانة[١٠].

١- قسم اللغة العربية وآدابها بكلية الآداب - جامعة الملك سعود (الرياض):

يشير الدكتور صالح بن معيض الغامدي، رئيس القسم، في ردِّه على أسئلة الاستبانة، إلى أنَّ الأدب المقارن مقررٌ دراسي في قسم اللغة العربية وآدابها (دون

٢- محمد عبد السلام القاضي [والصحيح: كفافي :] في الأدب المقارن، دار النهضة العربية - بيروت ١٩٧١

٣- كلود بيشوا وأندريه رومو [والصحيح: روسو :] الأدب المقارن، دار العروبة ١٩٨٠

٤- مجلة فصول (عدد خاص) ١٩٨٣، ومجلة عالم الفكر (عدد خاص) ١٩٨٠

إلاَّ أنَّ الدكتور الغامدي لا يلتزم بهذه المفردات، ويشير إلى ذلك صراحة ((وأنا شخصياً أدرِّس المفردات التي درسناها في مقرر (مقدمة في الأدب المقارن) في جامعة إنديانا...)). وهو في تدريسه يجمع بين النظرية والتطبيق. ويركِّز في الجانب التطبيقي على المقارنة بين الأدب العربي والآداب الغربية والشرقية. وفي الجانب النظري لا يقتصر على اتجاه معين وإنمَّا يعمد إلى تدريس جميع الاتجاهات المطروحة.

أما الدكتور نذير فوزي العظمة فتخصصه «أدب حديث ومقارن»، ويحمل درجة الدكتوراه من جامعة إنديانا بالولايات المتحدة الأمريكية، وعنوان أطروحته «الشعر الحر في الأدب العربي الحديث».

ومن أعماله في الأدب المقارن يذكر الدكتور العظمة الكتب الآتية:

١- المعراج والرمز الصوفي.

٢- جبران في ضوء المؤثرات الأجنبية.

٣- بدر شاكر السياب وإيديث سيتويل.

٤- سفر العنقاء.

٥- التغريب والتأصيل في الشعر العربي الحديث - الشابي نموذجا.

ومراجعه في تدريس مادة الأدب المقارن:

- الأدب المقارن: محمد غنيمي هلال.
- ما الأدب المقارن: بيير برونيل، كلود بيشوا، أندريه ميشيل روسو، ترجمة غسان السيد.
- الأدب العام: ريمون طحان.
- ودراسات أخرى تطبيقية.

وصف محتويات المقرر:

وفيما يتعلق بالمفردات الرئيسة لمقرر الأدب المقارن يرفق الدكتور الغامدي نموذج توصيف مقرر الأدب المقارن المعتمد في قسم اللغة العربية وآدابها. ويشمل هذا النموذج الآتي:

١- مقدمة نظرية عن (ظاهرة التواصل والتفاعل بين الآداب والثقافات)، وعن العوامل التي تُولِّد هذه الظاهرة، كالمجاورة الزمانية والمكاتبة والحروب والرحلات والترجمات ووسائل الاتصال الحديثة.

٢- مدخل تاريخي: نشوء الدرس المقارن وتطوراته في: (أوروبا - أمريكا - العالم العربي).

٣- اتجاهات البحث ومناهجه في الأدب المقارن: المنهجية التاريخية الوصفية (في فرنسا). المنهجية النقدية الجمالية (في أمريكا). عدة البحث في الأدب المقارن- ضرورة الإفادة من اللسانيات الحديثة (نظرية جاكبسون الاتصالية ونظريات التلقي).

٤- الموضوعات الرئيسة في الأدب المقارن:

علاقات التأثير المتبادل بين (أدب وآخر ـ أديب وآخر).

هجرة (أو انتقال) الأفكار والأشكال والموضوعات.

التيارات والمذاهب الأدبية الكبرى.

الترجمة - الصورية (صورة الآخر المختلفة في أدب ما).

٥- مقاربات تطبيقية: تأثيرات الأدب العربي الإسلامي في الآداب الأوربية.

تأثير الأدب الغربي الحديث في الأدب العربي الحديث.

صورة الغرب في قصص الرحلة العربية في الغرب: (الطهطاوي ـ علي مبارك - المويلحي)

الكتب المقررة والمراجع (كما وردت في توصيف المقرر):

١ محمد غنيمي هلال: الأدب المقارن. الأنجلو المصرية ١٩٧٠

٥- سعيد علوش: مدارس الأدب المقارن.

٦- مناهج البحث في الأدب المقارن: شوقي السكري.

٧- إدوارد سعيد: الاستشراق.

وفيما يخصُّ مفردات تدريس مقرر الأدب المقارن فإنَّ الدكتوره صفاء تُحيلنا إلى (نموذج وصف المقرر الدراسي) في قسم اللغة العربية وآدابها في جامعة الملك سعود. وكذلك الأمر فيما يتعلَّق بالجانبين النظري والتطبيقي مع إشارتها إلى الجمع بينهما في التدريس. وفي الجانب التطبيقي تُركِّز في تدريسها على المقارنة بين الأدب العربي والآداب الغربية مع إشارات إلى بعض النماذج مثل: «كليوباترا بين الأدب العربي والأدب الإنجليزي»، و «شهرزاد» في الأدبين العربي والفرنسي، و «الحبسيات بين أبي فراس الحمداني ومسعود سعد سلمان»، و «ليلى والمجنون بين العربية والفارسية»، و «ألف ليلة وليلة بين العربية والفارسية»، وكذلك «يوسف وزليخا بين العربية والفارسية».

والدكتوره صفاء لا تشير إلى الاتجاه، أو المنهج الذي تعتمده في تدريس الأدب المقارن، وإنَّما تكتفي بإحالتنا إلى النظر في وصف المقرر الدراسي في القسم. وفي هذا إشارة واضحة إلى تقيدها التام بمحتويات توصيف المقرر.

٢- قسم اللغة العربية بكلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة الملك عبد العزيز (جدة):

يذكر الدكتور جميل بن محمود مغربي، رئيس قسم اللغة العربية، أنَّ الأدب المقارن مادة مقررة في القسم. ولكنه لا يحدد بداية تدريس هذا المقرر. ثم يذكر أنَّ هذه المادة تُدَّرس في مرحلة الليسانس فقط، وعلى مدى فصل دراسي واحد. وأن هذه المادة تقع ضمن متطلبات التخرج، ويُدرِّسها متخصص واحد هو الدكتور عمر الطيب الساسي، وتخصصه الدقيق: أدب عربي.

كما أنه لا يوجد قسم خاص للأدب المقارن، وإنَّما هو تخصص تابع لقسم اللغة

أمَّا المفردات التي يُدرِّسها فهي: المدرسة الفرنسية، والمدرسة الأمريكية، والمدرسة الألمانية وتلقيها العربي.

ويجمع الدكتور العظمة بين النظرية والتطبيق في تدريس الأدب المقارن، ويركِّز في الجانب التطبيقي على المقارنة بين الأدب العربي والإنجليزي والفرنسي والآداب الشرقية. وفي الجانب النظري لا يقف عند اتجاه معين، وإنما يعرِّف الطلاب شتى الاتجاهات السائدة في الأدب المقارن.

أما الدكتوره صفاء مصطفى أبو طالب فتخصصها «أدب مقارن»، وحصلت على درجة الدكتوراه من جامعة لندن، وعنوان أطروحتها «دراسة تحليلية لموضوعات قرآنية عند خمسة شعراء فرس في القرنين الخامس والسادس الهجريين مقارنة بعدد من الشعراء العرب في العصر العباسي».

ومن أعمالها في الأدب المقارن:

١- رمزية إسلامية في شعر منوجهري.

٢- التوظيف اللغوي بين التقليد والابتكار عند المنوجهري الدامغاني.

٣- شعر الحبس وتقلُّبات النفس (دراسة مقارنة بين أبي فراس الحمداني ومسعود سعد سلمان).

٤- قراءة في قصيدة الفصل لأشجان هندي ـ عناق وتوحد بين الفكرة ورؤى النقد.

٥- إطلالة على المقترض الفارسي في العربية وموقف النقلة منه.

أمَّا عن مراجعها في تدريس مقرر الأدب المقارن فتذكر الدكتوره صفاء القائمة التالية:

١- محمد غنيمي هلال: الأدب المقارن.

٢- محمد عبد السلام القاضي (الصحيح: كفافي): في الأدب المقارن.

٣- كلود بيشوا وأندريه رومو (الصحيح: روسو): الأدب المقارن.

٤- مجلة فصول (عدد خاص) ١٩٨٣، ومجلة عالم الفكر (عدد خاص) ١٩٨٠.

المادة في قسم الدراسات العليا، مع الدكتور الوراكلي، وكذلك الدكتور الشاذلي، الذي يتبع، في الأصل، قسم لغات الشعوب الإسلامية، وكذلك الدكتور كسَّاب الذي يُدرِّس الأدب المقارن ولكنه تابع لقسم الأدب.

وعلى أية حال، سنعرض ـ فيما يلي ـ إجابة كلٍّ واحد من هؤلاء الأساتذة.

يجيب الدكتور حسن عبد الكريم الوراكلي بأنَّه متخصص في الآداب الأندلسية ـ الإسبانية، وبأنَّه يحمل درجة الدكتوراه من جامعة (لاكومبلوتنسي) في مدريد بإسبانيا، وعنوان أطروحته «المقامات اللزومية الأندلسية».

ومن أعماله في الأدب المقارن:

١- صورة (الموريسكي) في الأدب المسرحي الإسباني.

٢- أصداء من بيئة النصارى في أدب الأندلسيين.

٣- بين الأدبين العربي والإسباني.

وفيما يخصُّ مراجعه في تدريس الأدب المقارن يقول: ((ليس ثمة مرجع رئيس. كل بحث مستطرف في موضوعه يُستفاد منه. والبحوث المستطرفة المستجدة كلها مراجع رئيسة)). أمَّا مفردات المقرر لديه فهي ((كلُّ درس مقارن يكشف عن شكل من أشكال (التعالق) أو (التناص) أو (التأثير) و (التأثر) بين أدبين هو في رأينا مندرج في عداد المفردات الرئيسة)).

ويجمع الدكتور الوراكلي في تدريسه ما بين النظرية والتطبيق. وفي الجانب التطبيقي يُركِّز على المقارنة بين الأدب العربي والأدب الإسباني خاصة. كما تشمل تطبيقاته أيضاً الأدب العربي والآداب الشرقية. وهو في كلِّ ذلك يلتزم المنهج الفرنسي.

أما الدكتور السيد العراقي سعد منصور فتخصصه النقد الأدبي والأدب المقارن، ويحمل درجة الدكتوراه من جامعة مارتن لوثر بمدينة هالة الألمانية. وعنوان أطروحته «الشاعر والآخر في شعر المدرسة المحافظة المصرية ممثلة في محمد حافظ إبراهيم».

العربية.

أمَّا أستاذ المقرر الدكتور عمر الطيب الساسي فإنه لم يجب عن أسئلة الاستبانة الموجهة إليه، وإنما كتب إلينا رسالة «ناقدة» عبر رئيس القسم، أشار فيها إلى عدم قناعته بأسئلة الاستبانة لأنها «بدون تاريخ يحدد لها إطاراً زمنياً واضحاً» مما يفقد البحث أهميته الفعلية. ويبدو أنَّ الدكتور الساسي لم يستوعب أهداف البحث الموضَّحة في مقدمة الاستبانة والمفصلة في بداية هذا البحث.

ولم يحدد الدكتور الساسي مراجع المادة، وإنما أشار إلى أنَّ مراجعه هي نفسها المراجع التي كان يستخدمها منذ عام ١٩٧٦، عندما كان يُدرِّس المادة في قسم اللغة العربية بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بمكة المكرمة(١١).

٣- قسم الدراسات العليا بكلية اللغة العربية، جامعة أم القرى - مكة المكرمة:

يذكر الدكتور سليمان إبراهيم العايد، رئيس قسم الدراسات العليا، أنَّ الأدب المقارن مادة مقررة وإجبارية في قسم الدراسات العليا، فرع الأدب، كما أنها متطلب في المرحلة الجامعية الأولى(١٢). وأنَّه بُدئ بتدريسها منذ عام ١٩٧٨. ويدرسها الطلاب في فصل دراسي واحد فقط ويقوم بتدريسها أساتذة متخصصون في الأدب المقارن. ويقول: ((كانوا ثلاثة، وبقي الآن منهم واحد فقط)) وهؤلاء الأساتذة هم: الأستاذ الدكتور حسن بن عبد الكريم الوراكلي، والأستاذ الدكتور عدنان محمد وزَّان (وهو الآن وكيل وزارة الأوقاف)، والدكتور عبد الوهاب الحكمي (أستاذ مشارك في قسم اللغة الإنجليزية). والذي بقي - كما تشير الإجابة - هو الدكتور الوراكلي. إلاَّ أنَّ الاستبانة الخاصة بالسادة أساتذة مادة الأدب المقارن قد أجاب عنها أربعة، هم: الدكتور حسن عبد الكريم الوراكلي، والدكتور السيد العراقي سعد منصور، والدكتور أحمد عبد القادر الشاذلي، والدكتور جودت محمد كسَّاب. ولدى الاستفسار (هاتفياً) عن ذلك أجابنا الدكتور العايد موضحاً الآتي: إنَّ هؤلاء الأساتذة التحقوا بالجامعة مؤخراً وهم يُدرِّسون الأدب المقارن في جامعة أُمِّ القرى، فالعراقي يُدرِّس

٢- في الدراسة التطبيقية ينبغي التركيز على نقاط التقاء الثقافة العربية الإسلامية بغيرها من الثقافات، حين تكون الثقافة العربية الإسلامية هي الثقافة الفاعلة المؤثرة، كما حدث في فترتي: العصور الوسطى والنهضة الأوروبية، حيث امتدَّ تأثير الثقافة العربية إلى أوروبا عبر الأندلس وجزيرة صقلية وغيرها من مواطن الاحتكاك المباشر وغير المباشر، كما امتدَّ إلى أشخاص معينين في غير تلك الفترات، لاسيما ما كان من خلال الترجمات المختلفة من العربية إلى غيرها. كما ينبغي الاهتمام بالتأثيرات المتنوعة المتبادلة بين آداب الأمة الإسلامية في القديم والحديث. ولا مانع من دراسة التأثيرات الشرقية القديمة في الأدب الإغريقي، الذي أفاد من عناصر الثقافات المجاورة إلى أن استوى عوده، واكتمل قوامه)).

أمَّا الدكتور أحمد عبد القادر الشاذلي فتخصصه اللُّغة الفارسية وآدابها. ويحمل درجة الدكتوراه من جامعة القاهرة. ولم يُشر الدكتور الشاذلي إلى عنوان أطروحته. أمَّا أعماله في الأدب المقارن فهي:

١- الأدب المقارن (دراسة في الآداب الإسلامية).

٢- الملحمة في الآداب الشرقية والغربية.

٣- العُجمة في شعر أبي نواس.

٤- المضامين العربية في شعر حافظ الشيرازي والفارسية في حرافيش نجيب محفوظ.

٥- كليلة ودمنة في الأدبين العربي والفارسي.

٦- النيروز في الأدبين العربي والفارسي.

٧- المسرحية الإسلامية والعربية.

ومراجع الدكتور الشاذلي في تدريس الأدب المقارن أربعة هي:

أ- الأدب المقارن. محمد غنيمي هلال.

ومن أعماله في الأدب المقارن:

- في الأدب المقارن منهجياً وتطبيقا.
- الأثر الإسلامي في ديوان جيته (Goethe)
- إبراهيم عبد القادر المازني - إسهام رائد في درس الأدب المقارن.
- الجموح الدرامي في كتابة تاريخ الإسلام - ظاهرة جديدة في آداب الغرب.
- حول ترجمة ألمانية لمعاني القرآن الكريم.

والمراجع التي يعتمدها الدكتور العراقي في تدريس الأدب المقارن هي:

- الأدب المقارن: م. جويار (مترجم)
- الأدب المقارن: فان تيجم (مترجم)
- الأدب المقارن: د. محمد غنيمي هلال

أمَّا المفردات التي يُدرِّسها فهي:

- الأدب المقارن بين الدراسات الأدبية.
- نشأة الأدب المقارن وتطوره.
- ميادين البحث في الأدب المقارن.
- مظاهر التأثير والتأثر بين الأدب العربي والآداب الأوربية.
- الأدب الإسلامي المقارن.
- دراسات تطبيقية لنماذج من الأدب المقارن.

ويجمع الدكتور العراقي في تدريسه بين النظرية والتطبيق. ولا تقتصر تطبيقاته على أدب واحد، وإنَّما تشمل كلَّ الآداب الأوروبية و((كلَّ مناطق التأثير للأدب العربي والآداب الإسلامية عبر الحدود القومية والعصور الزمنية)). وهو في كلِّ ذلك يجمع بين الاتجاهين التاريخي والتحليلي في تدريس الأدب المقارن. ويرى أنَّه:

((١- في الدراسة النظرية يستحسن التعريف بالمنهجين: التاريخي والتحليلي، أي بالمنهج الفرنسي بتوجهاته المختلفة، وكذلك بالمنهج الأمريكي، كما يمكن التعريف بمنهج الأدب العام أو العالمي، لا سيما لدى الألمان.

بعضه الآخر، ولإظهار المسافة التي تفصل بين أدب يصنعه التاريخ، وأدب يصنع تاريخه بإنتاج نفسه وصناعة خصوصيته، أدب يصنعه النموذج وأدب يصنع نموذجه)).

كما أنه لا يحدد مفردات المقرر الذي يُدَرِّسه بدقة، ويُقدِّم مفردات المقرر على النحو الآتي:

((حركة الأدب الأوروبي من اليوناني إلى الأوروبي الحاضر. بين الأوروبي والعربي)).

ويشير إلى أنه يجمع في تدريسه بين النظرية والتطبيق. وتشمل تطبيقاته مقارنة الأدب العربي مع كلِّ الآداب. ويميل في كلِّ ذلك إلى الاتجاه الفرنسي. ويقترح: ((أن يتطور البحث في الأدب المقارن؛ ليشمل حركة الأدب العربي عبر التاريخ على مستويي المرجعيات وآليات الكتابة؛ مدى اتصالها وانفصالها عن مرجعياتها التي تستند إليها. هذا إلى جانب قراءة العلاقات بين الأدبين العربي والغربي على مستوى أجناس الكتابة كلها)).

٤- قسم الأدب بكلية اللغة العربية- جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض.

يذكر الدكتور حمد بن ناصر الدخيِّل، رئيس قسم الأدب في هذه الجامعة، أنَّ الأدب المقارن مادة مقررة في مرحلة الدراسات العليا (حاليا)، وأنَّ تدريسها بدأ في عام ١٩٨٤. ويشير إلى ((أنَّ بعض فروع الجامعة كفرعها في الأحساء يُدرِّس هذه المادة في المرحلة الجامعية)). وتدريس هذا المقرر ((عبارة عن عام جامعي يتكون من فصلين دراسيين)) وأنَّ هذه المادة إجبارية وليست اختيارية، وهي تابعة لقسم الأدب وليست مستقلة عنه. والذي يُدرِّسها ليس متخصصاً في الأدب المقارن. ويرى الدكتور حمد ((أن الأدب المقارن لا يزال تخصصاً أدبياً ونقدياً جديداً في جامعات شبه الجزيرة العربية، وما تزال تستعين بالخبرة العربية في تدريسها، وبخاصة من

ب- الأدب المقارن. م.جويار.

ج- الأدب الإسلامي المقارن. الطاهر أحمد مكي.

د- الأدب المقارن. أحمد الشاذلي.

وفيما يَخصُّ المفردات التي يُدرِّسها يذكر الآتي:

١- الأدب المقارن بين الدراسات الأدبية المختلفة (الأدب القومي، والأدب العام، والأدب الإسلامي).

٢- نشأة الأدب المقارن وتطوره.

٣- ميادين البحث في الأدب المقارن.

٤- مظاهر التأثر والتأثير بين الأدب العربي والآداب العالمية.

٥- الأدب الإسلامي المقارن.

٦- نماذج تطبيقية.

ويبدو أنّ الأستاذين الشاذلي والعراقي متفقان ـ كما هو ملاحظ ـ على تدريس مفردات وموضوعات موحدة ووفق منهج محدد.

وكما هو ملاحظ فإنَّ الدكتور الشاذلي ـ يجمع في تدريسه بين النظرية والتطبيق. وتشمل تطبيقاته مقارنة الأدب العربي مع الآداب الإنجليزية والفرنسية والشرقية والإسلامية.

وفي الجانب النظري يجمع ما بين الاتجاه الفرنسي والاتجاه الأمريكي. ويقترح تدريس مادة الأدب المقارن في مستويين.

أما الدكتور جودت محمد كسَّاب فتخصصه «الشعر الحديث». ويحمل درجة الدكتوراه من الجامعة التونسية، وعنوان أطروحته «الشعر والشعراء في فلسطين» (١٩١٧-١٩٤٨).

والدكتور كسَّاب لا يعتمد في تدريسه مراجع رئيسة محددة، ويكتفي بالقول: ((الاعتماد على مصادر الأدب لتبين مدى اتكاء بعض الأدب في تعاقبه التاريخي على

١٤- أثر الإسلام في الكوميديا الإلهية: مجيل آسين بلاسيوس.

١٥- الأدب المقارن بين التجربتين الأمريكية والعربية: علي شلش... إلخ.

وفيما يخصُّ المفردات الرئيسة لمقرر الأدب المقارن يُقدِّم الدكتور خليل أبو ذياب تفصيلاً كاملاً ودقيقاً عن هذا المقرر، وهو على النحو الآتي:

منهج مادة «الأدب المقارن»

في السنة المنهجية / الدراسات العليا / قسم الأدب بكلية اللغة العربية بالرياض ١٩٩٨ ـ ١٩٩٩ (ساعتان في الأسبوع).

أولا: الفصل الدراسي الأول: الجانب النظري:

١- تعريف «الأدب المقارن»، وقضية المصطلح.

٢- ميادين الأدب المقارن ومجالاته.

٣- آثاره وفوائده وأهميته.

٤- صفات الباحث المقارن وعدته.

٥- تاريخ الأدب المقارن عند الغرب وأشهر مدارسه.

٦- مظاهر الاتفاق والاختلاف بين المدرستين الفرنسية والأمريكية.

٧- تاريخ الأدب المقارن عند العرب.

٨- وسائل انتقال الأدب.

٩- الأدب القومي والأدب العام والأدب العالمي.

١٠- المواقف الأدبية والنماذج البشرية.

ثانيا: الفصل الدراسي الثاني: (الجانب التطبيقي):

١- جذور الأدب المقارن في الأدب العربي القديم (الجاحظ: البيان والتبيين، الحيوان... إلخ).

٢- الموازنة بين بلاغتي العرب والعجم للعسكري، الرسالة الحاتمية.

٣- الأدب المقارن بين آداب الشعوب الإسلامية: نموذج تطبيقي: مجنون ليلى، وقصة

الجامعات العربية التي اهتمت بهذا اللون من الدراسة الأدبية قديماً)). ويضيف ((والأدب المقارن ميدان واسع تمتزج فيه النظرية بالتطبيق، ويتطلب الإلمام بحركة الآداب العالمية قديماً وحديثاً، فضلاً عن أنَّ الأدب المقارن يتصل بجوانب إبداعية وفكرية ذات قيمة في الدرس الأدبي، وأرى أنَّ الأدب العربي باستخدام مقاييس الأدب المقارن أسهم بقدر كبير في حياة الآداب الأممية القديمة والحديثة)).

أما عن مُدرِّس الأدب المقارن في هذه الجامعة فهو الدكتور خليل إبراهيم أبو ذياب، وتخصصه (الأدب العباسي)، ويحمل درجة الدكتوراه من جامعة القاهرة، وعنوان أطروحته: «اللزوميات لأبي العلاء المعري – دراسة موضوعية وفنية».

وليس للدكتور خليل أبو ذياب أبحاث ومؤلَّفات منشورة. ومراجعه في تدريس الأدب المقارن هي:

١- الأدب المقارن: محمد غنيمي هلال.
٢- الأدب المقارن: فان تيجم.
٣- الأدب المقارن: الطاهر أحمد مكي.
٤- مدارس الأدب المقارن: سعيد علوش.
٥- آفاق الأدب المقارن: حسام الخطيب.
٦- النماذج الإنسانية: محمد غنيمي هلال.
٧- المواقف الأدبية: محمد غنيمي هلال.
٨- رحلة الأدب العربي إلى أوروبا: محمد مفيد الشوباشي.
٩- دراسات في الأدب المقارن: بديع جمعة.
١٠- رمضان في الشعر العربي والتركي والفارسي: حسين مجيب المصري.
١١- مقدمة في الأدب الإسلامي المقارن: الطاهر أحمد مكي.
١٢- مطالعات في الأدب المقارن: عدنان وزان.
١٣- في الأدب المقارن: عبد السلام كفافي.

الخارجي إلى دول الغرب أو الشرق إلاَّ في حالات نادرة وفي أضيق الحدود.

٢- من أولويات مهام هذا القسم أو الكلية إعداد الكشافات الراصدة لكل البحوث والدراسات المقارنة التي أنتجتها مدارس الأدب المقارن العالمية، ثم العمل الجاد على ترجمتها إلى اللغة العربية لتكوِّن المادة الأساسية في تكوين وإعداد متخصصين في الأدب المقارن وتهيئة الجوِّ العلمي المناسب لإنجاز بحوثهم ودراساتهم المقارنية.

٣- يجب الاهتمام بمبدأ التخصص العلمي الدقيق عند اختيار الأساتذة لتدريس مادة الأدب المقارن، والحرص على بقاء جداول محاضراتهم في إطار التخصص حتى لو قاموا بإلقاء بعض المحاضرات في جامعات أخرى مناظرة، أو كليات متجاورة؛ بمعنى أنه لا مانع من أن يقوم الأستاذ بتدريس بعض محاضرات هذه المادة في أكثر من جامعة أو كلية لاستكمال جدوله، وألا يحمل مواد أخرى لهذه الغاية. وهذا الأمر يمكن أن يوثق الروابط العلمية بين الجامعات المحلية والعربية في مختلف التخصصات، وإن بدت هذه نظرة مثالية لا أظن تحقيقها إلاَّ أن يشاء الله)).

٥- قسم الأدب والبلاغة والنقد بكلية العلوم العربية والاجتماعية - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، فرع القصيم-السعودية:

يذكر الدكتور حمد بن عبد العزيز السويلم، رئيس القسم، أنَّ الأدب المقارن مادة مقررة في القسم منذ عام ١٩٨٥، وأنها تُدرَّس في مرحلة البكالوريوس فقط، وعلى مدى فصل دراسي واحد، وتقع ضمن متطلبات التخرج. ويُدرِّسها متخصصون في الأدب بشكل عام، وعددهم واحد فقط، وهي تابعة لقسم الأدب والبلاغة والنقد.

ومُدرِّس المقرر هو الدكتور مصطفى بكري محمد السيد، وتخصصه «أدب العصر العباسي الأول» من جامعة الأزهر، وعنوان أطروحته: «أدب الزهد في العصر العباسي الأول». ومن أعماله: - هوية الأدب.

يوسف عليه السلام.

٤- تأثير الأدب العربي القديم في الأدب الأوروبي: ألف ليلة وليلة، قصة الإسراء والمعراج، رسالة الغفران، رسالة التوابع والزوابع، حي بن يقظان، قصص الحيوان: كليلة ودمنة... إلخ.

٥- تأثير الأدب الأوروبي في الأدب العربي الحديث (تُختار قضية للدرس: مدرسة أدبية ـ مذهب نقدي ـ فن نثري).

والدكتور خليل أبو ذياب ـ كما يذكر ـ يجمع في تدريسه هذا المقرر بين النظرية والتطبيق، ويراعي في الجانب التطبيقي مناقشة كثير من القضايا المشتركة بين الأدب العربي والآداب الغربية والشرقية. وهو في كلِّ ذلك يعتمد الاتجاه الفرنسي كما يشير إلى ذلك في إجابته.

ويشير الدكتور أبو ذياب إلى أهمية الأدب المقارن وعلاقته الوثيقة ببعض فروع الدراسات الأدبية مثل تاريخ الأدب والنقد وما يقدِّمه كلٌّ منهما للآخر من فوائد. ويرى أنَّه على المسئولين في الجامعات العربية مضاعفة الجهود؛ لتأصيل البحث المقارن وفق منهج علمي دقيق قادر على تحقيق الأهداف السامية والغايات المأمولة من هذا اللون من الدراسات. ويقترح الدكتور أبو ذياب:

((١- إنشاء قسم خاص مستقل للأدب المقارن تشترك فيه جميع الجامعات العربية، وتسهم في تمويله وتحديد ميزانية خاصة به، ويشرف عليه جهاز خاص يحدده اتحاد الجامعات العربية - إن وُجد - وتكون مهمته إنشاء المعاهد اللازمة لتدريس وتعليم اللغات الأجنبية واستقبال الطلاب الذين تختارهم الجامعات للتخصص في هذه المادة؛ وهذه هي الخطوة الأساسية الأولى في دراسة الأدب المقارن كما هو معروف. ثم يقوم هذا القسم بإنشاء كلية خاصة بالأدب المقارن يستقبل الطلاب الراغبين في هذه الدراسة وتوجيههم لاختيار التخصصات المناسبة، والإشراف عليهم حتى إنجاز دراساتهم وبحوثهم. وهذه الخطوة قمينة بالاستغناء عن الابتعاث

- إشكالية التسمية والتعريف.
- مؤهلات البحث في الأدب المقارن.
- نشأة الأدب المقارن في أوروبا والعالم العربي.

موضوعات تطبيقية:

- الكوميديا الإلهية وأصولها العربية الإسلامية.
- القدس في الشعرين العربي والإنجليزي.
- النماذج الإنسانية، أصولها ومستوياتها وأنواعها.
- أوديب بين سوفوكليس وعلي أحمد باكثير.
- مقدمة الإلياذة.
- فوائد الدراسة المقارنة.

والدكتور مصطفى يجمع في تدريسه «الأدب المقارن» بين النظرية والتطبيق، ولكنه يقتصر في الجانب التطبيقي على الأدب العربي والإنجليزي فقط. ويُفضِّل مقارنة النصوص العربية بنصوص إنجليزية مترجمة، ويرى أنَّ ((منهج الدراسة المقارنة لا يمنع من الاعتماد على تراجم أكاديمية (غير تجارية) موثقة)).

والاتجاه السائد في دراسة الأدب المقارن عند الدكتور مصطفى هو الاتجاه الأمريكي. ويختم الدكتور مصطفى إجابته عن الاستبانة بقوله: ((أقول إجابة عن سؤالكم الأخير عن (أية اقتراحات أو معلومات تخدم الموضوع) أشكر لكم ثقتكم برئيس القسم ومُدرِّس مادة الأدب المقارن أو (النقد المقارن) بحسب كمال أبو ديب ونبيل راغب، وأعتقد أن تنبهكم لأهمية هذا العلم مؤشِّر دالٌّ على اهتمامكم بتطوير الدراسة الأدبية تطويراً يضع أدبنا العربي وأديبنا العربي في المنزلة التي يجب أن يكونا فيها فعلاً لا وَهْماً، واعتقادي بأن الدراسة المقارنة هي التي تحقق هذه الأمنية الغالية؛ لأنها (المقارنة) تعصم الآداب درساً ودارسين من التقوقع والمحلية والاجترارية، كما تعصم الطالب والمعلم بإذن الله من كثير من التعصب والنقص في

أمَّا مراجعه في تدريس مقرر الأدب المقارن فهي:

١- الأدب المقارن: الدكتور محمد غنيمي هلال.

٢- آفاق الأدب المقارن عربياً وعالميا: الدكتور حسام الخطيب.

٣- مدارس الأدب المقارن: الدكتور سعيد علوش.

٤- الأدب المقارن، أصوله وتطوره ومناهجه: الدكتور الطاهر مكي.

٥- كليلة ودمنة في الأدب العربي، دراسة مقارنة: ليلى حسن سعد الدين

٦- مقدمة في نظرية المقارنة: الدكتور عز الدين المناصرة.

٧- مطالعات في الأدب المقارن: الدكتور عدنان وزان.

٨- أنطونيو وكليوباترة بين شوقي وشكسبير: الدكتور عبد الحكيم حسان.

٩- طلائع المقارنة في الأدب العربي: عصام بهي.

١٠- قضايا الإنسان في الأدب المسرحي المعاصر، دراسة مقارنة: الدكتور عز الدين إسماعيل.

١١- الأدب المقارن بين التجربتين الأمريكية والعربية: الدكتور علي شلش

١٢- دراسات في الأدب المقارن: الدكتور عطية عامر.

١٣- العددان ٢/٣ من مجلة فصول عام ١٩٨٣.

١٤- مؤثرات عربية وإسلامية في الأدب الروسي: الدكتورة مكارم الغمري.

١٥- فصول من الأدب المقارن: الدكتور شفيع السيد.

أمَّا عن المفردات الرئيسة لموضوعات الأدب المقارن فهي عند الدكتور مصطفى على النحو الآتي:

مدخل نظري يتناول:

- مصادر المادة ومراجعها.
- تطور مصطلح الموازنة بوصفه مدخلاً لتحديد معنى المقارنة.
- شرطي المقارنة بين المدرسة القديمة والحديثة، عرضاً وترجيحاً.

وفي الجانب التطبيقي يتناول الأدب العربي في علاقاته مع الآداب الغربية والشرقية. والاتجاه الغالب في تدريسه هو الجمع بين المدرستين الأمريكية والفرنسية.

ويقترح ((أن تكون هناك فهارس للدراسات في الأدب المقارن، وبخاصة المترجم منها إلى العربية)).

أمَّا الدكتور حسني عبد الجليل يوسف فتخصصه «الأدب والنقد» من جامعة عين شمس، وعنوان أطروحته «النماذج الإنسانية في الشعر الجاهلي» وليس لديه أبحاث أو مؤلَّفات في الأدب المقارن. ومرجعاه الأساسيان هما: «الأدب المقارن» للدكتور محمد غنيمي هلال، و «الأدب المقارن» للدكتور أحمد درويش.

والمفردات الرئيسة التي يتناولها في تدريس مقرر الأدب المقارن هي «جميع الموضوعات» كما يقول.

ولا يقتصر الدكتور حسني في تدريسه على الجانب النظري فقط، وإنما يجمع بين النظري والتطبيقي. وتشمل تطبيقاته الأدب العربي والآداب الغربية والشرقية. والاتجاه السائد في تدريسه - كما يذكر - هو الاتجاه الأمريكي فقط.

ويقترح: ((الاهتمام بتأثير الأدب العربي في الآداب السامية، كالأدب العبري)).

٧- قسم اللغة العربية واللغات الشرقية بكلية التربية للبنات - الأقسام الأدبية، بريدة، السعودية:

تذكر الدكتوره بسيمة محمد أحمد، رئيسة القسم، أنَّ الأدب المقارن مادة مقررة في القسم، وأنه بُدئ بتدريس هذا المقرر ((في مرحلة الدراسات العليا منذ ثلاث سنوات (دون تحديد العام)، أمَّا في مرحلة البكالوريوس فمنذ تاريخ أبعد من ذلك)).

وفي إجابتها عن أسئلة الاستبانة تؤكد أنَّ تدريس الأدب المقارن يتمُّ في مرحلة الدراسات العليا فقط. وهي مادة (الأدب المقارن) إجبارية. ولا يُدرِّسها حالياً أساتذة متخصصون في الأدب المقارن، وتضيف ((يقوم بتدريس المادة مَنْ له مؤلفات في مجال الأدب المقارن، (و) لا يوجد قسم للأدب المقارن، ولكنه تابع لقسم

معرفة الآخر.

ولن ينجح الموضوع حقَّ النجاح دون إدخال تغييرات حقيقية في تأهيل المدرسين والدارسين لغوياً - من خلال إتقان لغة ثانية غير اللغة الأم - ومضاعفة ساعات هذه المادة وفتح آفاق أخرى لها كتدريس النحو المقارن والعروض المقارن إلخ..)).

٦- قسم اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية- فرع الأحساء، السعودية:

يذكر الدكتور نبيل بن عبد الرحمن المحيش، رئيس قسم اللغة العربية في فرع الأحساء، أنَّ الأدب المقارن مادة مقررة في القسم منذ عام ١٩٨١. وتُدَرَّس في المرحلة الجامعية الأولى (البكالوريوس)، وعلى مدى فصلين دراسيين، وهي مادة إجبارية، ويقوم بتدريسها أساتذة متخصصون في الأدب العربي عامة. وعددهم (حالياً) اثنان. وهذا المقرر تابع لقسم اللغة العربية.

ومُدرِّسا الأدب المقارن في هذه الجامعة هما: الدكتور عبد الرزاق الحاج عبد الرحيم حسين، والدكتور حسني عبد الجليل يوسف.

والدكتور عبد الرزاق متخصص في الأدب والنقد من جامعة الأزهر، وعنوان أطروحته «الأدب العربي في صقلية» وليس له مؤلفات أو أبحاث في الأدب المقارن. ومراجعه في الأدب المقارن كتابان هما: «الأدب المقارن» للدكتور محمد غنيمي هلال، و «الأدب المقارن» للدكتور حسن جاد.

أمَّا الموضوعات التي يتناولها في تدريس الأدب المقارن فهي:

أ- القصة في الأدب الغربي والعربي.

ب- المناظرة والحوار في الأدب العربي والفارسي.

ج- النماذج الأدبية والشخصيات التاريخية.

د- المصادر، أنواعها والبحوث فيها.

ويجمع الدكتور عبد الرزاق في تدريسه مقرر الأدب المقارن بين النظرية والتطبيق.

٧- الفرق بين التأثير والتقليد.
٨- انتقال الأثر الأدبي ووسائطه.
٩- الأدب المقارن والأدب العام.
١٠- عالمية الأدب وأسبابها الخاصة والعامة.
١١- مجالات التأثير والتأثر بين الآداب: الأجناس الأدبية النثرية. التأثيرات النظمية، تأثير الأدباء فيما بينهم.. إلخ.

والدكتور زهران يجمع بين النظرية والتطبيق في تدريس الأدب المقارن. وفي الجانب التطبيقي لا تقتصر المقارنة عنده على الأدب العربي وبعض الآداب فقط، وإنما تشمل كل الآداب وذلك ((من خلال نماذج توضِّح مظاهر التشابه ونقاط الالتقاء، وما يميز كل أدب بثوابته ومرتكزاته وصولاً للسمات العامة والخصائص المشتركة فيما بينها)). وهو في كل ذلك يجمع بين الاتجاهين الفرنسي والأمريكي، ويؤكد ذلك بقوله: ((الاتجاه الفرنسي تأسس على أساس المفاضلة، والأمريكي مجتزئ، والمنهج النقدي في الدراسة أفضل)).

٨- قسم اللغة العربية وآدابها بكلية الآداب - جامعة الكويت، الكويت:

بعثت الدكتوره سعاد عبد الوهاب، رئيسة القسم، رسالة إلينا بتاريخ ٢٠٠٠/٢/٢١ مشفوعة بالاستبانة، ذكرت فيهما أنَّ الأدب المقارن مقرر في قسم اللغة العربية، ولكنه اختياري، ويُدرَّس في مرحلة البكالوريوس وعلى مدى فصل دراسي واحد، وليس هناك مَنْ يُدرِّس هذا المقرر. وترى الدكتوره سعاد: ((ضرورة إرسال بعثات في الأدب المقارن بسبب الندرة)).

٩- قسم اللغة العربية بكلية الإنسانيات، جامعة قطر- الدوحة:

لم تُعلِّق الدكتوره سلامة عبد الله السويدي، رئيسة القسم، على شيء في الاستبانة الموجَّهة إليها، وإنَّما اكتفت بإحالة الاستبانة الخاصة بأساتذة الأدب المقارن إلى

اللغة العربية)).

أمَّا مُدرِّس المقرر في كلية التربية للبنات فهو الدكتور زهران محمد جبر عبد الحميد. وتخصصه «أدب ونقد» من جامعة الأزهر، كلية اللغة العربية. وعنوان أطروحته في الدكتوراه «مختصر حيوان الجاحظ لابن منظور الإفريقي، تحقيق ودراسة».

ومن أعماله في مجال الأدب المقارن:

١- في الأدب المقارن. طبع ونشر دار البيان بالقاهرة.

٢- «أثر العربية في الآداب الأوروبية». بحث منشور.

٣- «منهج الشك بين الجاحظ وديكارت».بحث منشور.

ومراجعه في الأدب المقارن:

١- الأدب المقارن. فان تيجم، ترجمة سامي الدروبي.

٢- الأدب المقارن. محمد غنيمي هلال.

٣- الأدب المقارن. فرانسوا جويار، ترجمة محمد غلاب.

٤- الأدب المقارن. كلود بيشوا.

٥- الأدب المقارن. طه ندا.

أمّا المفردات الرئيسة لموضوعات الأدب المقارن فهي عند الدكتور زهران على النحو الآتي:

١- مفهوم الأدب المقارن لدى المدرسة الفرنسية والأمريكية والمآخذ على المفهومين، والمفهوم المنتخب على ضوئهما.

٢- نشأة الأدب المقارن وتطوره بإسهامات منظريه عند الغربيين.

٣- مناهج البحث فيه.

٤- عدة الباحث المقارن.

٥- بحوث الأدب المقارن.

٦- مفهوم التأثير.

ويجمع الدكتور الخطيب في تدريسه بين النظرية والتطبيق. وفي المجال التطبيقي يقتصر على الأدبين العربي والغربي عامة. (ويشير إلى أنَّ زميلاً آخر يُدرِّس الأدب المقارن عربي فارسي).

وفيما يتعلق بالجانب النظري فالاتجاه السائد لديه هو الاتجاه الأمريكي، ويحدد ذلك قائلاً: ((تركيز على وجهة النظر الأمريكية مع تلمُّس لوجهة نظر عربية)).

ويقترح الدكتور الخطيب ((أن تكفَّ بعض الجامعات العربية عن تدريس نظريات قديمة في الأدب المقارن تجاوزها أصحابها منذ زمن بعيد؛ لأن الأدب المقارن يخضع يومياً لتطورات جديدة)).

أمَّا الدكتور عبد العزيز مصطفى بقوش فتخصصه «الدراسات الشرقية» من جامعة القاهرة. وعنوان أطروحته: «شيرين وخسرو بين الأدبين العربي والفارسي». ومن أعماله في مجال الأدب المقارن:

- يوسف وزليخا بين العربية والفارسية.
- كلمات فارسية في ديوان الأعشى.
- سلامان وأبسال بين الفارسية والعربية.

ومراجعه في تدريس مقرر الأدب المقارن:

- الأدب المقارن (دراسات تطبيقية في الأدبين العربي والفارسي). د.محمد السعيد جمال الدين.
- الأدب المقارن. د. محمد غنيمي هلال.
- الأدب المقارن. د. طه ندا.
- الأدب المقارن. د. محمد عبد السلام كفافي.

أمَّا الموضوعات التي يُدرِّسها الدكتور بقوش فهي:

- التعريف بالأدب المقارن، نشأته وتطوره، مجالات نشاطه، مناهج دراسته، عوامل التبادل والتأثير والتأثر بين آداب الشعوب الإسلامية وبخاصة بين الأدبين العربي

أصحابها في القسم، وهما الأستاذ الدكتور حسام الخطيب، والأستاذ الدكتور عبد العزيز بقوش.

أجاب الدكتور حسام الخطيب مُعرِّفاً بنفسه، ثم حدد تخصصه بأنَّه «الأدب المقارن» (عربي- غربي). وأنَّ الجامعة التي منحته درجة الدكتوراه هي جامعة (كيمبردج - بريطانيا). وعنوان أطروحته في الدكتوراه: «النثر القصصي في سورية مع إشارة خاصة إلى المؤثرات الأجنبية» "Prose-fiction in Syria with special Referenceto Foreign Influences"

ومن أبحاثه ومؤلَّفاته في الأدب المقارن يذكر الدكتور الخطيب المؤلفات الآتية:

- الأدب المقارن في النظرية والتطبيق، ج ١-٢ جامعة دمشق ١٩٨١-١٩٨٢.
- آفاق الأدب المقارن عربياً وعالمياً، دمشق، دار الفكر، ط١، ١٩٩٢، ط٢، ٢٠٠٠.
- سبل المؤثرات الأجنبية وأشكالها في القصة السورية، القاهرة ١٩٧٢ (عدة طبعات).
- روحي الخالدي، رائد الأدب العربي المقارن، عمان، دار الكرمل، ١٩٨٥.
- الأدب والتكنولوجيا وجسر النصِّ المفرَّع، الدوحة، دمشق، ١٩٩٦.

ومراجعه في تدريس الأدب المقارن:

- آفاق الأدب المقارن عربياً وعالميا، د. حسام الخطيب (نظري).
- سبل المؤثرات الأجنبية وأشكالها في القصة السورية، د. حسام الخطيب.
- الأدب المقارن، د. الطاهر مكي.

أمَّا الموضوعات التي يُدرِّسها الدكتور الخطيب فهي:

- نظريات الأدب المقارن، تاريخه العام، تاريخه العربي، قضايا في الأدب المقارن، عدة الباحث المقارني، نحو وجهة نظر عربية في الأدب المقارن.
- التطبيق: القصة العربية وعلاقتها بالقصة الغربية مع مثال تطبيقي من القصة السورية.

واحداً فقط وهو الأدب المقارن. إلاَّ إنْ وجد متخصص في الأدب المقارن متمكن من بعض التخصصات الأخرى لإكمال نصابه التدريسي)).

١١- قسم اللغة العربية وآدابها بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية-جامعة الإمارات العربية المتحدة- العين، الإمارات العربية المتحدة:

يذكر الأستاذ الدكتور محمد الأمين الخضري علي، رئيس القسم، أنَّ الأدب المقارن مقرر في قسم اللغة العربية، ولا يشير إلى تاريخ تدريسه. وهذا المقرر اختياري، يُدرَّس في مرحلة البكالوريوس، وعلى مدى فصل دراسي واحد. وأنّ الذي يُدرِّس المقرر في القسم هو الدكتور الرشيد بشير بوشعير المتخصص في الأدب المقارن. وأنَّ هذا المقرر تابع لقسم اللغة العربية.

ويجيب الدكتور الرشيد بوشعير عن الاستبانة معرِّفاً بنفسه أولاً، ثم يذكر تخصصه الدقيق بأنَّه «أدب مقارن وأدب حديث». وبأنَّه حصل على الدكتوراه من جامعة دمشق، وعنوان أطروحته: «أَثَرُ برتولد بريخت في مسرح المشرق العربي». ومن أعماله في الأدب المقارن:

١- أثر برتولد بريخت في مسرح المشرق العربي (كتاب).

٢- أثر غابرييل غارسيا ماركيز في الرواية العربية (كتاب).

٣- تجربة الواقعية السحرية في القصة الإماراتية (بحث).

٤- الأبعاد الوجودية لهاجس صراع الأجيال في رواية نافذة الجنون لعلي أبي الريش (بحث)... إلخ.

والمراجع الرئيسة لمادة الأدب المقارن عند الدكتور بوشعير هي:

- آفاق الأدب المقارن عربياً وعالميا، للدكتور حسام الخطيب (مقرر).
- المثاقفة والنقد المقارن، للدكتور عز الدين المناصرة (كتاب مساعد).
- مكونات الأدب المقارن في العالم العربي، للدكتور سعيد علوش (كتاب مساعد).

والفارسي.

- دراسة تطبيقية بين الأدبين العربي والفارسي وتشمل موضوعاً أو أكثر من الموضوعات التي عالجها أدباء العرب والفرس، مع بيان خصائص كلِّ موضوع في الأدبين، وذلك من قبيل: مجنون ليلى، ورباعيات الخيام وترجمتها في الأدبي العربي.

وهو في تدريسه يجمع (كما هو ملاحظ) بين النظرية والتطبيق، ويركز في الجانب التطبيقي - كما يذكر - على الأدب العربي والآداب الشرقية.

أمَّا الاتجاه السائد في تدريسه فهو منهج المدرسة الفرنسية.

ويرى الدكتور بقوش أنَّ ((دراسة الأدب المقارن بين الأدبين العربي والفارسي تفتح أبواباً نطل منها على ما أنتجه أدباء العرب والفرس من أعمال ومآثر فنية مبدعة، كي يتحقق بينهم من التواصل ما يدعم عناصر الأصالة في آداب هي من نسيج فكري واحد تتشابه نظرتها إلى الإنسان والحياة، وتتشابه نظرتها في الفن والأدب)).

١٠- قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية بكلية الآداب، جامعة البحرين- المنامة:

يذكر الدكتور علي محمد نور مدني، رئيس القسم، أنَّ الأدب المقارن مادة مقررة في قسم اللغة العربية، وقد بدأ تدريسها منذ عام ١٩٨٠، وهي مادة اختيارية تُدَرَّس في مرحلة البكالوريوس فقط، وعلى مدى فصل دراسي واحد. ويُدرِّسها أساتذة غير متخصصين في الأدب المقارن، وليس هناك قسم خاص بالأدب المقارن. بل هو مقرر كغيره من المقررات الدراسية في قسم اللغة العربية.

وحالياً لا يوجد من يُدرِّس هذا المقرر. ويقول: ((من المشكلات التي نواجهها أننا لا نستطيع التعاقد مع أستاذ متخصص في هذا المجال؛ لأنه سوف يُدرِّس مقرراً

وفيما يتعلق بأبحاثه ومؤلَّفاته في مجال الأدب المقارن يكتب الدكتور الشيخ ((انظر السيرة الذاتية المرفقة في الرسالة)). وللأسف لم تصل هذه السيرة مع الرسالة، أو ربما نسي الدكتور الشيخ إرسالها مع الاستبانة.

ومراجع الدكتور الشيخ في مقرر الأدب المقارن هي دراسات كلٍّ من:

خليل الشيخ، وحسام الخطيب، وعبده عبُّود، والطاهر مكي، وأحمد درويش، وسعيد علوش، وعز الدين المناصرة، ومناف منصور، وأحمد عثمان، ومحمود طرشونة.

أمَّا المفردات الرئيسة لموضوعات الأدب المقارن لديه فهي (باختصار) -كما يقول:

١- النشأة التاريخية للدراسات المقارنة في الغرب.

٢- النشأة التاريخية للدراسات المقارنة في العالم العربي الحديث.

٣- أهمية الدراسات المقارنة، ومنهجيتها.

٤- مدارس الأدب المقارن.

٥- قضايا الدراسات المقارنة: التأثير، والتوازي، والتلقِّي، والترجمة.

٦- أبعاد تطبيقية في الدراسات المقارنة.

وهو في كلِّ ذلك يجمع بين النظرية والتطبيق، وتقتصر الموضوعات التطبيقية عنده على المقارنة بين الأدب العربي والأدب الغربي عموما.

وفي الجانب النظري يُركِّز الدكتور الشيخ على الاتجاهين الفرنسي والأمريكي، ويبين ذلك بقوله: ((التعريف بالاتجاهين، وتحليل كلٍّ منهما، وتوضيح ما ينطوي عليه كلُّ اتجاه من سمات)).

١٣-كلية الآداب بجامعة عدن- عدن، اليمن:

أرسل إلينا الدكتور مسعود سعيد عمشوش رسالة بتاريخ ٢٠٠٠/٢/٢٥، أيَّد فيها مشروع هذا البحث، مشيراً إلى أنه حصل على شهادتي الليسانس والمتريز في الآداب الحديثة (فرنسي _ عربي- لاتيني) من جامعة بوردو- فرنسا عام ١٩٨١، وعلى شهادة الدكتوراه في الأدب العام والمقارن من جامعة السوربون بعد أنْ حضَّر أطروحة

أمَّا المفردات الرئيسة لموضوعات الأدب المقارن فهي:

أ- مصطلح الأدب المقارن.

ب- مدارس الأدب المقارن.

ج- نشأة الأدب المقارن في الغرب.

د- نشأة الأدب المقارن في الوطن العربي.

هـ- مؤسسات الأدب المقارن.

و- تطبيقات في الأدب المقارن.

ويجمع الدكتور بوشعير في تدريسه بين النظرية والتطبيق، وتشمل تطبيقاته الأدب العربي مع الآداب الأوربية والشرقية.

وفي الجانب النظري يجمع بين الاتجاهين الفرنسي والأمريكي، ويضيف إليهما المدرسة السلافية (وذلك في حدود ضيقة) . ويقترح ((تدريس مساق مساند للأدب المقارن، وهو مساق الآداب الأجنبية ؛ لأنَّ الطالب لايلمُّ بالأدب المقارن إلماماً جيداً إذا كان يجهل الآداب الأجنبية، وخاصة الآداب الأوروبية)) .

١٢- قسم اللغة العربية وآدابها - جامعة السلطان قابوس، مسقط.

أجاب الدكتور خليل محمد الشيخ، رئيس القسم، أنَّ الأدب المقارن مادة مقررة في قسم اللغة العربية وآدابها منذ عام ١٩٨٦ ، ويُدرَّس هذا المقرر في المرحلة الجامعية الأولى ومرحلة الدراسات العليا، وذلك على مدى فصل دراسي واحد. وهذه المادة تقع ضمن متطلبات التخرج، ويُدرِّسها أستاذ واحد متخصص في الأدب المقارن هو الدكتور خليل محمد الشيخ نفسه، وتخصصه الدقيق: «الدراسات النقدية المقارنة»، ويشير إلى أنَّ الأدب المقارن أحد مقررات قسم اللغة العربية، وليس مستقلاً عنه.

ثم يجيب الدكتور الشيخ عن الاستبانة الخاصة به بصفته أستاذ المقرر، فيذكر أنَّ الجامعة التي منحته درجة الدكتوراه هي جامعة فريدريش فيلهلم في بون بألمانيا، وعنوان أطروحته: «تأثير فاوست في الأدب العربي الحديث».

تحليل الإجابات ومناقشتها:

على هذا النحو قدَّم لنا رؤساء أقسام اللغة العربية، والأدب، والنقد، والبلاغة، وأساتذة الأدب المقارن في جامعات دول شبه الجزيرة العربية «الأدب المقارن». فهل جاء هذا التقديم مُلبِّياً لرغباتنا وطموحنا عن الأدب المقارن في هذه الجامعات؟ وهل كانت الإجابات بالمستوى المأمول، وكافية، بحيث يمكن للمرء تقديم صورة «متكاملة» وحقيقية عن واقع الأدب المقارن في هذه الجامعات، ومن ثَمَّ يُمكن الاطمئنان إليها؟

في الواقع كانت الإجابات متفاوتة بين جامعة وأخرى؛ فقد اتَّسم بعضها بالجدية الكاملة، وكان بعضها الآخر دون المأمول. ويُمكن أن يُردَّ ذلك إلى أمرين اثنين: الأول، يتعلق بواقع الأدب المقارن وظروف تدريسه في هذه الجامعات. والآخر، يتعلق بمُدرِّس المقرر نفسه واستجابته لما طُرح عليه في الاستبانة من الأسئلة. ولهذا فقد وردتنا إجابات زادت على الحدِّ المطلوب والمأمول، كما هو الشأن في إجابات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (فرع الرياض وفرع القصيم)، وأخرى جاءت أقل من المطلوب بكثير، كجامعة الملك عبد العزيز وجامعة عدن، بحيث لا يمكن للمرء أن يتبين إلاَّ القليل عن واقع الأدب المقارن وملامحه فيها. أمَّا النوع الثالث من الإجابات فالتزم بأسئلة الاستبانة، ولم يخرج عنها إلاَّ في القليل النادر.

ومهما يكن من أمر فإنَّ ما جاءنا من إجابات يُمكِّننا من رسم صورة «تقريبية» وليست كاملة عن واقع الأدب المقارن وملامحه في هذه الجامعات. والاستقراء الآتي يبين ذلك:

أولاً: بلغ عدد الجامعات التي أرسلت إليها الاستبانة ـ أربع عشرة جامعة، هي: جامعة الملك سعود، وجامعة الملك عبد العزيز، وجامعة أم القرى، وجامعة الملك فيصل، وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بفروعها الثلاثة (الرياض، والقصيم، والأحساء)، وكلية التربية للبنات (بريدة – السعودية)، وجامعة الكويت، وجامعة قطر، وجامعة البحرين، وجامعة الإمارات العربية المتحدة، وجامعة

حول «فن السرد في كتاب ألف ليلة وليلة واستخدامه في كتب الحكايات الفرنسية في القرن الثامن عشر» سنة ١٩٨٨. كما ذكر عمشوش أنه يقوم، منذ سنة ١٩٨١، بتدريس الأدب في قسم اللغة الفرنسية الذي يُشرف عليه في كلية الآداب بجامعة عدن، ويُدرِّس مادة تخصصه، الأدب المقارن، في قسم اللغة العربية.

ويقترح عمشوش تتويج هذا البحث بالدعوة إلى عقد ندوة يتناول فيها أساتذة الأدب المقارن ((صورة الجزيرة العربية في كتابات المستشرقين والرحالة والأدباء الغربيين، وذلك لكي نستطيع أنْ نخرج بتخصصنا من محاوره التقليدية: العلاقات الأدبية، ولنساهم في التصدي - بالدراسة والتحليل - لما يكتبه الغربيون عن جزيرتنا)). وبالإضافة إلى رسالته هذه هناك ملحقات أخرى تذكر أعماله وما يقوم به من تدريس في كلية الآداب.

فالدكتور عمشوش يُدرِّس الأدب المقارن في قسم اللغة العربية، وفي كلية البنات، وكذلك يُدرِّس الأدب واللسانيات في قسم اللغة الفرنسية بجامعة عدن.

ومن أعماله في الأدب المقارن:

١- اتجاهات جديدة في الأدب المقارن. بحث في مجلة الثقافة الجديدة، ع٦، سنة ٢١، وزارة الثقافة ١٩٩١.

٢- عدن مدينة كوسموبوليتية في كتابات الرحالة الفرنسيين. بحث، أعمال ندوة عدن ثغر اليمن، مجلد ١، مايو ١٩٩٩.

٣- صورتان لعدن في كتابات بول نيزان. دراسة / بحث، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، ع٥، م٣، يناير ٢٠٠٠.

٤- لماذا عدن؟ حياة الشاعر آرثر رامبو في عدن. بحث، الثقافة الجديدة، ع٨، سنة ٢٠، وزارة الثقافة، ديسمبر ١٩٩٠.

وله ترجمات عن الفرنسية من أهمها: «مغامرات في عدن» تأليف هنري مونفرد. و«عدن ١٨٥٥» تأليف آرثر دي جوبينو، و«القصة الفرنسية القصيرة» تأليف دينه جودين، و «ندم»، قصة قصيرة، تأليف: جي دي موباسان وغير ذلك.

٢- جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (فرع القصيم).

٣- جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (فرع الأحساء).

٤- جامعة الكويت.

٥- جامعة قطر.

٦- جامعة البحرين.

٧- جامعة الإمارات العربية المتحدة.

٨- جامعة عدن.

ب - الجامعات التي تُدرِّسه في مرحلة الدراسات العليا فقط، هي:

١- جامعة الملك سعود.

٢- كلية التربية للبنات في بريدة، السعودية.

٣- جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (الرياض).

ج- الجامعات التي تُدرِّسه في المرحلتين الجامعيتين، الأولى والعليا، هي:

١- جامعة أمِّ القرى.

٢- جامعة السلطان قابوس.

ومما يلاحظ أيضاً أنَّ مفردات المقرر في كلتا المرحلتين، الأولى والعليا، متشابهة، إن لم تكن متطابقة في أكثر الأحيان. هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإنَّ تدريس الأدب المقارن في قسم الدراسات العليا في هذه الجامعات ومثيله في كلية التربية للبنات (الأقسام الأدبية) متشابه في مفرداته وموضوعاته النظرية والتطبيقية، التي تندرج في إطار الأدب المقارن بشكل عام، اللهمَّ إلاَّ بعض الموضوعات التي يُركِّز عليها بعض الأساتذة، مثل (الأدب الإسلامي المقارن عند الدكتور السيد العراقي، والدكتور أحمد عبد القادر الشاذلي، وخليل أبو ذياب)، و (والمدرسة الألمانية وتلقِّيها العربي عند الدكتور نذير العظمة).

ثالثاً: يلاحظ عدم اهتمام قسم كبير من رؤساء الأقسام بتحديد بداية تدريس مقرر الأدب المقارن في أقسام اللغة العربية، فمن بين الجامعات الثلاث عشرة وجدنا

السلطان قابوس، وجامعة عدن.

ومن بين هذه الجامعات الأربع عشرة وصلت ردود ثلاث عشرة جامعة، وتخلّفت – لسبب لا نعلمه– جامعة واحدة فقط عن الإجابة، هي جامعة الملك فيصل بالأحساء، السعودية.

ويلاحظ المرء أنَّ استجابة الإخوة في معظم هذه الجامعات كانت سريعة. وإنْ دلَّ هذا على شيء، فإنَّما يدلُّ على حبِّ التعاون، والاهتمام الشديد، والحرص والغيرة على ما هو مفيد للعملية التدريسية والبحث العلمي في هذه الجامعات.

وعلى الرغم من أنَّ الإجابات كانت في معظمها غنية وملبِّية لرغباتنا في رسم ملامح الأدب المقارن وآفاقه في هذه الجامعات، فإنَّه لابدَّ من الإشارة – هنا – إلى أنَّ ثلاث إجابات منها كانت غير شافية. ونعني بذلك إجابة الدكتور عمر الطيب الساسي، أستاذ مادة الأدب المقارن في جامعة الملك عبد العزيز، وإجابة الدكتور مسعود سعيد عمشوش، أستاذ مقرر الأدب المقارن في جامعة عدن، وكذلك إجابة الدكتوره سلامة عبد الله السويدي، رئيسة قسم اللغة العربية في جامعة قطر، فقد اكتفى كلٌّ من الدكتور الساسي والدكتور عمشوش بإرسال رسالة عامة، أمَّا الدكتوره السويدي فلم تُجِبنا نهائياً. وبذلك حُرمنا معرفة الكثير عن واقع الأدب المقارن وتدريسه ومنهجه ومراجعه واتجاهات تدريسه.

ثانياً: تشير الإجابات جميعها إلى أنَّ الأدب المقارن مادة مقرَّرة في أقسام اللغة العربية، أو في أقسام الدراسات العليا التابعة في الأصل إلى أقسام اللغة العربية في هذه الجامعات. إلاَّ أنَّ المرء يلاحظ أنَّ تدريس هذا المقرر متفاوت فيما بين حامعة وأخرى، فبعضها يُدرِّسه في المرحلة الجامعية الأولى (البكالوريوس)، وبعضها الآخر يُدرِّسه في مرحلة الدراسات العليا، وقسم آخر يُدرِّسه في كلتا المرحلتين [١٣]. وفيما يلي بيان ذلك:

أ – الجامعات التي تُدرِّس الأدب المقارن في المرحلة الجامعية الأولى هي:

١– جامعة الملك عبد العزيز.

تدريسه وأشكالها، وإضافة إلى كلّ هذا الوقوف على المراجع والمؤلّفات التي أُعتُمدت في تدريسه أو الأبحاث والدراسات التي كُتبت فيه في الماجستير والدكتوراه أو ما شابه ذلك.

رابعاً: يُدرَّس الأدب المقارن في هذه الجامعات في فصل دراسي واحد. وتنفرد جامعتان فقط بتدريسه في فصلين دراسيين، هما جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (فرع الرياض)، وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (فرع الأحساء).

خامساً: الأدب المقارن في معظم هذه الجامعات مادَّة إجبارية، بمعنى أنها متطلَّب أساسي من أجل التخرج. وهناك ثلاث جامعات ما يزال الأدب المقارن فيها مادة اختيارية، وهي جامعة الكويت، وجامعة البحرين، وجامعة الإمارات العربية المتحدة.

سادساً: من الملاحظ أنَّ الأدب المقارن في هذه الجامعات ما يزال مقرراً تابعاً لقسم اللغة العربية، شأنه في ذلك شأن أغلب جامعات الوطن العربي[١٧]. فهو أحد المقررات التي يدرسها الطلاب في المرحلة الجامعية الأولى أو في مرحلة الدراسات العليا. وليس هناك مايشير- حالياً أو في المستقبل - إلى أن يصبح هذا المقرر تخصصاً مستقلاً عن قسم اللغة العربية أو يحمل اسم قسم خاصٍّ به.

سابعاً: يلاحظ المرءُ أنَّ جُلَّ الأساتذة الذين يقومون بتدريس الأدب المقارن في هذه الجامعات ليسوا من المتخصصين في الأدب المقارن[١٨]. وقد مارس هؤلاء تدريس الأدب المقارن بسبب قلة المتخصصين أو ندرتهم في هذه الجامعات. وبحكم الممارسة الطويلة في التدريس أصبح بعضهم «أستاذاً في الأدب المقارن». وقد أشار الدكتور خليل أبو ذياب إلى هذا الأمر والمشكلات التي تنتج عنه. وما يهمنا الآن هو الإشارة إلى أنَّ عدد الأساتذة المتخصصين في الأدب المقارن قليل بالقياس إلى غير المتخصصين في هذه الجامعات. وإذا أردنا الدقة قلنا: إنَّ هناك ست جامعات فقط يتولَّى تدريس الأدب المقارن فيها أساتذة متخصصون في الأدب المقارن. وهذه

ست جامعات تُحدد بداية تدريس المقرر تحديداً دقيقا، وهي:

١- جامعة أم القرى، منذ عام ١٩٧٨[١٤].

٢- جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (فرع الرياض)، منذ عام ١٩٨٤.

٣- جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (فرع القصيم)، منذ عام ١٩٨٥.

٤- جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (فرع الأحساء)، منذ عام ١٩٨١.

٥- جامعة البحرين، منذ عام ١٩٨٠.

٦- جامعة السلطان قابوس، منذ عام ١٩٨٦.

وواحدة منها لم تحدد بداية تدريس الأدب المقارن بدقة، هي كلية التربية للبنات في بريدة، فقد ذكرت رئيسة القسم ما يلي: ((في مرحلة الدراسات العليا منذ ثلاث سنوات وضعت. أمَّا في مرحلة البكالوريوس فمنذ تاريخ أبعد من ذلك))[١٥].

ومما يلفت النظر عدم تحديد بداية تدريس هذا المقرر في جامعات عريقة كجامعة الملك سعود، وجامعة الملك عبد العزيز، وجامعة الكويت، وجامعة عدن. فمن المعروف أنَّ هذه الجامعات درَّست الأدب المقارن منذ ربع قرن تقريباً. وتعاقب على تدريسه فيها أساتذة متخصصون كالشاعرة نازك الملائكة والدكتور إبراهيم عبد الرحمن محمد في جامعة الكويت، والدكتور أحمد كمال زكي في جامعة الملك سعود.

وقد أشار الباحث الدكتور عز الدين المناصرة في دراسة له حول «الأدب المقارن في الجامعات العربية - دراسة ميدانية (١٩٨٦)» إلى أنَّ الأدب المقارن بدأ تدريسه في جامعة الكويت منذ عام ١٩٧٥- ١٩٧٦، وفي جامعة عدن منذ عام ١٩٧٦، وفي جامعة الملك سعود منذ عام ١٩٧٨[١٦].

وما نودُّ قوله هنا، إنَّ تحديد بداية تدريس هذا المقرر مهمٌّ وضروري جداً لأيِّ باحث ومتخصص في هذا المجال، وذلك من أجل تتبع مسيرة هذا التخصص وتطوره في هذه الجامعات، وكذلك التعرُّف على الأساتذة الذين درَّسوه، ومناهج

وجاء كتاب الدكتور حسام الخطيب «آفاق الأدب المقارن عربياً وعالمياً»، وكتاب الدكتور الطاهر أحمد مكي «الأدب المقارن، أصوله وتطوره ومناهجه» في المرتبة الثانية من حيث المرجعية، فكلٌّ منهما مرجع أساسي في خمس جامعات، هي جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (الرياض)، وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (القصيم)، وجامعة قطر، وجامعة عمان. وتعتمد جامعة أم القرى كتاب الطاهر مكي. أمَّا جامعة الإمارات العربية المتحدة فتعتمد كتاب الدكتور الخطيب مرجعاً رئيساً.

ويأتي كتاب الدكتور سعيد علوش «مدارس الأدب المقارن،دراسة منهجية» ثالثا، إذ تعتمده أربع جامعات مرجعاً أساسياً، وهي جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (الرياض)، وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (القصيم)، وجامعة الملك سعود، وجامعة عمان.

ومما يلفت النظر غياب مراجع أساسية لدى بعض هؤلاء الأساتذة، وخاصة عند غير المتخصصين منهم، وهذا أمر لا يمكن تسويغه أو غضُّ النظر عنه، وخاصة إذا عرفنا أنَّ مكتبة الأدب المقارن العربية غنية جداً بالمؤلفات والدراسات النظرية والتطبيقية. ناهيك من المراجع الأجنبية القديمة والحديثة، المترجمة إلى اللغة العربية. وهذا- للأسف ـ تفتقر إليه قوائم المراجع التدريسية في هذه الجامعات. وللتذكير نقول: إنَّ في المكتبة العربية ما يزيد على ستين كتاباً مؤلفاً في الأدب المقارن النظري، وضعف هذا الرقم - تقريباً - في المجال التطبيقي. وأكثر من عشرة كتب أجنبية في الأدب المقارن مترجمة إلى اللغة العربية[٢٠].

ومما يدعو للدهشة حقاً أن يجد المرء في عصرنا الحاضر، عصر العولمة، متخصصين، أو أساتذة لهذه المادة، يجهلون ما يصدر في مجال تخصصهم من كتب ودراسات. أو أن تجد متخصصاً يخطئ أو يشوِّه في اسم علم من أعلام الأدب المقارن العربي أو الأجنبي، كما هو الحال في اسم محمد عبد السلام كفافي، واسم

الجامعات هي:

١- جامعة الملك سعود، وفيها خمسة يُدرِّسون الأدب المقارن، اثنان منهم فقط متخصصان في الأدب المقارن هما: الدكتور نذير فوزي العظمة، والدكتوره صفاء مصطفى أبو طالب.

٢- جامعة أُمِّ القرى، وفيها ـ حالياً ـ أربعة يُدرسون الأدب المقارن، واحد منهم فقط متخصص في الأدب المقارن، هو الدكتور السيد العراقي سعد منصور.

٣- جامعة قطر، وفيها الدكتور حسام الخطيب، والدكتور عبد العزيز بقوش[١٩].

٤- جامعة الإمارات العربية المتحدة، وفيها الدكتور الرشيد بوشعير.

٥- جامعة السلطان قابوس، وفيها الدكتور خليل محمد الشيخ.

٦- جامعة عدن، وفيها الدكتور مسعود سعيد عمشوش.

إضافة إلى هذا فإنَّ أغلبية هؤلاء الأساتذة، المتخصصين وغير المتخصصين، لا ينتمون إلى هذه الجامعات، وإنَّما تمت الاستعانة بهم من جامعات عربية سورية ومصرية، وأردنية، ولبنانية، ومغربية، وجزائرية.. إلخ.

ثامناً: وفيما يتعلق بالمراجع المعتمدة في تدريس الأدب المقارن يلاحظ أنَّ هناك تنوعاً واختلافاً ما بين جامعة وأخرى. ويعود هذا الأمر – بطبيعة الحال – إلى أستاذ المقرر فيما يراه مناسباً أو يوافق ميوله في اعتماد مرجع دون آخر في التدريس. ولدى إحصاء المراجع المعتمدة في هذه الجامعات – والمصرَّح عنها فقط – وجدنا أنَّ هناك واحداً وأربعين مرجعاً ما بين نظري وتطبيقي، عربي أو أجنبي مترجم. وقد جاء كتاب الدكتور محمد غنيمي هلال «الأدب المقارن» في مكان الصدارة من بين هذه المراجع، إذ تعتمده سبع جامعات مرجعاً أساسيا، وهي: جامعة الملك سعود، وجامعة أمّ القرى، وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (الرياض)، وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (الأحساء)، وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (القصيم)، وكلية البنات (بريدة)، وجامعة قطر.

المتعاملين معه تجدداً معرفياً، وقدرة على متابعة تطوراته اليومية المستمرة. وليس من المعقول أن يبقى مُدرِّسوه – المتخصصون أو غير المتخصصين- أسيري النظريات والمناهج القديمة التي تجاوزها الزمن. والأشد عجباً وسوءاً أن نجد بعضهم ما زال – منذ ربع قرن من التدريس- أسيراً لمفردات ومراجع، يعود أغلبها إلى النصف الأول من القرن العشرين. فكيف بهؤلاء أن يتطوروا أو يُطوِّروا علماً وطلاباً؟

عاشراً: ومن هنا نلاحظ أن الجانب النظري في هذه الجامعات يسيطر عليه اتجاهان رئيسان، هما: الاتجاه الفرنسي التقليدي والاتجاه الأمريكي. وعلى حياء يبرز الاتجاهان السلافي والألماني في بعض الجامعات(٢٣). ويبدو أنَّ هذه الظاهرة ليست وقفاً على جامعات دول شبه الجزيرة العربية، وإنما تتساوى فيها جامعات الوطن العربي كلها. وإنْ دلَّ هذا على شيء، فإنما يدل على أنَّ معظم المقارنين العرب مازالوا أسرى النظريات الغربية بكل ما أنتجته هذه النظريات من مناهج واتجاهات. ومثل هذا الأمر سيؤدي ـ بطبيعة الحال ـ إلى الاتكال وعدم التطور. أمَّا الجديد في هذا العلم ومتابعته والتفاعل معه فقليل إنْ لم يكن معدوماً في الدراسات العربية. وكذلك الشأن فيما يتعلق برؤيتنا العربية وخصوصيتنا وذاتيتنا. اللهم إلاَّ بعض المقارنين النشيطين والمتابعين الذين يحاولون تلمس وجهة نظر عربية في الأدب المقارن(٢٤). وما عدا ذلك فإننا مازلنا نُردِّد ما قاله غيرنا دون تمثله أو تفحصه أو وسمه بطابعنا وببصمتنا العربية المتميزة.

واستناداً إلى المعطيات الموجودة في الاستبانات يمكن تصنيف الاتجاهات السائدة في جامعات دول شبه الجزيرة العربية على النحو الآتي:

أ- الاتجاه الفرنسي (التقليدي التاريخي)، ويأخذ به كلٌ من الأساتذة:

- الدكتور حسن عبد الكريم الوراكلي، والدكتور جودت محمد كسَّاب من جامعة أم القرى.

أندريه ميشيل روسو[٢١].

تاسعاً: من الملاحظ أن منهج تدريس الأدب المقارن في هذه الجامعات يسير وفق اتجاهين متلازمين، هما الاتجاه النظري والاتجاه التطبيقي. ويُركِّز الجانب النظري فيها على التعريف بالأدب المقارن ونشأته وتطوره ومدارسه ومناهجه، وعُدَّة الباحث في الأدب المقارن، والأدب المقارن في الوطن العربي، وقضايا في الأدب المقارن كالتأثير والتوازي والتلقي والترجمة، وغير ذلك. وفي الجانب التطبيقي يتمُّ التركيز على تفاعل الآداب فيما بينها، وخاصة علاقة الأدب العربي مع الآداب الأخرى، الغربية والشرقية، كالأدب الإنجليزي والفرنسي والفارسي. وبالطبع فإنَّ هذا الأمر يتعلق بتخصص أستاذ المقرر واهتمامه في اختيار الموضوعات التطبيقية التي يراها مناسبة للتدريس ومنسجمة مع الاتجاه النظري الذي يقوم بتدريسه.

وتشير إجابات الاستبانات إلى أنَّ جامعتين فقط تمتلكان توصيفاً لمقرر الأدب المقارن وتلتزمانه في التدريس، وهما جامعة الملك سعود[٢٢]، وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (الرياض).

أما باقي الجامعات فتركت – على ما يبدو– لأساتذة مقرر الأدب المقارن حرية اختيار المفردات والموضوعات المناسبة للتدريس. ومن هنا وجدنا تنوعاً وغنى في الموضوعات المطروحة وخاصة في الجانب التطبيقي. وعلى العموم فقد وقفنا على سبع جامعات تميز منهجها بالغنى والتماسك، وهي: جامعة الملك سعود، وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (فرع الرياض)، وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (فرع القصيم)، وكلية التربية للبنات (بريدة)، وجامعة قطر، وجامعة الإمارات، وجامعة السلطان قابوس.

وتجدر الإشارة هنا إلى أنَّ الأدب المقارن – بما يتَّسم به من شمولية زمانية ومكانية ومعرفية– غني بنظرياته واتجاهاته، رحب الآفاق والأبعاد. ومن هنا فإنَّه يتميز من الدراسات الأدبية الأخرى بتجدده المستمر. ولهذا فإنَّه يتطلب من

بها هؤلاء الأساتذة أو غيرهم، تشكل حدوداً فاصلة وحاسمة. والسبب في ذلك أنَّه - حتى الآن- لم تتبلور هذه الاتجاهات لدى أصحابها الحقيقيين تبلوراً كاملاً، فهي ما تزال في تطور وتجدد. والدليل على ذلك ما يصدر من دراسات ومؤلَّفات أجنبية تنفي رأياً قديماً أو تضيف رأياً جديداً إلى نظرياتها.

ثم إننا ما نزال نجهل الكثير عن هذه النظريات والاتجاهات المقارنية في العالم، أو عن تلك البلدان التي عرفنا شيئاً عن اتجاهاتها المقارنية. فكيف بنا أن نأخذ بشيء أو نسلم به ومعرفتنا به قليلة أو لا تتجاوز، في أبعد تقدير، الثلث الثاني من القرن العشرين؟ وأين نحن من تلك النظريات والدراسات المعاصرة في الأدب المقارن العالمي؟

ولو تساءلنا عن المؤلَّفات والدراسات التي اعتمدها المقارنون العرب ـ وما يزالون ـ في بناء تصورهم عن نظرية الأدب المقارن لوجدنا أنها لا يتجاوز في عددها أصابع اليد.

فكلُّ الدراسات العربية المقارنية ـ التي يعتمدها المدرسون ويدرسها الطلبة ـ تتكئ على أعمال قديمة، وتستقي منها معلوماتها النظرية في الأدب المقارن. وهذه الأعمال هي:

١- كتاب «الأدب المقارن» لـِ بول فان تيجم، الذي يعود في أصله إلى تاريخ عام ١٩٣١.

٢- كتاب «الأدب المقارن» لـ ماريوس فرانسوا غويار، والذي يعود في تاريخه إلى عام ١٩٥١[٢٦].

٣- مقالات رينيه وِيلِك الأربعة وهي:

- «الأدب العام والمقارن والقومي»، وهو الفصل الخامس من كتاب «نظرية الأدب»، الذي يعود في تاريخه إلى عام ١٩٤٩[٢٧].
- «أزمة الأدب المقارن»، وهو البحث الذي قدَّمه إلى المؤتمر الثاني للأدب المقارن بمدينة تشابل هيل الأمريكية عام ١٩٥٨[٢٨].
- «الأدب المقارن: اسمه وطبيعته»[٢٩].

- الدكتور خليل إبراهيم أبو ذياب من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض.
- الدكتور عمر الطيب الساسي من جامعة الملك عبد العزيز[٢٥].
- الدكتور عبد العزيز مصطفى بقوش من جامعة قطر.
- الدكتور مسعود سعيد عمشوش من جامعة عدن.

ب. الاتجاه الأمريكي، ويأخذ به كلٌ من الأساتذة:

- الدكتور مصطفى بكري محمد السيد من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالقصيم.
- الدكتور حسني عبد الجليل يوسف من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالأحساء.
- الدكتور حسام الخطيب، (مع تلمُّس لوجهة نظر عربية) من جامعة قطر.

ج- الاتجاهان الفرنسي والأمريكي، ويأخذ بهما كلٌ من الأساتذة:

- الدكتور صالح معيض عبد الله الغامدي، والدكتور نذير فوزي العظمة (إضافة إلى المدرسة الألمانية وتلقيها العربي)، والدكتوره صفاء مصطفى أبو طالب من جامعة الملك سعود.
- الدكتور السيد العراقي سعد منصور، والدكتور أحمد عبد القادر الشاذلي من جامعة أمِّ القرى.
- الدكتور عبد الرازق عبد الرحيم حسين من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالأحساء.
- الدكتور زهران محمد جبر عبد الحميد من كلية التربية للبنات في بريدة.
- الدكتور الرشيد بو شعير (إضافة إلى المدرسة السلافية وفي حدود ضيقة) من جامعة الإمارات العربية المتحدة.
- الدكتور خليل محمد الشيخ من جامعة السلطان قابوس.

حادي عشر: على أنَّه يجب ألاَّ يخيل إلينا أنَّ هذه الاتجاهات النظرية التي يأخذ

٦- ما الأدب المقارن ؟ تأليف: بيير برونيل، كلودبيشوا، أندريه ميشيل روسو، ترجمة: غسان السيد، دار علاء الدين، دمشق ١٩٩٦.
٧- الأدب العام والمقارن. تأليف: دانييل ـ هنري باجو، ترجمة: غسان السيد، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق ١٩٩٧.
٨- الوجيز في الأدب المقارن. تأليف عدد من المقارنين الفرنسيين، بإشراف بيير برونيل، وإيف شيفريل، ترجمة: غسان السيد، دمشق ١٩٩٩.
٩- الأدب المقارن، مقدمة نقدية. تأليف: سوزان باسنيت، ترجمة: أميرة حسن نويرة. المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة (١٢٨)، القاهرة ١٩٩٩.

خاتمة:

على هذا النحو بدا لنا واقع الأدب المقارن في جامعات دول شبه الجزيرة العربية. وهو واقع يتّسم بإيجابيات كثيرة، كما أنَّه لا يخلو من سلبيات كثيرة أيضاً. وإنْ دلَّ هذا على شيء، فإنَّما يدلُّ على أنَّ تجربة الأدب المقارن في أغلب هذه الجامعات حديثة العهد. وهي تسير نحو الأمام، وتُبذل من أجلها جهود طيبة. ومما لا شكَّ فيه أنَّ كلَّ محاولة من هذا النوع لابدَّ أن تتعثَّر في بداياتها وتلقى كثيراً من الصعوبات والعقبات التي تحول دون تحقيق الغاية المرجوة والفائدة المأمولة. على أنَّ هذه العقبات والصعوبات يمكن تجاوزها والتغلب عليها إذا توافرت النيات الطيبة، وتضافرت الجهود المخلصة، واتضحت الرؤية السليمة لأهمية الأدب المقارن ودروه في مجال الدراسات الأدبية والنقدية.

إنَّ الأدب المقارن – بما يتضمنه من عمق وشمولية في دراسة فكر الأمم وثقافاتها وآدابها ولغاتها ـ يُعدُّ من أهم الدراسات الأدبية والنقدية التي عرفتها الآداب العالمية. وتتجلَّى أهميته في كونه يكشف أسرار الأدب القومي والآداب العالمية الأخرى. وفي تقارب الفكر الإنساني وإثرائه من خلال سَبْر هذا الفكر والنفاذ إلى أعماقه. كما

- «الأدب المقارن اليوم»، ألقاه ويلك في اجتماع رابطة الأدب المقارن الأمريكية الذي انعقد في نيسان / أبريل ١٩٦٥[٣٠].

٤- مقالة هنري ريماك «الأدب المقارن، تعريفه ووظيفته». وظهرت هذه المقالة أولاً في عام ١٩٦١، ثم أعاد ريماك نشرها سنة ١٩٧١[٣١].

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا، هل تمثل هذه الدراسات وهذه المقالات حقاً النظرية الفرنسية أو الأمريكية تمثيلاً حقيقياً، وهل تَوقَّف الأدبُ المقارن ونظريته عند هؤلاء الأعلام فقط؟ والجواب عن ذلك: لا؛ لأن الأدب المقارن ما يزال يشهد تطورات جديدة في كلٍّ من فرنسا وأمريكا وفي غيرهما. ودليلنا على ذلك وجود ترجمات عربية لأعمال مقارنية غربية، قديمة وحديثة، هي في أصلها جزء مما تشهده حركة تطور الأدب المقارن في العالم. وفيما يلي إشارة إلى هذه الأعمال التي ما تزال تنتظر من يتمثَّلها ويتفحَّصُها ويُنمِّيها من القائمين على دراسة الأدب المقارن وتدريسه في الوطن العربي، وهذه الأعمال:

١-انكسارات. مقالات في الأدب المقارن. تأليف: هاري ليفن، ترجمة: عبد الكريم محفوظ. منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق ١٩٨٠.

٢- الأدب المقارن. تأليف كلودبيشوا وأندريه روسو، ترجمة: رجاء عبد المنعم جبر، مكتبة دار العروبة، الكويت ١٩٨٠. وقد ظهرت ترجمة لهذا الكتاب مرة أخرى في القاهرة عام ١٩٩٥، وصدرت عن دار الأنجلو مصرية، ومترجمها أحمد عبد العزيز.

٣- الدراسات الأدبية المقارنية. مدخل. تأليف: اس. اس. براور. ترجمة: عارف حديفة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق ١٩٨٦.

٤- مبادئ علم الأدب المقارن. تأليف: ألكساندر ديما، ترجمة: محمد يونس، دار الشئون الثقافية العامة، بغداد ١٩٨٧.

٥- دراسات في الأدب المقارن (مقالات وأبحاث لمقارنين عالميين). ترجمة: محمد الخزعلي، مؤسسة حمادة، إربد، الأردن ١٩٩٥.

المقارن وفهم أبعادها.

ثالثاً: زيادة عدد ساعات مادة الأدب المقارن في هذه الجامعات، بحيث لا تقلُّ عن أربع ساعات أسبوعية، ليتاح للطالب الاطلاع الكافي على نظريات الأدب المقارن وموضوعاته الكثيرة، وليتمكن من إجراء أبحاث جادة في هذا المضمار.

رابعاً: تحديث مناهج تدريس الأدب المقارن وتطويرها، سواء من حيث المراجع المعتمدة، أو من حيث المفردات المقررة، بحيث تتناسب والتطورات الجديدة في هذا العلم ونظرياته، وما يصدر من أبحاث ودراسات يومية يجب متابعتها. فما زالت أغلب المراجع المعتمدة في هذه الجامعات قديمة، ولا تلبي حاجة الطالب والدارس المتطلِّع دائماً إلى الجديد.

خامساً: ولهذا فإنَّه يجب على الجامعات العربية الإسراع في ترجمة المؤلفات والأبحاث والدراسات المستجدة في الأدب المقارن. وزيادة التعاون فيما بينها لمعرفة الجديد في هذا الميدان، ومن ثَمَّ تأمين المراجع الأساسية، وإعداد بيبليوغرافيات حديثة، وسنوية، عن الأدب المقارن تكون مرجعاً للمُدرِّس والدارس على السواء.

سادساً: لا يُفهم الأدب المقارن فهماً كاملاً إذا بقي معزولاً عن فرعين أدبيين أساسيين هما: نظرية الأدب والآداب العالمية. ولهذا يجب العناية بتدريس هذين الفرعين المجاورين للأدب المقارن في السنوات الأخيرة من المرحلة الجامعية الأولى؛ ليتسنى للطالب الاطلاع على الآداب العالمية واتجاهاتها، وفهم أبعاد الدراسات الأدبية الحديثة عامة، والأدب المقارن خاصة.

سابعاً: الاهتمام بتدريس اللغات الأجنبية، فمن غيرها لا يستطيع دارسُ الأدب المقارن القيام بأبحاث تطبيقية مقارنة ناجحة وجادة. أمَّا الاعتماد على ترجمات الأعمال الأدبية الأجنبية ـ مهما كانت دقتها ـ فتظل غير مأمونة النتائج.

ثامناً: والأهم من كل ذلك «المُدرِّس» الذي يشكل اللبنة الأولى والأساسية في إنجاح أيِّ عمل تدريسي، فهو المعلِّم والموجِّه والمؤثِّر في دارِسِه. وكلما كان هذا المدرِّس

تتجلَّى أهمية دراساته في أنه يُنمِّي الذوق الأدبي ويوسع آفاق النقاد والدارسين للآداب القومية والعالمية، ويحدد لهم مدى ((الابتكار والأصالة في الأعمال الفنية أو مدى اعتمادها على التقليد))[٣٢]. والأهم من هذا وذاك أنَّه يسهم في الكشف عن هوية الأدب القومي ويُبيِّن موقعه بين الآداب العالمية الأخرى.

ومن هنا فإنَّ ما نطمح إليه في عصرنا الراهن هو أدب عربي مقارن، مبني على أسس سليمة، تكون بصمتنا العربية المتميزة فيه هي البصمة الواضحة والبارزة لا بصمة غيرنا. أدب عربي مقارن يُمكِّننا من رؤية أنفسنا ومعرفتها أولا، ويُمكِّننا - ثانياً - من رؤية الآخرين والتعرف إليهم دون خوف أو انبهار أو دونية، ويُبيِّن لنا مالنا وما علينا.

ولكي نحقق ذلك، ويكون لدراسة الأدب المقارن في جامعاتنا العربية عامة، وجامعات دول شبه الجزيرة العربية خاصة جدواها وفائدتها، فإنَّه يحسُنُ بنا أن نبني الأساس المتين الذي يُشاد عليه صرح هذا الأدب الذي نطمح إليه. والسبيل إلى ذلك واضح وسهل لمن أراد البناء والتشييد، والإمكانات موفورة في هذه الجامعات، وما علينا إلاَّ أن نحدد معالم هذا الطريق الذي يجب أن نسلكه، ونخطو الخطوات الجادة من أجل بلوغ ما نريد. وهذه الخطوات تتمثل في:

أولاً: العمل على أن يكون الأدب المقارن مادة إجبارية في جامعات دول شبه الجزيرة العربية كلها. ذلك أنَّ الأدب المقارن ما يزال في بعض هذه الجامعات مقرراً هامشياً، كما هو الشأن في جامعات الكويت والبحرين والإمارات العربية المتحدة، أو - ربَّما - عديم الفائدة في بعضها الآخر. ومن ثَمَّ فإنَّ الطالب يتخرج في الجامعة وهو يجهل هذا الأدب وفوائد دراسته.

ثانياً: العمل على تدريس الأدب المقارن في السنوات الأخيرة، وعلى مدى فصلين دراسيين على الأقل، لأنَّ الطالب - بما درسه في السنوات السابقة - يكون قد أحاط بموضوعات أدبه القومي، ومن ثَمَّ يسهل عليه تعرف النظريات الجديدة في الأدب

الحواشي والتعليقات:

١- انظر فان تيجم: الأدب المقارن. ترجمة (الدكتور سامي الدروبي)، دار الفكر العربي، القاهرة، بلا تاريخ، ص ١٨. وانظر كذلك بيير برونيل، كلود بيشوا، أندريه ميشيل روسو: ما الأدب المقارن؟ ترجمة الدكتور غسان السيد، دار علاء الدين، دمشق ١٩٩٦، ص ١٨. وانظر أيضاً دانييل - هنري باجو: الأدب العام والمقارن. ترجمة الدكتور غسان السيد، اتحاد الكتاب العرب، دمشق ١٩٩٧، ص ١٣.

٢- انظر عطية عامر: ((تاريخ الأدب المقارن في مصر))، في أعمال الملتقى الدولي حول الأدب المقارن عند العرب، عنابة ١٤- ١٩ ماي - أيار ١٩٨٣. ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ١٩٨٥، ص ٢٨. وانظر كذلك عز الدين المناصرة: المثاقفة والنقد المقارن - منظور إشكالي. المؤسسة العربية للدراسات، بيروت ١٩٩٦، ص ١٦٩.

٣- علي شلش : الأدب المقارن بين التجربتين الأمريكية والعربية. دار الفيصل الثقافية، الرياض ١٩٩٥، ص ٧٣.

٤- ظهر كتاب بول فان تيجم «الأدب المقارن» في باريس عام ١٩٣١، وصدرت ترجمته العربية الأولى عن دار الفكر العربي دون الإشارة إلى اسم المترجم ومكان النشر وتاريخه. ويُرجِّح الباحثون أنَّ مترجمه الدكتور سامي الدروبي، وأنَّه صدر في القاهرة عام ١٩٤٨. أمَّا ترجمته الثانية فظهرت في صيدا - بيروت، بلا تاريخ، ومترجمه سامي مصباح الحسامي.

٥- انظر عطية عامر، المرجع السابق، ص ٣٣ وما بعدها.

٦- انظر عطية عامر، المرجع السابق، ص ٣٦ وما بعدها. وكذلك حسام الخطيب: آفاق الأدب المقارن عربياً وعالميا. دار الفكر المعاصر، دمشق - بيروت ١٩٩٢، ص ١٨٤ وما بعدها.

٧- حسام الخطيب: ((الأدب المقارن، البداءات والتطورات الأولى)). في: أعمال الملتقى الدولي حول الأدب المقارن عند العرب، المرجع السابق، ص ٥٨.

٨- تمَّت صياغة الاستبانة الموجهة إلى رؤساء أقسام اللغة العربية في جامعات دول شبه الجزيرة العربية على النحو الآتي: «سعادة الدكتور رئيس قسم اللغة العربية حفظه الله، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

نهدي إلى سعادتكم أطيب التحية، وأسمى التقدير، ونودُّ الإفادة إلى أننا نقوم حالياً بدراسة لدور مادة (الأدب المقارن) في أقسام اللغة العربية في جامعات دول شبه الجزيرة العربية. ويستهدف

متمكناً من تخصصه، ومسيطراً على مادته، علمياً ومنهجيا، كان أثره كبيراً وفعالاً في دارِسِه. فالتخصص العلمي في ميدان الأدب المقارن مطلوب وضروري جدا، كما أنَّ المنهجية مطلوبة أيضاً وضرورية جداً. وإلاَّ فما فائدة التخصص عندما يفتقد إلى المنهجية؟

وقد لفت انتباهنا أنَّ جلَّ الأساتذة الذين يُدرِّسون الأدب المقارن في جامعات دول شبه الجزيرة العربية من غير المتخصصين في الأدب المقارن. ومن غير شكٍّ فإنَّ مثل هذا الأمر سيؤدي إلى خلل كبير في العملية التدريسية، وسيُسبب كثيراً من الصعوبات على الطالب والأستاذ معاً.

ولهذا فمن الواجب على القائمين في هذه الجامعات إيجاد أساتذة أكفاء للقيام بهذا الواجب التدريسي. كما يجب عليهم تأهيل مدرسين جديرين بحمل أعباء تدريس الأدب المقارن، وزيادة عدد الموفدين للتخصص في الأدب المقارن، كما يجب الاهتمام بعقد الندوات والمؤتمرات المتعلقة بالأدب المقارن لزيادة الخبرات والاستفادة من تجارب الآخرين ومعارفهم.

إنَّ هذه الخطوات، وهذه الاقتراحات كفيلة بنجاح تدريس الأدب المقارن في جامعات دول شبه الجزيرة العربية خاصة، وفي الجامعات العربية عامة، وتحقيق ما نصبو إليه من خير وفائدة لنا ولأبنائنا ولأدبنا العربي.

- هل يقتصر تدريس المادة على الجانب النظري أو على الجانب التطبيقي أو يجمع بينهما ؟
- يقتصر على الجانب النظري - يقتصر على الجانب التطبيقي - يجمع بينهما
- في الجانب التطبيقي هل تقتصر المقارنة على الأدبين العربي والغربي عموماً ؟ - نعم - لا
- أو تقتصر على الأدبين العربي والإنجليزي؟ - نعم - لا
- أو تقتصر على الأدبين العربي والفرنسي؟ - نعم - لا
- أو تشمل الأدب العربي والآداب الشرقية؟ - نعم - لا
- في الجانب النظري، ما الاتجاه السائد في دراسة الأدب المقارن في قسمكم ؟

هل هو الاتجاه الفرنسي؟ - نعم - لا

أو الاتجاه الأمريكي؟ - نعم - لا

أو غيرهما ؟ (فضلاً وضِّح)

- هل لدى سعادتكم أية معلومات أو اقتراحات تخدم موضوع البحث ؟

٩- وصلت إجابات هذه الجامعات إلينا على النحو الآتي:

- جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (فرع القصيم)، بتاريخ ٢٠٠٠/١/٢٩.
- كلية التربية للبنات (بريدة)، في شهر شباط من عام ٢٠٠٠.
- جامعة السلطان قابوس، بتاريخ ٢٠٠٠/٢/٢٢.
- جامعة الملك عبد العزيز، بتاريخ ٢٠٠٠/٢/٢٣.
- جامعة الإمارات، بتاريخ ٢٠٠٠/٢/٢٨.
- جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (فرع الأحساء)، بتاريخ ٢٠٠٠/٣/٤.
- جامعة الكويت، بتاريخ ٢٠٠٠/٣/٤.
- جامعة قطر، بتاريخ ٢٠٠٠/٣/٥.
- جامعة عدن، بتاريخ ٢٠٠٠/٣/٥.
- جامعة البحرين، بتاريخ ٢٠٠٠/٤/٢.
- جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (الرياض)، بتاريخ ٢٠٠٠/٤/٢٣.

وقد تأخَّر ردُّ جامعة الملك سعود إلى مطلع العام ٢٠٠١. وكذلك الأمر مع جامعة أمِّ القرى، التي وصل ردُّها بتاريخ ٢٠٠١/٣/٢٤.

١٠- آثرنا أن نكون أمينين على تسجيل أكبر قدر ممكن من إجابات الأساتذة رؤساء الأقسام وأساتذة مادة الأدب المقارن في هذه الجامعات، وذلك لفرادة هذه الاستبانة وأهميتها كوثيقة علمية، ولما تتضمنه من تنوع وغنى في الآراء والمقترحات المفيدة لبحثنا خاصة وللأدب العربي المقارن عامة.

١١- كان الدكتور أحمد الطامي واحداً من طلاب الدكتور الساسي في ذلك الوقت، وقد طلب الدكتور

البحث استجلاء موقف هذه المادة في الدراسات الأدبية الجامعية، وذلك من خلال الاستبانتين المرفقتين.

نرجو تكرم سعادتكم بالمساعدة في إنجاز هذه الدراسة، وذلك من خلال إجابة سعادتكم – بصفتكم رئيساً لقسم اللغة العربية– عن الاستبانة الخاصة برؤساء أقسام اللغة العربية وإجابة أصحاب السعادة أساتذة مادة (الأدب المقارن) في قسمكم الموقر عن الاستبانة الخاصة بمادة الأدب المقارن...

استبانة خاصة بالسادة رؤساء أقسام اللغة العربية

سعادة الدكتور رئيس قسم اللغة العربية الموقر..

يُرجى التفضل بالإجابة عن أكبر قدر ممكن من الأسئلة:

– الاسم، اسم الجامعة، القسم

– هل الأدب المقارن مادة مقررة في قسم اللغة العربية؟ نعم ، لا

– متى بدأ تدريسه في قسمكم؟

– في أي المراحل الجامعية تُدرَّس هذه المادة؟ – في مرحلة البكالوريوس– في مرحلة الدراسات العليا

– هل تُدرَّس هذه المادة بمستوى واحد أو بأكثر من مستوى ؟ – مستوى واحد

– أكثر من مستوى (فضلاً حدد العدد)

– هل هذه المادة مادة إجبارية تقع ضمن متطلبات التخرج أو اختيارية ؟ – إجبارية – اختيارية

– هل يُدرِّس هذه المادة أساتذة متخصصون في الأدب المقارن؟ – نعم – لا

– إذا كانت الإجابة بنعم ؟ ما عددهم؟

– ما التخصص الدقيق لكلٍّ منهم في الأدب المقارن؟

– هل بالإمكان تزويدنا بأسماء الأساتذة المتخصصين في الأدب المقارن في جامعتكم الموقرة الذين يمارسون التدريس؟

– هل يوجد في جامعتكم قسم للأدب المقارن؟ أو أنَّه تخصص تابع لقسم اللغة العربية؟

– هل لدى سعادتكم أية معلومات أخرى أو اقتراحات ترون أنَّها تخدم البحث ؟

استبانة خاصة بالسادة أساتذة مادة الأدب المقارن

الاسم، التخصص الدقيق، اسم الجامعة التي منحت الدكتوراه، عنوان أطروحة الدكتوراه، أبحاث وكتب من مؤلَّفاتكم في مجال الأدب المقارن

– ما المرجع الرئيس (أو المراجع الرئيسة) لمادة الأدب المقارن في قسمكم ؟

– ما المفردات الرئيسة لموضوعات مادة الأدب المقارن ؟

هذا اقتصرنا على دراسة واقع الأدب المقارن في أقسام اللغة العربية في دول شبه الجزيرة العربية فقط.

١٨- تجدر الإشارة إلى أنَّ بعض هؤلاء الأساتذة غير المتخصصين يحمل درجات علمية قريبة في واقعها من الأدب المقارن، ولكنها في كل الأحوال تخصصات مستقلة عن الأدب المقارن، ولا يمكن تصنيفها ضمن تخصص الأدب المقارن. من ذلك مثلاً التخصصات الآتية: اللغة الفارسية وآدابها، الآداب الأندلسية ـ الإسبانية. كما أنّ قسماً من هؤلاء الأساتذة كان له نصيب التأليف والدراسات في الأدب المقارن. على أنّ مثل هذا لا يؤهل صاحبه أن يكون من المتخصصين في مثل هذا الميدان.

١٩- علمنا من الدكتور حسام الخطيب أنَّ الدكتور عبد العزيز بقوش ترك جامعة قطر في العام الدراسي ٢٠٠٠ - ٢٠٠١. ويستقل الدكتور الخطيب - حالياً - بتدريس المقرر في القسم.

٢٠- يمكن الرجوع إلى قوائم المؤلَّفات والمراجع في الأدب المقارن التي أعدها كلٌّ من الأساتذة:

- الدكتور سعيد علوش في كتابه: مكونات الأدب المقارن في العالم العربي. الشركة العالمية للكتاب، بيروت، وسوشبريس، الدار البيضاء ١٩٨٧.
- الدكتور حسام الخطيب في كتابه: آفاق الأدب المقارن عربياً وعالمياً . دار الفكر المعاصر، دمشق، بيروت ط١ ١٩٩٢، ط٢، ١٩٩٩.
- الدكتور علي شلش في كتابه: الأدب المقارن بين التجربتين الأمريكية والعربية. دار الفيصل الثقافية، الرياض، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م.
- الدكتور عز الدين المناصرة في كتابه «المثاقفة والنقد المقارن، منظور إشكالي». المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٩٦.

ونودّ الإشارة هنا إلى أن التسعينات ومطلع عام ٢٠٠٠ شهدت ظهور عدد مهم من المؤلفات النظرية العربية والأجنبية المترجمة في الأدب المقارن، من أهمها:

- دراسات في الأدب المقارن. ترجمة الدكتور محمد الخزعلي، إربد، الأردن، ١٩٩٥.
- الأدب المقارن. إعداد الدكتور يوسف بكار والدكتور خليل الشيخ، منشورات جامعة القدس المفتوحة، عمان، الأردن ١٩٩٦.
- ما الأدب المقارن؟ تأليف بيير برونيل، وكلود بيشوا، وأندريه ميشيل روسو، ترجمة الدكتور غسان السيد، دار علاء الدين، دمشق ١٩٩٦.
- الأدب العام والمقارن. تأليف دانييل ـ هنري باجو، ترجمة الدكتور غسان السيد، منشورات اتحاد العرب، دمشق ١٩٩٧.

الساسي منه العودة إلى ما دوَّنه من مراجع ومفردات، كان الدكتور الساسي قد أملاها عليه وعلى زملائه حينذاك.

١٢- لم يشر الدكتور سليمان العايد في إجابته عن الاستبانة إلى أنَّ الأدب المقارن مقرر دراسي إجباري أيضاً في المرحلة الأولى. إلاَّ أنَّه أكَّد ذلك لنا لاحقاً عبر اتصالنا الهاتفي به للاستفسار عن بعض الأمور التي وردت في إجابته، وفيما يتعلق بعدد مُدرِّسي الأدب المقارن الذين أجابوا عن الاستبانة في جامعة أُمِّ القرى.

١٣- لم تُجِب الدكتوره رئيسة قسم اللغة العربية في جامعة قطر عن الاستبانة الموجهة إليها. ومثل هذا الأمر يحول دون معرفة بداية تدريس هذا المقرر في جامعة قطر، وفي أي المراحل يُدرَّس، والمستويات التي يُدرَّس فيها، وهل هو مقرر إجباري أو اختياري.
وللتثبُّت من واقع مقرر الأدب المقارن في هذه الجامعة لجأنا إلى الاتصال المباشر بالدكتور حسام الخطيب أستاذ المقرر، الذي أفادنا – مشكوراً - بالآتي: ((يُدرَّس الأدب المقارن في المرحلة الجامعية الأولى، وفي فصل دراسي واحد، وبمعدل ثلاث ساعات أسبوعية، وهو مقرر إجباري. وقد أشار إلى أن الأدب المقارن في هذه الجامعة كان يقدم من خلال مقررين: المقرر الأول: عربي أوروبي، والثاني: عربي فارسي. وأنَّ محاولات الدكتور حسام الخطيب - التي بدأت منذ خمس سنوات - من أجل توحيد المقررين قد آتت ثمارها في هذا العام (٢٠٠٠- ٢٠٠١)، وأصبح الأدب المقارن ذا مفهوم واحد هو «الأدب المقارن» فقط)).

١٤- ليس هذا التاريخ الذي جاء في إجابة رئيس القسم بالجامعة دقيقا. فقد ذكر الدكتور عمر الطيب الساسي في رسالته أنه كان يُدرِّس المادة في جامعة أم القرى (وكانت تتبع جامعة الملك عبد العزيز آنئذ) عام ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م، وربما كانت البداية قبل هذا التاريخ.

١٥- وصلت إجابة الدكتوره رئيسة القسم في شباط من عام ٢٠٠٠ وهذا يعني أن المادة قُرِّرت «تقريباً» منذ عام ١٩٩٧. وفيما يخص تدريسها في مرحلة البكالوريوس فالواقع ـ كما ذكر لنا أستاذ المادة الدكتور زهران وغيره من الأساتذة في الكلية ـ يشير إلى أن الأدب المقارن لا يُدرَّس إلاَّ في الدراسات العليا فقط.

١٦- انظر هذه الدراسة في: عز الدين المناصرة: المثاقفة والنقد المقارن ـ منظور إشكالي. المرجع السابق، (ص١٦٩ ـ ١٩٣).

١٧- نودُّ الإشارة إلى أن أقسام اللغة العربية في جامعات الوطن العربي لا تنفرد وحدها بتدريس الأدب المقارن. وإنما هناك أقسام أخرى في هذه الجامعات، أو بعضها، تُدرِّس مادة الأدب المقارن، كأقسام اللغة الفرنسية والإنجليزية والألمانية أو أقسام اللغات الأوربية. وتجدر الإشارة أيضاً إلى أنَّ هناك جامعات عربية في شمال أفريقيا كانت تُدرِّس الأدب المقارن باللغة الفرنسية. وفي بحثنا

بعدها. وقد ترجم الدكتور شفيع السيد مقالة رينيه ويلك «الأدب المقارن: اسمه وطبيعته» بعنوان «مصطلح الأدب المقارن وطبيعته» ونشرها في مجلة «الكاتب» المصرية، القاهرة، في عدد فبراير ومارس من عام ١٩٧٦. ثم نشرها في كتابه: فصول من الأدب المقارن. دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٩٠، ص٧ ـ ٤١.

٢٩- انظر التعليق السابق.

٣٠- انظر التعليق نفسه.

٣١- تجدر الإشارة إلى أن الدكتور حسام الخطيب هو أول من عرَّف بريماك وباتجاهه المقارن في الوطن العربي وذلك من خلال نشر سلسلة من المقالات بعنوان «الأدب المقارن بين التزمت المنهجي والانفتاح الإنساني» في مجلة المعرفة السورية، دمشق، الأعداد (٢٠٤)، ٢/١٩٧٩، (٢٠٥-٢٠٦) ٣-٤/١٩٧٩، (٢٠٧)، ٥/١٩٧٩. والقسم الأول من هذه السلسلة يُعرِّف بالمشكلة المنهجية للأدب المقارن، أما القسم الثاني فهو ترجمة دقيقة لنظرية هنري ريماك. وقد نشر الدكتور حسام الخطيب هذه السلسلة من المقالات في كتابه: الأدب المقارن:ج١: في النظرية والمنهج، جامعة دمشق ١٩٨١. وفي كتابه: آفاق الأدب المقارن عربياً وعالميا. المرجع السابق، ط١، (ص٣٥ – ٥٥)، ط٢،(ص٥٠ – ٧٥) مع بعض التعديلات في الترجمة. وقد قام بترجمة مقالة ريماك «الأدب المقارن: تعريفه ووظيفته» كاملة الدكتور فؤاد عبد المطلب،ونشرها في «الآداب الأجنبية»، دمشق، العدد ٧٤، ربيع ١٩٩٣، (ص٢٥ـ٥٦).

٣٢- حسام الخطيب: آفاق الأدب المقارن عربياً وعالمياً. المرجع السابق، ط٢، ص ٣٧.

- الوجيز في الأدب المقارن. تأليف عدد من المقارنين الفرنسيين، بإشراف بيير برونيل، وإيف شيفريل، ترجمة الدكتور غسان بديع السيد، دمشق ١٩٩٩.
- الأدب المقارن، مقدمة نقدية. تأليف سوزان باسنيت، ترجمة أميرة حسن نويرة. المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة ١٢٨، القاهرة ١٩٩٩.
- الأدب المقارن، مشكلات وآفاق. تأليف الدكتور عبده عبود. منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق ١٩٩٩.
- الأدب المقارن، مدخلات نظرية ونصوص ودراسات تطبيقية. تأليف الدكتور عبده عبود، والدكتوره ماجدة حمود، و الدكتور غسان السيد. منشورات جامعة دمشق، ٢٠٠٠ - ٢٠٠١.

٢١- انظر هذا الخطأ الذي وقعت فيه جامعة الملك سعود (الكتب المقررة والمراجع - نموذج وصف مقرر دراسي). وكذلك الخطأ نفسه الذي كررته الدكتوره صفاء مصطفى أبو طالب عند ذكرها قائمة المراجع في تدريس الأدب المقارن.

٢٢- يوجد نموذج وصف مقرر دراسي في جامعة الملك سعود قسم اللغة العربية وآدابها. إلاَّ أن الأساتذة المدرسين- على ما يبدو- لا يتقيدون به. انظر إجابة الأساتذة عن الاستبانة.

٢٣- يبرز الاتجاه السلافي عند الدكتور الرشيد بوشعير، أستاذ مقرر الأدب المقارن في جامعة الإمارات العربية المتحدة. أما الاتجاه الألماني فيبرز لدى الدكتور نذير العظمة، أستاذ مقرر الأدب المقارن في جامعة الملك سعود.

٢٤- من هؤلاء المقارنين المتميزين في الوطن العربي الدكتور حسام الخطيب.

٢٥- تمَّ استنتاج ذلك من رسالة الدكتور عمر الطيب الساسي، الذي يُدرِّس الأدب المقارن في هذه الجامعة منذ ربع قرن، فهو لم يُغيِّر في مفردات المقرر شيئاً كما يفهم من رسالته. ومن المعروف أنَّ الاتجاه الفرنسي هو الاتجاه السائد في الدراسات العربية في ذلك الوقت.

٢٦- قام بترجمة هذا الكتاب، للمرة الأولى، الدكتور محمد غلاب، وصدر ضمن سلسلة الألف كتاب في القاهرة عام ١٩٥٦. وفي المرة الثانية ترجمه هنري زغيب، وصدر ضمن سلسلة «زدني علماً»، منشورات عويدات، بيروت ـ باريس، عام ١٩٧٨.

٢٧- كتاب «نظرية الأدب» من تأليف رينيه ويلك وأوستن وارين، وقد ظهرت ترجمته العربية الأولى في دمشق عام ١٩٧٢، وقد ترجمه محيي الدين صبحي وراجعه الدكتور حسام الخطيب.

٢٨- انظر ترجمة هذه المقالات في كتاب: مفاهيم نقدية. تأليف رينيه ويلك، ترجمة: محمد عصفور. سلسلة عالم المعرفة -١١٠، الكويت ١٩٨٧. ولمزيد من المعلومات عن هذه المقالات راجع كتاب الدكتور علي شلش: الأدب المقارن بين التجربتين الأمريكية والعربية، المرجع السابق، ص٣٦ وما

Theorization and Application in the Historiography of Ibn Khaldoon Readings in the "Muqaddimah"

Dr. Jamil Musa Al- Najjar

Abstract

The historiographical thought of Ibn Khaldoon formed an important aspect of the comprehensive, creative aspect thought of that well-known Arab scholar. But the historical aspect of that comprehensive, creative thought has not got the attention it deserves by historians. There are still many issues connected, for example, with the historical method and criticism which are in need of more research.

This study deals with the method of Ibn Khaldoon in his review of the historical events included in his "Muqaddimah", which he used as evidence of the mistakes made by his antecedent historians, their inaccuracy in transmitting the historical events, and their lack for criticizing mechanisms. Ibn Khaldoon made his "Muqaddimah" to be a criterion for writing correct history, in all its topics on top of which was "the science of urbanization" known today as sociology. But when he dealt with those historical events that his antecedent historian erroneously recorded, according to his point of view, he often contradicted the criteria he used in his "Muqaddimah" to act as instructions for historians in writing correct history void of mistakes, exaggerations, and lies, which he did not comply with. So Ibn Khaldoon theorized something, and practiced something else. The current study tries to clarify this contravention. It gives examples of the historical events and issues Ibn Khaldoon dealt with in the "Muqaddimah". It shows how he explained, surveyed, and analyzed in a way far from the criteria he put so that these criteria would be used by the historians who would come later. Prior to discussing these examples, this paper has dealt with criticism explaining its significance in history writing. Then it has surveyed Ibn Khaldoon's classification of historians and his criticism of their work and the reasons behind the faults in their work followed by the criteria he put to correct those mistakes. Then the paper discusses the extent Ibn Khaldoon adhered to those criteria in his history book "Al-Ibar". In another section the extent of applying these criteria in the "Muqaddimah" has been discussed to form the main topic of this study.

التنظير والتطبيق في العمل التأريخي الخلدوني
قراءات في المقدمة

د. جميل موسى النجار *

الملخص:

شكل الفكر التاريخي الخلدوني جانباً مهماً من جوانب الفكر الإبداعي الشامل للعالم العربي الشهير ابن خلدون. بيد أن الجانب التاريخي من ذلك الفكر الإبداعي الشامل لم يحظ بما يستحقه من اهتمام من قبل المؤرخين، إذ ما زالت فيه قضايا كثيرة متصلة، مثلاً، بالمنهج والنقد التاريخيين بحاجة إلى مزيد من البحث. وجاءت هذه الدراسة لتتناول منهج ابن خلدون في عرضه للأحداث التاريخية التي ضمنها مقدمته، وهي أحداث استشهد بها كأمثلة على أخطاء المؤرخين السابقين له وعدم دقتهم في نقل الأحداث وافتقادهم لآليات نقدها. وقد وضع ابن خلدون مقدمته؛ لتكون معياراً لكتابة تاريخ صحيح بمواضيعها كافة، وأهمها (علم العمران) الذي يعرف اليوم بعلم الاجتماع. إلا أنه حينما عالج تلك الأحداث التاريخية، التي أخطأ في نقلها المؤرخون السابقون له من وجهة نظره، خالف في كثير من الأحيان المعايير التي وضعها في مقدمته؛ ليسترشد بها المؤرخون في كتابة تاريخ صحيح خال من الأخطاء والمبالغات والأكاذيب، ولم يسترشد هو نفسه بها، فنظّر لشيء، وطبق شيئاً آخر. وتلك مفارقة اضطلع بحثنا هذا بتوضيحها، فتناول أمثلة للأحداث والقضايا التاريخية التي عالجها ابن خلدون في مقدمته، وبيّن أنه فسرها واجتهد في عرضها وتحليلها بشكل يبتعد عن المعايير المتعددة ذاتها التي ضمنها مقدمته؛ ليعتمدها المؤرخون من بعده. على أن بحثنا قبل تناوله لتلك الأمثلة قد تطرق إلى النقد فأوضح أهميته لكتابة التاريخ، ثم عرض تصنيف ابن خلدون للمؤرخين ونقده لهم، وما يراه من أسباب للأخطاء التي وقعوا فيها، والمعايير التي نظّر لها؛ لتصحيح تلك الأخطاء، ومدى تطبيق ابن خلدون لتلك المعايير على كتابه في التاريخ (العبر)، ثم، في مبحث آخر، مدى تطبيقها على (المقدمة)؛ ليشكل هذا المبحث الموضوع الرئيس لهذه الدراسة.

---

* *أستاذ التاريخ المساعد ورئيس قسم التاريخ، بكلية المأمون، جامعة بغداد.*



وشارل سينوبوس C. Seignobos)، فــ "العمل في التاريخ عمل نقدي من الطراز الأول"[٢]كما يقرر هذان المؤرخان. ولا يجب أن يظن ظان أننا نريد لنقدنا التاريخي أن يعتمد ثوابت العقل فحسب دون ثوابت الوحي ومعاييره كما فعل النقد الأوروبي. فهذا أمر لا نقصده، وهو إن صلح لأوروبا فهو لا يصلح لنا، ذلك أن أوربا حينما نفضت يدها من الدين، في الدراسات التاريخية وسواها، كانت تريد التخلص من قيوده وسطوة رجاله التي كبلتها طوال العصور الوسطى، على حين لم يضع ديننا أية قيود تحول دون النهضة والأخذ بأسباب التقدم والرقي، لا بل أن الازدهار الحضاري الذي عرفناه في الماضي كان مرتبطاً بالوحي وجاء في أعقاب نزوله، واستمد قوة انطلاقته من روح الإسلام التي تدعو إلى العمل والإبداع.

وقد دعا ابن خلدون[٣] قبل ستة قرون تقريباً إلى مثل هذا النقد العقلي لمرويات التاريخ العربي الإسلامي[٤]، بعد أن تنبه لمواطن الضعف التي اتصفت بها أعمال كثير من الذين قاموا بتدوين التاريخ. ونظّر في مقدمته المشهورة ليس لهذا النقد التاريخي فحسب، بل لمجمل عمل المؤرخ، بما يمكن اعتباره (منهجاً خلدونياً في البحث التاريخي)، وذلك ما حدا بنا إلى وضع دراسة استخرجت آراء ابن خلدون في قواعد كتابة التاريخ، وقابلتها بمنهج البحث التاريخي الحديث[٥]. وقد أبرزنا في هذه الدراسة سبق هذا العالم العربي للمؤرخين الأوروبيين في تصور أساسيات البحث التاريخي وأصوله والتقنين لها. ودعونا فيها إلى بلورة منهج عربي في البحث التاريخي يلائم طبيعة دراساتنا التاريخية اعتماداً على ما أورده ابن خلدون من آراء بهذا الشأن، وذلك عند تحريه في المقدمة أخطاء المؤرخين وتلفيق بعضهم للأخبار، وفي وضعه لمعايير تمييز صحيح الأخبار من فاسدها، وفي مقدمتها معيار (العمران). إلا أن ابن خلدون لم يحفل كثيراً بأمر تطبيق ما نظّر له في مقدمته من قواعد ومعايير، سواء على تاريخه (العبر)، أو على الأحداث التاريخية التي عالجها في المقدمة نفسها كأمثلة على أخطاء المؤرخين وأكاذيبهم. وقد اضطلع هذا البحث

المقدمة.. في أهمية البحث وأبعاده

لا شك أن تاريخنا العربي الإسلامي يحتاج، في كثير من أحداثه وأساليب تدوينه، إلى مراجعة تكشف عن حقيقة الأحداث، وتبرز مواضع الأخطاء التي شابت عمل المؤرخين سهواً أو عمداً. ولا يمكن لمثل هذه المراجعة أن تتم دون نقد حرّ نزيه لتلك الأحداث والأساليب. وإذا كان المؤرخون العرب المسلمون قد وقعوا في كثير مما دونوه تحت تأثير الأيديولوجيا الرسمية، ولم يتعاملوا بوضوح، من جانب آخر، مع أوجه النقد التاريخي المتعددة عدا نقد السند أو النقد الباطني السلبي في اصطلاحنا الحالي، فإن عُقُلهم تلك مرفوعة عنا، ويجب ألا تقيد دراساتنا التاريخية التي لا تزال تفتقر، وكما يقرر الدكتور عبد الرحمن بدوي، إلى "النقد العلمي النزيه المتمرس بطرق البحث العلمية"[(١)].

إن آلية النهضة التي نروم يكمن جزء منها في ممارسة النقد كما نرى.. النقد الذي يقوّم واقعنا، ويفسر كثيراً من مظاهر جموده وتخلفه من خلال تقويمه للماضي وأحداثه لوشائج الارتباط الوثيق التي تجمع بينهما، إذ يبدو أن أسباب العديد من مظاهر الجمود والتقليد والتراجع تعود إلى تلك الصور المصنعة، والقوالب الفكرية والسياسية والاجتماعية التي أورثها لنا التاريخ، ومن ساهم في صنعه وتدوينه حكاماً ومؤرخين، وآخرين متطوعين غافلين، أو ذوي أغراض. ودراساتنا التاريخية المعاصرة لا يمكن لها أن تتخلى عن مسئولياتها تجاه هذه المهمة إذا أردنا لأنفسنا تاريخاً علمياً له حظ متميز في النهضة ودور فاعل في خلقها. ولا يعيبنا أن نتأسى بالتاريخ الذي بدأت أوروبا بصنعه منذ التحول إلى التاريخ الدنيوي ونقد (لورنزا فاله Lorenzo Valla) في القرن الخامس عشر إلى أن أصبح التاريخ علماً مهماً في أواخر القرن التاسع عشر، مروراً بالدراسات التاريخية المتميزة لعصر التنوير. وكل ذلك التاريخ كان يعتمد النقد العقلي الذي بدأ بمحاولة (فاله) وانتهى بالقواعد النقدية، العقلية والعملية، التي وضعها المؤرخان الفرنسيان (شارل لانغلو C. Langlois

أسباب الأخطاء ومعايير التصحيح

يرجع ابن خلدون الأخطاء التي وقع فيها المؤرخون، والأكاذيب التي تردى فيها بعضهم إلى أسباب وعوامل متعددة، يمكن تصنيفها إلى مجموعات ثلاث، وترتيبها بحسب أهميتها عنده، وهي:-

أولاً- الجهل بطبائع الأحوال في العمران: والعمران هو الاجتماع البشري كما يقرر صاحب المقدمة، وجهل المؤرخ بطبيعة الظواهر الاجتماعية وكيفيات حدوثها يفضي به إلى نقل الأخبار والروايات الخاطئة، ومن ثم يلزمه تمحيص ما ينقل "وتمحيصه إنما هو بمعرفة طبائع العمران، وهو أحسن الوجوه وأوثقها في تمحيص الأخبار وتمييز صدقها من كذبها، وهو سابق على التمحيص بتعديل الرواة. ولا يرجع إلى تعديل الرواة حتى يعلم أن ذلك الخبر في نفسه ممكن أو ممتنع، وأما إذا كان مستحيلاً فلا فائدة للنظر في التعديل والتجريح"[١١]. وأسباب الكذب التي عددها ابن خلدون كثيرة، ولكنه ذكر أن "من الأسباب المقتضية له أيضاً، وهي سابقة على جميع ما تقدم الجهل بطبائع الأحوال في العمران"[١٢].

ومن ثم فإن المعيار الأول الذي تقاس عليه الأخبار التاريخية هو العمران و(المطابقة) مع ظواهره. وهو عند ابن خلدون (قانون) تمييز صحيح الأخبار التاريخية من زائفها، ودافعه الأساسي لتأليف المقدمة لكي يعتمده المؤرخون في عملهم، حيث يقول: "وأما الأخبار عن الواقعات فلا بدّ في صدقها وصحتها من اعتبار المطابقة. فلذلك وجب أن ينظر في إمكان وقوعه... وإذا كان ذلك فالقانون في تمييز الحق من الباطل في الأخبار بالإمكان والاستحالة أن ننظر في الاجتماع البشري الذي هو العمران، ونميز ما يلحقه من الأحوال لذاته وبمقتضى طبعه، وما يكون عارضاً لا يعتد به، وما لا يمكن أن يعرض له. وإذا فعلنا ذلك كان لنا قانوناً في تمييز الحق من الباطل في الأخبار والصدق من الكذب بوجه برهاني لا مدخل للشك فيه. وحينئذ

بمهمة دراسة منهج ابن خلدون في معالجته للأحداث التاريخية التي ذكرها في مقدمته، والتي ساقها كأمثلة على أخطاء المؤرخين السابقين له، وعدم دقتهم في نقل الأحداث وانعدام مقدرتهم على نقدها، ومن ثم وضعه لمعايير منهجية ونقدية كيما يعتمدها المؤرخون؛ لتحاشي الوقوع في أخطاء السابقين.

المؤرخون السابقون.. تصنيف ونقد

قسم ابن خلدون في بداية عمله النقدي والتنظيري المؤرخين العرب المسلمين إلى طبقات ثلاث.. أولاها طبقة الثقات أو الفحول "الذين ذهبوا بفضل الشهرة والأمانة المعتبرة" و "هم قليلون لا يكادون يجاوزون عدد الأنامل"[٦] كابن اسحق وابن الكلبي والطبري والمسعودي و"غيرهم من المشاهير المتميزين من الجماهير"[٧]. ولكنه حتى هؤلاء لا يمكن الاطمئنان تماماً إليهم، ويجب عدم استبعاد رواياتهم عن النقد الذي يرتكز على معيار (العمران)، حيث يقول ابن خلدون: إن "الناقد البصير قسطاس نفسه في تزييفهم فيما ينقلون أو اعتبارهم، فللعمران طبائع في أحواله ترجع إليها الأخبار وتحمل عليها الروايات والآثار"[٨]. أما الطبقة الثانية فهي طبقة (المتطفلين) الذين خلطوا أخبار الثقات "بدسائس من الباطل وهموا فيها أو ابتدعوها. وزخارف من الروايات المضعفة لفقوها ووضعوها"[٩]. والطبقة الثالثة تمثلها بقية المؤرخين الذين اقتفوا آثار المتطفلين، ونقلوا أخبارهم دون نقد وتمحيص، فهم متطفلون على المتطفلين "لم يلاحظوا أسباب الوقائع والأحوال ولم يراعوها. ولا رفضوا ترهات الأحاديث ولا دفعوها. فالتحقيق قليل، وطرف التنقيح في الغالب كليل، والغلط والوهم نسيب للأخبار وخليل، والتقليد عريق في الآدميين وسليل، والتطفل على الفنون عريض وطويل، ومرعى الجهل بين الأنام وخيم وبيل. والحق لا يقاوم سلطانه، والباطل يقذف بشهاب النظر شيطانه، والناقل إنما يملي وينقل، والبصيرة تنقد الصحيح إذا تمقل، والعلم يجلو لها صفحات الصواب ويصقل"[١٠].

ثم يفضي به ذلك إلى الكذب، بقصد أو بغير قصد، إذ إن من جملة عوامل الكذب "التشيعات للآراء والمذاهب، فإن النفس إذا كانت على حال الاعتدال في قبول الخبر أعطته حقه من التمحيص والنظر حتى تتبين صدقه من كذبه، وإذا خامرها تشيع لرأي أو نحلة قبلت ما يوافقها من الأخبار لأول وهلة، وكان ذلك الميل والتشيع غطاء على عين بصيرتها عن الانتقاد والتمحيص فتقع في قبول الكذب ونقله"[١٦].

ولكن عدم الموضوعية التي تؤدي إلى الأكاذيب والأخطاء لها أسباب أخرى، منها "الثقة بالناقلين... والذهول عن المقاصد... وتوهم الصدق... و... الجهل بتطبيق الأحوال على الوقائع لأجل ما يداخلها من التلبيس والتصنع... و... تقرب الناس في الأكثر لأصحاب التجلة والمراتب بالثناء والمدح وتحسين الأحوال وإشاعة الذكر بذلك... فالنفوس مولعة بحب الثناء، والناس متطلعون إلى الدنيا وأسبابها من جاه أو ثروة، وليسوا في الأكثر براغبين في الفضائل ولا متنافسين في أهلها..."[١٧]. فإلى أي مدى، بعد ذلك كله، كان ابن خلدون ملتزماً بالدقة والموضوعية؟ ذلك ما ستعرفنا عليه قراءتنا لبعض الأحداث التاريخية التي عالجها في مقدمته.

ثالثاً- عدم مراعاة طبائع الموجودات: فأخطاء بعض المؤرخين ناتجة، كما يرى ابن خلدون، من جهل هؤلاء بقوانين الطبيعة، فالمؤرخ "يحتاج... إلى العلم بـ ... طبائع الموجودات"[١٨] ، أو "طبائع الكائنات" كما يسميها في موضع آخر[١٩]. وعلى المؤرخ أن يتأكد من عدم مخالفة الخبر التاريخي الذي ينقله لقوانين الطبيعة، ذلك أن "كل حادث من الحوادث ذاتاً كان أو فعلاً (المتعلق بالإنسان أو بالمحيط الخارجي الطبيعي) لابدّ له من طبيعة تخصه في ذاته أو فيما يعرض له من أحواله، فإذا كان السامع عارفاً بطبائع الحوادث والأحوال في الوجود ومقتضياتها، أعانه ذلك في تمحيص الخبر على تمييز الصدق من الكذب"[٢٠]. وقد أورد ابن خلدون أمثلة عديدة للأخطاء الناجمة عن الجهل بقوانين الطبيعة[٢١].

فإذا سمعنا عن شيء من الأحوال الواقعة في العمران علمنا ما نحكم بقبوله مما نحكم بتزييفه، وكان ذلك لنا معياراً صحيحاً يتحرى به المؤرخون طريق الصدق والصواب فيما ينقلونه. وهذا غرض الكتاب الأول من تأليفنا"(١٣). وقد جاءت جميع مباحث المقدمة، بما حوته من أفكار ونظريات وقوانين عن المجتمع والسياسة والاقتصاد ونظام الدولة وغيرها من جوانب، لتكون معياراً للمؤرخين كما أراد لها مؤلفها. بيد أننا سنلاحظ أن ابن خلدون قد خالف نظرياته في معيار العمران حينما عالج بعض أحداث التاريخ ورواياته التي ذكرها في المقدمة.

ثانياً- غياب الدقة والموضوعية: فالمؤرخ يجب أن يتصف بالدقة، فلا يبالغ في الأخبار حينما يذكرها، "وما ذلك إلا لولوع النفس بالغرائب، وسهولة التجاوز على اللسان"، وألا يكون غافلاً بحيث "لا يحاسب نفسه على خطأ ولا عمد، ولا يطالبها بتوسط ولا عدالة، ولا يرجعها إلى بحث وتفتيش، فيرسل عنانه، ويسوم في مراتع الكذب لسانه"(١٤). والدقة المفروضة في المؤرخ تقتضي "حسن نظر وتثبت يفضيان بصاحبهما إلى الحق، وينكّبان به عن المزلات والمغالط؛ لأن الأخبار إذا اعتمد فيها على مجرد النقل، ولم تحكم أصول العادة وقواعد السياسة وطبيعة العمران والأحوال في الاجتماع الإنساني، ولا قيس الغائب منها بالشاهد، والحاضر بالذاهب، فربما لم يؤمن فيها من العثور، ومزلة القدم والحيد عن جادة الصدق. وكثيراً ما وقع للمؤرخين والمفسرين وأئمة النقل المغالط في الحكايات والوقائع؛ لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غثاً أو سميناً، لم يعرضوها على أصولها، ولا قاسوها بأشباهها، ولا سبروها بمعيار الحكمة، والوقوف على طبائع الكائنات، وتحكيم النظر والبصيرة في الأخبار، فضلوا عن الحق، وتاهوا في بيداء الوهم والغلط"(١٥).

والموضوعية تستوجب قيام المؤرخ بتمحيص النص التاريخي وإخضاعه للنقد. وعدم القيام بهذا العمل يجعل المؤرخ يفهم النص بمنأى عن الموضوعية، وبشكل يتفق مع آرائه وأفكاره الذاتية، ولا يعبر عن المعنى الحقيقي الذي أراده واضع النص، ومن

في مقدمته، فأثبت بذلك أنه لم يكن مؤرخاً من مستوى متميز مختلف عن مستوى الكثيرين من أسلافه، وقد بات من الواضح لدى كثير من المؤرخين وسواهم[٢٥]، من الذين تعرفوا عن كثب على تاريخه، بأنه لم يلتزم بتطبيق تنظيراته المنهجية والنقدية التي وردت في المقدمة، والخاصة بالعمل التاريخي، على نفسه حينما كتب التاريخ، إذ ذكر في (العبر) أخباراً وروايات ضعيفة من المتعذر قبولها إذا طبقت عليها آليات وأدوات النقد وإثبات الحقائق التاريخية التي تطرق إليها في المقدمة ضمن حديثه عن أخطاء المؤرخين وأكاذيبهم، وفي مقدمتها جهلهم، كما يقول بطبائع العمران. "وقد أشار أحد الباحثين إلى أن ابن خلدون بمقدار ما يرتفع في نظريته الاجتماعية نراه يسف في تاريخه، إنه هناك في واد وهو هنا في واد آخر"[٢٦].

على أن الدكتور محمد عابد الجابري يردّ هذا التناقض الخلدوني بين (المقدمة) و(العبر) إلى عدم صلاحية معيار (العمران) للحكم على الأحداث التاريخية، وهو المعيار النقدي الأهم الذي يرى ابن خلدون أن غيابه عن المؤرخين السابقين له هو الذي أوقعهم في الأخطاء. ذلك أن العمران، حسب ما يراه الجابري، ليس عبارة عن قواعد منهجية، بل هو تفسير لأحداث تاريخية معينة، فهو يعتمد على التاريخ ولا يعتمد التاريخ عليه. ويجب أن تكو ن الأخبار التاريخية صحيحة لكي نتمكن من خلالها من التعرف على (طبائع العمران)، وعليه يكون التاريخ الصحيح معياراً للقواعد السليمة للعمران البشري. وقد أفضى هذا التحليل إلى تخطئة ابن خلدون حينما جعل العمران البشري معياراً أو مقياساً تقاس عليه صحة الأحداث التاريخية. وهو الذي أوقعه في التناقض بين التنظير لمعيار العمران في المقدمة وتطبيقه في العبر؛ إذ لم يستطع ابن خلدون أن يطبق هذا المعيار (المغلوط) على التاريخ الذي دونه؛ لأن القوانين التي وضعها للعمران لا تنطبق على أحداث تاريخية صحيحة كبرى لا تحتمل التأويل أو التحايل. ولما لم يكن ابن خلدون بقادر على أن يجعل لكل حدث منها قانوناً خاصاً؛ لأن ذلك يلغي علم العمران إذ لا علم إلا بالكلّي، فقد لجأ إلى ترك (طبائع العمران) جانباً، وشرع في كتابة التاريخ كما هو، وبالشكل نفسه

ثمرة النقد.. مدى التطبيق على (العبر)

لابدّ من التساؤل بعد ذلك كله.. ماذا بعد هذا النقد الخلدوني اللاذع للمؤرخين، وهذا البيان لطبيعة أخطائهم وأسبابها، وهذه المعايير التي وضعت لكتابة تاريخ صحيح يتصف بالدقة والموضوعية، ويبتعد عن الأكاذيب، ويتوقى الأخطاء؟ يتوقع المرء، جواباً عن ذلك، أن يكتب ابن خلدون في (العبر) تاريخاً لا تشوبه المآخذ التي أوردها في (مقدمة) العبر على من كتب التاريخ، بمن فيهم الثقات بحسب تصنيفه..

- فبعض الثقات من هؤلاء كالمسعودي والواقدي في كتبهم "من المطعن والمغمز ما هو معروف عند الأثبات "(٢٢). كما يقول ابن خلدون. ومن ثم فلا يشفع ما أقره هو لهم من شهرة وأمانة معتبرة واختصاص "الكافة... بقبول أخبارهم، واقتفاء سننهم في التصنيف واتباع آثارهم"(٢٣) ، لا يشفع لهم هذا عند من يريد أن يكتب تاريخاً صحيحاً، ويجب على من يرغب في ذلك أن يخضع رواياتهم للنقد ومعاييره الخلدونية.
- أما الباقون فهم بين كاذب ومتوهم، وجامع لهاتين الصفتين. فمنهم من يدس الخبر الصحيح بالزائف، أو يلفق ويضع الأخبار التي لا أساس لها، أو ينقل ترهات الأخبار والأحاديث دون تحقيق وتنقيح؛ توهماً وجهلاً منه أو تقليداً للسابقين. إلا أن الحق واضح ولا يقاوم سلطانه، وهو يفرض نفسه في نهاية الأمر على الباطل الذي يودي شيطانه بلمحات العقل ونظراته الصائبة. وقيام المؤرخ من هؤلاء بمجرد النقل عن الآخرين أمر غير جائز؛ إذ يجب أن ينقد المنقول ليميز صحيحه من سقيمه، وذلك على أساس من العلم الذي يجلو للبصيرة الصواب ويمهده لها. وكل هذه المعاني جلية في النصوص الخلدونية التي نقلناها آنفاً.

إلا أن ابن خلدون الذي كتب تاريخه (العبر وديوان المبتدأ والخبر...) قبل أن يكتب المقدمة(٢٤) قد وقع في الأخطاء نفسها التي وقع فيها المؤرخون الذين انتقدهم

التنظير، بل تجاوزه إلى معالجات واقعية، ولكن في قضايا متعددة أخرى: اجتماعية واقتصادية وسياسية وغيرها.

التناقض بين النظرية والتطبيق في المقدمة

إذا باتت مفارقة التنظير والتطبيق بين المقدمة والتاريخ واضحة ومعروفة بعد أن أشار إليها عديدون ممن محصوا تاريخ ابن خلدون، فإن وجود مثل هذه المفارقة في المقدمة نفسها، حيث يتجاور التنظير والتطبيق، أمر لم يتضح في دراسات الباحثين في الفكر الخلدوني، فقد أورد ابن خلدون في بداية مقدمته عدداً من الأخبار التاريخية التي استشهد بها كأمثلة على الأخطاء التي وقع فيها معاصروه من المؤرخين، والسابقون له منهم، لأن هؤلاء وأولئك، كما يقرر، لم يلتزموا بمعايير فحص الروايات التاريخية، وفي مقدمتها معيار (العمران)، ولم يراعوا الدقة والموضوعية وقوانين الطبيعة فيما نقلوه منها. بيد أنه، في تصحيحه لتلك الأخطاء وفي إعادة قراءته لتلك الأخبار والروايات، لم يراع غالباً القواعد والضوابط النقدية، (العمرانية) والموضوعية والطبيعية، التي نعى في المقدمة نفسها على المؤرخين أنهم لم يلتزموا بها. ولعله يمكن التماس العذر لمفارقة التنظير والتطبيق في تاريخ ابن خلدون دون مقدمته؛ لأنه –وكما سبق وأشرنا إليه– قد أتم كتابة تاريخه تقريباً قبل أن يشرع في كتابة المقدمة. ولكن مثل هذا العذر لا يمكن أن يساق لتبرير ابتعاد ابن خلدون عن تطبيق معايير كتابة التاريخ الصحيح ونقد الروايات التاريخية مما أثبته في المقدمة على ما أورده من روايات تاريخية فيها. ولكن ذلك لا يعني في الوقت نفسه أن كل معالجات ابن خلدون لتلك الروايات (الخاطئة) كانت بعيدة عن الضوابط والمعايير التي وضعها لكتابة تاريخ صحيح، إذ إن نقده لبعض الروايات كان موفقاً، ومتوافقاً مع تلك الضوابط والمعايير التي قررها، وخاصة ما استند فيه إلى النقد الذي يعتمد معيار (العقل) و(العادة)، كنقده وفقاً لهذين المعيارين لما أورده

الذي كتبه به أسلافه من المؤرخين[٢٧].

ولكن الجابري نظر إلى موضوع التناقض من جانب واحد، فأرجعه إلى عدم قدرة ابن خلدون على تطبيق طبائع العمران التي نظّر لها على التاريخ الذي كتبه، فجاء هذا التاريخ مماثلاً، في طبيعة أحداثه، لما كتبه السابقون. ولكن ماذا عن معياري الدقة والموضوعية، وقوانين الطبيعة؟ ألم يبتعد ابن خلدون قليلاً أو كثيراً عن التنظير الذي وضعه في المقدمة لهذين المعيارين، وعلى الأخص الأول منهما، حينما كتب التاريخ، بما يؤدي إلى التناقض أيضاً؟ وجواباً عن هذا التساؤل يبدو أن ابن خلدون إذا كان واعياً لمعيار القوانين الطبيعية عندما كتب التاريخ، فإنه قد غفل عن معيار الدقة والموضوعية في كثير من الأحداث التاريخية التي نقلها في تاريخه؛ "إذ روى أخباراً واهية عن مؤرخين سابقين عليه، وأخذها على أنها مسلمات صحيحة لا تقبل الجدل... والمستقصي لتاريخه يلحظ هذا بكثرة، وبخاصة في الجزء الذي كتبه عن أخبار المشرق العربي، وتاريخ البشرية القديم"[٢٨].

كما أن ابن خلدون لم يزد شيئاً مهماً في تاريخه على ما دونه المؤرخون الذين سبقوه إلا في إضافات انفرد بها عن تاريخ البربر خاصة. ولعل بعض هؤلاء قد بزه في مجال كتابة التاريخ. ولكنه حينما كتب (مقدمة) هذا التاريخ أفصح عن عبقريته الفكرية التنظيرية في مجال فلسفة التاريخ. وإلى هذا المعنى يشير المؤرخ الإنكليزي (روبرت فلنت R. Flint) بقوله: "إذا نظرنا إلى ابن خلدون كمؤرخ وجدنا من يتفوق عليه من كتّاب العرب أنفسهم، وأما كواضع نظريات في التاريخ، فإنه منقطع النظير في كل زمان ومكان"[٢٩]. ويمكننا أن نضيف إلى الحقيقة التي أثبتها فلنت -مع تحفظنا تجاه صفة الإطلاق فيها- عن تميز ابن خلدون كواضع لنظريات في التاريخ، حقيقة أخرى هي أن هذا الرجل كان متميزاً أيضاً، وعز نظيره بين الذين سبقوه والذين أعقبوه حتى القرن التاسع عشر، في ميدان الآراء التنظيرية الخاصة بأصول الدراسة التاريخية والنقد التاريخي، والتي تناثرت في تضاعيف نقده للمؤرخين. بيد أننا يجب أن نقرر، من جانب آخر، أن الأفق الفكري الرحب لابن خلدون لم يقتصر على

والثاني (الشرف والحسب)، فـ "الرياسة لابدّ وأن تكون موروثة عن مستحقها"[٣٨] ، ومثل هذا لا يتحقق للصيق النسب، فإذا اكتسب أحد شروط النسب لقوم بالتقادم فـ"ذلك لا يوجب له غلباً عليهم البتة"[٣٩] لأنه "إذا فرضنا أنه قد التحم بهم واختلط وتنوسي عهده الأول من الالتصاق، ولبس جلدتهم ودعي بنسبهم فكيف له الرياسة قبل هذا الالتحام أو لأحد من سلفه. والرياسة على القوم إنما تكون متناقلة في منبت واحد... و... مورثة عن مستحقيها"[٤٠]. ومن ثم لابدّ للرئاسة من الشرف والحسب، الذي يعني "أن يعدّ الرجل من آبائه أشرافاً مذكورين"[٤١]. والثالث (الغلب)، وهو شرط يضاف إلى الرئاسة العامة خاصة، كرئاسة ابن تومرت، "فلابدّ في الرياسة على القوم أن تكون من عصبية غالبة لعصبياتهم واحدة واحدة لأن كل عصبية منهم إذا أحست بغلب عصبية الرئيس لهم أقروا له بالإذعان والاتباع"[٤٢].

ومن ثم نرى أن التناقض واضح بين الخبر التاريخي الذي ناقشه ابن خلدون في مقدمته عن حقيقة رئاسة (المهدي) بن تومرت للموحدين، وبين شروط الرئاسة التي استخلصها من (طبائع أو قوانين العمران). فهل صلاح القصد وما يحكمه من قانون إلهي (سنة الله) هو الذي أوصل ابن تومرت إلى الرئاسة، أو الشروط الواقعية للرئاسة، والمستمدة من قوانين العمران الخلدوني؟ وهذه الشروط لم تتوافر في الواقع لابن تومرت، وخاصة شرط الشرف والحسب؛ لأنه "من أهل المنابت المتوسطة"[٤٣] ، حتى في حال صحة انتسابه إلى آل البيت؛ لأن نسبه هذا "كان... خفياً قد درس عند الناس وبقي عنده وعند عشيرته يتناقلونه بينهم، فيكون النسب الأول كأنه انسلخ منه... إذ هو مجهول عند أهل العصابة"[٤٤]. ومن جانب آخر إذا كان نجاح الدعوة هو مقياس صلاحها فكيف يستطيع ابن خلدون تطبيق هذا المقياس على الدعوات الناجحة التي هي فاسدة في نظره كدعوة الفاطميين، أو على الدعوات التي لم تنجح على الرغم من صلاحها الذي يقرره هو كدعوة الحسين بن علي بن أبي طالب[٤٥]؟

كذلك فقد خالف ابن خلدون ما نظّر له من (طبائع الأحوال في العمران) في كثير من عبارات وأفكار معالجته لقضية نكبة البرامكة. فقد نفى أن يكون سبب نكبتهم

المسعودي، وكثير من المؤرخين، عن عدد جيش بني إسرائيل في التيه، وعن وصول التبابعة إلى المغرب الأقصى وبلاد الروم وفارس وما وراء النهر والصين. وعن دواب البحر التي صدت الإسكندر ومنعته من بناء الإسكندرية، وتمثال الزرزور في روما، والمدينة ذات الأبواب، ومدينة النحاس[٣٠].

والروايات التاريخية التي عالجها ابن خلدون في مقدمته كأمثلة على سوء فهمها وتصويرها وخطأ المؤرخين فيها، والتي خالف في معالجتها وتصحيحها آراءه ومعاييره التقويمية، من (عمران) ودقة وموضوعية، هي روايات متعددة ولا سبيل إلى حصرها هنا. ومنها، على سبيل المثال، ما خالف فيه ابن خلدون معايير وقوانين (عمرانه). ومن هذا ما جاء في دفاعه عن محمد بن تومرت[٣١] زعيم الموحدين ضد "ما يتناوله ضعفة الرأي من فقهاء المغرب من القدح... ونسبته إلى الشعوذة والتلبيس... وتكذيبهم لجميع مدعياته في ذلك، حتى فيما يزعم الموحدون أتباعه من انتسابه إلى أهل البيت"[٣٢]. وهؤلاء الفقهاء إنما حملهم على ذلك هو الحسد وأغراض أخرى غيره. وابن تومرت قد نجح في دعوته، كما يقرر ابن خلدون، بعد التضحيات الكبيرة، حيث "تساقطت في ذلك من أتباعه نفوس لا يحصيها إلا خالقها"[٣٣] ، وبعد انقطاعه لهذه الدعوة وزهده في الحياة، وما كان عليه حاله "من التقشف والحصر والصبر على المكاره والتقلل من الدنيا"[٣٤]. ثم يدلل ابن خلدون على تقوى ابن تومرت وصلاح دعوته بنجاح هذه الدعوة، "فلو كان قصده غير صالح لما تم أمره وانفسحت دعوته: سنة الله التي قد خلت في عباده"[٣٥]. وبناء على ذلك فإن رئاسة ابن تومرت لمصمودة[٣٦] التي أدت إلى تأسيس دولة الموحدين جاءت متوافقة مع القانون الإلهي -سنة الله- الذي يقرر أن الصلاح يؤدي إلى النجاح.

إلا أن الرئاسة التي تفضي إلى تأسيس الدولة لها قوانين خلدونية لا علاقة لها (بصلاح القصد)، تقتضيها (طبيعة الأحوال في العمران). فالرئاسة لابدّ لها من شروط ثلاثة: الأول (النسب)، ف"الرئاسة على أهل العصبية لا تكون في غير نسبهم"[٣٧] ، ولا يشترط في النسب أن يكون بالدم، بل يجوز أن يكون نسباً بالولاء.

بينه آنفاً، فضلاً عن الملك الطبيعي الذي يحمل الناس على مقتضى الغرض والشهوة. على أننا لا نعترض على الرجوع إلى النظر العقلي فيما لا نصّ فيه، ولكنَّ هناك فرقاً واضحاً بطبيعة الحال بين مثل هذا الرجوع، في مورد الحكم أو في غيره من المسائل، وبين اعتماد الحكم كلية على النظر العقلي للحاكم وحمل الناس عليه. ومن ثم نرى أن موضوع الملك والخلافة في معالجة ابن خلدون للأحداث التاريخية الخاصة بنكبة البرامكة قد جاء مخالفاً لما أقره عن طبيعة الحكم وأنواعه، وما ذكره من آراء بهذا الصدد في الباب الثالث من المقدمة(٥١)، وهو صريح في أن الخلافة نوع من الحكم مغاير للملك.

بيد أن ابن خلدون يرى أن تطور نظام الحكم في الإسلام، الذي هو الخلافة، إلى ملك أمر جائز فـ"الملك لما ذمه الشارع لم يذم منه الغلب بالحق وقهر الكافة على الدين، ومراعاة المصالح، وإنما ذمه لما فيه من التغلب بالباطل وتصريف الآدميين طوع الأغراض والشهوات... فلو كان المَلِك مخلصاً في غلبه للناس أنه لله ولحملهم على عبادة الله وجهاد عدوه لم يكن ذلك مذموماً"(٥٢). ومثل هذا التحول من الخلافة إلى الملك قد وقع فعلاً، وهو كما يرى كان أمراً ضروريا لا مفر منه، لأن الأمور بطبيعتها كانت تقتضي زوال نظام الخلافة، أي انقلابه إلى ملك بعد حركة الفتوحات والثروات الكبيرة التي حازها المجتمع العربي الإسلامي مما استلزم تطور هذا المجتمع وقيامه ببناء دولة ذات نظم ومؤسسات. وهكذا انقلبت الخلافة ملكاً لمّا انغمس العرب في النعيم بكثرة الغنائم والفتوح. وأصبحت طبيعة الظروف الجديدة تقتضي(٥٣) "الانفراد بالمجد واستئثار الواحد به"(٥٤) ، وخاصة بعد أن ذهبت (عصبية الدين) التي طبعت نظام الحكم بطابعها في عهد الراشدين، وعادت (عصبية القبيلة) ممثلة في العصبية التي هي أقوى، وهي عصبية بني أمية كما يرى ابن خلدون، منذ عهد معاوية بن أبي سفيان، الذي لم يكن له "أن يدفع ذلك عن نفسه وقومه فهو أمر طبيعي ساقته العصبية بطبيعتها، واستشعرته بنو أمية، ومن لم يكن على طريقة معاوية في اقتفاء الحق من أتباعهم فاعصوصبوا عليه واستماتوا دونه.

ما ذكره بعض المؤرخين – ويقصد ما نقله الطبري والمسعودي على وجه التحديد(٤٦)– من حكاية العباسة أخت الرشيد، فهذه الحكاية هي حكاية مختلقة، كما يقرر؛ لأن العباسة "ابنة خليفة أخت خليفة، محفوفة بالملك العزيز والخلافة النبوية و..."(٤٧). ونحن نناقش هنا عبارته الأخيرة فحسب دون دفاعه عن العباسة، فقد جمع ابن خلدون في عبارة (الملك والخلافة) بين أمرين متناقضين، بما يبعده عن الموضوعية، والقوانين التي أقرها للعمران. فالملك والخلافة مفهومان مختلفان لدى الفقهاء وغيرهم، وهو اختلاف مبني في الأساس على ما روي عن الرسول (ص) من حديث يفرّق بين الخلافة والملك، ويجعل الخلافة بعده (ص) ثلاثين عاماً تعود بعدها ملكاً(٤٨). وابن خلدون نفسه يخالف عبارته هذه حينما يعتبر، في مواضع أخرى من المقدمة، أن الخلافة نوع مستقل من الحكم لا يجتمع مع الملك، فأنواع الحكم كما يذكر ثلاثة:–

- الملك الطبيعي، "وهو حمل الكافة على مقتضى الغرض والشهوة."
- الملك السياسي، "وهو حمل الكافة على مقتضى النظر العقلي في جلب المصالح الدنيوية ودفع المضار."
- الخلافة، "وهي حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية والدنيوية الراجعة إليها؛ إذ أحوال الدنيا ترجع كلها عند الشارع إلى اعتبارها بمصالح الآخرة، فهي في الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا به"(٤٩).

كما أن الخليفة عنده لا يخلف صاحب الشرع أو الرسول (ص) فحسب، بل هو خليفة الله ونائبه، وهو "سبحانه إنما جعل الخليفة نائباً عنه في القيام بأمور عباده ليحملهم على مصالحهم ويردهم عن مضارهم وهو مخاطب بذلك، ولا يخاطب بالأمر إلا من له قدرة عليه"(٥٠). ويتجلى الفرق بين الخلافة والملك واضحاً في هذا النص، حيث إن (النيابة) عن الله تقتضي من (النائب) أو الخليفة تطبيق شرع الله، لا "حمل الكافة على مقتضى النظر العقلي" كما هو الحال في الملك السياسي كما

توافق بدايات الدولتين الأموية والعباسية ويتجلى ضعف هذا التوفيق بين الخلافة والملك بصورة أوضح حينما فرّق صاحب المقدمة بين بعض الأمويين وبعضهم الآخر، فاعتبر عهد معاوية عهد خلافة وملك، على حين أن عهد ابنه يزيد عهد ملك فقط. وكذلك بالنسبة لعبد الملك وبقية أولاده، أو العباسيين الذين سبقوا الرشيد والذين أعقبوه. فما الفرق الذي يجعل عهد معاوية يختلف عن عهد يزيد ابنه، أو عهد عبد الملك عن عهد ابنه الوليد مثلاً؟ وهل غابت عصبية العرب في عهد يزيد فأصبح هذا مَلِكاً، ثم عادت في عهد مروان لتجعل منه خليفة ومَلِكاً في الوقت نفسه؟

أهل الجيل الثالث.. مثال آخر على مخالفة طبائع العمران

وعلاوة على ما تقدم ذكره، فإن مخالفة طبائع العمران في قضية نكبة البرامكة تتجلى أيضاً في دفاع ابن خلدون عن العباسة والرشيد. فالعباسة لا يمكن أن تقدم على فعل ما نسبه بعض المؤرخين لها مع جعفر البرمكي، بعد أن أذن لهما الرشيد "في عقد النكاح دون الخلوة حرصاً على اجتماعهما في مجلسه"[٦٢]. ولا يمكن أن تكون قد "تحيلت عليه في التماس الخلوة به، لما شغفها من حبه حتى واقعها، زعموا في حالة سكر... لأنها قريبة عهد ببداوة العروبية وسذاجة الدين البعيدة عن عوائد الترف ومراتع الفواحش..."[٦٣]. أما فيما يتعلق بالرشيد، فقد دافع عنه ابن خلدون دفاعاً حاراً، ونفى عنه "ما تموه به الحكاية من معاقرة... الخمر، واقتران سكره بسكر الندمان"[٦٤] ، لأن ما يجب "لمنصب الخلافة من الدين والعدالة و..."[٦٥] لا يسمح له بمثل ذلك، كذلك ما نقل عن "دعائه بمكة في طوافه، وما كان عليه من العبادة والمحافظة على أوقات الصلاة وشهود الصبح لأول وقتها... كان يغزو عاماً ويحج عاماً... وأيضاً فقد كان من العلم والسذاجة بمكان لقرب عهده من سلفه المنتحلين لذلك... فكيف يليق بالرشيد أن يعاقر الخمر ويجاهر بها... فلم يكن الرجل بحيث يواقع محرماً من أكبر الكبائر عند أهل الملة"[٦٦].

ولو حملهم معاوية على غير تلك الطريقة وخالفهم بالانفراد بالأمر لوقع في افتراق الكلمة التي كان جمعها وتأليفها أهم عليه من أمر ليس وراءه كبير مخالفة"[٥٥] وهو التحول من الخلافة إلى الملك. فالغاية التي تجري إليها العصبية هي الملك[٥٦]، "والعصبية مقتضية بطبعها للملك"[٥٧].

ولكن ذلك كله لا ينفي تناقض اجتماع الملك والخلافة، فالحكم إما خلافة أو ملك، إذ لو سلّمنا بصحة تأويل تحول الخلافة إلى ملك وفقاً لمقتضى الظروف وطبيعة فكرة العصبية الخلدونية، وأقررنا بضرورة هذا التحول، فما هو وجه الجمع بينهما بعد أن زالت الخلافة وانقلبت إلى ملك على حدّ تعبير ابن خلدون نفسه[٥٨]؟ ولا جواب فيما يبدو عن هذا التساؤل إلا بالقول بأن ابن خلدون كان متناقضاً بين كلامه عن الحكم ومعنى الملك والخلافة نظريةً وتطبيقاً خلدونياً، وبين جمعه الملك والخلافة للعباسيين. وحكم الرشيد، وأسلافه، بموجب ما قرره ليس خلافة بل ملكاً، وهو أيضاً ليس خلافة وملكاً في آن واحد.

على أن ابن خلدون قد تنبه لهذا التناقض في آخر كلامه عن الدول العامة والملك في الباب الثالث من مقدمته، فحاول استدراكه بالقول بأن عهود معاوية ومروان وعبد الملك -دون يزيد بن معاوية وبقية الأمويين- والعباسيين إلى الرشيد وبعض ولده فقط، قد اجتمعت فيها الخلافة والملك، حيث "التبست معانيهما واختلطت، ثم انفرد الملك"[٥٩] بعد أن "ذهب رسم الخلافة وأثرها بذهاب عصبية العرب وذهاب جيلهم وتلاشي أحوالهم، وبقي الأمر ملكاً بحتا"[٦٠]. ولا يخفى ما في هذه المحاولة للتوفيق بين الملك والخلافة في عهود بعض الأمويين والعباسيين دون بعضهم الآخر من وهن؛ إذ يبدو أنه بعدما تبين لابن خلدون عدم انطباق قوانين (عمرانه) - التي ميّز فيها بصورة واضحة كما تبين لنا بين طبيعة الحكم القائم على الملك وطبيعة الخلافة- على نظام الحكم في الدولة العربية منذ عهد معاوية اضطر لإقحام مقولة (الالتباس) هذه؛ ليجعل طبائع العمران التي قال بها، وأقرّ بموجبها أن "طبيعة الدولة في أولها... البداوة والغضاضة"[٦١] وليس الترف الذي هو من صفة الملوك،

خلدون، ثم نجعلها معياراً للأخبار التاريخية، فنحكم بصحة هذه الأخبار حينما توافق طبائع العمران. أما إذا لم توافق هذه الطبائع فنكيفها بحسب ما نرتئي لنجعلها موافقة لها. وهذا (الخطأ) جعل ابن خلدون، وكما يذكر الجابري، "يتحايل بمختلف الطرق، وبذكاء أحياناً، لإدراج هذه الحوادث في إطار تلك الطبائع، ولو أدى به ذلك إلى تكييفها بشكل غير مشروع. ومن ذلك مثلاً، أن العباسة أخت هارون الرشيد لا يمكن أن تأتي محظوراً في الشرع مع جعفر البرمكي. ومنه تكذيب "الأخبار التي تنسب إلى هارون الرشيد شرب الخمر..."[٦٩]. ويرى الدكتور طه حسين أن ابن خلدون في معالجته لمثل هذه الرواية "يمزج نقده أحياناً بسذاجة تدعو إلى الضحك فهو يكذّب مثلاً أن الخليفة هارون الرشيد كان يشرب الخمر؛ لأنه كان جم الورع يصلي مائة ركعة في اليوم، ولأنه كان يغزو عاماً ويحج عاماً"[٧٠].

موضوعية مغيّبة

ومن ناحية أخرى، فإن دقة المؤرخ وموضوعيته التي أفاض ابن خلدون في الحديث عنها كما مرّ بنا، وشدد على اتباعها، ونقد من لم يلتزم بها من المؤرخين نقداً لاذعاً، قد غابت عنه في مواضع كثيرة من حديثه عن نكبة البرامكة:

- ففي دفاعه عن العباسة يضفي ابن خلدون على العباسيين صفات مبالغاً فيها، لم يقل بها أقرب المؤرخين هوى إلى هؤلاء، فهي "بنت عبد الله بن عباس ليس بينها وبينه إلا أربعة رجال هم أشراف الدين وعظماء الملة من بعده. والعباسة بنت محمد المهدي بن عبد الله أبي جعفر المنصور بن محمد السجاد بن علي أبي الخلفاء ابن عبد الله ترجمان القرآن، ابن العباس عم النبي (ص)، ابنة خليفة أخت خليفة، محفوفة بالملك العزيز والخلافة النبوية وصحبة الرسول وعمومته وإمامة الملة ونور الوحي ومهبط الملائكة من سائر جهاتها"[٧١]. فعلي بن عبد الله بن عباس، أولاً، ليس هو الأب المباشر للخلفاء العباسيين كما يذكر ابن خلدون في هذا النص، بل ابنه

ويبدو أن ابن خلدون قد نسى طبائع عمرانه، أو غضّ النظر عما ذكره فيها من أن أهل الجيل الثالث من كل دولة "ينسون عهد البداوة والخشونة كأن لم تكن... ويبلغ فيهم الترف غايته بما تفنقوه من النعيم وغضارة العيش، فيصيرون عيالاً على الدولة، ومن جملة النساء والولدان المحتاجين إلى المدافعة عنهم... وينسون الحماية والمدافعة والمطالبة... فيحتاج صاحب الدولة حينئذ إلى الاستظهار بسواهم... ويصطنع من يغني عن الدولة بعض الغناء"[٦٧]. والرشيد من أبناء الجيل الثالث في الدولة العباسية، فلماذا لا يؤول حاله إلى مثل هذا؟ خاصة وأنه اصطنع البرامكة ليغنوه عن مهام قيادة الدولة. وأنه لم يعش، وأخته، في عهد أسلافه الذي تميز (ببداوة العروبية وسذاجة الدين)، بل في عهد (قريب) منه.

وحتى في حال تبني الرأي القائل بأن الرشيد من أبناء الجيل الثاني في الدولة العباسية فإن ما ذكره ابن خلدون عن شدة ورعه وتعبده لا ينطبق على طبائع العمران الخلدونية التي تقرر بأن أبناء الجيل الثاني في الدولة يتحول "حالهم بالملك والترفه عن البداوة إلى الحضارة، ومن الشظف إلى الترف والخصب، ومن الاشتراك في المجد إلى انفراد الواحد به (الأنانية) وكسل الباقين عن السعي فيه، ومن عز الاستطالة إلى ذل الاستكانة فتنكسر سورة العصبية بعض الشيء وتؤنس منهم المهانة والخضوع"[٦٨]. وواضح أن عبارات الملك والترف والحضارة التي قرر ابن خلدون أنها من صفات أبناء الجيل الثاني تتقاطع مع صفات الورع الشديد والعبادة والتبتل والسذاجة (الفطرة السليمة) التي منحها ابن خلدون للرشيد.

وبحسب ما يقرره الدكتور محمد عابد الجابري، فإن هذا التناقض بين طبائع العمران ومثل هذه الأحداث التاريخية، يرجع إلى عدم صحة الأساس الذي استند إليه ابن خلدون في استخلاص هذه الطبائع، كما أشرنا إلى ذلك من قبل. إذ يجب، وعلى خلاف ما فعله ابن خلدون، أن تكون لدينا أخبار صحيحة؛ لنتعرف منها على (طبائع عمران) دقيقة، لا أن نضع طبائع عمران وفقاً لمفاهيمنا، وكما فعل ابن

العباسيين في عهد الخليفة الهادي سنة ١٦٩ هـ- ٧٨٥م، وفرا عقب فشل الثورة ومقتل صاحبها في وادي فخ[٧٩]. فوصل إدريس إلى المغرب الأقصى ونجح في تأسيس دولة الأدارسة، واختفى يحيى في بلاد طبرستان ثم أعلن ثورته في عهد الرشيد، فبعث له هذا بجيش يقوده الفضل بن يحيى البرمكي الذي استطاع إقناعه بالصلح بعد أن كتب له الرشيد أماناً بخطه، ولكنه بعد أن وصل إلى بغداد "دفع به الرشيد إلى جعفر وجعل اعتقاله بداره وإلى نظره. فحبسه مدة ثم حملته الدالة على تخلية سبيله... حرماً لدماء أهل البيت بزعمه"[٨٠] ، فكان ذلك التصرف من مظاهر الاستبداد بالرأي وشئون الحكم الذي كان سبب نكبة البرامكة فيما يرى ابن خلدون.

وقد نافح ابن خلدون في حديثه عن إدريس عن أهل البيت، أصحاب "النسب الكريم" الذي هو "شرف عريض على الأمم والأجيال من أهل الآفاق... وما عضد شرفهم النبوي من جلال الملك"[٨١]. بعد أن أقاموا دولتهم في المغرب الأقصى. ولكنه لم يذكر يحيى، الثائر على الرشيد، بمثل ما ذكر أخاه إدريس، وأنكر على البرامكة إطلاق سراحه بما يوحي عدم رضاه عن ثورته. وذلك ما يتوافق مع رأيه في الثوار الفاشلين، فهؤلاء "يعرضون أنفسهم في ذلك للمهالك، وأكثرهم يهلكون في تلك السبيل مأزورين غير مأجورين، لأن الله سبحانه لم يكتب ذلك عليهم، وإنما أمر به حيث تكون القدرة عليه قال صلى الله عليه وسلم: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه». وأحوال الملوك والدول راسخة قوية لا يزحزحها ويهدم بناءها إلا المطالبة القوية التي من ورائها عصبية القبائل والعشائر"[٨٢]. وجزاء مثل هؤلاء الثوار، ويحيى العلوي منهم بطبيعة الحال، "المداواة إن كانوا من أهل الجنون، وإما التنكيل بالقتل أو الضرب إن أحدثوا هرجاً، وإما إذاعة السخرية منهم وعدهم من جملة الصفاعين"[٨٣]. فعلى الخارج على الدولة أن يتأكد، حسب طبائع العمران الخلدوني، من وجود عصبية قوية يستند إليها لكي يضمن النجاح. أما من يفتقد مثل هذه العصبية فيجب عليه عدم الخروج لكيلا يتسبب في إثارة الفتنة وسفك الدماء دون طائل[٨٤].

محمد، فالسفاح والمنصور هما ولدا محمد بن علي بن عبد الله بن عباس. ثم إن إطلاق صفات (أشراف الدين، عظماء الملة، إمامة الملة، نور الوحي، مهبط الملائكة) دون قيد ينافي ما هو معروف عن العباسيين. فلو قال: إنَّ هؤلاء (من) عظماء الملة... الخ لكان أقرب إلى الموضوعية، وأدنى لئلا تتطرق له شبهة التناقض مع ما أقره آنفاً من وجود (عظماء قرابة)، ويعني بهم العلويين، إذ ذكر في حديثه عن سبب نكبة البرامكة أن هؤلاء قد "أفاضوا في رجال الشيعة وعظماء القرابة العطاء"[٧٢]. فما دام هناك عظماء قرابة فهم أولى، فيما يتبادر إلى الذهن، بتلك الصفات، وبيتهم بناء على هذا القرب (العظيم) للرسول (ص) يغدو هو نور الوحي ومهبط الملائكة دون البيت العباسي.

كذلك فإن عدم موضوعية ودقة إطلاق تلك الصفات دون قيد على العباسيين يؤكده دفاع ابن خلدون الحار عن نسب العلوي إدريس بن إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب[٧٣]. فإدريس هذا، خلافاً لما يتقول به الطاعنون في نسبه، "ولد على فراش أبيه، والولد للفراش... وتنزيه أهل البيت عن مثل هذا من عقائد أهل الإيمان. فالله سبحانه قد أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً. ففراش إدريس (الأب) طاهر من الدنس ومنزه عن الرجس بحكم القرآن. ومن اعتقد خلاف هذا فقد باء بإثمه وولج الكفر من بابه"[٧٤]. فابن خلدون في (إطنابه)، على حدّ تعبيره، بهذا الدفاع عن نسب إدريس يريد شفاعة أهل البيت (العلويين)، إذ يقول: ..." لكني جادلت عنهم في الحياة الدنيا، وأرجو أن يجادلوا عني يوم القيامة"[٧٥]. فلو كان وصفه للعباسيين وصفاً موضوعياً فحريّ به أن يطلب أن يجادل عنه هؤلاء يوم القيامة دون غيرهم.

- وإدريس (الأكبر)[٧٦] الذي نزه ابن خلدون ابنه إدريس من تهمة عدم النسب إليه، ودافع عنه وعن ابنه دفاعاً حاراً لانتمائه إلى آل البيت، هو أخو يحيى المعروف بصاحب الديلم أو طبرستان[٧٧]. وقد اشترك إدريس ويحيى مع ابن عمهما الحسين ابن علي بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب[٧٨] في ثورته التي قام بها ضد

عدوه غيلة والقضاء عليه غدراً، وهذا ما لم يتورع الرشيد عنه، إذ "دس الشماخ[٨٩] من موالي المهدي أبيه للتحيل على قتل إدريس وخلطه بنفسه وناوله الشماخ في بعض خلواته سماً استهلكه به. ووقع خبر مهلكه من بني العباس أحسن المواقع... فلم يكن منتهى قدرة الرشيد على إدريس الأكبر بمكانه من قاصية المغرب واشتمال البربر عليه إلا التحيل في إهلاكه بالسموم"[٩٠]. ومن ثم كان الأجدر بابن خلدون ألا ينقل قضية تحايل الرشيد على قتل إدريس إذا كان يريد لنا أن نصدق وصفه للرشيد، وأن نقتدي به كمؤرخ، ونكون مؤرخين موضوعيين لا نتشيع لرأي ولا نتحزب لجماعة، ويكون رائدنا الصدق، وضالتنا الحقيقة.

- كذلك كانت حجة ابن خلدون واهية حينما أراد أن يثبت للمنصور بعض الصفات التي ورثها عنه حفيده الرشيد، فأبو جعفر كان "يتورع عن كسوة الجديد لعياله من بيت المال. ودخل عليه (ابنه المهدي) يوماً وهو بمجلسه يباشر الخياطين في إرقاع الخلقان من ثياب عياله، فاستنكف المهدي من ذلك، وقال يا أمير المؤمنين عليّ كسوة العيال عامنا هذا من عطائي، فقال له لك ذلك ولم يصده عنه، ولا سمح بالإنفاق من أموال المسلمين"[٩١]. فلماذا يكسو المنصور عياله جديداً من بيت المال؟ هل كان لابنه عطاء ولم يكن له مثله لينفق منه على الكسوة؟ يبدو أن ابن خلدون قد (خامره تشيع لرأي أو نحلة) أنكره على غيره، فكان ذلك (غطاء على عين بصيرته من الانتقاد والتمحيص)، إذ لم يوصله إلى معرفة ما اشتهر عن المنصور من شح وتلقيب الناس له بلقب (أبي الدوانيق)[٩٢].

- وفي الوقت الذي نوافق فيه ابن خلدون على شكه في قصة العباسة أو نفيها، فضلاً عن القول بأنها سبب نكبة البرامكة، فإن من الصعب، في الوقت نفسه، قبول السبب الذي ذكره لنكبتهم، وهو "استبدادهم على الدولة واحتجانهم أموال الجباية"[٩٣] لدرجة كان معها الرشيد "يطلب اليسير من المال فلا يصل إليه"[٩٤]. فقد كان بمقدور الرشيد الذي أوصلهم إلى هذه المكانة، وسمح لهم بجمع الثروات

على أن شرط العصبية القوية اللازمة للثائر لا ينطبق على خروج إدريس ويحيى على العباسيين، ذلك أنه قد "يحدث لبعض أهل النصاب الملكي دولة تستغني عن العصبية... وهذا كما وقع للأدارسة بالمغرب الأقصى والعبيديين بأفريقية"(٨٥). ومن ثم فإن ابن خلدون لم يصدر في تعامله معهما عن هذا الشرط، بيد أن موقفه منهما، وهو الإطراء للأول، والسكوت أو الإيحاء بالذم بالنسبة للثاني، كان يتناسب مع مجمل فكره البرغماتي المادي بصورة عامة، ويتوافق، خاصة، مع واقعيته السياسية وجذوره السلطوية من جهة أخرى(٨٦).

- ولا نعرف كيف استطاع ابن خلدون أن يوفق بين كل صفات التدين والتعبد والورع والتقوى والعدالة والعلم والسذاجة (الفطرة السليمة) والبداوة... إلخ التي أضفاها على الرشيد، وبين أن يكون للرشيد (مضحك) ومجالس سمر؟ حيث نقل في خضم دفاعه عن الرشيد، وسيل الصفات التي خلعها عليه، أنه "قد زجر ابن أبي مريم مضحكه في سمره حين تعرض له بمثل ذلك في الصلاة لما سمعه يقرأ (ومالي لا أعبد الذي فطرني)، وقال والله ما أدري لم؟ فما تمالك الرشيد أن ضحك ثم التفت إليه مغضباً، وقال: يا بن أبي مريم في الصلاة أيضا؟ إياك إياك والقرآن والدين ولك ما شئت بعدهما"(٨٧). وذلك يخالف ما أراده ابن خلدون للمؤرخين من دقة وموضوعية استثنى منهما نفسه فيما يبدو فوقع فيما وقع فيه المتشيعون (للآراء والمذاهب) من تشويه لأحداث التاريخ، إذ إن من جملة عوامل الكذب والخطأ التي أراد ابن خلدون للمؤرخين أن يبتعدوا عنها "التشيعات للآراء والمذاهب، فإن النفس إذا كانت على حال الاعتدال في قبول الخطأ أعطته حقه من التمحيص والنظر حتى تتبين صدقه من كذبه، وإذا خامرها تشيع لرأي أو نحلة قبلت ما يوافقها من الأخبار لأول وهلة، وكان ذلك الميل والتشيع غطاء على عين بصيرتها من الانتقاد والتمحيص فتقع في قبول الخبر ونقله"(٨٨).

ثم إن من يتمتع بمثل كل صفات الرشيد تلك لابدّ وأن يربأ بنفسه عن مواجهة

موالي العجم"[٩٧]. فالرشيد عقد لجعفر على أخته عقداً (صورياً)؛ ليحل له النظر إليها في مجلسه وذلك كما يقرر الطبري والمسعودي[٩٨] وغيرهما من المؤرخين. وكما يذكر ابن خلدون عنهم أيضاً في قوله: إن الرشيد "أذن لهما في عقد النكاح دون الخلوة حرصاً على اجتماعهما في مجلسه"[٩٩]. ولو أننا لا نعلم وجهاً لصحة مثل هذا العقد في أحكام الشريعة، فهو إما باطل أو لا يصح فيه شرط عدم المعاشرة.

وإذا لم يكن هنالك إصهار ولا زواج (طبيعي)، ولم يتطرق إلى ذكر هذا أحد من المؤرخين، فلا موجب إذن أن ينبري ابن خلدون لعقد مقارنة بين العباسة وجعفر ينكر فيها التكافؤ بينهما، حيث يقول: "فلو نظر المتأمل في ذلك نظر المنصف، وقاس العباسة بابنة ملك من عظماء ملوك زمانه لاستنكف لها من مثله مع مولى من موالي دولها، وفي سلطان قومها، واستنكره ولج في تكذيبه. وأين قدر العباسة والرشيد من الناس؟"[١٠٠]. ويبدو أنه كان من الأسلم لابن خلدون، الفقيه وقاضي القضاة، أن يتحاشى ما قد يقبل من غيره الوقوع فيه، فلا يستخف بمبدأ التسوية العرقية الذي أقره الإسلام لأتباعه، بل وأكّده.

التناقض وحقيقة الفكر الخلدوني

إن التناقض الذي لمسناه مما تقدم بين ما أراده ابن خلدون للعمل التاريخي من دقة وموضوعية ومراعاة للعقل وقواعد العمران، وبين طبيعة معالجته لبعض الأحداث التاريخية التي أوردها في مقدمته، لا يخرج، فيما يبدو، عما كانت تتصف به شخصية ابن خلدون التي وقعت تحت تأثير نزعتين قويتين متضادتين كما يرى ساطع الحصري، إحداهما نزعة السياسة والحكم، والأخرى نزعة العلم والتفكير[١٠١]. ويقرر الدكتور علي الوردي أن هذا التناقض أو التضاد الذي أشار إليه الحصري يعدّ واحداً من التفسيرات العديدة لما يدعوه الوردي بـ "لغز الطفرة الخلدونية"[١٠٢]. بما يعني أنه كان الدافع إلى الإبداع الفكري لابن خلدون. ومثل هاتين

الطائلة، أن يحدّ من نفوذهم وثرائهم دون القضاء عليهم وقطع دابرهم بهذا الشكل الذي عزت قسوته على الرشيد نفسه فيما يذكر بعض المؤرخين. فالقول بسبب واحد في تعليل الأحداث أمر لا يقره العمل التاريخي الموضوعي؛ إذ إن لكل حادث تاريخي، في الغالب، أسباباً حقيقية وأسباباً عرضية متعددة، وهي جميعاً تشكل منظومة متداخلة ومعقدة. والأسباب الحقيقية تتفاعل في خلقها ظروف متنوعة، وتحتاج كيما تتبلور إلى مدة طويلة من الزمن. وعملية البحث في تلك الأسباب المتداخلة، الحقيقية والمباشرة (أو العرضية)، يقتضي ترتيبها ترتيباً قائماً على نظام محدد يوضح طبيعة العلاقة التي تربط بينها، وأولوية بعضها على البعض الآخر، مع إمكانية تحديد السبب الرئيس فيها أو ما يمكن تسميته بسبب الأسباب، وهو ليس بالضرورة سبباً مفرداً، إذ ربما يكون أكثر من سبب واحد. وقد أغفل ابن خلدون، فيما يبدو، كل ما تقتضيه موضوعية البحث في أسباب هذا الحادث الذي اكتنفه شيء غير قليل من الغموض، وأقدم، بجرأته المعهودة، على القطع بسبب واحد، وهو الاستبداد بأمور الحكم وأموال الدولة، مخالفاً كبار المؤرخين الذين يقررون أن سبب نكبة البرامكة مختلف فيه، وهو ليس سبباً واحداً في رأي بعض هؤلاء، بل هناك أسباب متعددة[٩٥].

إهمال الدقة ومعايير الشرع

وقد استرسل ابن خلدون في دحض قصة العباسة بما أخرجه عن حدود معانيها ودلالاتها، وأوقعه الإسهاب في مناقشتها في شبهة البعد عن معيار الاحتكام إلى ثوابت الشريعة، مما هو في غنى عنه. فليس في القصة ما يفيد بأن الرشيد قد أصهر إلى مولاه جعفر البرمكي، وعقد له على أخته العباسة عقد زواج مستوف لشروط العقد الشرعي، ومن ثم فلا وجه للاستفهام الاستنكاري في قول ابن خلدون: "كيف يسوغ من الرشيد أن يصهر إلى موالي الأعاجم على همته وعظم آبائه"[٩٦]. وقوله فيما يتعلق بالعباسة: "كيف تلحم نسبها بجعفر بن يحيى وتدنس شرفها العربي بمولى من

بالتنظير والتطبيق أيضاً، وهي ربما لم تكن واضحة من قبل حيث لم تتطرق إليها الدراسات التي تناولت الفكر التاريخي الخلدوني، وهي دراسات قليلة في واقع الحال. وتتمثل هذه الحقيقة في أن ابن خلدون قد نقد في مقدمته المؤرخين السابقين له نقداً لاذعاً على نقلهم لأخبار وروايات خاطئة أو ملفقة لم يقوموا بنقدها لافتقارهم إلى آليات النقد المتعددة مما دعاه لوضع قواعد للنقد أراد من المؤرخين الالتزام بها كيما يكتب تاريخ صحيح يخلو من الخطأ والتزوير. ويبدو لنا أن تلك القواعد كانت فريدة في بابها وسابقة لعصرها، إذ لم يتوصل المؤرخون الغربيون إلى وضع قواعد مماثلة لها إلا بعد انتصاف القرن التاسع عشر. ولكن ابن خلدون في الوقت نفسه لم يطبق تلك القواعد، كما أثبتنا من خلال هذه الدراسة، على الروايات التاريخية التي أوردها في مقدمته ولم يتبع قواعد النقد التي نظّر لها. وجاء ذلك من خلال أمثلة عديدة دُرست في الصفحات السابقة دراسة حاولت أن تصل إلى دلائل صحتها من خلال مقارنة النصوص الواردة في المقدمة وتحليلها وبيان مواضع عدم تطابق بعضها مع بعض، أو تناقضها تناقضاً صريحاً في بعض الأحيان.

وقد تخلل موضوع البحث الرئيس ذلك كله دعوة، يمكن عدها استنتاجاً للبحث، إلى إعادة قراءة أحداث التاريخ الإسلامي وأساليب تدوين مؤرخينا المتقدمين لها لكشف الأخطاء التي وقع فيها أولئك المؤرخون، بمن فيهم ابن خلدون، أو تشويه بعضهم لتلك الأحداث، للتوصل إلى تاريخ صحيح يوضح حقيقة ما وقع في الماضي ويفسر مظاهر الحاضر خاصة السلبية منها لمحاولة النهوض بهذا الحاضر.

وأوضح البحث أن الأخطاء في تدوين أحداث التاريخ أو التزوير المتعمد لها قد جاءت بفعل دوافع ذاتية وأيديولوجية، أو متعلقة بغياب المعايير النقدية. وركز على أهمية اعتماد مؤرخينا المعاصرين على مثل هذه المعايير ليس لتصحيح التاريخ الخاطئ والمزور فحسب، بل لأن النقد يمثل آلية لابد من اعتمادها لنهضة أمتنا، وهي آلية اعتمدتها أوربا في عصر نهضتها.

النزعتين المتضادتين كانتا أيضاً، فيما نرى، وراء تناقضاته التي أشرنا إليها. بيد أن كل تلك التناقضات والأخطاء التاريخية[١٠٣] لا تقلل من قيمة التميز الذي اتصف به الفكر الخلدوني، ولا يجب أن تبخس عبقرية صاحب هذا الفكر حقها. كما أن سلبيات العباسيين لا تلغي، في الوقت نفسه، مساهمات عصرهم في بناء صرح حضارتنا العربية الإسلامية. والنقد الذي أكدنا في بداية البحث أهميته لنهضة أمتنا أسمى قيمة، وأوضح معنى لدى أصحاب العقول النيرة من التشكيك الذي قد يلمز به من قبل أهل الأهواء والجمود.

ومن ثم فإننا نرى أن ابن خلدون محق في ضرورة إخضاع التاريخ الذي دونه المؤرخون العرب المسلمون للنقد والتمحيص الذي لا يستثني أحداً من هؤلاء بمن فيهم الثقات. ولكننا نرى أيضاً ألا يستثنى ابن خلدون نفسه من مثل هذا النقد والتمحيص لتاريخه، وللأحداث التاريخية التي عالجها في مقدمته كأمثلة على شطط السابقين في معالجتها، لا لشيء سوى لأنه لم يكن ليمتاز، كمؤرخ، على غيره من المؤرخين.

خاتمة

أبدع ابن خلدون في المقدمة، كما سبق، وأشار هذا البحث، إلى تنظيرات ذات أهمية كبيرة لمنهج البحث التاريخي، وإلى العمل النقدي الذي يرتكز عليه هذا المنهج. إلا أن تطبيق ابن خلدون لتلك المعايير والتنظيرات المنهجية التي ذكرها في مقدمته على كتابته لتاريخه (العبر) لم يكن موفقاً كما بات واضحاً لكثير من الباحثين المتخصصين ربما لأنه كتب (العبر) قبل (المقدمة) على الرغم من أن ابن خلدون كتب هذه المقدمة لتكون مقدمة لكتابه في التاريخ.

بيد أن هذا البحث قد أثبت حقيقة أخرى، تبيناها من خلال صفحاته، تتعلق

(١٠) المقدمة، ١:٢٨٣.

(١١) المقدمة، ١:٣٣٠.

(١٢) المقدمة، ١:٣٢٨.

(١٣) المقدمة، ١:٢٩٥.

(١٤) المقدمة، ١:٣٣١.

(١٥) المقدمة، ١:٢٩١.

(١٦) ، (١٧) المقدمة، ١:٣٢٨.

(١٨) المقدمة، ١:٣١٩.

(١٩) تراجع: المقدمة، ١:٢٩١.

(٢٠) المقدمة، ١:٣٢٩.

(٢١) تنظر المقدمة، ١:٣٣٠.

(٢٢) ، (٢٣) المقدمة، ١:٢٨٣.

(٢٤) ينظر: وافي، علي عبد الواحد (الدكتور)، تمهيد لمقدمة ابن خلدون، المقدمة، ١:٨٠.

(٢٥) ينظر: نفسه، ص١٢١، كاشف، سيدة إسماعيل (دكتورة)، مصادر التاريخ الإسلامي ومناهج البحث فيه، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٧٦، ص٦٠. مؤنس، حسين (د)، التاريخ والمؤرخون، دار المعارف، مصر ١٩٨٤، ص٧٧.

(٢٦) الوردي، علي (الدكتور)، منطق ابن خلدون، دار كوفان، لندن ١٩٩٤، ص١٤٧.

(٢٧) ينظر: العصبية والدولة، ص١٢٦، ١٢٨.

(٢٨) موافي، عثمان (الدكتور)، منهج النقد التاريخي الإسلامي والمنهج الأوربي، دار المعارف الجامعية، الإسكندرية ١٩٩٤، ص٢٧٥.

(٢٩) وافي، المقدمة، ١:١٢١. وينظر أيضاً: الخضيري، زينب (الدكتورة)، فلسفة التاريخ عند ابن خلدون، دار الثقافة، القاهرة ١٩٩١، ص٦١-٦٤.

(٣٠) تنظر: المقدمة، ١: ٢٩٢-٢٩٣، ٢٩٦-٢٩٧، ٣٢٩-٣٣٠.

(٣١) ويعرف بالمهدي، وهو محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن، كان في أول أمره متقشفاً مشتغلاً بطلب العلم، رحل إلى المشرق ودرس على أبي حامد الغزالي لثلاث سنين. يرجع بعض المؤرخين نسبه إلى الحسن بن علي بن أبي طالب، وقيل بأنه بربري من قبيلة مصمودة. يعد مؤسساً لدولة الموحدين التي قامت على أنقاض دولة المرابطين. توفي سنة ٥٢٤هـ-١١٢٩م. القيرواني، محمد بن أبي القاسم الرعيني المعروف بابن أبي دينار، المؤنس في أخبار أفريقية وتونس، دار المسيرة، ط٣، بيروت ١٩٩٣، ص ١٣٤-١٣٦.

الحواشي

(١) بدوي، عبد الرحمن، النقد التاريخي، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٧٠، ص١٦.

(٢) لانجلوا وسينوبوس، المدخل إلى الدراسات التاريخية، ترجمه عبد الرحمن بدوي ضمن كتاب النقد التاريخي، ص٧١.

(٣) هو عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، كنيته أبو زيد ولقبه ولي الدين وشهرته ابن خلدون. ولد في تونس سنة ٧٣٢هـ-١٣٣٢م، وتوفي في القاهرة سنة ٨٠٨هـ-١٤٠٦م. وقد اشتهر ابن خلدون بـ (المقدمة)، وهي مقدمة كتابه في التاريخ الذي أسماه (العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر). وقد اقتصرنا في ترجمة ابن خلدون على هذه المعلومات فحسب، بل لم نذكرها، حتى وهي بهذا الاقتضاب، في متن البحث لأن ابن خلدون غدا في حياتنا الفكرية المعاصرة أشهر من أن يترجم له، خاصة لدى من تعنيه مثل دراستنا هذه. للتفاصيل عنه يراجع:-

ابن خلدون، عبد الرحمن، التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً، دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٩٧٩.

وافي، علي عبد الواحد، عبد الرحمن بن خلدون حياته وآثاره ومظاهر عبقريته، سلسلة أعلام العرب٤، مكتبة مصر، القاهرة د.ت .

عنان، محمد عبد الله، ابن خلدون حياته وتراثه الفكري، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط٣، القاهرة ١٩٦٥.

(٤) لم يكن النقد في مجال التاريخ هو كل النقد الذي دعا إليه ابن خلدون، فالنقد عامة كان حجر الأساس الذي ارتكز عليه مجمل الفكر الخلدوني، فقد تميز هذا الفكر بكونه "فكراً موسوعياً نقدياً" على حدّ تعبير الدكتور محمد عابد الجابري في كتابه: العصبية والدولة... معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ١٩٩٤، ص٦٥.

(٥) عنوانها: المنهج الخلدوني وموقعه من منهج البحث التاريخي الحديث، نشرت في مجلة البلقاء التي تصدرها جامعة عمّان الأهلية - الأردن، م٨، العدد ١، نيسان ٢٠٠١.

(٦) ابن خلدون، العلامة عبد الرحمن بن محمد، مقدمة ابن خلدون، تحقيق الدكتور علي عبد الواحد وافي، الجزء الأول، ط٣، دار نهضة مصر، القاهرة (د.ت)، ص٢٨٣. سنشير إليها بعد ذلك اختصاراً بـ (المقدمة) مع التنويه بذكر أحد الأجزاء الثلاثة التي تتألف منها هذه الطبعة.

(٧) ، (٨) المصدر والصفحة أنفسهما.

(٩) المقدمة، ١:٢٨٢.

(٥٣) الجابري، ص٢٠٣، وللتفاصيل تراجع الصفحتان السابقتان لها.

(٥٤) ، (٥٥) المقدمة، ٢:٦٠٤.

(٥٦) يراجع المبحث الذي يحمل هذا العنوان في: المقدمة، ٢:٤٩٩.

(٥٧) المقدمة، ٢:٥٨١.

(٥٨) تنظر: المقدمة، ٢:٦٠٧.

(٥٩) المقدمة، ٢:٦٠٨.

(٦٠) المقدمة، ٢:٦٠٠.

(٦١) المقدمة، ١:٣٠٦.

(٦٢) ، (٦٣)، (٦٤)، (٦٥)، (٦٦) المقدمة، ١: ٣٠٠-٣٠٦.

(٦٧) المقدمة، ٢: ٥٤٦-٥٤٧.

(٦٨) ابن خلدون، عبد الرحمن محمد، مقدمة ابن خلدون، دار إحياء التراث العربي، بيروت (د.ت)، ص١٧٠-١٧١. وقد اعتمدنا في نقل هذا النص فقط على هذه الطبعة من المقدمة. وهي طبعة لم نعتمدها إلا في هذه الحاشية (الهامش).

(٦٩) الجابري، ص١٢٧.

(٧٠) فلسفة ابن خلدون الاجتماعية، ترجمة محمد عبد الله عنان، القاهرة ١٩٢٥، ص٤٧-٤٨، نقلاً عن الوردي، ص١٤٦.

(٧١) المقدمة، ١:٣٠١.

(٧٢) المقدمة، ١:٣٠٢.

(٧٣) ولد بعد اغتيال والده إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب مؤسس دولة الأدارسة في المغرب الأقصى بشهرين من جارية بربرية كانت لأبيه وذلك سنة ١٧٥هـ-٧٩١م. ويسميه ابن خلدون بإدريس الأصغر. تولى الإمارة وعمره ثلاثة عشر عاماً، في عام ١٨٨هـ-٨٠٣م. وكان من أهم أعماله بناء مدينة فاس سنة ١٩١هـ-٨٠٦م واتخاذها قاعدة لدولته. توفي سنة ٢١٣هـ-٨٢٨م. القيرواني، ص١٢٥. عبد الحميد، ج٢، ص٤٣٧-٤٤٦.

(٧٤) ، (٧٥) المقدمة، ١:٣١٦.

(٧٦) هو إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب. اشترك مع ابن عمه الحسين بن علي (صاحب فخ) في ثورته ضد العباسيين خلال عهد الخليفة الهادي سنة ١٦٩هـ-٧٨٥م. وحينما فشلت الثورة هرب إدريس إلى المغرب الأقصى مع مولى له يقال له راشد، ونزل في مدينة وليله فبايعه زعماء قبيلة أوربة البربرية عام ١٧٢هـ-٧٨٨م. ثم خضع

(٣٢) ، (٣٣)، (٣٤)، (٣٥) المقدمة، ١: ٣١٧-٣١٩.

(٣٦) قبيلة كبيرة من قبائل البربر القاطنة في جبال الأطلس العليا جنوب المغرب الأقصى. أقامت دولة الموحدين. وهي تضم مجموعة من القبائل أشهرها هرغة وهكسورة وجنفسة وغمارة. عبد الحميد، سعد زغلول (دكتور)، تاريخ المغرب العربي، منشأة المعارف، الإسكندرية ١٩٧٨، ص٩٧.

(٣٧) ، (٣٨)، (٣٩)، (٤٠) المقدمة، ٢:٤٨٩.

(٤١) المقدمة، ٢:٤٩١.

(٤٢) المقدمة، ٢:٤٨٩. وللتفاصيل في شرح شروط الرئاسة يراجع الجابري، ص١٨٠-١٨٢.

(٤٣) المقدمة، ٢:٤٩١.

(٤٤) المقدمة، ١:٣١٩.

(٤٥) الوردي، ص٢١٧. وتنظر المقدمة، ١:٣١١، ٢: ٦٢١-٦٢٣.

(٤٦) يراجع: الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ج٨، دار المعارف، مصر ١٩٧٩، ص٢٩٤.
المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ج٣، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت ١٩٨٨، ص٣٨٤-٣٨٦.

(٤٧) المقدمة، ١:٣٠١.

(٤٨) ورد في مسند أحمد بن حنبل قوله (ص): "الخلافة ثلاثون عاماً ثم يكون بعد ذلك الملك." ينظر: مسند الإمام أحمد بن حنبل، م٥، دار صادر، بيروت (د.ت)، ص٢٢١. وورد في سنن الترمذي قوله (ص): "الخلافة في أمتي ثلاثون سنة ثم ملك بعد ذلك." ينظر: الترمذي، الإمام الحافظ أبو عيسى محمد بن عيسى، سنن الترمذي، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، ج٣، دار الفكر، بيروت ١٩٨٣، ص٣٤١. كما ذكر أبو داود في سننه أن الرسول (ص) قال: "خلافة النبوة ثلاثون سنة" ينظر: السجستاني، الحافظ أبو داود سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، تحقيق سعيد محمد اللحام، دار الفكر، بيروت ١٩٩٠، م٢، ص٤٠١.

(٤٩) المقدمة، ٢:٥٧٨.

(٥٠) المقدمة، ٢:٥٨٦.

(٥١) وعنوانه: (في الدول العامة والملك والخلافة والمراتب السلطانية)، المقدمة، ج٢، ص٥٢١ وما بعدها.

(٥٢) المقدمة، ٢:٦٠٠.

(٨٧) المقدمة، ١:٣٠٤.

(٨٨) المقدمة، ١:٣٢٨.

(٨٩) هو سليمان بن جرير الشماخ من موالي الخليفة المهدي العباسي، كان طبيباً ومن أكابر متكلمي الزيدية والمتعصبين لآل أبي طالب. ولكن يحيى بن خالد البرمكي تمكن من استمالته بالأموال ليقوم بمهمة اغتيال إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب في المغرب. وكان الرشيد قد عزم على إرسال جيش إلى المغرب لمحاربة إدريس، بيد أن يحيى بن خالد البرمكي أشار عليه بإمكان التخلص منه بالدهاء والحيلة فاستخدم الشماخ لهذه المهمة. وقد استطاع هذا بالفعل من دس السم لإدريس بعد أن تقرب منه وصحبه مدة من الزمن اطمأن بعدها إدريس له، فتوفي في عام ١٧٥هـ-٧٩١م.

(٩٠) المقدمة، ١: ٣١٤-٣١٥.

(٩١) المقدمة، ١: ٣٠٤-٣٠٥.

(٩٢) عن شح المنصور يراجع: الطبري، ج٨، ط٢، ص٧٢ وما بعدها. المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي، التنبيه والإشراف، دار صادر، بيروت (د.ت)، مصورة عن طبعة ليدن ١٨٩٣، ص٣٤٢. العبادي، أحمد مختار (الدكتور)، في التاريخ العباسي والأندلسي، دار النهضة العربية، بيروت (د.ت)، ص٦٥.

(٩٣) ، (٩٤) المقدمة، ١:٣٠١.

(٩٥) ينظر: الطبري، ج٨، ص٢٨٧. المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص٣٧٧. وللتفاصيل يراجع: فرج، ص٧٢ وما بعدها.

(٩٦) ، (٩٧) المقدمة، ١:٣٠١.

(٩٨) يراجع الطبري، ج٨، ص٢٩٤. المسعودي، مروج الذهب، ص٣٨٤-٣٨٦.

(٩٩) المقدمة، ١:٣٠٠.

(١٠٠) المقدمة، ١:٣٠١.

(١٠١) الحصري، ساطع، دراسات عن مقدمة ابن خلدون، مطبعة الكشاف، بيروت ١٩٤٣، ص٦٥. ولهذا الكتاب جزء ثان طبع في بيروت سنة ١٩٤٤ في المطبعة نفسها.

(١٠٢) الوردي، منطق ابن خلدون، ص١٠٣ وتراجع أيضاً ص١١٠-١١١.

(١٠٣) للاطلاع على بعض هذه الأخطاء ينظر: الكردي، محمود السعيد (الدكتور)، ابن خلدون مقال في المنهج التجريبي، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس (ليبيا) ١٩٨٤، ص٣١٧.

له عدد كبير من قبائل البربر مما أتاح له تأسيس دولة الأدارسة. اغتيل بإيعاز من هارون الرشيد سنة ١٧٥هـ-٧٩١م. الأصفهاني، أبو الفرج، مقاتل الطالبيين، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعرفة، بيروت (د.ت)، ص٤٧٨-٤٩١. القيرواني، ص١٢٥. عبد الحميد، ج٢، ص٤٣٠ وما بعدها.

(٧٧) أبو الحسن يحيى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، اشترك وأخوه إدريس مع الحسين بن علي (صاحب فخ) في ثورته، وبعد إخفاقها فرّ وتجول في بعض البلدان متستراً ثم استقر في بلاد الديلم، فأمر الرشيد واليه على نواحي المشرق الفضل بن يحيى بمحاربته، فاستطاع هذا إبرام الصلح معه بشروط أقرها الرشيد وأمان منحه إياه بخطه ثم نقضه. للتفاصيل ينظر:

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، تاريخ الطبري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ج٨، دار المعارف، ط٢، مصر ١٩٧٦، ص٢٤٢-٢٥١. الأصفهاني، ص٤٦٣-٤٨٣.

(٧٨) يكنى بأبي عبد الله، أعلن ثورته على الحكم العباسي بسبب سوء معاملة والي العباسيين على المدينة عمر بن عبد العزيز العمري للعلويين، وخرج إلى مكة فوجه له الخليفة الهادي جماعة من العباسيين على رأسهم محمد بن سليمان بن علي العباسي الذي تمكن من الانتصار عليه وقتله في وادي فخ بالقرب من الحرم المكي سنة ١٦٩هـ-٧٨٥م. للتفاصيل يراجع:

الطبري، ج٨، ط٢، ١٩٢-٢٠٤.

الأصفهاني، ص٤٣١-٤٥٥

(٧٩) وهو واد بمكة. الحموي، ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، معجم البلدان، م٤، دار صادر، بيروت ١٩٧٩، ص٢٣٧.

(٨٠) المقدمة، ٣٠٣:١. وللتفاصيل يراجع: الطبري، ج٨، ص٢٤٢-٢٤٣، ٢٨٩. المسعودي، ج٣، ص٣٠٨. فرج، هولو جودت (الدكتور)، البرامكة سلبياتهم وإيجابياتهم، دار الفكر اللبناني، بيروت ١٩٩٠، ص٥٩ وما بعدها.

(٨١) المقدمة، ١: ٣١٦-٣١٧.

(٨٢) ، (٨٣) المقدمة، ٥٢٩:٢، ٥٣١.

(٨٤) ناقش الدكتور علي الوردي آراء ابن خلدون في هذا الموضوع، ينظر كتابه سابق الذكر، ص٩٢-٩٣، ٢١٢-٢١٦.

(٨٥) المقدمة، ٥٢٥:٢.

(٨٦) يمكن التعرف على تفاصيل تلك الجذور من خلال ما هو مذكور -من مصدر ،ومراجع- في الحاشية (٣).

مجلة العلوم الإنسانية
مجلة دورية محكمة تصدر عن كلية الآداب - جامعة البحرين

المحور..
دراسات البيئة
من منظورات مختلفة

دراسات البيئة
من منظورات مختلفة

■ القضايا البيئية في الصحف القطرية

د. حسن المهندي
د. ربيعة الكواري

■ دور الإعلام في التوعية البيئية في الأردن

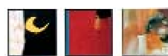
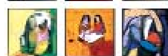
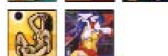
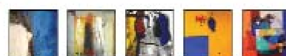
د. علي العنانزة

■ التربية البيئية من وجهة نظر إسلامية

د. عبد اللطيف آل محمود

■ في تحوّلات ثقافة البيئة البَحْرية بالمجتمع التّونسي

د. عادل بالكحلة



The Environmental Issues In The Qatari Newspapers

Dr. Hassan Ibrahim Al-Mohannadi

Dr. Rabiah Sabah Al-Kuwari

Abstract

The purpose behind this study is to highlight the Qatari newspapers Coverage of environmental issues with regard to quantity, quality, geographical sphere, place in the newspapers, source and writing style. The study also discusses to what extent these newspapers are concerned with the environment, as well as their contribution toward making people environmentally as aware.

This study has scrutinized (1191) issues of the Qatari daily newspapers, from the 1st of July 2003 up to the 31st of July 2004. After searching environment related topics published in these newspapers.

The study concludes that:

- The newspapers are concerned with wildlife life at the expense of the environmental issues.
- In comparison to other geographical spheres, the environment has gained more coverage. However, this coverage has focused on the activities of environmental institutions without a proper analysis or serious discussion. The Arabian and regional environmental issues were clearly over looked.
- Environment-related topics don’t have front page priority in publishing.
- Most environmental issues are in the form of news. Writers, caricaturists and readers usually ignore them.

The study provides the following recommendations:

- Specifying a daily page in each newspaper for environmental affairs and training the concerned staff as well.
- Newspapers should have freedom to write a bout local environment issues.
- Giving up the traditional writing style while handling this issue.
- Regional and Arabian environmental issues should be paid more attention.

القضايا البيئية
في الصحف القطرية

د. حسن بن إبراهيم المهندي *

د. ربيعة بن صباح الكواري *

الملخص

يهدف هذا البحث إلى التعرف على تغطية الصحف القطرية للقضايا البيئية المختلفة، من حيث حجمها، ونوعيتها، وإطارها الجغرافي، وموقعها، ومصدرها، وقالبها التحريري؛ وصولاً إلى التعرف على مدى الاهتمام الذي تجده القضايا البيئية في هذه الصحف، ومساهمتها في خلق الثقافة البيئية لدى المسئولين والجماهير.

حاول هذا البحث تقصي وضع القضايا البيئية في الصحف اليومية القطرية، في الفترة من ١ يوليو ٢٠٠٣م، وحتى ٣١ يوليو ٢٠٠٤م، وأسفر البحث عن نتائج من أهمها:

- ❖ اهتمت الصحف كثيراً بقضايا الحياة الفطرية على حساب القضايا الأخرى.
- ❖ أتى جُل الموضوعات البيئية المحلية على هيئة تغطية لأنشطة المؤسسات البيئية، دون تحليل أو مناقشة جادة، مع تجاهل واضح للقضايا البيئية الإقليمية والعربية.
- ❖ أتى معظم الموضوعات البيئية في الصفحات الداخلية.
- ❖ صيغت أكثرية القضايا البيئية على قالب الخبر، مع تجاهل بيِّنٍ من قبل الكتاب والقراء وفناني الكاريكاتير لتناول الشئون البيئية.

وانتهى البحث إلى التوصيات الآتية:

- ❖ تخصيص صفحة يومية في كل صحيفة تعنى بشئون البيئة، مع التدريب المتكامل لمحرريها.
- ❖ إعطاء مساحة أوسع من الحرية للصحافة في تناول القضايا البيئية المحلية.
- ❖ التخلي عن الأساليب التحريرية التقليدية في تناول القضايا البيئية.
- ❖ ضرورة منح القضايا البيئية الإقليمية والعربية مزيداً من الاهتمام.
- ❖ أن تتيح الجهات الرسمية وغير الرسمية المعلومات البيئية للقائمين بالاتصال.

*** أستاذ الجغرافيا الطبيعية المساعد، جامعة قطر.**

*** أستاذ الإعلام المساعد، جامعة قطر.**

القطرية الثلاث الصادرة باللغة العربية وهي: الراية والشرق والوطن، بالقضايا البيئية ومساهمتها في تبصير المسئولين تجاهها، ونشر الوعي البيئي في أوساط الجماهير، وذلك في الفترة من ١ يوليو ٢٠٠٣م وحتى ٣١ يوليو ٢٠٠٤م.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى التعرف على مدى اهتمام الصحف القطرية بالقضايا البيئية المختلفة، وكيفية تناولها لتلك القضايا، ومن ثَمَّ مساهمتها في رفع مستوى الوعي لدى المواطن القطري بشئون بيئته العالمية والمحلية. إن البحوث التي تناولت دور وسائل الاتصال الجماهيري في رفع مستوى وعي المواطن القطري بمختلف القضايا تتسم بالمحدودية والقصور الشديدين، بل لم تتناول في حدود علمنا أية دراسة في قطر هذا الدور تجاه القضايا البيئية، مع وجود دراسات عنيت بقضايا أخرى في الصحافة القطرية، ونذكر منها: دراسة «الصحافة القطرية والقضايا العربية»[١]، ودراسة «وسائل الإعلام والتحول في قيم العمل في المجتمع القطري»[٢]، ودراسة «الصحافة القطرية والاتصال اللغوي: صحيفة الراية أنموذجاً»[٣].

لذا يأمل الباحثان أن يساعد هذا البحث على سد هذا النقص من الناحية النظرية، أما من الناحية العملية فيأملان أن تساهم نتائج هذا البحث في توجيه صناع القرار البيئي وأصحاب الرأي في قطر نحو الاهتمام بمسألة رفع وعي المواطن القطري بشتى القضايا البيئية، وذلك عن طريق وسائل الإعلام بشكل عام، والصحافة بشكل خاص.

تساؤلات البحث:

في ضوء تحديد أهداف البحث صيغت التساؤلات الآتية:

- ما حجم ونوعية القضايا البيئية التي تتناولها الصحف القطرية؟.
- ما الإطار الجغرافي للموضوعات البيئية المتناولة؟.

المقدمة:

البيئة هي المحيط الذي تعيش فيه الكائنات الحية من إنسان وحيوان ونبات. وقد برز في النصف الثاني من القرن الماضي العديد من القضايا البيئية، ربما لايخلو مجتمع على وجه الأرض من التأثر بها؛ لكونها عالمية الطابع، وفي مقدمة تلك القضايا، التلوث البيئي، وتفشي الأوبئة، والحياة الفطرية، والكوارث الطبيعية، والتصحر، وغيرها، ولكون هذه القضايا في مجملها عالمية الطابع، فالتلوث البيئي على سبيل المثال لايتقيد بالحدود السياسية للدول. بدأ الاهتمام بها وخاصة في ستينات القرن الماضي في البروز، وما تزايد المؤتمرات الأممية التي اهتمت بالشئون البيئية، مثل مؤتمر إستوكهولم بالسويد عام ١٩٧٢م، ومؤتمر ريودي جنيرو بالبرازيل عام ١٩٩٢م، ومؤتمر جوهانسبيرج بجنوب أفريقيا عام ٢٠٠٢م، إلا أحد أبرز الأوجه لجدية ما تواجهه البيئة العالمية من مخاطر. ومن هنا أتت أهمية نشر الوعي البيئي؛ لإيجاد رادع ذاتي ينبع من داخل الإنسان، لتجنب المشكلات البيئية أو الحد منها، والتي غدت في وقتنا الراهن واحدة من أهم وسائل الحفاظ على البيئة. وفي عالمنا المعاصر تعتبر وسائل الإعلام وفي مقدمتها الصحافة من أهم وسائل نشر الوعي البيئي.

دولة قطر لاتشذ عن دول العالم المتحضر من حيث معاناة بيئتها المحلية من التدهور، وإن برز هذا الأمر بشكل متأخر، وترافق مع ارتفاع أسعار النفط في سبعينات وبداية ثمانينات القرن الماضي، حيث أدى ذلك إلى نمو هائل في مختلف القطاعات، والذي كان من أهم نتائجه التأثير السلبي في مكونات البيئة المختلفة؛ لذلك برز الاهتمام بالقضايا البيئية في قطر، ويعتبر إنشاء المجلس الأعلى للبيئة والمحميات الطبيعية عام ٢٠٠٠م، وتضمين الدستور الجديد مواد تؤكد حماية البيئة، من أهم شواهدها. ومن أوجه الاهتمامات الأخرى تناول القضايا البيئية بين حين وآخر بكافة أنواعها وإطاراتها الجغرافية في وسائل الإعلام المختلفة.

هذا البحث يتناول من خلال دراسة ميدانية مدى اهتمام ومساهمة الصحف

في شئون البيئة، وذلك للتعرف على مدى شموليتها ووضوحها، وتم الأخذ ببعض المقترحات التي أبدوها، وقد اشتملت الاستبانة على مايلي (انظر أيضاً الملحق ١):

- ❖ نوعية الموضوعات البيئية التي تناولتها الصحف القطرية، وقسمت إلى التلوث البيئي، والحياة الفطرية، والتصحر، والأوبئة، والكوارث الطبيعية، وأخرى.
- ❖ قسم موضوع التلوث البيئي إلى موضوعات فرعية، وذلك لأهميته، وكذلك الحال بالنسبة للحياة الفطرية والكوارث الطبيعية.
- ❖ الإطار الجغرافي للخبر من حيث كونه محلياً، أو إقليمياً، أو عالمياً، أو شاملاً.
- ❖ مصدر الموضوع من أحداث واقعية، أو كتاب، أو تقرير، أو بيان، أو تصريح، أو وجهة نظر كاتب، أو رأي خبير.
- ❖ موقع الموضوع في الصفحة الأولى، أو الداخلية، أو الأخيرة.
- ❖ القوالب التحريرية للموضوع من حيث كونه خبراً، أو تحقيقاً، أو تقريراً، أو حواراً، أو مقالاً، أو رأي قارئ، أو رسمي، أو كاريكاتير، أو تعليق صورة.

٢) عينة البحث:

تم إجراء دراسة مسحية لما تم تناوله من القضايا البيئية التي حددت سلفاً في الصحف القطرية الثلاث الصادرة باللغة العربية وهي: الراية والشرق والوطن، وتم تفحص جميع الأعداد الصادرة خلال ثلاثة عشر شهراً من ١ يوليو ٢٠٠٣م، حتى ٣١ يوليو ٢٠٠٤م، ومن خلال هذه الدراسة المسحية تم الاطلاع على (١١٩١) عددٍ، وذلك بواقع (٣٩٧) عددٍ من صحيفة الراية، و(٣٩٧) عددٍ من صحيفة الشرق، و(٣٩٧) عددٍ من صحيفة الوطن.

٣) المعالجة الإحصائية:

- ❖ تم معالجة البيانات الرقمية الأولية التي تم الحصول عليها من الدراسة المسحية بواسطة الحزمة الإحصائية (SPSS)

- ❖ ما مصادر الموضوعات البيئية في الصحف القطرية؟
- ❖ ما موقع الصفحات التي تتناول القضايا البيئية؟.
- ❖ ما القوالب التحريرية التي استخدمت في تقديم الموضوعات البيئية؟.

فروض البحث:

- ❖ الفرض الأول: هناك علاقة بين زيادة المشكلات التي تتعرض لها البيئة الطبيعية، والاهتمام المحلي والدولي بها من ناحية، واهتمام الصحف القطرية بقضايا البيئة من ناحية أخرى.
- ❖ الفرض الثاني: هناك علاقة بين اهتمام الصحف القطرية بقضايا البيئة وتنوع المصادر والقوالب التحريرية المستخدمة في معالجتها.

منهجية البحث:

يسير البحث وفق المنهج الوصفي التحليلي؛ اعتماداً على ماتم جمعه من معلومات أولية بواسطة الدراسة المسحية للقضايا البيئية التي تناولتها الصحف القطرية، والمعلومات الثانوية التي احتوتها الدراسات والبحوث ذات الصلة بموضوع البحث. أما التحليل فكان للبيانات التي تم الحصول عليها من خلال الدراسة المسحية.

١) أداة البحث:

تم تصميم استبانة اشتملت على أهم القضايا البيئية والشكل الذي يتم فيه تناول القضية البيئية، وذلك اعتماداً على عدة دراسات سابقة، ولاسيما بحثي المدني وآخرين للموضوعات البيئية في الصحافة السعودية عام ١٩٩٢م[٤]، وطبق البحث نفسه على الصحف البحرينية عام ١٩٩٧م[٥]، وقد استفاد الباحثان من هاتين الدراستين في إعداد استبانة هذا البحث، ومن ثم عرضت على بعض المتخصصين

الشكل رقم (١) التفاعل بين مكونات المنظومة البيئية.

الاهتمام بالوعي البيئي في دولة قطر:

تعتبر البيئة القطرية من البيئات الفقيرة الهشة، وقد أدرك سكان قطر في عهد ماقبل النفط هذه الحقيقة، فتعايشوا مع ظروف بيئتهم بشكل يتوافق مع تلك الحقيقة، وما إن تم إنتاج النفط وتصديره بشكل تجاري في أواخر عام ١٩٤٩م، حتى بدأ ذلك التوازن المثالي في الاختلال[١٤]، حيث تزايدت أعداد السكان من حوالي ٢٥ ألف نسمة عام ١٩٥٠م، وإلى ١١١ ألفٍ عام ١٩٧٠م[١٥]، حتى بلغت ٧٤٣ ألف نسمة عام ٢٠٠٤م[١٦]، وشهدت الدولة تنوعاً كبيراً في الأنشطة الاقتصادية، مما أدى إلى تدهور مكونات البيئة في ظل عدم دمج الأبعاد البيئية في الخطط التنموية، ومن أبرز صور هذا التدهور مايلي:

- ❖ استنزاف مورد المياه الجوفية نتيجة للسحب الجائر، حيث ارتفع العجز بشكل تدريجي منتظم من ١٩,٥٨ مليون متر مكعب عام ١٩٧٢م، إلى ١٨٦٨ مليون متر مكعب عام ٢٠٠١م[١٧]، ولم يتبقّ في الوقت الراهن سوى ٦٠٠ مليون متر مكعب من مخزونها من أصل ٢٥٠٠ مليون متر مكعب عام ١٩٧٢م، وبات نفادها أمراً محتوماً في السنوات القليلة القادمة[١٨].
- ❖ تلوث مياه البحر، وخاصة بمشتقات النفط؛ لكون منطقة الخليج العربي من أكبر منتجيه، ومياهه معرضة بشكل مستمر للتسرب المتعمد أو العارض[١٩]، وتتعرض السواحل القطرية لأنواع شتى من التلوث من أهمها: عمليات الحفر والدفان، والنفايات الصناعية، ومخلفات محطات توليد الطاقة وإعذاب المياه، ومياه الصرف الصحي غير المعالجة، مما أدى إلى إفساد جانب من البيئة البحرية وإلحاق الضرر بكائناتها[٢٠].
- ❖ تلوث الهواء بواسطة المراكز الصناعية التي تمتاز بقدرتها العالية على انبعاث

❖ تم تصنيف البيانات الناتجة في جداول تفصيلية.

❖ تم إبراز أهم نتائج البحث في أشكال بيانية مناسبة بواسطة برنامج (EXCEL).

ماهية البيئة:

البيئة في اللغة العربية مشتقة من (بوأ)، وهي مرادفة للمنزل والموطن، قال الله تعالى ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالإِيمَانَ...﴾ (الحشر:٩)، أي اتخذوا من المدينة المنورة بيئةً لهم وداراً[٦]، ويراد بها أيضاً المحيط، فيقال مثلاً الإنسان ابن بيئته الاجتماعية وهكذا[٧]، ويتطابق هذا التعريف العربي بأصل كلمة البيئة في اللغة الإنجليزية (Ecology)، والمشتقة من الكلمة اليونانية (Oikos)، وتعني البيت أو المنزل و كلمة (Logos) وتعني العلم[٨]، وقد صيغت بواسطة العالم الألماني أرنست هيكل (Ernst Haeckel)؛ للدلالة على العلم الذي يتناول العلاقة بين الكائنات الحية وبيئتها[٩]، أما المعنى الاصطلاحي فقد واجه صعوبات جمة تبعاً لتعدد المفاهيم، ولكن في الاجتماع الذي خصص للتربية البيئية في بلجراد عام ١٩٧٥م، عرّف الخبراء البيئة بأنها «العلاقات الأساسية القائمة بين العالم الطبيعي الفيزيائي وبين العالم الاجتماعي السياسي الذي هو من صنع الإنسان»[١٠]. فالبيئة إذاً وفقاً لهذا التعريف تنقسم إلى: بيئة طبيعية، وبيئة بشرية أو حضارية، الأولى هي الوسط الذي يعيش فيه الإنسان، وتشمل المكونات الحية من نبات وحيوان، ذات الخصائص المختلفة تبعاً لتنوع المكونات غير الحية، والتي تشمل المناخ ومظاهر سطح الأرض، وتشكل هذه المكونات بنوعيها الحية وغير الحية وحدة مترابطة على هيئة منظومة بيئية (انظر الشكل١)[١١]، أما البيئة البشرية أو الحضارية فهي من صنع الإنسان، نتيجة تفاعله مع مكونات بيئته[١٢]، وهي في الأصل بيئة طبيعية، ولكن سعى الإنسان إلى تطويعها من أجل تحقيق مصالحه، الأمر الذي أدى إلى حدوث خلل في توازنها الطبيعي[١٣].

والتي من ضمنها نشر الوعي البيئي، والذي بموجبه تم تأسيس مركزٍ إعلاميٍّ لوضع السياسات التوعوية[٢٦].

الشكل رقم (٢) أهداف المجلس الأعلى للبيئة والمحميات الطبيعية.

لقد توافرت لهذا المجلس إمكانات بشرية ومادية فضلاً عن سلطات واسعة، وذلك لرئاسته من قبل ولي العهد، مما منحه هيبة ونفوذاً لدى مؤسسات الدولة، الأمر الذي مكنه من تحقيق بعض من أهدافه في الفترة القصيرة من عمره، وذلك على عدة أصعدة، من بينها تنفيذ برامج طموحة؛ لرفع الوعي الجماهيري تجاه المحافظة على البيئة، من أبرزها مايلي[٢٧]:

- ❖ تنظيم محاضرات تثقيفية لطلاب المدارس بالتعاون مع وزارة التربية والتعليم.
- ❖ تنظيم ندوات ومحاضرات متخصصة على المستوى المحلي، والإقليمي، والدولي.
- ❖ تنظيم مسابقات بيئية.
- ❖ التعاون مع صحيفة الراية في إعداد وتنفيذ صفحة (بيئتنا) النصف شهرية.
- ❖ التعاون مع إذاعة قطر في إعداد برنامج (أنت والبيئة) الأسبوعي.
- ❖ إصدار العديد من المطبوعات البيئية المتخصصة على شكل كتيبات، وملصقات، ولوحات إعلانية، وكتب تعليمية للأطفال.
- ❖ القيام بحملات إعلامية بالتعاون مع المؤسسات المعنية، مثل حملة تنظيف السواحل.
- ❖ التعاون مع المؤسسات المعنية بشئون الشباب؛ لتنفيذ برامج توعوية لرفع مستوى وعيهم البيئي.

وتساهم في رفع الوعي البيئي مؤسسات رسمية أخرى، من أهمها المؤسسات التعليمية، فقد نالت الموضوعات البيئية قسطاً وافراً في مختلف مناهج المراحل

الجزيئات والغازات السامة، ولاسيما أكاسيد الكبريت والنتروجين، والهيدروكربونات، والأمونيا[٢١].

- ❖ بروز ظاهرة تصحر الأراضي نتيجة لانخفاض مستويات المياه الجوفية وارتفاع ملوحتها، وزحف الكثبان الرملية إلى الأراضي الزراعية، وتدهور المراعي الطبيعية نتيجة الرعي الجائر، والتوسع العمراني[٢٢].
- ❖ كائنات عديدة من الثدييات، والطيور، والزواحف، التي تعيش في البيئة القطرية انقرضت أو باتت مهددة بالانقراض؛ نتيجة لتدمير بيئتها الطبيعية والصيد الجائر[٢٣].

لمواجهة هذا التدهور البيئي، صدر مرسوم قانون رقم ٤ لسنة ١٩٨١م، بإنشاء اللجنة الدائمة لحماية البيئة، وألحقت بمجلس الوزراء برئاسة وزير الصحة، وكان من أولويَّات أهدافها رفع مستوى الوعي الجماهيري بالظروف البيئية، حيث نصت الفقرة الثامنة من المادة الخامسة من القانون على «العمل على إدخال التثقيف البيئي في البرامج التعليمية والإعلامية. ووضع خطط التوعية للمواطنين وحثهم فرادى وجماعات على المساهمة في حماية البيئة»، وفي عام ١٩٩٤م صدر المرسوم بقانون رقم ١٣، والذي بموجبه تم إلحاق اللجنة بوزارة الشئون البلدية والزراعة[٢٤]، ولكن اللجنة واجهت عدة مشكلات عَوَّقت تأدية المسئوليات التي أوكلت لها، تمثلت في ضعف الموارد المالية، وقلة الكفاءات الإدارية المتخصصة، وعدم توافر المختبرات المزودة بالأجهزة الحديثة، وعدم منحها صلاحيات مناسبة، وخاصة فيما يتعلق بالمشاركة في التخطيط لإدخال الاعتبارات البيئية في المشاريع التنموية[٢٥].

لذا كان لابد من إصلاح هذا الوضع بإيجاد مؤسسة بيئية ذات قدرة أكبر لمواجهة التحديات التي تواجهها البيئة القطرية، فتم إصدار المرسوم بقانون رقم ١١ لسنة ٢٠٠٠م، بإنشاء المجلس الأعلى للبيئة والمحميات الطبيعية، برئاسة ولي العهد، ويتمتع بشخصية اعتبارية وميزانية مستقلة، ويبين الشكل (٢) أهداف هذا المجلس،

تطور الصحافة القطرية :

بدأت مسيرة الصحافة في قطر في النصف الثاني من القرن الماضي، بسبب ما شهدته الدولة من نهضة واسعة بعد اكتشاف النفط وتصديره بشكل تجاري، وتمثل ذلك في تأسيس بعض الإدارات الإعلامية، وإنشاء المدارس التعليمية التي كانت بمثابة العامل المشجع لظهور الصحافة المطبوعة، حيث ظهرت مع بداية خمسينات القرن الماضي المدارس النظامية في قطر، وفي عام ١٩٥٦م تم تأسيس وزارة المعارف[٣٤].

أما ظهور الصحافة في قطر ، فيمكن تقسيمه إلى قسمين :

القسم الأول: ويشمل الصحافة الحكومية التي بدأت بظهور (الجريدة الرسمية) عام ١٩٦١م، وذلك لتغطية الأخبار الرسمية للدولة، وهي لا تزال مستمرة في الصدور، ثم صدرت بعض المجلات والصحف الحكومية الأخرى مثل: مجلة الدوحة، ومجلة ديارنا والعالم، ومجلة الصقر، ومجلة الخليج الجديد، ومجلة الأمة .. وغيرها[٣٥].

القسم الثاني: ويشمل الصحافة الأهلية أو الخاصة، التي بدأت بظهور أول مجلة أهلية في قطر وهي مجلة (العروبة) عام ١٩٧٠م، ثم صدرت صحيفة (العرب) اليومية، وهي أول صحيفة أهلية، وصدر العدد الأول منها عام ١٩٧٢م، ومنذ ذلك الحين توالى إصدار العديد من المجلات والصحف اليومية والأسبوعية، وقد توقف بعضها عن الصدور[٣٦].

وفي الوقت الراهن تصدر في قطر ثلاث صحف يومية ناطقة باللغة العربية هي[٣٧]:

- صحيفة الراية، وصدر العدد الأول منها عام ١٩٧٩م.
- صحيفة الشرق، وصدر العدد الأول منها عام ١٩٨٧م.
- صحيفة الوطن، وصدر العدد الأول منها عام ١٩٩٥م.

التعليمية[٢٨]، ويبين الجدول (١) الموضوعات البيئية التي تناولتها مناهج التعليم العام للعام الدراسي ٢٠٠٠/٢٠٠١م، ومن ناحية أخرى اهتمت جامعة قطر منذ إنشائها عام ١٩٧٧م بالعلوم البيئية، حيث تبلغ المقررات البيئية في برامجها المختلفة أكثر من ٣٠ مقرراً، وقد أنشئت وحدة للدراسات البيئية عام ١٩٨٤م، يضاف إلى ذلك المراكز التابعة للجامعة، والتي تهتم بالبحوث المحلية ذات الصبغة البيئية[٢٩].

الجدول رقم (١) الموضوعات البيئية التي تناولتها مناهج التعليم العام في دولة قطر للعام الدراسي ٢٠٠٠/٢٠٠١م.

وقد بلغ الاهتمام الرسمي بالبيئة قمته بتضمين الدستور القطري الجديد، الذي أصدره أمير الدولة عام ٢٠٠٤م، ونال موافقة ٩٦,٦٤٪ من القطريين الذين يحق لهم التصويت عام ٢٠٠٣م، ، نصوصاً منحت البيئة والمحافظة عليها أهمية كبيرة[٣٠]، فالمادة (٣٣) تنص على «تعمل الدولة على حماية البيئة وتوازنها الطبيعي؛ تحقيقاً للتنمية الشاملة والمستدامة لكل الأجيال»، وتنص المادة (٢٩) على «الثروات الطبيعية ومواردها ملك للدولة. تقوم على حفظها وحسن استغلالها وفقاً لأحكام القانون»[٣١].

أما بالنسبة لدور المؤسسات الأهلية، فقد تم تأسيس مركز أصدقاء البيئة عام ١٩٩٢م، كمنظمة غير حكومية معتمدة على التبرعات الشعبية، وتتمحور أهدافه حول نشر الوعي البيئي، وخاصة بين الناشئة؛ لإيجاد الروح التطوعية لحماية البيئة[٣٢]، وذلك باتباع الوسائل الآتية[٣٣]:

- ❖ تعميق الوعي البيئي بين الشباب، وتوجيههم نحو الحفاظ عليها.
- ❖ تنمية المعارف البيئية وغرس الشعور بالمسئولية بين المواطنين تجاه بيئتهم.
- ❖ تعميق الإحساس بأهمية الوعي البيئي، كأحد ركائز التنمية الشاملة.
- ❖ التعريف بجهود المؤسسات الحكومية في مجال المحافظة على البيئة.

ظواهر منها: الدورة العالمية للرياح، والأحواض المائية المشتركة، والصفة التراكمية لبعض الملوثات، ومحدودية بعض إجراءات التحكم بالتلوث، وتردد بعض الدول في اتباع أسلوب التنمية في الإطار البيئي، وتصدير التلوث من الدول المتطورة تقنياً إلى النامية[٤٣]، فقد قال يوثانت (Uthant) الأمين العام الأسبق لمنظمة الأمم المتحدة: «إننا جميعاً شئنا أو أبينا نسافر معاً على ظهر كوكب واحد» و «ليس لنا من بديل عقلاني سوى أن نعمل معاً لنجعل منه بيئة نستطيع نحن وأطفالنا أن نعيش فيها حياة كاملة وآمنة»[٤٤]. إن اهتمام الإنسان ببيئته ليس بالأمر الجديد، ولكن منذ القرن الماضي تطورت نظرته تجاه البيئة، ففي أوائل ذلك القرن كان اهتمام الإنسان منصباً بالأساس على حماية الحياة البرية، ولكن ما إن حلّ العقد السادس منه حتى أصبحت الحركة البيئية ذات صبغة شعبية، وعلى نطاق واسع، وقد أصبح لأفراد المجتمع المنضوين في جماعات بيئية، قدرة في التأثير على السياسات المحلية والدولية[٤٥].

وأمام تزايد تدهور البيئة العالمية، وتصاعد الضغوط الشعبية، عقد العديد من المؤتمرات الأممية؛ للتصدي للحد من هذا التدهور، وقد أكدت جميعها ضرورة الاستفادة من وسائل الإعلام في نشر الوعي البيئي بين الجماهير، ومن أولها وأهمها مؤتمر الأمم المتحدة الأول للبيئة الإنسانية، والذي عقد بمدينة إستوكهولم في السويد عام ١٩٧٢م، وأكدت توصياته ضرورة توعية كافة أفراد شعوب العالم بمشكلات البيئة[٤٦]، وفي المؤتمر الدولي الحكومي للتربية البيئية، والذي عقد بمدينة تبليسي في جورجيا عام ١٩٧٧م، جاء في توصيته الثالثة، التأكيد على ضرورة توعية الجماهير بالقضايا البيئية، وشن حملة إعلامية واسعة لتحقيق ذلك الهدف، ودعا إلى نشر المعرفة البيئية بواسطة كافة وسائل الإعلام، مع تنفيذ برامج تدريبية للعاملين في تلك الوسائل[٤٧]، وقد أكدت هذا التوجه المؤتمرات وورش العمل التي عقدت بعد ذلك، ومن أهمها مؤتمر الأمم المتحدة عن البيئة والتنمية بمدينة ريودي جنيرو في البرازيل عام ١٩٩٢م، وقد صدر عنه إعلان نصَّ مبدأه العاشر على أن «تعالج قضايا

وعلى الرغم من العمر القصير نسبياً للصحافة القطرية، نرى أن مقومات النجاح لا تزال مستمرة في هذه المؤسسات من خلال المنافسة الشريفة بينها، والسعي إلى كسب شرائح عريضة من القراء[٣٨]، على الرغم مما تعانيه من ضعف في التحليل العميق للأحداث المحلية والدولية، وذلك لاعتمادها الكبير على ماتبثه وكالات الأنباء العالمية، مع تجاهل واضح لمناقشة القضايا المحلية، وخاصة الحساسة منها، فتخرج هذه الصحف على هيئة فضائية سياسية، تتخللها صفحات عديدة من الإعلانات والتعازي، لذا يمكن تصنيفها على أنها صحافة خبر، وليست صحافة رأي، مما جعل منتديات الشبكة المعلوماتية المحلية تتفوق عليها من حيث الشعبية بين الجماهير، لما تتميز به من طرح جريء للأوضاع الداخلية[٣٩].

جوانب من أدبيات الموضوع والدراسات السابقة:

لقد خلق الحق سبحانه وتعالى الكون في توازن محكم، ونظام مذهل، وقوانين ثابتة، قال الله تعالى ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ (سورة القمر: ٤٩)، وقال تعالى ﴿... وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ (سورة الفرقان: ٢)[٤٠]، هذا التوازن هو أهم ما تتميز به البيئة الطبيعية، بحيث يمكن أن تتلافى أي خلل يحدث بإحدى مكوناتها، فلو أدت الظروف الطبيعية مثلاً إلى تدمير جزءٍ من غابة ما، فإنها تعود بعد بضع سنوات إلى حالتها الطبيعية[٤١]، ولكن مع تطور قدرات الإنسان على مر التاريخ، الذي شهد انتقاله من مرحلة الصيد والالتقاط إلى مرحلة الزراعة، وبعدها أتت مرحلة الصناعة، حتى المرحلة الحالية التي تسمى مرحلة ما بعد الصناعة، وعلى مر هذه المراحل ازداد عدد سكان الأرض، وتطورت أنشطتهم، وتنوعت حاجاتهم، ولاسيما في المرحلة الحالية، الأمر الذي أدى إلى ضغوط هائلة على البيئة ومواردها، مما ألحق التلف بالعديد من مكوناتها[٤٢].

إن تدمير النظم البيئية ذو صفة عالمية، وإن كانت بدايته محلية المنشأ، فالتلوث البيئي مثلاً لايبقى في منطقة التلوث، بل ينتشر ويعبر الحدود، ومرد ذلك إلى عدة

لقدرتها على الوصول لجميع طوائف المجتمع، مع قدرتها الفعالة على التأثير الإيجابي في سلوكيات الجمهور(٥٢).

إن استخدام وسائل الإعلام ليس بالأمر الحديث، فقد لجأ لها الإنسان منذ أن كان يعيش حياة الكهوف، حيث كان يطلع الآخرين على مايحدث في بيئته بواسطة الاتصال الشخصي، وعندما تعلم اللغة والكتابة لجأ إلى الكتابة، والشعر، والصورة، والمسرح، ثم أتت الثورة الإعلامية باكتشاف تقنيتي الإذاعة المسموعة ثم المرئية.

وتبين الدراسات أن شعوب دول العالم النامي تحصل على المعلومة البيئية بواسطة الإذاعة المرئية، ثم المسموعة، وتليها الصحافة، وذلك لانتشار آفة الأمية بين صفوفهم، بينما تأتي الصحافة في المرتبة الأولى في دول العالم المتقدم تقنياً(٥٣)، وتعتبر وسائل الإعلام من أهم طرق توعية الإنسان بأهمية الحفاظ على البيئة الطبيعية، ويقصد به مختلف وسائل الاتصال الجماهيري الذي يزود الجماهير بالمعلومات البيئية بطريقة موضوعية تهدف إلى رفع مستوى الوعي البيئي لديهم، مما يكوّن رأياً سليماً لديهم في مختلف القضايا البيئية(٥٤)، خاصة وأن السواد الأعظم من الناس يقضي مدة طويلة لمشاهدة الإذاعة المرئية، والاستماع للمذياع، وقراءة الصحف، ومما يعزز هذه الأهمية انتشار هذه الوسائط وسهولة وصولها لجميع شرائح المجتمع(٥٥)، وتلعب الصحافة كوسيلة اتصال جماهيرية دوراً مهماً في التأثير في الرأي العام، فهي ليست مجرد وريقات يتصفحها القارئ في الصباح أو المساء، بل هي وسيلة مهمة تؤثر في المجتمعات من خلال دورها السياسي، والاجتماعي، والاقتصادي، والثقافي، كما أنها غدت تؤدي أدوارها الوظيفية بكل نجاح وتفوق وبأرخص التكاليف، من خلال حرية الرأي، وأخذ دورها التقليدي والمتمثل في الأخبار والتثقيف والترفيه(٥٦).

وللصحافة عدة وظائف منها: الوظيفة الإخبارية والإعلامية، والوظيفة التسويقية، والوظيفة البيئية، والوظيفة الترفيهية، وظيفة الخدمات العامة، والوظيفة الثقافية، والوظيفة الإعلانية، والوظيفة التربوية، وظيفة الشرح والتفسير،

البيئة على أفضل وجه بمشاركة جميع المواطنين المعنيين على المستوى المناسب. وتوافر لكل فرد فرصة مناسبة، على الصعيد الوطني، للوصول إلى ما في حوزة السلطات العامة من معلومات متعلقة بالبيئة، بما في ذلك المعلومات المتعلقة بالمواد والأنشطة الخطرة في المجتمع، كما تتاح لكل فرد فرصة المشاركة في عمليات صنع القرار. وتقوم الدول بتيسير وتشجيع توعية الجمهور ومشاركته عن طريق إتاحة المعلومات على نطاق واسع. وتكفل فرص الوصول، بفعالية، إلى الإجراءات القضائية والإدارية، بما في ذلك التعويض وسبل الانتصاف»[٤٨]، وأكد هذا المبدأ مؤتمر القمة العالمي للتنمية المستدامة بمدينة جوهانسبيرج في جنوب أفريقيا عام ٢٠٠٢م[٤٩].

وعلى الصعيد العربي انعقد العديد من المؤتمرات والندوات البيئية، من أهمها الندوة العربية البيئية، التي انعقدت بمدينة الكويت عام ١٩٧٦م، والتي حثت على تمكين جميع فئات المواطنين من الحصول على قدر مناسب من التربية البيئية، بواسطة وسائل الإعلام المختلفة[٥٠]، والمؤتمر الدولي للتنمية والبيئة في الوطن العربي، الذي انعقد بمدينة أسيوط بمصر عام ٢٠٠٢م، ونصت توصيته السابعة عشرة على «وضع استراتيجية إعلامية للتوعية البيئية على الصعيدين العربي والمحلي ذات أبعاد شاملة يتم فيها تحديد الدور الذي تقوم به كل وسيلة إعلامية وضرورة التنسيق والتكامل بين وسائل الإعلام والهيئات والمؤسسات المعنية بالبيئة»[٥١].

أما على المستوى الإقليمي، فقد انعقد العديد من المؤتمرات والندوات العلمية التي بحثت شئون البيئة، منها المؤتمر الدولي عن آثار التلوث البيئي في التنمية في منطقة الخليج، والذي انعقد بمدينة الكويت عام ١٩٩٩م، وركز في أحد محاوره على الإعلام البيئي، وفي هذا الإطار وصى بوضع سياسة إعلامية بيئية موحدة لدول مجلس التعاون الخليجي، مع ترك أسلوب التنفيذ لوسائل الإعلام المحلية، ومع وضع برامج تدريبية للعاملين في تلك الوسائل، والاستفادة من الحملات الإعلامية البيئية، وذلك

تتعدى ١٣٪ من مجموع الأخبار المنشورة، وهي بلا شك حصيلة ضعيفة، وهذه النسبة مع ضحالتها تتسم بخلوها من التحليل وإبداء الرأي، ومرد ذلك إلى افتقار هذه الصحف إلى محررين متخصصين بشئون البيئة[٦٢]، وفي دراسة لواقع التوعية البيئية في الصحافة الصادرة في المملكة العربية السعودية (الجزيرة، وعكاظ، واليوم، واليمامة، واقرأ، والشرق)، تبين ضعف الاهتمام بالقضايا البيئية، وارتباط نشر الموضوعات البيئية بمناسبات معينة، مع قلة الاستناد إلى آراء العلماء في إقناع جماهير القراء بقضايا البيئة[٦٣]، وطبقت دراسة مشابهة على الصحف الصادرة في مملكة البحرين (أخبار الخليج والأيام)، فتبين أن هناك اهتماماً ملحوظاً بالقضايا البيئية المحلية على حساب القضايا الخليجية والعربية، مع تركيز على قضايا بيئية معينة مثل التلوث، في حين لم تحظَ قضايا مثل التصحر والحياة الفطرية باهتمام مماثل، ووجدت الدراسة اهتماماً جماهيرياً بقضايا البيئة من خلال مايطرحونه في بريد القراء من آراء حول البيئة[٦٤]، أما على الصعيد العربي فوجدت اتجاهين في الصحافة المصرية إزاء القضايا البيئية والتنموية، الأول: المعالجة السطحية للأخبار البيئية المرتبطة بالأزمات البيئية المحلية والدولية، حيث يكون التركيز على الإيجابيات وإخفاء السلبيات، وهو النموذج المسيطر على كافة أشكال وسائل الإعلام المصرية، أما الثاني فهو النظرة الشمولية لقضايا التنمية، والتي تتطلب معالجة إعلامية تتسم بالديمومة، مرتكزة على نمطين، النمط التعليمي والتربوي الذي يسعى إلى نشر المعلومات السليمة لتوعية الجماهير، والنمط النقدي الذي يسعى إلى إشراك هذه الجماهير في إبداء الرأي في الخطط التنموية التي تعرضها وسائل الإعلام، وهذا النمط يتسم بالشح الشديد، حيث لايكاد يبرز إلا في الصحف التي تصدرها الأحزاب المعارضة، وبشكل عام لايخصص الإعلام مساحة كافية للموضوعات البيئية، مقارنة بالرياضة، والجريمة، والفن[٦٥]، أما بالنسبة للصحف الأجنبية، فقد توصلت دراسة طبقت على صحيفة نيويورك تايمز الأمريكية، في فترة امتدت من ١٩٦٠م إلى ١٩٧٩م، إلى ارتباط تناول المشكلات البيئية بفترة حدوثها،

والوظيفة التعليمية .. وغيرها(٥٧)، إلا أن أهم وظيفة تتصل بدراستنا هذه هي الوظيفة البيئية، أو (مراقبة البيئة) بسبب ما يحيط بالمجتمعات من أخطار، وهنا فلابد من تحقيق الاتفاق بين أجزاء أو أفراد المجتمع من جهة، والتقريب بينها وبين البيئة نفسها من جهة أخرى، وهذا ما ذهب إليه العالم الأمريكي هارولد لازويل (H. Lasswel)(٥٨)، ومع التطور الهائل الذي تشهده وسائل الاتصال الجماهيرية أصبحت وسائل أخرى، مثل الإذاعة المرئية، والإذاعة المسموعة تتابع الأحداث الجارية من موقعها وفور حدوثها، على حين أصبحت الصحافة تقدم التحليل والتفسير لما يحدث وتعلق على الأحداث من خلال إبداء الرأي، بجانب اهتمامها بتشكيل الرأي العام تجاه القضايا المهمة المحلية والدولية، والترفيه عن الجماهير ومساعدتها على الهروب من مشكلاتها(٥٩).

لاتوجد دراسات معمقة لدور الصحافة في دولة قطر نحو تناول القضايا البيئية، وكذلك مدى الوعي البيئي لدى السكان، ولكن في دراسة لقياس مدى معرفة شرائح مختلفة من المجتمع القطري لقضية الموارد المائية في الدولة، تبين ضحالة تلك المعرفة، ولاسيما لدى الذين تلقوا تعليماً أقل من الجامعي، وفي ذات الدراسة يرى الخبراء بشئون البيئة أن البرامج التوعوية المقدمة من وسائل الاتصال الجماهيري تتسم بالضعف، وتقدم بواسطة من لايمتلكون خبرة كافية في مجال البيئة(٦٠)، وفي دراسة عن أهم الوسائل التي تؤثر في اتجاهات الشباب القطري الفكرية والثقافية، أتت الصحافة في المركز الثالث من حيث الأهمية وبنسبة ٣٥٪، وذلك بعد المسجد ورجال الدين (٥٠,٨٪)، والتعليم (٤٩,٦٪)، ولكنها تقدمت على الإذاعة المرئية (٢٨٪)، والمسموعة (١٢,٦٪)، وفي ذات الدراسة تبين أن نسبة ٢٥,٣٪ من الشباب القطري تواظب على القراءة، ونسبة ٥٦,٥٪ تواظب أحيانا، بينما نسبة ضئيلة منهم (٤,٩٪) لاتميل إلى القراءة(٦١). على مستوى أقطار مجلس التعاون الخليجي ذات المجتمعات شديدة التشابه مع المجتمع القطري، تبين أن حصيلة الأخبار البيئية في الصحف الإماراتية الثلاث الصادرة باللغة العربية (الخليج، والبيان، والاتحاد)، لا

التي استحوذت على نسبة ٤١,٨٪ من مجمل الموضوعات البيئية المتناولة، وفي المرتبة الثانية أتت قضايا التلوث البيئي بنسبة ٢٦,٥٪، ثم المواضيع البيئية المتفرقة بنسبة ١٥,٤٪، والتي تناولت البيئة بشكل شامل، تنظيم مؤتمرات، وندوات بيئية، وهي في مجملها محلية الطابع، ويلاحظ الاهتمام بقضايا الأوبئة البيئية، خاصة أن فترة الدراسة تمت أثناء تفشي عدة أوبئة في بعض أقطار القارة الآسيوية، مثل الالتهاب الرئوي الحاد وأنفلونزا الطيور، حيث نالت هذه القضية نسبة ١١,٢٪، على حين لم تحظَ قضية الكوارث الطبيعية إلا على نسبة ٤,٦٪، وفي المرتبة الأخيرة أتت قضية التصحر بنسبة متواضعة جداً بلغت ٠,٥٪ من مجمل القضايا البيئية المتناولة (انظر الشكل ٤ والجدول م١-١).

الشكل رقم (٤) القضايا البيئية التي تناولتها الصحف القطرية في الفترة من ١ يوليو ٢٠٠٣م - ٣١ يوليو ٢٠٠٤م.

٢-١ قضايا التلوث البيئي التي تناولتها الصحف القطرية:

مر بنا أن قضية التلوث البيئي احتلت المرتبة الثانية من حيث عدد مرات التناول في الصحف القطرية، ولأهمية هذا الموضوع تم تجزئته إلى قضايا فرعية، فتبين أن موضوع تلوث الغلاف الغازي يأتي في مقدمة قضايا التلوث من حيث الاهتمام، حيث تم تناوله ١٧٣ مرة وبنسبة ٣٠,٣٪ من مجموع قضايا التلوث التي تناولتها الصحف القطرية، وفي المرتبة الثانية أتت موضوعات تلوث الأرض والتربة بنسبة ٢٠,٥٪، يليه موضوعات تلوث الغذاء بنسبة ١٢,٦٪، وبنسبة أقل منه بقليل (١٠,٨٪) موضوعات تلوث المياه العذبة، على حين لم تنل موضوعات التلوث البصري سوى نسبة ٧,٧٪، وتلوث المياه المالحة (٦,١٪)، والتلوث الإشعاعي (٥,٦٪)، وتم تناول قضايا التلوث بشكل شامل ١٩ مرة بنسبة ٣,٣٪، وأتت في المرتبة الأخيرة قضية التلوث الضوضائي وبنسبة ٣,١٪ من مجمل قضايا التلوث التي تناولتها الصحف القطرية (انظر الشكل ٥ والجدول م١-٢).

وفي دراسة للتعرف على مصادر الموضوعات البيئية في ست صحف رئيسة صادرة في الولايات المتحدة الأمريكية وهي: نيويورك تايمز، والتايمز، وواشنطن بوست، وأطلنطا يونسفيوش، وتربوت، ومورننج نيوز، تبين اعتمادها على المصادر الرسمية والاقتصادية بحجم فاق المصادر الأخرى، وخاصة المصادر البيئية ورأي الجماهير[٦٦].

إن هناك حاجة ماسة لاستخدام وسائل الإعلام المسموعة والمرئية والمقروءة بشكل فعال، وذلك لتزويد المواطنين بالمعرفة فيما يتعلق بالثقافة البيئية حتى يتمكن من القيام بدوره الطبيعي لحماية بيئته[٦٧].

نتائج البحث:

١) الاهتمام بالقضايا البيئية في الصحف القطرية:

تم الإطلاع على القضايا البيئية التي تناولتها الصحف القطرية الثلاث الناطقة باللغة العربية (الراية، والشرق، والوطن)، حيث أتت صحيفة الشرق في المرتبة الأولى، من حيث حجم الموضوعات البيئية التي تناولتها، وذلك بواقع ١٠٤٥ موضوعٍ، وبنسبة ٤٨,٦٪ من مجمل القضايا التي تناولتها الصحف القطرية في فترة الدراسة، ثم صحيفة الراية في المرتبة الثانية حيث تناولت ٧٣٠ موضوعٍ، وبنسبة ٣٣,٩٪، وأخيراً صحيفة الوطن التي تناولت ٣٧٧ موضوعٍ، وبنسبة ١٧,٥٪ (انظر الشكل ٣ والجدول م١-١).

الشكل رقم (٣) التوزيع النسبي لمرات تناول الصحف القطرية للقضايا البيئية في الفترة من ١ يوليو ٢٠٠٣م - ٣١ يوليو ٢٠٠٤م.

٢) القضايا البيئية التي تناولتها الصحف القطرية:

لقد انصب اهتمام الصحف القطرية الثلاث وبشكل كبير على الحياة الفطرية

فالتلوث أثناء التخزين نال نسبة ٧,٩٪، والتلوث أثناء توزيع المياه (٨٪)، والتلوث بواسطة النفايات الصناعية (٦,٤٪)، والمواد المضافة (٣,٢٪)، وبذات النسبة نشر موضوعان تناولا قضية الإسراف المائي (انظر الشكل ٧ والجدول م١-٤).

الشكل رقم (٧) قضايا تلوث المياه العذبة التي تناولتها الصحف القطرية في الفترة من ١ يوليو ٢٠٠٣م - ٣١ يوليو ٢٠٠٤م.

٢-١-٣) قضايا تلوث المياه المالحة:

لقد أتت موضوعات تلوث المياه المالحة في مركز متأخر من حيث مرات تناول قضايا التلوث في الصحف القطرية، حيث احتلت المرتبة السادسة، وأتت موضوعات تلوثها بالنفط ومشتقاته في مقدمة عدد مرات التناول بنسبة ٣١,٤٪، ثم موضوعات تلوثها بالنفايات الصلبة بنسبة ١٧,٢٪، وفي الأهمية نفسها طرحت موضوعات شاملة عن التلوث البحري، ثم تلوثها بمصادر صناعية وبنسبة ١١,٤٪، ونال التلوث الحراري أهمية في صحيفة الشرق فقط، حيث نال نسبة ٨,٦٪، وتوزعت بقية النسب الضئيلة على الردم والتطهير (٥,٧٪)، والنفايات السائلة (٢,٨٪)، وتم تناول موضوعين عن التلوث بواسطة نمو الطحالب و النقل البحري (انظر الشكل ٨ والجدول م١-٥).

الشكل رقم (٨) قضايا تلوث المياه المالحة التي تناولتها الصحف القطرية في الفترة من ١ يوليو ٢٠٠٣م - ٣١ يوليو ٢٠٠٤م.

٢-١-٤) قضايا تلوث الأرض والتربة:

اهتمت الصحف القطرية بموضوعات تلوث الأرض والتربة، حيث أتت في المرتبة الثانية من بين قضايا التلوث البيئي التي تم تناولها، وهذا التناول ربط بشكل كبير جداً موضوعات التلوث بالمواد الصلبة التي أتت في المقدمة بنسبة ساحقة بلغت

الشكل رقم(٥) قضايا التلوث البيئي التي تناولتها الصحف القطرية في الفترة من ١ يوليو ٢٠٠٣م - ٣١ يوليو٢٠٠٤م.

٢-١-١) قضايا تلوث الغلاف الغازي:

نال تلوث الغلاف الغازي النصيب الأوفر من الموضوعات التي تناولتها الصحف القطرية مقارنة بأنواع الملوثات البيئية الأخرى، وقد نال التلوث بواسطة التدخين المرتبة الأولى من حيث مرات التناول وبنسبة ٢٢٪، تلاه ظاهرة الاحتباس الحراري بنسبة ٢٠,٨٪، ثم أتى التلوث بواسطة العمليات الصناعية وبنسبة ١٠,٦٪، وتوزعت بقية النسب بين التلوث بواسطة وسائل النقل (٩,٢٪)، والتلوث بالظواهر الطبيعية، مثل العواصف الترابية (٦,٩٪)، وتلوث الهواء بشكل شامل (٩,٢٪)، وظاهرة ثقب الأوزون (٣,٥٪)، وفي المرتبة الأخيرة أتت معضلة الأمطار الحمضية (١,٣٪)، ويذكر أن قضايا تلوث الغلاف الغازي الأخرى، مثل التلوث داخل المنزل وزيادة مقادير بعض الغازات بالقرب من سطح الأرض نالت نسبة ٧,٥٪ (انظر الشكل ٦ والجدول م١-٣).

الشكل رقم (٦) قضايا تلوث الغلاف الغازي التي تناولتها الصحف القطرية في الفترة من ١ يوليو ٢٠٠٣م - ٣١ يوليو ٢٠٠٤م.

٢-١-٢ قضايا تلوث المياه العذبة:

حظيت قضية تلوث المياه العذبة على الترتيب الرابع من حيث الأهمية من بين قضايا التلوث، وقد أتت موضوعات التغير النوعي للمياه في صدارة الاهتمام بنسبة ٣٣,٩٪ من مجمل قضايا تلوث المياه العذبة التي تناولتها الصحف، ثم أتت موضوعات معضلة الندرة المائية بنسبة ٢٢,٧٪، وتم تناول قضية التلوث المائي بشكل شامل ٨ مرات بنسبة ١٢,٩٪، أما بقية الموضوعات فقد نالت نسباً متواضعة،

٢-٢ قضايا الحياة الفطرية التي تناولتها الصحف القطرية:

اهتمام الصحف القطرية بقضايا الحياة الفطرية فاق بصورة جلية اهتمامها ببقية القضايا البيئية، حيث إن مايقارب من نصف القضايا التي تناولتها تهتم بشئون الحياة الفطرية، ولاسيما الحيوانات البرية التي استحوذت على نسبة ٥٧,٢٪ من مجمل قضايا الحياة الفطرية المتناولة، ثم وبنسبة تقل كثيراً (١٧,٩٪) الحيوانات المائية ، ونالت قضايا النباتات البرية نسبة ١٦,٧٪، على حين أن قضايا التنوع الحيوي لم تحصل سوى على نسبة ٧,٢٪ ، واحتلت المرتبة الأخيرة قضايا النباتات المائية وبنسبة ضئيلة بلغت ١٪ من مجمل قضايا الحياة الفطرية التي تم تناولها (انظر الشكل ١١ والجدول م١-٨).

الشكل رقم (١١) قضايا الحياة الفطرية التي تناولتها الصحف القطرية في الفترة من ١ يوليو ٢٠٠٣م - ٣١ يوليو ٢٠٠٤م.

٢-٣) قضايا الكوارث الطبيعية التي تناولتها الصحف القطرية:

ارتبط اهتمام الصحف القطرية بقضايا الكوارث الطبيعية بوقوعها في مناطق مختلفة من العالم، وخاصة الزلازل التي نالت المرتبة الأولى من حيث الاهتمام بنسبة ٣٧٪ من مجمل قضايا الكوارث التي تم تناولها، وذلك لكون فترة الدراسة ترافقت مع حدوث بعض الزلازل، التي كان من أشدها ذلك الزلزال الذي دمر مدينة بام بجمهورية إيران الإسلامية، وآخران وقعا في المملكة المغربية والجمهورية الجزائرية، وأتت قضايا الفيضانات التي شهدتها بعض مناطق العالم في تلك الفترة في المرتبة الثانية بنسبة ٢٨٪، تلتها الحرائق الطبيعية بنسبة ١٥٪، ثم الأعاصير بنسبة ١١٪، على حين لم تنل قضايا البراكين سوى على نسبة ٣٪، في حين تم تناول كوارث أخرى، مثل: الصواعق والهبوط الأرضي ٦ مرات (انظر الشكل ١٢ والجدول م١-٩).

٦٨,٤٪ من مجمل ملوثات الأرض والتربة، تلا ذلك بفارق كبير التلوث بالنفايات السائلة بنسبة ١٢٪، ونالت بقية المصادر نسباً ضئيلة، فالتلوث بالحشرات نال نسبة ٣,٤٪، في حين حصل التلوث بواسطة المبيدات الكيميائية على نسبة ٢,٦٪ وتساوت كلٌّ من مصادر التلوث بالأسمدة الكيميائية، والفيروسات الضارة، وتلوث الأرض بشكل شامل، وذلك بنسبة ١,٧٪، في حين لم يتم تناول موضوع التلوث من الجو على أهميته ولو لمرة واحدة، ويلاحظ حصول موضوعات أخرى، مثل: التلوث بالمواد الخطرة، المحاجر، وتأثير انتشار الاستراحات البرية (العزب) على نسبة كبيرة نسبياً (٨,٥٪) مقارنة مع معظم المصادر التي تمت الإشارة إليها (انظر الشكل ٩ والجدول م١-٦).

الشكل رقم (٩) قضايا تلوث التربة والأرض التي تناولتها الصحف القطرية في الفترة من ١ يوليو ٢٠٠٣م – ٣١ يوليو ٢٠٠٤م.

٢-١-٥) قضايا تلوث الغذاء:

لقد اهتمت الصحف القطرية نسبياً بتلوث الغذاء، حيث حصل على المرتبة الثالثة من بين موضوعات التلوث التي تم تناولها، وجاء في مقدمة الموضوعات التي تم طرحها، التلوث عن طريق المواد المضافة بنسبة ٢٩,٢٪، وتلاه التلوث بالأحياء الدقيقة بنسبة ١٩,٤٪، ثم قضية سوء تخزين الغذاء بنسبة ١٥,٢٪، على حين نالت مواضيع تلوث الغذاء بشكل شامل (١٢,٥٪)، وانتهاء الصلاحية (٨,٣٪)، والتلوث بالحشرات والقوارض (٥,٦٪)، وبنسب متواضعة أتت مواضيع التلوث بالحيوانات (٢,٨٪)، والترسب من الجو (١,٤٪)، وقد تم تناول موضوعات أخرى، مثل: ذبح الحيوانات خارج المسالخ بنسبة ٥,٦٪ (انظر الشكل ١٠ والجدول م١-٧).

الشكل رقم (١٠) قضايا تلوث الغذاء التي تناولتها الصحف القطرية في الفترة من ١ يوليو ٢٠٠٣م – ٣١ يوليو٢٠٠٤م.

الشكل رقم (١٤) مصادر القضايا البيئية التي تناولتها الصحف القطرية في الفترة من ١ يوليو ٢٠٠٣م - ٣١ يوليو ٢٠٠٤م.

٥) موقع القضايا البيئية التي تناولتها الصحف القطرية:

من المعروف في عالم الصحافة، أن القضايا ذات الأهمية تأتي في الصفحة الأولى تليها الصفحة الأخيرة، بينما الأقل أهمية تتواجد في الصفحات الداخلية، والجدير بالذكر أن الصحف القطرية الثلاث اعتادت على إصدار ملاحق يومية تعنى بالشئون المحلية، والاقتصادية، والمنوعات، والرياضة، لذا فهناك أكثر من صفحة أولى وأخيرة في كل عدد، ومن خلال الدراسة تبين أن أغلبية القضايا البيئية المتناولة أتت في الصفحات الداخلية بالنسبة لجميع الصحف، وبنسبة بلغت ٥٨,٩٪ من مجمل القضايا البيئية المتناولة، وفي المرتبة الثانية حلت الصفحة الأخيرة بنسبة ٣٣,١٪، على حين لم تحظَ القضايا البيئية بالوجود في الصفحة الأولى إلا بنسبة متواضعة بلغت ٨٪ (انظر الشكل ١٥ والجدول م١-١٢).

الشكل رقم (١٥) موقع القضايا البيئية التي تناولتها الصحف القطرية في الفترة من ١ يوليو ٢٠٠٣م - ٣١ يوليو ٢٠٠٤م.

٦) القوالب التحريرية للقضايا البيئية التي تناولتها الصحف القطرية:

تنوعت القوالب التحريرية التي صيغت فيها القضايا البيئية في الصحف القطرية، ولكن تناول القضية على هيئة خبر تبوأت الصدارة بنسبة ٣٩,٣٪ من مجمل القضايا المتناولة، وأتى تعليقات الصور في المرتبة الثانية بنسبة ٢٠,٢٪، ثم الشكل الرسمي وبنسبة ١٥,١٪، فالتقارير بنسبة ١٢,١٪، وبنسب متواضعة أتت قوالب التحقيقات (٤,٥٪)، والمقالات (٣,١٪)، والحوارات (٢,٨٪)، ورأى القراء (٢,٧٪)، وأخيراً أتى قالب الكاريكاتير بنسبة متواضعة جداً بلغت ٠,٢٪، واقتصر ظهوره على صحيفة الراية فقط (انظر الشكل ١٦ والجدول م١-١٣).

الشكل رقم (١٢) قضايا الكوارث الطبيعية التي تناولتها الصحف القطرية في الفترة من ١ يوليو ٢٠٠٣م - ٣١ يوليو ٢٠٠٤م.

٣) الإطار الجغرافي للقضايا البيئية التي تناولتها الصحف القطرية:

لقد تقاربت نسبة القضايا البيئية ذات الصبغة المحلية والصبغة الدولية التي تناولتها الصحف القطرية، حيث أتت القضايا الدولية في المرتبة الأولى بنسبة ٤٢,٦٪ من مجمل قضايا البيئة المتناولة، وأقل من ذلك بقليل (٤٠,٤٪) تم تناول قضايا بيئية محلية الطابع، على حين حصلت القضايا المشتركة على نسبة ٩,٩٪، في حين لم تنل القضايا الإقليمية التي شملت دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية بجانب الجمهورية العراقية وجمهورية إيران الإسلامية سوى على نسبة٣,٨٪، وأقل من ذلك بقليل أتى تناول القضايا البيئية في الوطن العربي بنسبة ٣,٣٪ (انظر الشكل ١٣ والجدول م١-١٠).

الشكل رقم (١٣) الإطار الجغرافي للقضايا البيئية التي تناولتها الصحف القطرية في الفترة من ١ يوليو ٢٠٠٣م - ٣١ يوليو ٢٠٠٤م.

٤) مصادر القضايا البيئية التي تناولتها الصحف القطرية:

مايفوق النصف من القضايا البيئية التي تناولتها الصحف القطرية اعتمدت على أحداث واقعية، حيث أتت أولاً بنسبة ٥٢,٧٪ من مجمل القضايا المتناولة، وفي المرتبة الثانية أتت التقارير البيئية بنسبة ١٤,٥٪، ثم التصريحات بنسبة ١٣,٥٪، والاعتماد على رأي الخبراء بنسبة ١١,٣٪، على حين توزعت النسب المتواضعة الأخرى بين رأي كتاب (٤,٢٪)، وبيانات وإحصائيات (٣٪)، في حين حل الاعتماد على الكتب في المرتبة الأخيرة بنسبة متدنية جداً بلغت ٠,٨٪ من مجمل القضايا المتناولة (انظر الشكل ١٤ والجدول م١-١١).

فضلاً عن طرحها بين حين وآخر بعض القضايا البيئية في صفحات، مثل: (آفاق علمية)، و(منوعات)، و(استشارات)، فضلاً عن الصفحة الأخيرة، والتي غالباً ماينشر فيها موضوع بيئي ملحقاً بصورة، والجدير بالملاحظة اهتمام صفحة الطفل الأسبوعية بالبيئة، ولاسيما الحياة الفطرية، حيث تحتوي على فقرة تكاد تكون ثابتة تحتوي على معلومات عن الحيوانات أو النباتات، في حين لدى صحيفة الراية صفحة (بيئتنا) (انظر الشكل م٢-٢)، والتي تحرر بالتعاون مع المجلس الأعلى للبيئة والمحميات الطبيعية، وللأسف لم يكن نشر هذه الصفحة ثابتاً خلال فترة الدراسة، بجانب صفحات أخرى تعنى ببعض شئون البيئة، مثل (حديقة الراية)، و(طب وعلوم)، أما بالنسبة لصحيفة الوطن فلم تخصص صفحة للبيئة، بل يتم نشر الموضوعات البيئية في صفحات متفرقة، لذا احتلت المرتبة الأخيرة من حيث تناول القضايا البيئية. خلاصة القول أن العناية بالموضوعات البيئية في الصحف القطرية لازال محدوداً من حيث الكم، ولايمكن مقارنته بموضوعات أخرى، والمقارنة هنا ليس بالموضوعات السياسية أو الاقتصادية، بل وحتى الرياضة التي يخصص لها ثماني صفحات يومياً في جميع الصحف.

٣) انصب اهتمام الصحف القطرية على موضوعات الحياة الفطرية، وخاصة الحياة الحيوانية البرية، بشكل فاق بكثير بقية الموضوعات، وخاصة قضايا التصحر، التي لم تجد اهتماماً يذكر، على الرغم من كونها مشكلة محلية وإقليمية ودولية ذات أبعاد خطيرة. يعزى اهتمام هذه الصحف بالحياة الفطرية إلى كون اهتمام المؤسسات البيئية في قطر انصب على العناية بالحياة الحيوانية البرية والحياة النباتية البرية، وبما أن معظم الموضوعات المحلية المنشورة ماهي إلا تغطية لأنشطة تلك الجهات (انظر الشكل م٢-٣)، فقد انعكس ذلك الأمر على حجم موضوعات الحياة الفطرية المتناولة في الصحف، بجانب ماتبثه وكالات الأنباء العالمية من أخبار قصيرة وصور غريبة أو مُوَجِّهة

الشكل رقم (١٦) القوالب التحريرية للقضايا البيئية التي تناولتها الصحف القطرية في الفترة من ١ يوليو ٢٠٠٣م - ٣١ يوليو ٢٠٠٤م.

استنتاجات البحث:

لقد تم استعراض القضايا البيئية المتناولة في الصحف القطرية الثلاث الصادرة باللغة العربية، وكان الهدف من ذلك التعرف على مدى اهتمام الإعلام المقروء في قطر بالبيئة وقضاياها، وحجم مساهمته في رفع مستوى الوعي البيئي، ومن خلال ما تم الحصول عليه من نتائج يمكن استخلاص الاستنتاجات الآتية:

١) لقد برز الاهتمام الرسمي بالبيئة الطبيعية وقضاياها بشكل ملحوظ في السنوات الأخيرة، تمثل في إنشاء المجلس الأعلى للبيئة والمحميات الطبيعية ذي الإمكانات المادية والسلطات الواسعة، ودمج الاعتبارات البيئية في المناهج التعليمية، مع تضمين الدستور القطري الجديد مواد تؤكد توجهات الدولة نحو الحفاظ على مكونات البيئة، مما كان يستوجب مشاركة جميع وسائل الاتصال الجماهيري، وفي مقدمتها الصحافة في هذا التوجه بشكل مستمر وفعال.

٢) أوضح البحث أن اهتمام الصحف القطرية بشئون البيئة مازال ضعيفاً، ولايواكب التوجهات الرسمية نحوها، حيث إن مجموع القضايا البيئية التي تم تناولها في ١١٩١ عدد، بلغت ٢١٥٢ موضوعٍ، بواقع ١,٨ قضية في كل عدد، مع وجود بعض التفاوت بين الصحف الثلاث، فمعدل مرات التناول في صحيفة الشرق بلغ ٢,٦ لكل عدد، على حين المعدل في صحيفة الراية بلغ ١,٨ لكل عدد، أما صحيفة الوطن فلم يتجاوز معدل التناول ٠,٩ في كل عدد. هذا التفاوت في تناول القضايا البيئية في الصحف الثلاث يعود إلى تخصيص بعضها صفحات ذات علاقة بالقضايا البيئية، ففي صحيفة الشرق صفحة أسبوعية تعنى بشئون البيئة تحمل عنوان (بر وبحر) (انظر الشكل م٢-١)،

بعضها في الصفحة الأولى، في حين لم تجد هذه القضايا اهتماماً في وقت عدم حدوثها، على الرغم من أن بعضها تتأثر به دولة قطر، فعلى سبيل المثال تتعرض الجهات الشمالية من دولة قطر لعدد من الهزات الأرضية العميقة، ذات قوة تتراوح مابين ٣,٥-٤,٢، وذلك تأثراً بالنشاط الزلزالي الكبير في إيران[٦٨].

٦) ظهر الاهتمام بالموضوعات البيئية المحلية جلياً في الصحف الثلاث، حيث نالت نسبة ٤٠,٤٪ من الموضوعات التي تم تناولها، بل وبلغت نصف القضايا المطروحة في صحيفة الوطن، ولكن السواد الأعظم من هذه القضايا ماهو إلا تغطية لأنشطة المؤسسات التي تعنى بشئون البيئة، وخاصة المجلس الأعلى للبيئة والمحميات الطبيعية ومركز أصدقاء البيئة، وارتبطت بشكل كبير بالمناسبات البيئية، مثل برنامج لكل ربيع زهرة، ويوم البيئة، ويوم المياه وغيرها من المناسبات البيئية (انظر الشكل م٢-٤)، لذا كان معظم الموضوعات البيئية المحلية وقتية ولم يتسم بالديمومة، فضلاً عن نوعية هذه الموضوعات التي ارتبطت بما يود المسئولون طرحه من أنشطتهم الإيجابية، مما جعلها تبدو وكأنها أخبار دعائية لتلك الجهات، دون السعي إلى البحث والكشف عن المشكلات الحقيقية التي تتعرض لها البيئة القطرية، بحيث لم يتم تناول ماتعاني منه إلا نادراً (انظر الشكل م٢-٥)، مما يجعل القارئ ينظر إلى البيئة على أنها حيوان ونبات فقط، فقد اختزلت البيئة المحلية في هذه المواضيع وبشكل مبالغ فيه، وكما تمت الإشارة إليه سابقاً، إن معظم أنشطة المؤسسات البيئية في قطر تتمحور حول حماية الحياة الفطرية، من جانب آخر أتت المواضيع ذات الصبغة الدولية في المرتبة الأولى من حيث الاهتمام، متقدمة بنسبة ضئيلة على الموضوعات المحلية، وهذا أمر طبيعي لتنوع القضايا البيئية الدولية، وكذلك غزارة البحث العلمي البيئي، لكون معظمها آتية من الدول المتقدمة تقنياً، بجانب حرية نشر المعلومات وانتقالها، ولاسيما قضايا التلوث وانتشار الأوبئة وغيرها، وعلى الرغم من شموليتها، نرى أنها تشترك

للنظر عن الكائنات الحيوانية، وتجد تلك الأخبار والصور اهتماماً لدى جميع الصحف القطرية، ولاسيما صحيفة الشرق، والتي تنشر في الصفحة الأخيرة طرائف وغرائب الأخبار والصور التي يراد منها كما يبدو جذب أكبر شريحة من القراء.

٤) على الرغم من احتلال قضايا التلوث البيئي المرتبة الثانية من حيث الاهتمام، نجد أن معظم الموضوعات المتناولة اتسم بالصبغة العالمية، حيث لم تجد قضايا التلوث المحلية والإقليمية اهتماماً كبيراً، وخاصة قضايا تلوث المياه العذبة والمالحة على الرغم من أهميتها البالغة بالنسبة لدولة قطر والدول المحيطة بها، وقد يكون حساسية تلك القضايا وعدم سهولة طرحها السبب في شح التناول، في ظل الظروف التي تفرضها ضوابط النشر، وغياب سياسة المكاشفة والشفافية في تناول القضايا المحلية التي من الممكن أن تؤدي إلى انزعاج جماهيري، فالسواد الأعظم من الموضوعات البيئية المحلية يخرج من تحت عباءة جهات رسمية، حيث لاتوجد في قطر في الوقت الراهن مراكز بحثية بيئية أهلية مستقلة، فطرح موضوعات التلوث البيئي تتطلب معلومات علمية دقيقة، الأمر الذي لم يتوافر بعد على النطاق المحلي أو الإقليمي، فضلاً عن عدم توافر محررين متخصصين في شئون البيئة يتولون طرح تلك القضايا بجرأة وموضوعية، فمعظم هؤلاء المحررين يعتمدون في تناولهم للقضايا البيئية على مايجود به المسئولون، وما تبثه وكالات الأنباء العالمية، بجانب الموضوعات البيئية العامة المطروحة في المراجع العلمية.

٥) ارتبط تناول قضايا الأوبئة والكوارث الطبيعية بوقت حدوثها، ففي فترة الدراسة تعرض بعض الأقطار الآسيوية بشكل خاص، لعدة أوبئة، منها: إنفلونزا الطيور والالتهاب الرئوي الحاد (سارز)، بجانب الزلازل، ولاسيما الذي تسبب في تدمير مدينة بام الإيرانية، وقد اعتمد تناول الصحف على ماتبثه وكالات الأنباء العالمية، واحتلت مساحات واسعة وقت حدوثها، بل وظهر

أولى وأخيرة، نجد أن أكثر من نصف القضايا البيئية المتناولة نشرت في الصفحات الداخلية، ونحو الثلث منها تم تناوله في الصفحة الأخيرة، في حين لم تنشر في الصفحات الأولى سوى قضايا محدودة، وعلى وجهه الخصوص الموضوعات التي تناولت أنشطة المؤسسات البيئية في الدولة، حيث تجد لها عادة مساحة في الصفحة الأولى من الملاحق التي تعنى بالشئون المحلية، في حين وجدت غرائب الأخبار وطرائفها عن الحياة الحيوانية، والموضوعات التي تحتوى على صور مُوَجِّهة للنظر موقعاً يكاد أن يكون ثابتاً في الصفحة الأخيرة، وذلك بقصد جذب شريحة من القراء تهتم بمثل تلك القضايا، هذا الأمر يعكس الاهتمام المتواضع للصحف القطرية تجاه القضايا البيئية مقارنة بقضايا أخرى تتوافر لها ملاحق كاملة كالفن، والرياضة، والشعر الشعبي.. وغيرها.

٩) لقد أتى الكثير من القضايا البيئية المتناولة على شكل خبر في الصحف القطرية، مما يعزز النظرة إليها على كونها صحافة خبر، وليست صحافة رأي، على حين احتل نشر الصور والتعليق عليها مساحة لابأس بها بين القضايا البيئية المتناولة، ولاسيما في الصفحة الأخيرة من الصحف، وذلك رغبة منها في جذب القراء، لما تتمتع به تلك الصور من صفات الجودة، أو الغرابة، أو الطرافة، أو لملء الفراغ في الصفحة، الأمر الذي لا يتفق مع أصول المهنة التي يجب أن تكون نزيهة في نشر المعلومة البيئية، كما أن تناول البيانات الرسمية احتل مساحة كبيرة نسبياً مقارنة مع بقية القوالب التحريرية، حيث لم يكن هناك اهتمام ملحوظ بقوالب الحوارات والتحقيقات، مع تجاهل واضح من قبل الكتاب في تناول القضايا البيئية، والأمر ذاته ينطبق على رسامي الكاريكاتير، والذي على أهميته البالغة لم يقترب من الشئون البيئية إلا بشكل سطحي ومحدود جداً، هذا الاهتمام المتواضع بالقضايا البيئية من قبل الصحف القطرية انعكس على جموع القراء، حيث إن مساهمتهم في الكتابة الصحفية اتسمت بالشحّ الشديد، وفي حقيقة الأمر لم يتعَدّ الشكوى من عدم

مع الموضوعات المحلية في مجال عدم مناقشتها والتعقيب عليها، بجانب عدم الإشارة أحياناً إلى المصادر العلمية التي استلت منها، أما بالنسبة للقضايا البيئية الإقليمية والعربية، فتم تناولها بشكل محدود جداً، على الرغم من أن هذه القضايا، وخاصة الإقليمية منها، تعتبر قضايا ذات صبغة محلية في حقيقة الأمر، وذلك لكون دولة قطر تتأثر بما يحدث في الدول المحيطة بها، وخاصة التلوث البيئي، فتلوث الهواء والماء مثلاً لايعترف بالحدود الجغرافية، كما حدث أثناء حربي الخليج في ثمانينات ومطلع تسعينات القرن الماضي، حيث تأثرت مياه الدولة وأجواؤها بما حدث في إيران والكويت من تلوث بسبب التدمير المتعمد لآبار وناقلات النفط[٦٩].

٧) لا تلجأ الصحف القطرية كثيراً إلى تنوع مصادر القضايا البيئية، فأكثر من نصف القضايا التي تم تناولها ماهي إلا أحداث واقعية، على حين تم الاستناد إلى بقية المصادر ذات الأهمية، مثل الكتب، والإحصائيات، ورأي الكتاب والمختصين بالبيئة، بشكل متواضع، مما لايمنح هذه القضايا القوة الكافية لإقناع القراء بجديتها، الأمر الذي قد ينعكس على الفائدة من تناولها، والمتمثل في إقناع الجماهير بالقضية ورفع الوعي البيئي لديهم، ومرد قلة الاستناد إلى تلك المصادر هو: عدم توافر المحررين المتخصصين بشئون البيئة في الصحف القطرية، وأن تناول القضايا البيئية يتم بوصفه حدثاً يستحق النشر من دون قصد المساهمة في رفع الوعي الجماهيري.

٨) من المتعارف عليه في عالم الصحافة أن موقع القضية وتناول القضايا بالنسبة للصفحات يدل على أهمية تلك القضية، لذا يتم تناول القضايا المهمة وذات الجاذبية الجماهيرية عادة في الصفحة الأولى وتليها الصفحة الأخيرة، وذلك لكونها أول ما يقع عليه نظر القارئ، في حين تحتل القضايا التي هي أقل أهمية المراتب الثانوية في الصفحات الداخلية، وعلى الرغم من أن الصحف القطرية تصدر عادة عدة ملاحق تتبع النسخة الرئيسة، أي إن هناك أكثر من صفحة

فحسب، مع تناول القضايا البيئية بشكل ميسر وشائق ومعمق؛ وذلك لجذب أكبر شريحة ممكنة من القراء بمختلف أعمارهم ومستوياتهم التعليمية.

٦) الحملات الإعلامية البيئية لها قدرة كبيرة في تغيير سلوكيات الناس، وذلك لتميزها بالتكامل والتركيز[٧١]، لذا يجب وضع سياسة متكاملة لها لتحقيق أقصى استفادة منها، وعدم ربطها بالمناسبات البيئية، وجعلها فرصة لإبراز أنشطة المؤسسات البيئية الإيجابية، مما يفقدها الهدف التي تشن من أجله.

٧) الاهتمام بتناول القضايا البيئية الإقليمية والعربية، ليس لكون الصحف القطرية عربية اللسان فحسب، بل لوجود جاليات عربية بأعداد كبيرة في دولة قطر يجب جذبها نحو القضايا البيئية الخاصة بدولهم، بجانب أن كثيراً من تلك القضايا تتأثر بها الدولة، كتلوث الهواء والماء مثلا، بجانب القضايا المشتركة الأخرى، كالتصحر على سبيل المثال.

٨) الصحافة التي توصف بأنها سلطة رابعة، ليس من واجبها التعاون مع الجهات البيئية الرسمية والأهلية في تناول ماتود تلك الجهات نشره، بل متابعة أنشطة تلك الجهات، وإبرازها بإيجابياتها وسلبياتها، والسعي إلى البحث عن القضايا البيئية وعرضها بكل تجرد وموضوعية.

٩) على الجهات الرسمية وغير الرسمية عدم احتكار المعلومات البيئية، وخاصة الحساسة منها، كتلك المتعلقة بالتلوث البيئي، والسماح للقائمين بالاتصال بشكل عام بالاطلاع عليها ونشرها، ولن يتأتى ذلك إلا إذا اعتبرت وسائل الإعلام أنّ رسالتها المتمثلة في نشر الثقافة البيئية ركن ركين في خطط حماية البيئة والمحافظة عليها.

نظافة أحيائهم، أو الشكوك في تلوث هواء منطقتهم، ومن هنا يمكن الوصول إلى حقيقة مفادها أن حجم ومضمون القضايا البيئية المتناولة في الصحف القطرية لم يحقق الهدف المأمول منه، والمتمثل في رفع الوعي الجماهيري بشئون وشجون بيئته المحلية والعالمية.

توصيات البحث:

لقد أظهرت دراسة القضايا البيئية في الصحف القطرية بعض السلبيات التي تستدعى معالجتها حتى يقوم هذا الجهاز المهم بتأدية دوره على الوجه الأكمل والمتمثل في المساهمة في توافر الثقافة البيئية، وإيجاد ثقافة بيئية راسخة لدى المسئولين والجماهير على حد سواء، وفيما يلي بعض الاقتراحات التي من شأنها معالجة القصور الذي وضحته نتائج هذا البحث:

١) تخصيص صفحة يومية في كل صحيفة تعنى بشئون البيئة، وخاصة المحلية منها، فللقضايا البيئية أهمية تفوق بكل تأكيد بعض الموضوعات التي ينفرد كلٌّ منها بصفحة يومية أو أكثر، مثل الرياضة، والفن، والشعر الشعبي.

٢) إصدار مجلات متخصصة للبيئة.

٣) تنفيذ برامج تدريبية بيئية للصحفيين المنوط بهم تحرير الموضوعات البيئية، وذلك لتوسيع مداركهم تجاه القضايا البيئية، وتكوين نظرة شاملة ومتكاملة لديهم لكل جوانب البيئة.

٤) منح المزيد من الحرية للصحف في طرح القضايا البيئية المحلية، ولاسيما التلوث بشتى أنواعه، خاصة وأن الدستور القطري الجديد قد كفل حرية الرأي والبحث العلمي والنشر[٧٠].

٥) على الصحفيين التقيد بالموضوعية في تناول القضايا البيئية، والابتعاد عن الإثارة في الطرح، والتخلي عن الأساليب التقليدية، مما يستوجب مناقشة تلك القضايا من أوجه متعددة، والتركيز على الأوضاع المحتملة وليس الراهنة

(٢١) صالح عبدالله العريفي «استخدامات الأراضي»، ١٩٩٨، ص ٣٥١.
(٢٢) محمد عبدالفتاح القصاص «التصحر: تدهور الأراضي في المناطق الجافة»، ١٩٩٩، ص ١٦٥.
(٢٣) انظر محمد جاسم العبدالجبار «أهم أنواع الكائنات الحية المهددة بالانقراض في دولة قطر»، ٢٠٠١.
(٢٤) وزارة الشئون البلدية والزراعة «المجموعة الكاملة للتشريعات القطرية في شئون البيئية»، ١٩٩٦، ص ص ١٧-١٩-٥٤.
(٢٥) فوزي أوصديق «حماية البيئة في التشريع القطري»، ٢٠٠٤، ص ص ٣١-٣٢.
(٢٦) المجلس الأعلى للبيئة والمحميات الطبيعية «التقرير السنوي»، ٢٠٠١، ص ص ٧-١١.
(٢٧) المرجع السابق، ص ص ٢٠-٢١.
(٢٨) صالح محمود وهبي وابتسام درويش العجي «التربية البيئية وآفاقها المستقبلية»، ٢٠٠٣، ص ١٢٩.
(٢٩) أحمد عبدالله بابكر «دور جامعة قطر في حماية البيئة»، ٢٠٠١، ص ٢٧.
(٣٠) صحيفة الوطن «الأمير يصدر الدستور الدائم للدولة»، ٩ يونيو٢٠٠٤، ص ١.
(٣١) حكومة دولة قطر «مشروع الدستور الدائم لدولة قطر»، ٢٠٠٣، ص ص ٣٤-٣٥.
(٣٢) احمد رمزي قطب و سيف علي الحجري «دور مركز أصدقاء البيئة من معالم حماية البيئة في قطر» ،٢٠٠١، ص ٢٢٩.
(٣٣) طرفة علي السادة «تاريخ العمل التطوعي بدولة قطر»، ٢٠٠٠، ص ١١٨.
(٣٤) عاصم الدسوقي، مرجع سابق، ص ١٢.
(٣٥) إبراهيم إسماعيل عيسى «الصحافة اليومية العربية في قطر»، ص ص ٣٣-٣٤.
(٣٦) ربيعة بن صباح الكواري ومراد عبدالرحمن مبروك، مرجع سابق، ص ١٩.
(٣٧) وزارة الخارجية «وسائل الإعلام في دولة قطر»، ٢٠٠١، ص ص ٣٧-٤٠.
(٣٨) ربيعة بن صباح الكواري «تطور وسائل الإعلام في دولة قطر»، ٢٠٠٢، ص ٢٠.
(٣٩) هند السويدي «صحافة محلية مسلوقة»، ٥ سبتمبر ٢٠٠٤، ص ٢٤.
(٤٠) إبراهيم سليمان عيسى «تلوث البيئة أهم قضايا العصر المشكلة والحل»، ٢٠٠٢، ص ٩٦-٩٧.
(٤١) محمد إسلام «التلوث مشكلة العصر»، ١٩٩٠، ص ٩.
(٤٢) I. G. Simmons “Nature, Culture, and History”, 1995, pp 59-60.
(٤٣) محمد عباد مقيلي «التلوث البيئي»، ٢٠٠٢، ص ص ١٣-٢٢.
(٤٤) نعمة الله عنيسي «مخاطر تلوث البيئة على الإنسان»، ١٩٩٨، ص ١٢٥.
(٤٥) Barry S. Gower “The Environment and Justice for Future Generations”, 1995, p 49.

الحواشي:

(١) ينظر عاصم الدسوقي وآخرون «الصحافة القطرية والقضايا العربية»، ١٩٨٤.
(٢) انظر محمد عرفة «وسائل الإعلام والتحول في قيم العمل في المجتمع القطري»، ١٩٩٥.
(٣) انظر ربيعة بن صباح الكواري ومراد عبدالرحمن مبروك «الصحافة القطرية والاتصال اللغوي: صحيفة الراية أنموذجاً (١٩٧٩-٢٠٠٤م)»، ٢٠٠٤.
(٤) انظر إسماعيل محمد المدني وحمدي حسن محمود وراشد عبدالعزيز الرشود «تقويم واقع التوعية البيئية في الصحافة السعودية»، ١٩٩٢.
(٥) انظر إسماعيل محمد المدني وعلي محمد عبدالله وزكريا عبدالقادر خنجي «الموضوعات البيئية في الصحف البحرينية اليومية: دراسة في تحليل المضمون»، ١٩٩٧.
(٦) عبدالمجيد عمر النجار «قضايا البيئة من منظور إسلامي»، ١٩٩٩، ص ١٨.
(٧) عبدالفتاح مراد «شرح تشريعات البيئة»، بدون سنة نشر، ص ١١.
(٨) Joy A. Palmer Just Ecological Principles, 1995 , p21.
(٩) سعيد محمد الحفار «بيئة من أجل البقاء»، ١٩٩٠، ص٨٧.
(١٠) محمد السيد أرناؤوط «الإنسان وتلوث البيئة»، ١٩٩٩، ص ١٩.
(١١) C. J. Barrow "Development and Environment Problems and Management", 1997 , p 3.
(١٢) سعيد محمد الحفار «الموسوعة البيئية العربية»، المجلد الأول، ١٩٩٨، ص ١٧٣.
(١٣) محمد عبدالقادر أبوالحمائل ومحمد غياث الأشرف «دور التخطيط البيئي التنموي المتكامل في الحد من آثارالتلوث البيئي»، ١٩٩٩، ص ٤٥٤.
(١٤) Hassan Ibrahim al-Mohannadi "Water Resources in the State of Qatar: Toward Holistic Management'', 2004, p 340.
(١٥) منظمة الخليج للاستشارات الصناعية «ملف الخليج الإحصائي»، ٢٠٠٢، ص ١٩٩.
(١٦) صحيفة الشرق «٧٤٣ ألف نسمة سكان قطر»، ١٦ مارس ٢٠٠٤، ص ٣٥.
(١٧) وزارة الشئون البلدية والزراعة «مخزون المياه الجوفية»، ٢٠٠٣، ص ١.
(١٨) مجلة البلدية والزراعة «أساليب الري الحديث وأثرها في الزراعة في دولة قطر»، ٢٠٠٣، ص ص ٣٤-٣٥.
(١٩) smail Mahmoud Hassan "Evaluation of Oil Pollution Situation Along the Qatari Coastal Marine Environment", 2002, p162.
(٢٠) علي إبراهيم الشيب «حساسية الشواطئ القطرية للتلوث البحري»، ١٩٩٨، ص ٤١.

(٦٦) أحمد حسين محمدين «معوقات الممارسة المهنية للقائمين بالاتصال في مجال الصحافة البيئية»، ٢٠٠٢، ص ص ١٧٨-١٧٩.

(٦٧) سحر مصطفى حافظ «التشريعات البيئية في الوطن العربي»، ١٩٩٩، ص ٦٨.

(٦٨) علي حامد الملا «مجلد قطر الزلزالي»، ٢٠٠١، ص ٥.

(٦٩) انظر مهدي حسن سالم العجمي «العوامل البشرية وأثرها في ظروف البيئة الطبيعية في دولة الكويت»، ١٩٩٦.

(٧٠) حكومة دولة قطر، مرجع سابق، ص ٣٩.

(٧١) محمد عبدالرحمن الصرعاوي ومحمد سمير مسعود، مرجع سابق، ص ٥٢٧.

المراجع

المراجع العربية:

١) إبراهيم إسماعيل عيسى «الصحافة اليومية العربية في قطر»، المجلس الوطني للثقافة والفنون والتراث، الدوحة، قطر، ٢٠٠٤.

٢) إبراهيم سليمان عيسى «تلوث البيئة أهم قضايا العصر المشكلة والحل»، دار الكتاب الحديث، القاهرة، مصر، ٢٠٠٢.

٣) أحمد حسين محمدين «معوقات الممارسة المهنية للقائمين بالاتصال في مجال الصحافة البيئية»، المجلة المصرية لبحوث الإعلام، مصر، العدد (١٧)، ٢٠٠٢، صفحات ١٥٩-٢٤٧.

٤) أحمد رمزي قطب و سيف علي الحجري «دور مركز أصدقاء البيئة من معالم حماية البيئة في قطر»، صفحات ٢٢٧-٢٣٦، في ندوة «دور المؤسسات الحكومية وغير الحكومية في حماية البيئة»، المجلس الأعلى للبيئة والمحميات الطبيعية، الدوحة، قطر، ٢٠٠١.

٥) أحمد عبدالله بابكر «دور جامعة قطر في حماية البيئة»، صفحات ٢٣-٤٢، في ندوة «دور المؤسسات الحكومية وغير الحكومية في حماية البيئة»، المجلس الأعلى للبيئة والمحميات الطبيعية، الدوحة، قطر، ٢٠٠١.

٦) إسماعيل محمد المدني وحمدي حسن محمود وراشد عبدالعزيز الرشود «تقويم واقع التوعية البيئية في الصحافة السعودية»، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، الكويت، العدد (٦٦)، ١٩٩٢، صفحات ٩١-١٣٣.

٧) إسماعيل محمد المدني وعلي محمد عبدالله وزكريا عبدالقادر خنجي «الموضوعات البيئية في الصحف البحرينية اليومية: دراسة في تحليل المضمون»، مجلة دراسات الخليج والجزيرة

(٤٦) Russell D. Linke "Environmental Education in Australia", 1979, p 23.

(٤٧) UNESCO "Environmental Education in the Light of the Tbilisi Conference", 1980, p 84.

(٤٨) الأمم المتحدة «تقرير مؤتمر الأمم المتحدة المعني بالبيئة والتنمية»، ٢٠٠٣، ص ٤.

(٤٩) United Nations "Report for the World Summit on Sustainable Development", 2002, p 63.

(٥٠) صالح محمود وهبي وابتسام درويش العجي، مرجع سابق، ص ص ١٥٨-١٥٩.

(٥١) مركز الدراسات والبحوث البيئية «المؤتمر الدولي للتنمية والبيئة في الوطن العربي»، ٢٠٠٣، ص٥١.

(٥٢) محمد عبدالرحمن الصرعاوي ومحمد سمير مسعود «آثار التلوث البيئي في التنمية في منطقة الخليج»، ٢٠٠١، ص ص ٥٢٦-٥٢٧.

(٥٣) محمد السيد أرناؤوط، مرجع سابق، ص ص٣٢٤-٣٢٥.

(٥٤) محمد معوض إبراهيم «دور قنوات التلفزيون الخليجي في مواجهة آثار التلوث البيئي بدول مجلس التعاون الخليجي»، ١٩٩٩، ص ٥٠٤.

(٥٥) صالح وهبي «الإنسان والبيئة والتلوث البيئي»، ٢٠٠١، ص ٢٨٠.

(٥٦) حسن إبراهيم مكي وبركات عبدالعزيز محمد «المدخل إلى علم الاتصال»، ١٩٩٥، ص ٢٢٥-٢٢٦.

(٥٧) راكان عبد الكريم حبيب وآخرون «مقدمة في وسائل الاتصال»، ٢٠٠١، ص ص١٢٠-١٢٣.

(٥٨) المرجع السابق، ص ١٢٣.

(٥٩) Elton, Roy Hiebert et al., "Mass Media: An Introduction to Communication" , Longman, London, UK, 1982, p267.

(٦٠) Hassan Ibrahim al-Mohannadi, ibid, p 523.

(٦١) علي ليلة وآخرون «الشباب القطري اهتماماته وقضاياه»، ١٩٩١، ص ص ٢٦٢-٢٦٣.

(٦٢) الهيئة الاتحادية للبيئة «الاستراتيجية الوطنية للبيئة»، ١٩٩٨، ص ص ١٢٥-١٢٦.

(٦٣) إسماعيل محمد المدني وحمدي حسن محمود وراشد عبدالعزيز الرشود، مرجع سابق، ص ص ١٠٠-١٠١.

(٦٤) إسماعيل محمد المدني وعلي محمد عبدالله وزكريا عبدالقادر خنجي، مرجع سابق، ص ص ٤٩-٥٢.

(٦٥) عواطف عبدالرحمن «الإعلام المصري وقضايا التحديث في إطار التنمية المتواصلة»، ص ص ٨٠-٨١-٨٢.

٢٢) صالح وهبي «الإنسان والبيئة والتلوث البيئي»، دار الفكر، دمشق، ٢٠٠١.

٢٣) صحيفة الشرق «٧٤٣ ألف نسمة سكان قطر»، صحيفة الشرق، قطر، ١٦ مارس ٢٠٠٤، العدد (٥٧٥٢).

٢٤) صحيفة الوطن «الأمير يصدر الدستور الدائم للدولة»، صحيفة الوطن، قطر، ٩ يونيو ٢٠٠٤، العدد (٣٢٠٢).

٢٥) طرفة علي السادة «تاريخ العمل التطوعي بدولة قطر»، دار الشرق، الدوحة، قطر، ٢٠٠٠.

٢٦) عاصم الدسوقي وآخرون «الصحافة القطرية والقضايا العربية»، مركز الوثائق والدراسات الإنسانية، جامعة قطر، الدوحة، قطر ، ١٩٨٤.

٢٧) عبدالفتاح مراد «شرح تشريعات البيئة»، المؤلف، الإسكندرية، مصر، بدون سنة نشر.

٢٨) عبدالمجيد عمر النجار «قضايا البيئة من منظور إسلامي»، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الدوحة، قطر، ١٩٩٩.

٢٩) علي إبراهيم الشيب «حساسية الشواطئ القطرية للتلوث البحري»، الجمعية الكويتية لحماية البيئة، الكويت، ١٩٩٨.

٣٠) علي حامد الملا «مجلد قطر الزلزالي»، وحدة الزلازل، إدارة الأرصاد الجوية، الدوحة، قطر، ٢٠٠١.

٣١) علي ليلة وآخرون «الشباب القطري اهتماماته وقضاياه»، مركز الوثائق والدراسات الإنسانية، جامعة قطر، الدوحة، قطر، ١٩٩١.

٣٢) عواطف عبدالرحمن «الإعلام المصري وقضايا التحديث في إطار التنمية المتواصلة»، الدراسات الإعلامية، مصر، أكتوبر- ديسمبر ٢٠٠٢، العدد (١٠٩).

٣٣) فوزي أوصديق «حماية البيئة في التشريع القطري»، المجلس الأعلى للبيئة والمحميات الطبيعية، الدوحة، قطر، ٢٠٠٤.

٣٤) محمد إسلام «التلوث مشكلة العصر»، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٠.

٣٥) محمد السيد أرناؤوط «الإنسان وتلوث البيئة»، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٩٩٩.

٣٦) محمد جاسم العبدالجبار «أهم أنواع الكائنات الحية المهددة بالانقراض في دولة قطر»، المجلس الأعلى للبيئة والمحميات الطبيعية، الدوحة، قطر، ٢٠٠١.

٣٧) محمد سعدالدين عبدالرزاق و عبدالراضي حسن المراغي «أساسيات علم البيئة»، جامعة قطر، الدوحة، قطر، ١٩٩٥.

٣٨) محمد عباد مقيلي «التلوث البيئي»، دار شموع الثقافة، الزاوية، ليبيا، ٢٠٠٢.

العربية، الكويت، العدد (٨٦)، ١٩٩٧، صفحات ٣٩-٦٠.

٨) الأمم المتحدة «تقرير مؤتمر الأمم المتحدة المعني بالبيئة والتنمية»، المجلد الأول، الأمم المتحدة، نيويورك، الولايات المتحدة الأمريكية، ٢٠٠٣.

٩) المجلس الأعلى للبيئة والمحميات الطبيعية «التقرير السنوي»، المجلس الأعلى للبيئة والمحميات الطبيعية، الدوحة، قطر، ٢٠٠١.

١٠) الهيئة الاتحادية للبيئة «الاستراتيجية الوطنية للبيئة»، الهيئة الاتحادية للبيئة، الإمارات، ١٩٩٨.

١١) حسن إبراهيم مكي وبركات عبدالعزيز محمد «المدخل إلى علم الاتصال»، منشورات ذات السلاسل، الكويت، ١٩٩٥.

١٢) حكومة دولة قطر «مشروع الدستور الدائم لدولة قطر»، حكومة دولة قطر، الدوحة، قطر، ٢٠٠٣.

١٣) خالد علي السعدي «واقع التربية البيئية في المناهج القطرية»، صفحات ١٠٥-١٦٧، في ندوة «دور المؤسسات الحكومية وغير الحكومية في حماية البيئة»، المجلس الأعلى للبيئة والمحميات الطبيعية، الدوحة، قطر، ٢٠٠١.

١٤) راكان عبد الكريم حبيب وآخرون «مقدمة في وسائل الاتصال»، مكتبة دار زهران، جدة، المملكة العربية السعودية، ٢٠٠١.

١٥) ربيعة بن صباح الكواري ومراد عبدالرحمن مبروك «الصحافة القطرية والاتصال اللغوي: صحيفة الراية أنموذجاً (١٩٧٩-٢٠٠٤م)»، شركة الخليج للنشر والطباعة، الدوحة، قطر، ٢٠٠٤.

١٦) ربيعة بن صباح الكواري «تطور وسائل الإعلام في دولة قطر»، ورقة عمل مقدمة لمؤتمر جامعة السلطان قابوس، مسقط، عُمان، ٢٠٠٢.

١٧) سحر مصطفى حافظ «التشريعات البيئية في الوطن العربي»، مجلة أسيوط للدراسات البيئية، مصر، يوليو ١٩٩٩، العدد (١٧).

١٨) سعيد محمد الحفار «بيئة من أجل البقاء»، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدوحة، قطر، ١٩٩٠.

١٩) سعيد محمد الحفار «الموسوعة البيئية العربية»، المجلد الأول، وحدة الدراسات البيئية، جامعة قطر، الدوحة، قطر، ١٩٩٨.

٢٠) صالح عبدالله العريفي «استخدامات الأراضي»، صفحات ٣٢٣-٣٥٥، في حسن الخياط وآخرين «موسوعة المعلومات القطرية»، جامعة قطر، الدوحة، قطر، ١٩٩٨.

٢١) صالح محمود وهبي وابتسام درويش العجي «التربية البيئية وآفاقها المستقبلية»، دار الفكر العربي، دمشق، سوريا، ٢٠٠٣.

٥١) وزارة الشئون البلدية والزراعة «مخزون المياه الجوفية»، تقرير غير منشور، وزارة الشئون البلدية والزراعة، الدوحة، قطر، ٢٠٠٣

٥٢) وزارة الشئون البلدية والزراعة «المجموعة الكاملة للتشريعات القطرية في شئون البيئية»، وزارة الشئون البلدية والزراعة، الدوحة، قطر، ١٩٩٦.

المراجع الأجنبية:

1) Barry S. Gower "The Environment and Justice for Future Generations", pp 49-58, in David E. Cooper and Joy A. Palmer (eds.) "Just Environments", Routledge, London, UK, 1995.
2) C. J. Barrow " Development and Environment Problems and Management", Longman, Essex, UK, 1997.
3) Elton, Roy Hiebert et al., "Mass Media: An Introduction to Communication" , Longman, London, UK, 1982.
4) Hassan Ibrahim al-Mohannadi "Water Resources in the State of Qatar: Toward Holistic Management ", Documentation and Humanities Research Centre, University of Qatar, Doha, Qatar, 2004.
5) I. G. Simmons "Nature, Culture, and History", pp 58-71, in David E. Cooper and Joy A. Palmer (eds.) "Just Environments", Routledge, London, UK, 1995.
6) Ismail Mahmoud Hassan "Evaluation of Oil Pollution Situation Along the Qatari Coastal Marine Environment", Unpublished Master Thesis, Alexandria University, Alexandria, Egypt, 2002.
7) Joy A. Palmer "Just Ecological Principles", pp21-33, in David E. Cooper and Joy A. Palmer (eds.) "Just Environments", Routledge, London, UK, 1995.
8) Russell D. Linke "Environmental Education in Australia", George Allen & Unwin, London, UK, 1979.
9) UNESCO "Environmental Education in the Light of the Tbilisi Conference", the United Nations Educational, Scientific and Cultural Organization, Paris, France, 1980.
10) United Nations "Report for the World Summit on Sustainable Development", United Nations, Johannesburg, South Africa, 2002.

٣٩) محمد عبدالرحمن الصرعاوي ومحمد سمير مسعود «آثار التلوث البيئي في التنمية في منطقة الخليج»، الهيئة العامة للبيئة، الكويت، ١٩٩٩.

٤٠) محمد عبدالفتاح القصاص «التصحر: تدهور الأراضي في المناطق الجافة»، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٩.

٤١) محمد عبدالقادر أبوالحمائل ومحمد غياث الأشرف «دور التخطيط البيئي التنموي المتكامل في الحد من آثار التلوث البيئي»، صفحات ٤٥٣-٤٦٦، في محمد عبدالرحمن الصرعاوي ومحمد سمير مسعود «آثار التلوث البيئي في التنمية في منطقة الخليج»، الهيئة العامة للبيئة، الكويت، ١٩٩٩.

٤٢) محمد عرفة «وسائل الإعلام والتحول في قيم العمل في المجتمع القطري»، صفحات ٣٠١-٣٦٦، في إعتماد محمد علام وآخرين «التحولات الاجتماعية وقيم العمل في المجتمع القطري»، مركز الوثائق والدراسات الإنسانية، جامعة قطر، الدوحة، قطر ، ١٩٩٥.

٤٣) محمد معوض إبراهيم «دور قنوات التلفزيون الخليجي في مواجهة آثار التلوث البيئي بدول مجلس التعاون الخليجي»، صفحات ٥٠٣-٥٢٢، في محمد عبدالرحمن الصرعاوي ومحمد سمير مسعود «آثار التلوث البيئي في التنمية في منطقة الخليج»، الهيئة العامة للبيئة، الكويت، ١٩٩٩.

٤٤) مجلة البلدية والزراعة «أساليب الري الحديث وأثرها في الزراعة في دولة قطر»، مجلة البلدية والزراعة، قطر، العدد (٢٥)، ٢٠٠٣.

٤٥) مركز الدراسات والبحوث البيئية «المؤتمر الدولي للتنمية والبيئة في الوطن العربي»، جامعة أسيوط، أسيوط، مصر، يناير ٢٠٠٣.

٤٦) منظمة الخليج للاستشارات الصناعية «ملف الخليج الإحصائي»، منظمة الخليج للاستشارات الصناعية، الدوحة، قطر، ٢٠٠٢.

٤٧) مهدي حسن سالم العجمي «العوامل البشرية وأثرها في ظروف البيئة الطبيعية في دولة الكويت»، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الكويت، ١٩٩٦.

٤٨) نعمة الله عنيسي «مخاطر تلوث البيئة على الإنسان»، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، ١٩٩٨.

٤٩) هند السويدي «صحافة محلية مسلوقة»، صحيفة الوطن، قطر، ٥ سبتمبر ٢٠٠٤، العدد (٣٢٩٠).

٥٠) وزارة الخارجية «وسائل الإعلام في دولة قطر»، إدارة المعلومات والبحوث، وزارة الخارجية، الدوحة، قطر، ٢٠٠١.

الصحيفة	النفط		الصناعة		الردم والتطهير		التلوث الحراري		النفايات السائلة		النفايات الصلبة		شامل		أخرى		المجموع	
	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%
الراية	٤	٤٠,٠	١	١٠,٠	١	١٠,٠	٠	٠,٠	٠	٠,٠	٢	٢٠,٠	٢	٢٠,٠	٠	٠,٠	١٠	١٠٠
		٣٦,٤		٢٥,٠		٥٠,٠		٠,٠		٠,٠		٣٣,٣		٣٣,٣		٠,٠		٢٨,٦
الشرق	٤	٢١,٠	٢	١٠,٥	١	٥,٣	٣	١٥,٨	١	٥,٣	٣	١٥,٨	٣	١٥,٨	٢	١٠,٥	١٩	١٠٠
		٣٦,٤		٥٠,٠		٥٠,٠		١٠٠,٠		١٠٠,٠		٥٠,٠		٥٠,٠		١٠٠,٠		٥٤,٣
الوطن	٣	٥٠,٠	١	١٦,٦	٠	٠,٠	٠	٠,٠	٠	٠,٠	١	١٦,٦	١	١٦,٦	٠	٠,٠	٦	١٠٠
		٢٧،٢		٢٥,٠		٠,٠		٠,٠		٠,٠		١٦,٧		١٦,٧		٠,٠		١٧,١
المجموع	١١	٣١,٤	٤	١١,٤	٢	٥,٧	٣	٨,٦	١	٢,٨	٦	١٧,٢	٦	١٧,٢	٢	٥,٧	٣٥	١٠٠

الجدول (م١-٥) قضايا تلوث المياه المالحة التي تناولتها الصحف القطرية

في الفترة من ١ يوليو ٢٠٠٣م إلى ٣١ يوليو ٢٠٠٤م

الصحيفة	التلوث من الجو		النفايات السائلة		النفايات الصلبة		الأسمدة الكيميائية		المبيدات الكيميائية		الفيروسات الضارة		الحشرات		شامل		أخرى		المجموع	
	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%
الراية	٠	٠,٠	٤	١٣,٣	٢٠	٦٦,٧	١	٣,٣	٠	٠,٠	٠	٠,٠	١	٣,٣	٠	٠,٠	٤	١٣,٣	٣٠	١٠٠
		٠,٠		٢٨,٦		٢٥,٠		٥٠,٠		٠,٠		٠,٠		٢٥,٠		٠,٠		٤٠,٠		٢٥,٧
الشرق	٠	٠,٠	٦	٩,٥	٤٣	٦٨,٢	٠	٠,٠	٣	٤,٨	٢	٣,٢	٢	٣,٢	٢	٣,٢	٥	٧,٩	٦٣	١٠٠
		٠,٠		٤٢,٨		٥٣,٧		٠,٠		١٠٠,٠		١٠٠,٠		٥٠,٠		١٠٠,٠		٥٠,٠		٥٣,٨
الوطن	٠	٠,٠	٤	١٦,٦	١٧	٧٠,٨	١	٤,٢	٠	٠,٠	٠	٠,٠	١	٤,٢	٠	٠,٠	١	٤,٢	٢٤	١٠٠
		٠,٠		٢٨,٦		٢١,٣		٥٠,٠		٠,٠		٠,٠		٢٥,٠		٠,٠		١٠,٠		٢٠,٥
المجموع	٠	٠,٠	١٤	١٢,٠	٨٠	٦٨,٤	٢	١,٧	٣	٢,٦	٢	١,٧	٤	٣,٤	٢	١,٧	١٠	٨,٥	١١٧	١٠٠

الجدول (م١-٦) قضايا تلوث الأرض والتربة التي تناولتها الصحف القطرية

في الفترة من ١ يوليو ٢٠٠٣م إلى ٣١ يوليو ٢٠٠٤م

الصحيفة	الأحياء الدقيقة		الحشرات والقوارض		الحيوانات		ترسب من الجو		سوء التخزين		انتهاء الصلاحية		المواد المضافة		شامل		أخرى		المجموع	
	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%
الراية	٣	١٣,٦	٣	١٣,٦	٠	٠,٠	٠	٠,٠	٥	٢٢,٨	٢	٩,١	٥	٢٢,٨	٣	١٣,٦	١	٤,٥	٢٢	١٠٠
		٢١,٤		٧٥,٠		٠,٠		٠,٠		٤٥,٥		٣٣,٣		٢٣,٨		٣٣,٣		٢٥,٠		٣٠,٥
الشرق	٩	٢٣,٧	٠	٠,٠	١	٢,٦	١	٢,٦	٦	١٥,٨	٣	٧,٩	١٣	٣٤,٢	٤	١٠,٦	١	٢,٦	٣٨	١٠٠
		٦٤,٣		٠,٠		٥٠,٠		١٠٠,٠		٥٤,٥		٥٠,٠		٦١,٩		٤٤,٥		٢٥,٠		٥٢,٨
الوطن	٢	١٦,٧	١	٨,٣	١	٨,٣	٠	٠,٠	٠	٠,٠	١	٨,٣	٣	٢٥,٠	٢	١٦,٧	٢	١٦,٧	١٢	١٠٠
		١٤,٣		٢٥,٠		٥٠,٠		٠,٠		٠,٠		١٦,٧		١٤,٣		٢٢,٢		٥٠,٠		١٦,٧
المجموع	١٤	١٩,٤	٤	٥,٦	٢	٢,٨	١	١,٤	١١	١٥,٢	٦	٨,٣	٢١	٢٩,٢	٩	١٢,٥	٤	٥,٦	٧٢	١٠٠

الجدول (م١-٧) قضايا تلوث الغذاء التي تناولتها الصحف القطرية

في الفترة من ١ يوليو ٢٠٠٣م إلى ٣١ يوليو ٢٠٠٤م

الصحيفة	النباتات البرية		النباتات المائية		الحيوانات البرية		الحيوانات المائية		التنوع الحيوي		أخرى		المجموع	
	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%
الراية	٧٥	٢٥,٥	٣	١,٠	١٦٥	٥٥,٩	٢٩	٩,٨	٢٣	٧,٨	٠	٠,٠	٢٩٥	١٠٠
		٥٠,٠		٣٣,٣		٣٢,١		١٨,٠		٣٥,٤		٠,٠		٣٢,٨
الشرق	٥٨	١٢,٥	٤	٠,٩	٢٦٩	٥٨,٢	٩٧	٢١,٠	٣٤	٧,٤	٠	٠,٠	٤٦٢	١٠٠
		٣٨,٧		٤٤,٥		٥٢,٣		٦٠,٢		٥٢,٣		٠,٠		٥١,٤
الوطن	١٧	١٢,٠	٢	١,٤	٨٠	٥٦,٤	٣٥	٢٤,٦	٨	٥,٦	٠	٠,٠	١٤٢	١٠٠
		١١,٣		٢٢,٢		١٥,٦		٢١,٨		١٢,٣		٠,٠		١٥,٨
المجموع	١٥٠	١٦,٧	٩	١,٠	٥١٤	٥٧,٢	١٦١	١٧,٩	٦٥	٧,٢	٠	٠,٠	٨٩٩	١٠٠

الجدول (م١-٨) قضايا الحياة الفطرية التي تناولتها الصحف القطرية

في الفترة من ١ يوليو ٢٠٠٣م إلى ٣١ يوليو ٢٠٠٤م

(الملحق ١) القضايا البيئية التي تناولتها الصحف القطرية في الفترة من ١ يوليو ٢٠٠٣م إلى ٣١ يوليو ٢٠٠٤م

الصحيفة	التلوث البيئي		الحياة الفطرية		التصحر		الأوبئة		الكوارث الطبيعية		قضايا بيئية متفرقة		المجموع	
	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%
الراية	١٣٨	١٨,٩	٢٩٥	٤٠,٤	٥	٠,٧	١١٥	١٥,٧	٣٤	٤,٦	١٤٣	١٩,٧	٧٣٠	١٠٠
		٢٤,١		٣٢,٨		٤٥,٥		٤٧,٧		٣٤,٠		٤٣,٣		٣٣,٩
الشرق	٣١٩	٣٠,٥	٤٦٢	٤٤,٢	٦	٠,٦	٨٦	٨,٢	٤١	٣,٩	١٣١	١٢,٦	١٠٤٥	١٠٠
		٥٥,٩		٥١,٤		٥٤,٥		٣٥,٧		٤١,٠		٣٩,٧		٤٨,٦
الوطن	١١٤	٣٠,٢	١٤٢	٣٧,٧	٠	٠,٠	٤٠	١٠,٦	٢٥	٦,٦	٥٦	١٤,٩	٣٧٧	١٠٠
		٢٠,٠		١٥,٨		٠,٠		١٦,٦		٢٥,٠		١٧,٠		١٧,٥
المجموع	٥٧١	٢٦,٥	٨٩٩	٤١,٨	١١	٠,٥	٢٤١	١١,٢	١٠٠	٤,٦	٣٣٠	١٥,٤	٢١٥٢	١٠٠

الجدول (م١-١) نوعية القضايا البيئية التي تناولتها الصحف القطرية في الفترة من ١ يوليو ٢٠٠٣م إلى ٣١ يوليو ٢٠٠٤م

الصحيفة	طبيعية		الصناعة		وسائل النقل		التدخين		ثقب الأوزون		الاحتباس الحراري		الأمطار الحمضية		شامل		أخرى		المجموع	
	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%
الراية	٣٦	٢٦,١	١٦	١١,٦	١٠	٧,٢	٣٠	٢١,٧	٢٢	١٥,٩	١١	٨,٠	٣	٢,٢	٣	٢,٢	٧	٥,١	١٣٨	١٠٠
		٢٠,٩		٢٥,٨		٢٨,٦		٢٥,٧		٣٠,٥		٣٤,٤		٦,٨		١٧,٦		٣٦,٨		٢٤,١
الشرق	١٠٢	٣٢,٠	٢٩	٩,٢	١٩	٥,٩	٦٣	١٩,٧	٣٨	١١,٩	١٧	٥,٣	٣٤	١٠,٦	١٠	٣,٢	٧	٢,٢	٣١٩	١٠٠
		٥٨,٩		٤٦,٨		٥٤,٣		٥٣,٨		٥٢,٨		٥٣,١		٧٧,٣		٥٨,٩		٣٦,٨		٥٥,٩
الوطن	٣٥	٣٠,٧	١٧	١٤,٩	٦	٥,٣	٢٤	٢١,١	١٢	١٠,٥	٤	٣,٥	٧	٦,١	٤	٣,٥	٥	٤,٤	١١٤	١٠٠
		٢٠,٢		٢٧,٤		١٧,١		٢٠,٥		١٦,٧		١٢,٥		١٥,٩		٢٣,٥		٢٦,٤		٢٠,٠
المجموع	١٧٣	٣٠,٣	٦٢	١٠,٨	٣٥	٦,١	١١٧	٢٠,٥	٧٢	١٢,٦	٣٢	٥,٦	٤٤	٧,٧	١٧	٣,١	١٩	٣,٣	٥٧١	١٠٠

الجدول (م١-٢) قضايا التلوث التي تناولتها الصحف القطرية في الفترة من ١ يوليو ٢٠٠٣م إلى ٣١ يوليو ٢٠٠٤م

الصحيفة	طبيعية		الصناعة		وسائل النقل		التدخين		ثقب الأوزون		الاحتباس الحراري		الأمطار الحمضية		شامل		أخرى		المجموع	
	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%
الراية	٢	٥,٥	٧	١٩,٤	٠	٠,٠	٩	٢٥,٠	١	٢,٨	٩	٢٥,٠	٠	٠,٠	٣	٨,٤	٥	١٣,٩	٣٦	١٠٠
		١٦,٧		٢٠,٦		٠,٠		٢٣,٧		١٦,٧		٢٥,٠		٠,٠		١٨,٧		٣٨,٥		٢٠,٨
الشرق	٦	٥,٩	١٧	١٦,٧	١٣	١٢,٧	٢١	٢٠,٦	٤	٣,٩	٢٥	٢٤,٥	٢	١,٩	٩	٨,٩	٥	٤,٩	١٠٢	١٠٠
		٥٠,٠		٥٠,٠		٨١,٣		٥٥,٣		٦٦,٦		٦٩,٤		١٠٠,٠		٥٦,٣		٣٨,٥		٥٩,٠
الوطن	٤	١١,٤	١٠	٢٨,٦	٣	٨,٦	٨	٢٢,٨	١	٢,٨	٢	٥,٧	٠	٠,٠	٤	١١,٥	٣	٨,٦	٣٥	١٠٠
		٣٣,٣		٢٩,٤		١٨,٧		٢١,٠		١٦,٧		٥,٦		٠,٠		٢٥,٠		٢٣,٠		٢٠,٢
المجموع	١٢	٦,٩	٣٤	١٩,٦	١٦	٩,٢	٣٨	٢٢,٠	٦	٣,٥	٣٦	٢٠,٨	٢	١,٣	١٦	٩,٢	١٣	٧,٥	١٧٣	١٠٠

الجدول (م١-٣) قضايا تلوث الغلاف الغازي وظواهرها التي تناولتها الصحف القطرية في الفترة من ١ يوليو ٢٠٠٣م إلى ٣١ يوليو ٢٠٠٤م

الصحيفة	الندرة المائية		التغير النوعي		النفايات الصناعية		المواد المضافة		التوزيع		خزانات المنزل		شامل		أخرى		المجموع	
	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%
الراية	٣	١٨,٨	٥	٣١,٢	٠	٠,٠	١	٦,٢	٢	١٢,٥	٢	١٢,٥	٣	١٨,٨	٠	٠,٠	١٦	١٠٠
		٢١,٤		٢٣,٨		٠,٠		٥٠,٠		٤٠,٠		٣٣,٣		٣٧,٥		٠,٠		٢٥,٨
الشرق	٨	٢٧,٦	٨	٢٧,٦	٤	١٣,٨	١	٣,٤	٢	٦,٩	٤	١٣,٨	١	٣,٤	١	٣,٤	٢٩	١٠٠
		٥٧,٢		٣٨,١		١٠٠,٠		٥٠,٠		٤٠,٠		٦٦,٦		١٢,٥		٥٠,٠		٤٦,٨
الوطن	٣	١٧,٧	٨	٤٧,٠	٠	٠,٠	٠	٠,٠	١	٥,٩	٠	٠,٠	٤	٢٣,٥	١	٥,٩	١٧	١٠٠
		٢١,٤		٣٨,١		٠,٠		٠,٠		٢٠,٠		٠,٠		٥٠,٠		٥٠,٠		٢٧,٤
المجموع	١٤	٢٢,٧	٢١	٣٣,٩	٤	٦,٤	٢	٣,٢	٥	٨,٠	٦	٩,٧	٨	١٢,٩	٢	٣,٢	٦٢	١٠٠

جدول (م١-٤) قضايا تلوث المياه العذبة التي تناولتها الصحف القطرية في الفترة من ١ يوليو ٢٠٠٣م إلى ٣١ يوليو ٢٠٠٤م

بر وبحر

الشرق 31

alsharq1@qatar.net.qa

القاموس البحري

أهلاً بكم

طرق تلوث الهواء

مجاري الهيرات البحرية

تلوث الهواء

الاحتباس الحراري.. قنبلة موقوتة

حالة الطقس في ميناء الدوحة

أين تذهب هذا الأسبوع

فشت النوف

الشكل (م٢-١) نموذج لصفحة (بر وبحر) الأسبوعية بصحيفة الشرق.

صحيفة الشرق، ٤ ديسمبر ٢٠٠٣، العدد (٥٦٤٩).

الصحيفة	الحرائق الطبيعية		الأعاصير		الفيضانات		البراكين		الزلازل		أخرى		المجموع	
	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%
الراية	٦	١٧,٦	٥	١٤,٧	٦	١٧,٦	١	٢,٩	١٣	٣٨,٣	٣	٨,٩	٣٤	١٠٠
		٤٠,٠		٤٥,٤		٢١,٤		٣٣,٠		٣٥,١		٥٠,٠		٣٤,٠
الشرق	٦	١٤,٦	٥	١٢,٢	١١	٢٦,٨	١	٢,٥	١٦	٣٩,٠	٢	٤,٩	٤١	١٠٠
		٤٠,٠		٤٥,٤		٣٩,٣		٣٣,٠		٤٣,٢		٣٣,٣		٤١,٠
الوطن	٣	١٢,٠	١	٤,٠	١١	٤٤,٠	١	٤,٠	٨	٣٢,٠	١	٤,٠	٢٥	١٠٠
		٢٠,٠		٩,١		٣٩,٣		٣٣,٠		٢١,٧		١٦,٧		٢٥,٠
المجموع	١٥	١٥,٠	١١	١١,٠	٢٨	٢٨,٠	٣	٣,٠	٣٧	٣٧,٠	٦	٦,٠	١٠٠	١٠٠

الجدول (م١-٩) أنواع الكوارث الطبيعية التي تناولتها الصحف القطرية
في الفترة من ١ يوليو ٢٠٠٣م إلى ٣١ يوليو ٢٠٠٤م

الصحيفة	محلي		إقليمي		عربي		دولي		مشترك		المجموع	
	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%
الراية	٣١٧	٤٣,٥	٢٨	٣,٨	٢٠	٢,٧	٣٠٨	٤٢,٢	٥٧	٧,٨	٧٣٠	١٠٠
		٣٦,٥		٣٤,٦		٢٧,٨		٣٣,٦		٢٦,٨		٣٣,٩
الشرق	٣٦٤	٣٤,٩	٣٧	٣,٥	٤١	٣,٩	٤٥٧	٤٣,٧	١٤٦	١٤,٠	١٠٤٥	١٠٠
		٤١,٩		٤٥,٧		٥٦,٩		٤٩,٨		٦٨,٥		٤٨,٦
الوطن	١٨٨	٤٩,٩	١٦	٤,٣	١١	٢,٩	١٥٢	٤٠,٣	١٠	٢,٦	٣٧٧	١٠٠
		٢١,٦		١٩,٧		١٥,٣		١٦,٦		٤,٧		١٧,٥
المجموع	٨٦٩	٤٠,٤	٨١	٣,٨	٧٢	٣,٣	٩١٧	٤٢,٦	٢١٣	٩,٩	٢١٥٢	١٠٠

الجدول (م١-١٠) الإطار الجغرافي للقضايا البيئية التي تناولتها الصحف القطرية
في الفترة من ١ يوليو ٢٠٠٣م إلى ٣١ يوليو ٢٠٠٤م

الصحيفة	أحداث واقعية		كتب		تقارير		بيانات وإحصائيات		تصريح		رأي خبير		رأي كاتب		المجموع	
	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%
الراية	٣٦٧	٥٠,٤	٤	٠,٥	١٤٨	٢٠,٣	٢٠	٢,٧	١١٥	١٥,٧	٤٦	٦,٣	٣٠	٤,١	٧٣٠	١٠٠
		٣٢,٣		٢٣,٥		٤٧,٥		٣٠,٨		٣٩,٨		١٩,٠		٣٢,٦		٣٣,٩
الشرق	٥٦٤	٥٤,٠	٨	٠,٨	١١٣	١٠,٨	٣٤	٣,٣	١٣١	١٢,٥	١٥٢	١٤,٥	٤٣	٤,١	١٠٤٥	١٠٠
		٤٩,٧		٤٧,٠		٣٦,٢		٥٢,٣		٤٥,٣		٦٢,٨		٤٦,٧		٤٨,٦
الوطن	٢٠٤	٥٤,١	٥	١,٤	٥١	١٣,٥	١١	٢,٩	٤٣	١١,٤	٤٤	١١,٧	١٩	٥,٠	٣٧٧	١٠٠
		١٨,٠		٢٩,٥		١٦,٣		١٦,٩		١٤,٩		١٨,٢		٢٠,٧		١٧,٥
المجموع	١١٣٥	٥٢,٧	١٧	٠,٨	٣١٢	١٤,٥	٦٥	٣,٠	٢٨٩	١٣,٥	٢٤٢	١١,٣	٩٢	٤,٢	٢١٥٢	١٠٠

الجدول (م١-١١) مصادر القضايا البيئية التي تناولتها الصحف القطرية
في الفترة من ١ يوليو ٢٠٠٣م إلى ٣١ يوليو ٢٠٠٤م

الصحيفة	الصفحة الأولى		الصفحات الداخلية		الصفحة الأخيرة		المجموع	
	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%
الراية	٤٢	٥,٧	٤٩١	٦٧,٣	١٩٧	٢٧,٠	٧٣٠	١٠٠
		٢٤,٥		٣٨,٧		٢٧,٦		٣٣,٩
الشرق	٩٩	٩,٥	٥٦٣	٥٣,٩	٣٨٣	٣٦,٦	١٠٤٥	١٠٠
		٥٧,٥		٤٤,٥		٥٣,٧		٤٨,٦
الوطن	٣١	٨,٢	٢١٣	٥٦,٥	١٣٣	٣٥,٣	٣٧٧	١٠٠
		١٨,٠		١٦,٨		١٨,٧		١٧,٥
المجموع	١٧٢	٨,٠	١٢٦٧	٥٨,٩	٧١٣	٣٣,١	٢١٥٢	١٠٠

الجدول (م١-١٢) موقع القضايا البيئية التي تناولتها الصحف القطرية في الفترة من ١ يوليو ٢٠٠٣م إلى ٣١ يوليو ٢٠٠٤م

الصحيفة	خبر		تحقيق		تقرير		حوار		رسمي		مقال		رأي قارئ		كاريكاتير		تعليق صورة		المجموع	
	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%
الراية	٢٨٩	٣٩,٦	٤٥	٦,٢	١١٦	١٥,٩	١٥	٢,٠	١٢٤	١٧,٠	٢٤	٣,٣	٨	١,١	٥	٠,٧	١٠٤	١٤,٢	٧٣٠	١٠٠
		٣٤,٢		٤٦,٩		٤٤,٦		٢٥,٠		٣٨,٢		٣٥,٣		١٣,٨		١٠٠,٠		٢٣,٩		٣٣,٩
الشرق	٣٩٩	٣٨,٢	٢٧	٢,٦	١١٩	١١,٤	٢٧	٢,٦	١٤٢	١٣,٦	٢٩	٢,٨	٤٤	٤,٢	٠	٠,٠	٢٥٨	٢٤,٦	١٠٤٥	١٠٠
		٤٧,٢		٢٨,١		٤٥,٨		٤٥,٠		٤٣,٧		٤٢,٦		٧٥,٨		٠,٠		٥٩,١		٤٨,٦
الوطن	١٥٧	٤١,٧	٢٤	٦,٤	٢٥	٦,٦	١٨	٤,٨	٥٩	١٥,٦	١٥	٤,٠	٦	١,٦	٠	٠,٠	٧٣	١٩,٣	٣٧٧	١٠٠
		١٨,٦		٢٥,٠		٩,٦		٣٠,٠		١٨,١		٢٢,١		١٠,٤		٠,٠		١٧,٠		١٧,٥
المجموع	٨٤٥	٣٩,٣	٩٦	٤,٥	٢٦٠	١٢,١	٦٠	٢,٨	٣٢٥	١٥,١	٦٨	٣,١	٥٨	٢,٧	٥	٠,٢	٤٣٥	٢٠,٢	٢١٥٢	١٠٠

الجدول (م١-١٣) القوالب التحريرية للقضايا البيئية التي تناولتها الصحف القطرية
في الفترة من ١ يوليو ٢٠٠٣م إلى ٣١ يوليو ٢٠٠٤م

5 الشرق alsharq1@qatar.net.qa
محليات
السبت 4 ذي القعدة 1424 هـ
27 ديسمبر 2003 م
العدد 5672

أبرزها الهيكل التنظيمي وإصدار تشريعات مهمة

إنجازات كبيرة لمجلس البيئة عام 2003 وتطلعات طموحة للعام الجديد

العلي: نعمل على إصدار قوانين ومشاريع جديدة في عام 2004

■ مأمون عرباش

تحديث برنامج رصد البيئة وإعادة تنظيم عمليات الصيد

قسم الرصد البيئي

الشكل (م٢-٣) يرتبط بتناول القضايا البيئية المحلية وبشكل كبير بتغطية أنشطة المؤسسات البيئية.
صحيفة الشرق، ٢٧ ديسمبر، العدد (٥٦٧٢).

17 بيئتنا ١٧

THURSDAY 17 JULY 2003 - NO. (7740)

إعداد: صبري السوري

المكتب الإقليمي للشباب والبيئة

يوسف الكاظم المنسق الإقليمي لـ الراية:

المكتب الإقليمي للشباب والبيئة لم يمت بالسكتة وإنما تأثر بحرب العراق

■ ألغينا بعض الفعاليات لظروف المنطقة ولدينا خطط قادمة

■ نعمل في صمت من أجل تحقيق أهداف الاتحاد العربي للشباب والبيئة

الاتحاد العربي للشباب والبيئة

قطر تشارك بوفد حولها في جنيف

اتفاقية استكهولم تخلص العالم من الملوثات العضوية

على مسافة ٤ كيلو مترات وهناك احتمالات للتوسع

تحاريش أبو سمره مشروع بيئي رائد تهدده قلة العمالة والسيارات والعواصف

■ محمد الصديقي: أهمية المشروع البيئية والعمرانية كبيرة جدا

اعرف بيئتك

الورل

الشكل (م٢-٢) نموذج لصفحة (بيئتنا) بصحيفة الراية.

صحيفة الراية، ١٧ يوليو ٢٠٠٤، العدد (٧٧٤٠).

افتتاح قرية بشارة الصيفية اليوم

الخط الساخن

انقطاع المياه في السلطة الجديدة

.. وانقطاع للكهرباء في «ابن أسلم»

البدل النقدي للموظف القطري

رد من «البريد»

لو كنت مسؤولاً

لقمت باتخاذ الإجراءات اللازمة حول أسماء بعض المحال التجارية لغير العربية.

الشرق

Al-Sharq

وضعت لغرض القضاء على البعوض

أسماك المجاري تباع في الأسواق

■ مصدر بالبلدية: آسيويون يبيعونها وتسبب أمراضاً في الكبد

■ د. الحمق: إرسال أطباء لعمل مسح شامل في جميع المناطق

الشكل (م٢-٥) نادراً ما يتم التطرق إلى قضايا البيئة المحلية وفي الصفحة الأولى على هذا النحو. صحيفة الشرق، ٢٦ يوليو ٢٠٠٣، العدد (٥٥١٨).



العلي خلال تدشين الاحتفال بيوم البيئة القطري:

تجهيز المختبر المركزي بأحدث التقنيات لتشخيص حال البيئة القطرية

■ كتب - صبري السموري

دشن السيد خالد العلي الأمين العام للمجلس الأعلى للبيئة والمحميات الطبيعية احتفالات المجلس بيوم البيئة القطري أمس والتي تتضمن سلسلة من الفعاليات المتواصلة التي تشارك فيها العديد من المؤسسات الحكومية والأهلية في تجسيد واضح لشعار المناسبة «معاً لحماية البيئة».

وبحضور عدد كبير من المهتمين بالبيئة والجهات المعنية بالدولة وأعضاء المجلس الأعلى افتتح السيد خالد العلي رسمياً مبنى المختبر البيئي المركزي.

وألقى بهذه المناسبة كلمة أشار فيها إلى أن الاحتفال بيوم البيئة ليس للمجلس فقط وإنما يعكس اهتمامنا جميعاً بقضايا البيئة.

وبين أنه تم تجهيز المختبر البيئي بأحدث الأجهزة وتم تدريب الكوادر القطرية من قبل جهات عالية وخبراء متخصصين يعملون في المجلس.

وأضاف أن للمختبر مهمة رئيسية تتمثل في تحليل عينات من البيئة القطرية حيث يسعى المجلس لمعرفة وتشخيص حال البيئة القطرية بكل قطاعاتها.

وألقى السيد مسعود جار الله المري مدير المختبر البيئي المركزي كلمة أكد فيها



● خالد العلي خلال افتتاح المركز



● المسؤولون يستمعون لشرح عن إمكانيات المركز (تصوير: تاج الدين)

الشكل (م٢-٤) يرتبط بتناول الموضوعات البيئية المحلية كثيراً بالمناسبات.

صحيفة الراية، ٢٧ فبراير ٢٠٠٤، العدد (٧٩٦٥).

The role of the media

in promoting environmental awareness in Jordan

Dr. Ali Al- Ananzah

Abstract

This study evaluated the degree of the media success in promoting environmental awareness in Jordan by means of reviewing newspapers, journals, radio, television, and focused workshops and conferences. It was discovered that during the period 1990 - 2000, more than 160 issues dealing with the environment were covered. In addition to evaluating the influence of the media, a questionnaire was carried out on 1000 members of the general public. 78.7 % of the sample indicated that the media played a significant role in their environmental awareness, and 82.5 % believed that the media focused on the environmental problems that preoccupied the Jordanians. Using the F test the study found that at the confidence level ($\propto$=0.05) there was no significant differences in the responses according to the district or level of the parents education. On the other hand the F test showed at the confidence level ($\propto$=0.01) that there were significant differences in responses depending on gender, their dwelling place, and the job and income of the father.

دور الإعلام
في التوعية البيئة في الأردن

د. علي العنانزة *

الملخص:

تناولت هذه الدراسة دور الإعلام البيئي في الأردن من خلال مراجعة الموضوعات المتعلقة بالإعلام البيئي في وسائل الإعلام المتمثلة في الصحف والمجلات، والإذاعة، والتلفاز، والمؤتمرات، والندوات البيئية، حيث قدمت هذه الوسائل ما يزيد على (١٦٠) موضوعاً خلال المدة من (١٩٩٠-٢٠٠٠) كان لها دور مهم في تطوير النظرة الإيجابية للبيئة لدى الأردنيين. بالإضافة إلى ذلك استخدمت هذه الدراسة أسلوب الاستبانة لعينة بلغت (١٠٠٠) مواطن، من سكان المحافظات الأربعة التي هي أكبر سكانياً في الأردن وهي: عمان، وإربد،و الزرقاء، والكرك. وأشار ٧٧,٦ ٪ من حجم العينة إلى أهمية دور وسائل الإعلام في التوعية البيئية، وأكد ما نسبته ٧٨,٧٪ منهم فاعلية الإعلام البيئي في الأردن في متابعة قضايا البيئة ومشكلاتها. في حين أكد ٨٢,٥ ٪ دور الإعلام الواضح في التثقيف البيئي. ولم يكن هناك فروق ذات دلالة إحصائية لتصورات أفراد العينة، إزاء دور وسائل الإعلام في التثقيف البيئي، لمتغيرات المحافظة، المؤهل العلمي، ومستوى تعليم الأب، ومستوى تعليم الأم، حسب قيم (F) المحسوبة عند مستوى دلالة (∝= ٠,٠٥). إلا أن النتائج دلت على وجود مثل هذه الفروق لمتغيرات الجنس، ومكان الإقامة، ومهنة الأب، والدخل الشهري، لارتفاع قيم (F) المحسوبة، عند مستوى دلالة (∝= ٠,٠١).

---

* أستاذ، قسم العلوم الاجتماعية، جامعة البحرين.

لحياة الإنسان. من هنا وجب على الإنسان أن يراعي في تعامله مع البيئة أساسيات لا ينبغي إهمالها (Tierney, 1998). لقد كانت العلاقة بين الإنسان والبيئة علاقة حميمة يحكمها العقل والحكمة، وقد تعثرت هذه العلاقة نتيجة ازدياد عدد السكان والتطور الصناعي والزراعي والعمراني، وانتشاره على مساحات واسعة، تم فيها تلويث المياه والهواء والتربة، مما أدى إلى وجود خلل في التوازن البيئي وضع حياة الإنسان والكائنات الحية في خطر (سلامة، ٢٠٠٢).

وقد زاد اهتمام الإنسان ببيئته مع التقدم الصناعي والتكنولوجي الذي تطور في العقد الماضي وزاد مع ذلك التطور تلوث البيئة مع قلة اهتمام الإنسان بالبيئة لانشغاله بالتطور، بيد أن الصناعيين والتكنولوجيين أنفسهم أصبحوا اليوم أكثر الفئات اهتماما بالبيئة؛ لإدراكهم جسارة الخطر الذي لحق بالبيئة من أثر التطور الذي حدث، وتضافرت التوجيهات العسكرية والسياسية والاقتصادية نحو سلامة البيئة، وقد تمثلت تلك الجهود بإنشاء الهيئات والمنظمات الإقليمية والعالمية والمحلية لحل مشكلات البيئة فطريا، وصار لكل دولة منظمة تعنى بالبيئة حسب عمل كل منظمة وإقليمها (أبو السعود، ٢٠٠٠).

يعد الإعلام البيئي من المجالات الحديثة في الإعلام؛ نظرا لعدم اهتمام الكثير من الدول في البيئة، لا سيما بعد مؤتمرات القمة، التي ركزت على ضرورة الاهتمام بالبيئة جنبا إلى جنب مع التنمية؛ على أساس أن العلاقة بينهما علاقة متداخلة، فكيف تعمل على تنمية موقع معين في مجالات مختلفة دون إلحاق الضرر بالتنوع الحيوي و البيئي في ذلك الموقع، وكلما زاد إنتاج المجتمعات عن طريق التصنيع، واستنزاف موارد البيئة وإنتاج نفايات، زاد إلحاق الضرر بالبيئة (دلاشة وآخرون، ١٩٨٣)، ولذلك فإن للاتجاهات التي يحملها الأفراد دلائل مهمة على نوعية تلك العلاقة، كما أن معرفة واقعها تمكننا من وضع السياسات والبرامج اللازمة والضرورية لبناء علاقة مثمرة مع البيئة (جاسم، ٢٠٠١).

المقدمة

شهدت وسائل الإعلام تقدماً سريعاً وملحوظاً في السنوات القليلة الماضية، فمنذ أن كان الإنسان يعيش في الكهوف، لجأ إلى استعمال وسائل الإعلام لإطلاع الآخرين على ما يحدث في بيئته، وذلك بإيصال المعلومة مباشرة من شخص إلى آخر. وبعد انتشار الكتابة واللغة، أصبحت وسائل الإعلام، هي الصوت والصورة والكلمة المكتوبة، وقد توج هذا التقدم بثورة وسائل الإعلام وثورة الاتصالات الحديثة وعلى رأسها (الإنترنت)، وذلك مع بدايات القرن العشرين. وقد ساعد هذا التطور الهائل الذي شهدته وسائل الإعلام على سهولة الاتصال بين الدول مما أحال العالم إلى مدينة صغيرة (Crystal, 1994). وتعد وسائل الإعلام اليوم من مقومات وجود المجتمعات المتحضرة، وقد تأكد في عالم اليوم أن الاتصال الجماهيري ليس مجرد خاصية رئيسة للتطور التكنولوجي الذي أنجزته الإنسانية، بل هو أحد الأسس التي لا يمكن تصور الحياة بدونها، فهي تؤدي وظيفة مركبة تتصل بعمليات توصيل المعرفة وتكوين الاتجاهات وتشكيل المواقف (مكويل، ١٩٩٢).

وتتمثل مهمة الإعلام البيئي في استخدام أجهزة الاتصال الرسمية والأهلية كالصحف، والمجلات، والدوريات، والكتب، والنشرات، والملصقات، والندوات، والمحاضرات، والمعارض، واللوحات، وهيئة الإذاعة والتلفزيون، والمسرح، ووكالات الأنباء، وبنوك المعلومات، وذلك لتوعية الإنسان ومده بالمعلومات البيئية؛ لأن هذه الوسائل ملازمة له معظم ساعات الليل والنهار (Edwards, 1983) (Reeves and Clifford, 1996).

إن البيئة هي الوسط الذي يعيش فيه الإنسان، وهي تشمل العناصر الحية وغير الحية. والبيئة مرهونة بتصرف الإنسان يعيش فيها، فإذا أحسن التعامل معها حسنت وأصبحت بيئة إيجابية، وإذا أساء ساءت، وأصبحت بيئة سلبية غير صالحة

لقد بدأ الاهتمام الشعبي بالظهور حيث قامت مجموعة وطنية من ذوي الاختصاص بتأسيس الجمعية الأردنية لمكافحة تلوث البيئة عام ١٩٨٨، وهي تعبر عن رغبة الجمهور الأردني في المشاركة في حماية البيئة الأردنية الوطنية، وقامت بجهود متميزة وأداء فاعل لتوعية كل المواطنين بأهمية الاعتناء بالبيئة، وكذا تقوم الجامعات الأردنية والمؤسسات التربوية والمنظمات الطلابية في الأردن بدور كبير على المستوى الشعبي في الاهتمام بالبيئة، إضافة إلى دور الأحزاب الأردنية في حماية البيئة (القضاة، ١٩٩٦).

أهمية الدراسة ومبرراتها:

تبرز أهمية الدراسة في التعرف على مدى وعي السكان في الأردن بأهمية البيئة، ومخاطر التعامل معها بسلبية ومعرفة مقدار الوعي وتأثير الإعلام في تغيير اتجاهات السكان المتعلقة بالبيئة من أجل بيئة أفضل لحياة أفضل، ومعرفة أثر المنظمات والهيئات من خلال نشاطها في الإعلام والتوعية والإرشاد في سلوك الإنسان.

وتنبع أهمية موضوع البيئة وخطورة المشكلات البيئية من الشمولية التي يمتاز بها هذا الموضوع في عصرنا الحالي، وتعد القضايا البيئية من أهم المشكلات المعاصرة التي فرضت نفسها على الناس جميعاً، ونظراً لزيادة ضغوط الإنسان على البيئة فقد برزت قضايا بيئية عديدة أدت إلى ضرورة وجود نظرة حديثة متكاملة للإنسان حول البيئة، وأصبحت مشكلات البيئة تلقى الاهتمام اللازم من دول العالم، وقد برزت هذه المشكلات نتيجة للوتيرة المتزايدة؛ لاستغلال موارد البيئة التي بلغت ذروتها في النصف الثاني من القرن العشرين، حيث أفسدت هذه المشكلات قدرة الأنظمة البيئية على التجدد التلقائي، وأخلت بالتوازن الطبيعي لهذه الأنظمة البيئية.

من هنا جاءت أهمية إيجاد وسائل لتوعية المواطن، وتكثيف الاهتمام بإقناع المواطنين بأهمية البيئة؛ بوصفها المحيط الذي نحتاج إليه، ولذا لابد من المحافظة عليه وحمايته بالوسائل الممكنة (Lovei and Weiss, 1998) (Holden, 2000). وخلال السنوات العشر الأخيرة، تضاعف الاهتمام الإعلامي بالبيئة، وصارت الصحف تفرد له صفحات خاصة، وأعمدة للحديث عن ضرورة الاهتمام بالبيئة، و متابعة قضاياها الساخنة، و نشر عبارات وأفكار تشجع الاهتمام بالنظافة العامة، و زراعة الأشجار، و غيرها من الأمور المتعلقة بالبيئة – وظهر العديد من المجلات البيئية المتخصصة – وخصصت برامج إذاعية وتلفزيونية متخصصة في البيئة، وعملت بعض الدول على إيجاد قنوات تلفزيونية متخصصة للحديث عن البيئة. كما أن الكتابة أو إعداد التقارير الإذاعية والتلفزيونية في المجال البيئي صار بحاجة إلى الكثير من التركيز والحذر والحاجة إلى المعلوماتية، فأنت تعمل في مجال يهدف إلى تغير سلوك المواطن معتمداً على الحقائق و الأرقام و ليس العاطفة. فيجب أن تكتب بسلوك شائق؛ لأن الحقيقة على أهميتها تبدو مرة أحيانا (توفيق، ١٩٩٣) (Haymes and Wells, 1986).

إن عمليات توظيف الإعلام المسموع والمرئي لخدمة أهداف المجتمع التنموية ومواجهة المشكلات الاجتماعية والتدهور البيئي بمختلف صوره من أهم المرتكزات التي تقوم عليها السياسة الإعلامية في الأردن. وتقف قضية البيئة وحمايتها وما تتعرض له من تلويث في مقدمة القضايا التي يواجهها المجتمع الأردني ويسهم الإعلام في التصدي لها. وقد انطلق مشروع استراتيجية البيئة الوطنية في الأردن في عام ١٩٨٩، وبدأت وسائل الإعلام أنشطتها الحكومية المرئية والمكتوبة والمسموعة وأصبحت جميع المؤسسات والجمعيات ودوائر الاختصاص تنشر التوعية وتناقش قضايا البيئة، فكان له الأثر الكبير في توعية السكان لمجابهة خطر البيئة؛ لأنها أصبحت ضرورة حياة (غرايبة والفرحان، ١٩٩٨).

منهجية الدراسة :

اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي، فقد تم استخدام الأسلوب الميداني في جمع البيانات، من خلال استبانة؛ لتحقيق أغراض هذه الدراسة، تضمنت مجموعة من الأسئلة وتم تحليلها إحصائياً للإجابة عن أسئلتها واختبار صحة فرضياتها، بالإضافة إلى المسح المكتبي؛ لرصد المقالات والأبحاث والندوات والورش والبرامج التلفزيونية والإذاعية، للفترة الممتدة ما بين ١٩٩٠-٢٠٠٠، وتصنيفها وتحليلها، وكذلك الاستفادة من المراجع، والمصادر الجاهزة لبناء الخلفية النظرية، بحيث تم تصميم منهجية الدراسة لتحليل دور وسائل الإعلام الأردنية في التوعية البيئية، وأثرها في بعض المتغيرات الشخصية كدراسة ميدانية على كبرى محافظات الأردن.

مجتمع الدراسة وعينتها :

لقد جرى اختيار عينة عشوائية من مجتمع الدراسة في كبرى محافظات الأردن سكانياً وهي عمان، والزرقاء، وإربد، والكرك (الشكل رقم ١)، موزعين في ضوء الخصائص الديموغرافية المعتمدة في مثل هذه الدراسات الميدانية، والمتمثلة في الجنس، والمؤهل العلمي، ومستوى تعليم الأب، ومستوى تعليم الأم، ومهنة الأب، ومكان الإقامة، والدخل الشهري. وتم توزيع (١٠٠٠) استبانة، استرجع منها (٧٣٦) وشكلت ما نسبته (٧٣,٦٪) من عينة الدراسة، واستبعدت في التحليل الإحصائي (٢٤٤) استبانة لعدم صلاحيتها، وعدم اكتمال بعضها الآخر، وشكلت ما نسبته (٢٦,٤٪) من عينة الدراسة.

أهداف الدراسة:

تسعى هذه الدراسة إلى التعرف على مدى قدرة وسائل الإعلام المختلفة في الأردن على خلق الوعي الفكري عند المجتمع الأردني، وتقوم على افتراض وجود علاقة بين التباين الثنائي لهذا المجتمع وتباين أثر البرامج الإعلامية والندوات والورش والمقالات في سلوكهم نحو البيئة، من أجل تحقيق الأهداف الآتية:

١- قياس مدى تأثير المؤسسات الإعلامية الرسمية وغير الرسمية (الإعلام العام والخاص) في الوعي البيئي من كونها مصادر للمعرفة، وأنها قادرة على طرح الحلول لمشكلات البيئة، وذلك من خلال الإجابة عن التساؤلات الآتية:

- ما الآثار الإيجابية التي تركتها وسائل الإعلام إزاء البيئة ومشكلاتها؟.
- هل توجد علاقة دالة إحصائية بين البرامج الإعلامية والوعي البيئي؟.
- هل توجد فروق دالة إحصائية بين الجنس والوعي البيئي؟.
- هل توجد فروق دالة إحصائية بين المستوى التعليمي والوعي البيئي؟.
- ما درجة الاستمرارية والتغير في منظومة الإعلام تجاه التأثير في الوعي البيئي؟.
- ما المقترحات التي يمكن تقديمها؛ لتحسين الأداء الإعلامي فيما يخص البيئة ومشكلاتها؟.

٢- هل يوجد وعي كاف لدى سكان الأردن بقضايا البيئة، وما مقدار ذلك الوعي وأثره في سلوك الإنسان الإيجابي تجاه البيئة وحمايتها؟.

٣- التعرف على أسباب التباين في مسألة الوعي البيئي، و مدى استعداد السكان للقيام بنشاطات تسهم في المحافظة على البيئة.

أداة الدراسة وتصميم الاستبانة:

تم تصميم استبانة اشتملت على عدة عوامل؛ لقياس دور الإعلام البيئي في التوعية البيئية في الأردن، وأثره في بعض المتغيرات الشخصية، وفيما يأتي توضيح تفصيلي بأجزائها وفقراتها:

أ- **الجزء الأول**: ويتضمن معلومات حول خصائص عينة الدراسة، في ضوء المتغيرات الديموغرافية أو الشخصية (الجنس، والمؤهل العلمي، ومستوى تعليم الأب، ومستوى تعليم الأم، ومهنة الأب، ومكان الإقامة، والدخل الشهري).

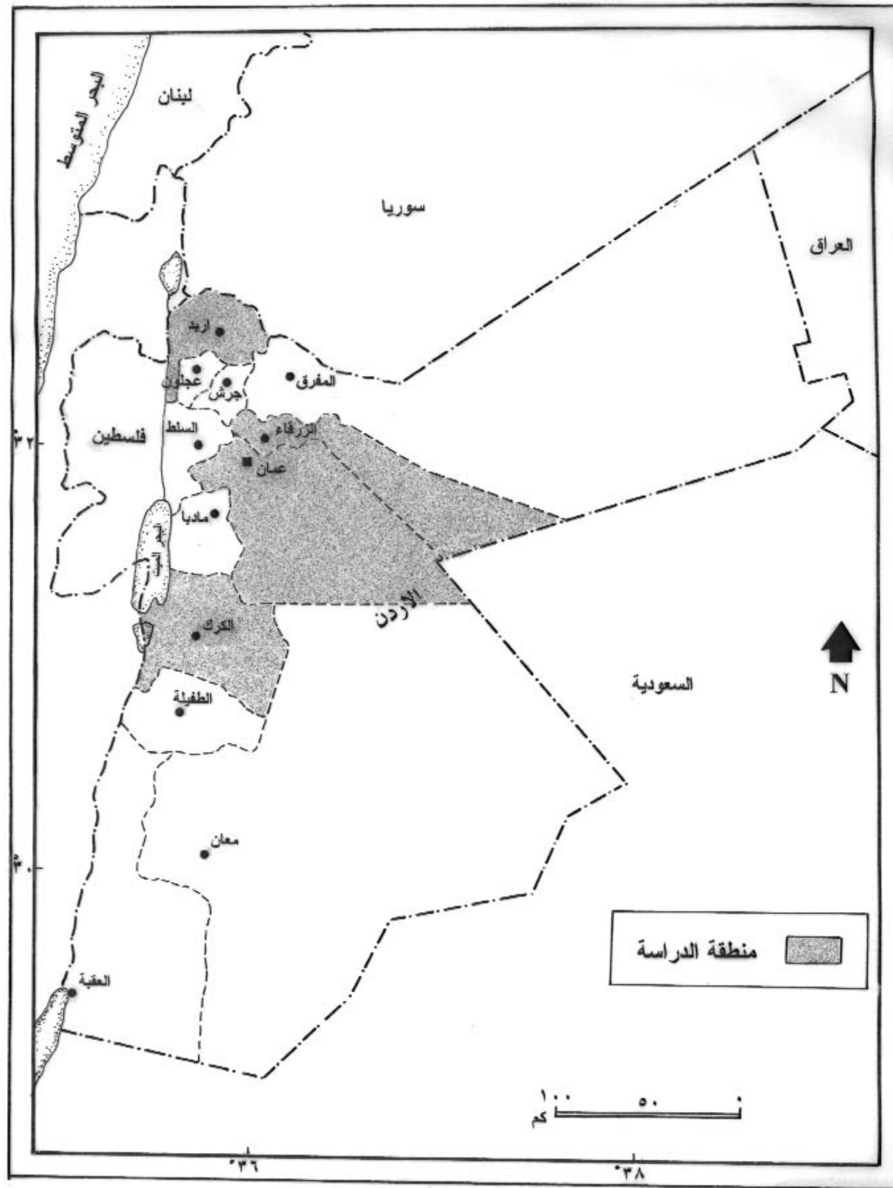
ب- **الجزء الثاني**: ويتضمن فقرات بصيغة أسئلة عددها (٢٥) سؤالاً، لغرض قياس دور الإعلام البيئي في التوعية البيئية في الأردن، وحسبما يأتي:

١-٥	الاهتمام الشخصي
٦-٩	فاعلية الإعلام البيئي
١٠-١٢	دور الصحف والندوات
١٣-٢١	دور الإعلام في التوعية البيئية
٢٢-٢٥	دور الإعلام في التثقيف البيئي

وقد صيغت عبارة الاستبانة بأسلوب يتطلب من المستجيب أن يضع علامة (×) أمام الاختيار المرغوب فيه، وذلك وفق مقياس متدرج يتكون من خمس نقاط من (١-٥)، موافق جداً، موافق، غير متأكد، غير موافق، غير موافق بشدة.

صدق أداة الدراسة وثباتها:

تم عرض الاستبانة على عدة محكمين من ذوي الاختصاص الأكاديمي والفني، للتحقق من مدى صدق محتوى الاستبانة وملاءمتها، ومدى صلاحيتها لأغراض هذه الدراسة، وبعد إجراء التعديلات تم اعتماد الاستبانة، إضافة إلى ذلك فقد تم



الشكل رقم (١) موقع منطقة الدراسة في الأردن

في هذه الدراسة وعياً سكانياً وبيئياً لدى أفراد عينة الدراسة، وكانت العلاقة طردية بين نسبة الوعي وارتفاع مستوى الدخل، وعكسية مع عدد الأفراد المعالين في الأسرة، وكان الوعي أكثر إدراكا بين الأصول القروية من الحضرية، وكان الوعي أكثر نضجاً أيضاً في فئة المتزوجين من غيرهم (المؤسسة العامة لحماية البيئة، ٢٠٠٢).

وقد تناول موضوع التوعية البيئية الكثير من الدراسات على المستويين الإقليمي والعالمي (أبو السعود، ٢٠٠٠)، منها على سبيل المثال لا الحصر دراسة جاسم حول «الاتجاهات البيئية لدى طلبة وطالبات جامعة الكويت» من مختلف التخصصات وقد أشارت نتائج تحليل الدراسة إلى وجود ستة عوامل رئيسة تشكل موضوع الاتجاهات البيئية: هي الرعاية الحكومية للبيئة، ونقص الوعي البيئي، والجور المتعمد على البيئة، والمكانة المؤسسية المباشرة، والرعاية المؤسسية غير المباشرة. وأسفرت النتائج عن عدم وجود أي فروق ذات دلالة إحصائية ترجع إلى اختلاف الجنس أو التخصص واختصار الدلالة على الفروق بين المجموعتين التي حضرت المقرر الجامعي والتي لم تحضره في صالح المجموعة الأخرى مما يفيد وجود أثر فاعل لذلك المقرر في الاتجاهات الإيجابية نحو البيئة (جاسم، ٢٠٠١).

واقع البيئة والإعلام البيئي في منطقة الدراسة:

يقع الأردن بين خطي عرض «١١, ٢٩-٢٢, ٣٣» شمالاً وخطي طول، «٥٩, ٣٤-١٨, ٣٩» شرقاً (الشكل رقم ١). ولقد خطا الأردن خطوات كبيرة في مجال دعم البيئة وحمايتها، وكان في مقدمة الدول العربية التي تواجه هذا التحدي. فقد أنشأ في عام ١٩٨٠ إدارة للبيئة، ووقع على ما يزيد على عشرين اتفاقية دولية خاصة بالبيئة، وأصدر كتاباً عن حالة البيئة في الأردن، وأعلن عن استراتيجية وطنية لحماية البيئة على المستويين البعيد والقريب (وزارة التخطيط، ١٩٩٥)، بالإضافة إلى الإشراف المباشر على مكافحة تلوث البيئة واستحداث نظام فعال فيما يتعلق

استخراج معامل (كرونباخ ألفا) للاتساق الداخلي حيث بلغت قيمة الثبات الكلي للمقياس ألفا (∝= ٠,٨٤٦) وهي نسبة ثبات عالية.

أساليب التحليل الإحصائي:

للإجابة عن أسئلة الدراسة، ولاختبار فرضياتها تم استخدام الأساليب الإحصائية الآتية:

١- مقاييس الإحصاء الوصفي: (Descriptive Statistic Measures) وذلك لوصف عينة الدراسة اعتماداً على النسب المئوية، ولترتيب متغيرات الدراسة حسب أهميتها النسبية بالاعتماد على متوسطاتها الحسابية.

٢- تحليل التباين الأحادي (One Way Anova) وذلك لاختبار الفروق بين المتغيرات الديموغرافية في دور وسائل الإعلام في التثقيف البيئي.

وتم الاعتماد على الرزمة الإحصائية (Spss.10) للقيام بالتحليل الإحصائي لهذه الدراسة.

الدراسات السابقة:

تشير التقارير إلى أن التوعية البيئية في الأردن حسب علم الباحث، لم تحظ باهتمام الباحثين والدارسين، وأن هناك ثغرة في الدراسات والبحوث التي تناولت برامج التوعية وتتبعتها ورصدتها والنتائج التي حققتها. وقد انحصرت الدراسات في دراسة (تايه) حول الوعي السكاني والبيئي لدى معلمي المدارس الثانوية في مدينة عمان عام ١٩٩٧، اهتمت هذه الدراسة بمعرفة مستوى الوعي البيئي والسكاني عند معلمي المدارس الثانوية، وإمكانية إفادة الطلاب وتوجيههم نحو البيئة، ومعرفة أثر المتغيرات مثل المستوى التعليمي والعمر والجنس والحالة الاجتماعية وغيرها في الوعي البيئي والسكاني بأبعاده المختلفة لدى المعلمين والمعلمات. وقد أظهرت النتائج

بحكم مصالحها لسياسات البيئة ونقص التشريعات والقوانين البيئية أو غيابها وعدم تفعيلها، وضعف درجة الاتصال بين البيئيين والإعلاميين وغياب التوجيه السياسي من الجهات العليا، لتوظيف الإعلام والتوعية في المجال البيئي (المؤسسة العامة لحماية البيئة، ٢٠٠٢). لذا جاءت الاستراتيجية البيئية في الأردن لتؤكد أهمية هذه المجالات، وبيان مدى قدراتها الحالية، وتوظيف الخبرات المكتسبة في تطوير اتجاهات وقيم ومعارف تساعد على تحقيق تنمية مستدامة في الأردن (أبو سرحان وهماش، ١٩٨٣).

وتهدف الاستراتيجية الوطنية للتوعية والإعلام البيئي في الأردن؛ لتحقيق التنمية المستدامة، وقد اعتمدت على مجموعة من المبررات الوطنية والتاريخية. واستند في بنائها إلى دراسة واقع التوعية والاتصال البيئي من حيث مواطن القوة والضعف والمعوقات التي واجهتها خلال السنوات العشر الأخيرة. ولقد بُنيت الاستراتيجية اعتماداً على دراسة متخصصة لواقع التعليم والتوعية والإعلام البيئي، وتحليلاً لذلك الواقع (القضاة، ١٩٩٦). وتقوم الاستراتيجية على أسلوب المشاركة في إطار لجنة مصغرة، ومن ثم عرضها في حلقة وطنية لمناقشة ما جاء فيها (السعود، ٢٠٠١). وتوجد في الأردن الكثير من المؤسسات الرسمية التي تعني بشئون البيئة، وهي تتبع لعديد من الوزارات وأمانة عمان الكبرى وسلطة إقليم العقبة، تبعاً لاختصاصات الوزارة المعنية ومن أهم المؤسسات (القضاة، ١٩٩٦).

وزارة الشئون البلدية والقروية والبيئية/ دائرة البيئة.

١. الجمعية الملكية لحماية الطبيعة.

٢. جمعية البيئة الأردنية.

٣. المحمية الأردنية لمكافحة التصحر وتنمية البادية.

٤. الجمعية الأردنية لمكافحة تلوث البيئة.

٥. الجمعية الملكية مركز بحوث البيئة.

بالنشاطات التي قد تؤثر سلباً في البيئة (المغربي، ١٩٩٤).

أما مجالات التلوث البيئي في الأردن فتظهر في تلوث المياه الجوفية والسطحية والأراضي الزراعية، بمخلفات البلاستيك، وخاصة في وادي الأردن والمناطق المروية، ويقدر استهلاك الأردن سنوياً ب ٥٠ ألف طن من المواد البلاستيكية، وكذلك التلوث بالمبيدات الكيماوية التي تعمل على تلويث الهواء والتربة وتغيير الصفات النوعية للعناصر الحيوية، مما يؤدي إلى تأثيرات تضرُّ بالإنسان والحيوان والغابات، ويقدر استهلاك الأردن السنوي من المبيدات ب ٥٦٣ طنٍّ، إضافة إلى التلوث بالأسمدة وخاصة الأسمدة الكيماوية التي أصبحت تستخدم بشكل مكثف في الزراعة. وكذلك الزحف العمراني على حساب الأراضي الزراعية، حيث شهد قطاع المباني والعمراني توسعاً على حساب الأراضي الزراعية (دلاشة وآخرون، ١٩٨٣).

إن منطقة الدراسة بما تتمتع به من أهمية لا يمكن لأحد إنكارها أو تجاهلها في الأردن بكونها المحافظات الكبرى التي لا تخلو من المشكلات البيئية الناجمة عن تصرف الإنسان المقصود أو غير المقصود بما تشمله من أماكن للسكن وللتسوق وللراحة تعمل على جذب السكان لها مما يؤثر في بيئة المنطقة في هذه المحافظات؛ لأنها تعكس بيئة الأردن كاملة بوصفها مقراً للزوار الحاضرين للأردن، فبرزت الهيئات والمنظمات التي ركزت في مجمل أهداف إنشائها على توعية الإنسان الأردني ببيئته وإرشاده إلى ما فيه خير للبيئة والمنظمة بشكل خاص. وتعد ظاهرة التوعية والإعلام البيئي حديثة نسبياً في المجتمع الأردني إذ إن مشكلات التلوث قد رفعت الوعي العام، وأدت إلى قيام كثير من المؤسسات الخاصة والعامة بالعديد من الأنشطة في هذا المجال.

إن أهم المشكلات التي تواجه التوعية والإعلام البيئي تتمثل في الفئات المستهدفة ودرجة استجابتهم ومصداقية إجاباتهم (أبو العز، ١٩٩١)، والتمويل ودرجة الحرية المتاحة ودرجة توافر المعلومة، وضعف دور الجمهور، ووجود قوى مستنفذة مناهضة

مواضيعها. إلا أن سلبياتها تتلخص في كونها غير كافية لتوضيح بعض القضايا، إذ إن الوقت لا يسمح بتخصيص أكثر من ١٠ دقائق للزوايا البيئية. ومن الأمثلة على هذه البرامج: مجلة الأسرة، ويوم جديد، وبرامج الصحة الأسرية والمدرسية وصحة المجتمع، والزراعة والبيئة، والبرامج الوقائية، وطن وسياحة، وبنك المعلومات.

ويتم في هذه البرامج جميعها، التطرق إلى قضايا بيئية داخل الأردن، وخارجة مع التركيز على الأردن والمشكلات البيئية فيه لتوعية المواطن الأردني بها وزيادة الارتباط والحس البيئي لديه، وذلك عن طريق إثراء هذه البرامج بقضايا ذات بعد بيئي أو إدخال معلومات بيئية، أو ربط المحتوى بقضايا بيئية مناسبة. ويعتمد هذا على جمهور المعدين والمقدمين والمخرجين. وتساعد هذه الطريقة على إيصال الهدف لمعظم الفئات المستهدفة وإكسابها اتجاهات بيئية إيجابية، إضافة إلى تعليمهم بعض المهارات. أما عن فترات العرض لهذه البرامج، فهي تعرض كل أسبوع «برامج أسبوعية» ولا يزيد مدة البعد البيئي فيها على(١٠) دقائق كما ذكر.

أما النهج الثاني: فيعنى بالبرامج البيئية المتخصصة، ويتم في هذا الأسلوب عرض برامج متخصصة في موضوعات بيئية، ويعالج البرنامج الواحد أفكاراً بيئية خالصة بتوجيه محتوى البرنامج وأهدافه كاملة نحو محاور بيئية. وتختلف مدة البرنامج حسب الموضوع فقد تتراوح ما بين (١٥) دقيقة إلى ساعة ونصف. ولهذه الطريقة مزايا، أهمها «الشمولية» أي إن هناك إشكالية تتناول قضية معينة من جميع جوانبها كالأسباب والمسببات والنتائج والبدائل إن وجدت (عبدالوهاب، ١٩٩٦). إلا أن عيوبها تتمثل في أن طرق العرض هذه تقصر الاهتمام والمتابعة على فئة واحدة فقط وهي فئة المثقفين والمتعلمين والدارسين والمهتمين بالعلوم البيئية فقط، وتهمل الفئات من الناس العاديين التي تشكل الأغلبية الساحقة.

وقد اتبع القائمون على بث البرامج البيئية في التلفزيون الأردني النهج الثاني فترة طويلة ويرى هؤلاء حالياً أن النهج الأول أجدى نفعاً، وأكثر اتصالاً مع الجماهير. وقد يكون اتباع النهجين معاً أجدى من أحدهما منفصلاً. ونكون بذلك قد غطينا حاجات

التحليل والمناقشة:

أولا: البرامج البيئية التي عرضت في وسائل الإعلام الأردنية:

لقد تم عرض العديد من البرامج البيئية في وسائل الإعلام الأردنية المتنوعة، وذلك على النحو الآتي:

أ- البرامج البيئية التي يتم بثها في الإذاعة والتلفزيون الأردنيين:

يواجه عرض البرامج التلفزيونية مشكلة مهمة، وهي اتساع الفئة المستهدفة وتنوعها من حيث الأعمار، والخلفية الثقافية، والإهتمام بالموضوعات البيئية، والتخصص، والعمل (نصار، ١٩٩٢). إضافة إلى أن كمية المعلومات والتطبيقات التي تستحدث كل يوم تحتاج إلى طرق وآليات جديدة لإيصالها إلى فئتها المستهدفة، إذ إن التعليم البيئي كغيره عملية مثمرة، فمن الواجب أن تكون البرامج التلفزيونية ودور التلفزيون الإعلامي عملية مثمرة أيضاً وفاعلة لإحراز أفضل النتائج.

وتتخذ طريقة عرض البرامج البيئية أهمية كبيرة في إيصال الأفكار والمفاهيم والقضايا البيئية موضوع البحث، كما تلعب مدة العرض، والفترات بين البرامج دوراً بارزاً في إيصال الهدف المرجو أيضا. وهناك طريقتان أساسيتان يتم انتهاجهما في عرض البرامج البيئية (المؤسسة العامة لحماية البيئة، ٢٠٠٢) هما:

النهج الأول: ويتطرق للمواضيع البيئية من خلال عدة برامج، بحيث يتم التركيز على المشكلات البيئية المحلية داخل الأردن وإعطائها أهمية حسب خطورتها وامتدادها. كما يمكن من خلال هذا المنهج عرض المفاهيم البيئية الأساسية التي تساعد على خلق تصورات شاملة لدى المواطن حول البيئة وقضاياها (الحفار، ١٩٩٩). وهذه الطريقة لها مزايا، ومن أهمها إيصال المعلومات إلى أكبر قدر من المشاهدين، وعدم حصرها في فئة معينة، وهي فئة البيئيين والمتخصصين في

مثل: الممارسات الخاطئة في التعامل مع البيئة كرش المبيدات وقضايا التصحر والزحف العمراني والتسمم الغذائي، وتلوث الهواء والمخلفات الصناعية والبيئية البحرية والأخطار التي تواجهها، والمشكلات المترتبة على التعامل مع الغابات وتقطيع الأشجار والتفتيت الجائر للأراضي.وما يتعرض من أخطار سواء أكان على صعيد عدم حمايتها من أسباب تلوثها، أم كان بسبب عدم الانضباط في استهلاكها وتقدير محدودية كمياتها في الأردن وأثر ذلك في التنمية المستدامة.

ب- الموضوعات البيئية التي تناولتها الصحافة الأردنية (الرأي والدستور).

لقد أسهمت الصحافة الأردنية في إبراز الكثير من المشكلات التي تؤثر في البيئة كمشكلة الصرف الصحي والتلوث والامتداد العمراني على حساب الرقعة الزراعية وإشكالية التصحر ومشكلة انقراض بعض النباتات والحيوانات من البيئة الأردنية وقد تم عرض ذلك وغيره من خلال فنون الكتابة الصحفية بأشكالها. ويبين الجدول رقم (٢) توزيع المقالات المتعلقة بالبيئة وقضاياها والمنشورة في جريدتي الرأي والدستور، حيث يلاحظ قلة المقالات المتعلقة بالإزعاج والوعي البيئي.

الجدول رقم (٢) المقالات البيئية المنشورة في جريدتي الرأي والدستور.

المياه	٦
التشريعات	٣
تلوث الهواء	٤
المحميات	٤
التلوث بشكل عام	٨
الإزعاج	١
الإعلام والوعي البيئي	٢

الجماهير كلها المهتمين وغير المهتمين، وحققنا الهدف من هذه البرامج.

وقد تناولت هذه البرامج (الجدول رقم ١) مواضيع متعددة، ويمكن تصنيفها على أسس عديدة وم،تنوعة منها مدة العرض، ومواضيع البرامج، والسنوات التي عرضت فيها، وإنتاجها، وغير ذلك. وقد تم تصنيفها بناء على مواضيعها لعدم توافر معلومات كافية في أرشيف المؤسسة العامة للإذاعة والتلفزيون، والمكتبة حول تواريخ العرض بالكامل.

الجدول رقم (١) تصنيف البرامج البيئية في الإذاعة و التلفزيون الأردني

موضوع البرنامج	عدد البرامج	النسبة المئوية
الكائنات البحرية والأنظمة البيئية البحرية.	٣	%٤,٢
النجوم الزرقاء.	٨	%١٠,٩
الكائنات البرية.	١٥	%٢٠,٥
الأنظمة البيئية الطبيعية وموارد الطبيعة.	١٢	%١٦,٥
الإنسان والطبيعة.	٥	%٦,٨
علم الحيوان.	٥	%٦,٨
خفايا الحياة والطبيعة.	٥	%٦,٨
الظواهر الطبيعية.	٥	%٦,٨
التلوث والمشكلات البيئية.	٩	%١٢,٤
خبايا الأرض.	٦	%٨,٣
تقنيات الحفاظ على البيئة.	٥	%٦,٨
المجموع:	**٧٨**	**%١٠٠**

ومن خلال الجدول رقم (١) يتبين أن الإذاعة والتلفزيون قامت بتغطية المشكلات البيئية التي وقعت في الأردن من خلال التقارير والحملات الإعلامية المختلفة، وخصصت لذلك العديد من البرامج والحلقات لمناقشة قضايا بيئية في غاية الأهمية

من استعراض المواضيع السابقة التي تمت دراستها في الجدول رقم (٣)، يلاحظ إن مواضيع حماية البيئة هي الأكثر طرحاً، ولكن لا يخفي على الدارس أن هذه المواضيع عامة في جملتها، لا تركز البحث في جزيئات متخصصة من المشكلات البيئية في الأردن مع تزايدها بتزايد السكان والتضخم الحضري في المدن الرئيسة، وإهمالها لمتطلبات التوازن البيئي وشروطه.

ثانياً: تحليل استبانة الدراسة:

أ- خصائص عينة الدراسة:

بالنظر إلى الجدول رقم (٤) يلاحظ أن عدد الذكور (٥١١) وهذا يشكل نسبة (٦٩,٤٪) من عينة الدراسة، في حين أن عدد الإناث (٢٢٥) أي ما نسبته (٣٠,٦٪).

أما بالنسبة لمكان الإقامة لأفراد العينة (الجدول رقم ٤) فإن غالبيتهم ممن يسكنون في المدن بنسبة (٥٢,٢٪)، يلي ذلك أفراد العينة ممن يسكنون في الريف بنسبة (٣٦,٨٪)، أما أفراد العينة الذين يسكنون في البادية فيمثلون (١١٪).

ويلاحظ بالنسبة إلى المؤهل العلمي لأفراد العينة من الجدول رقم (٤) أن غالبيتهم ممن يحملون درجة البكالوريوس (٤٩,٥٪)، يلي ذلك أفراد العينة الذين يحملون دبلوم كلية مجتمع، وهم بذلك يمثلون (٢٨,١٪)، في حين أن أفراد العينة الذين يحملون ثانوية عامة فما دون، يمثلون (١١,٥٪)، وأخيراً جاء حملة الدراسات العليا بنسبة (١٠,٩٪) وهذه الأرقام تشير إلى أن أفراد العينة يتمتعون بمستويات تعليمية مرتفعة نسبياً.

وفيما يتعلق بمهنة الأب لأفراد العينة من الجدول رقم (٤) يتبين أن غالبية أفراد العينة يعملون بوظيفة قطاع عام بنسبة (٣٥,٥٪)، يلي ذلك أفراد العينة العاطلين عن العمل فيمثلون (٢٦,٤٪)، أما بالنسبة لأفراد العينة الذين يعملون في القطاع الخاص فجاءت نسبتهم (٢٥٪)، وأخيراً جاء المتقاعدون بنسبة (١٣,٢٪).

ج- المؤتمرات والندوات البيئية في الأردن

تمثلت استراتيجية البرنامج الوطني للتوعية والإعلام البيئي بتكثيف برامجها في مختلف مناطق الأردن، ومعايشة الأحداث البيئية ومواجهتها، بعقد لقاءات أطلق عليها (أمسيات بيئية) هدفت إلى إيجاد حوار بناء بين القاعدة الشعبية ومتخذ القرار والمسئول عن أحداث التلوث البيئي.

وكثف البرنامج إقامة الحلقات التدريبية للفئة المتصفة بقدرتها على نقل المعلومة البيئية واتصالها المباشر مع القاعدة الشعبية؛ لتسهيل نقل المعلومات البيئية وإفادة أكبر عدد من المواطنين. ويشمل الجدول رقم (٣) المواضيع التي عالجت مشكلات بيئية متعددة في المؤتمرات والندوات وورش العمل.

الجدول رقم (٣) المواضيع المعالجة في المؤتمرات والندوات وورش العمل.

الموضوع	عدد المقالات	النسبة المئوية
الأوزون	١	%١,٦
حماية البيئة	١٤	%٢٢,٦
الإعلام والبيئة	٣	%٤,٨
التعليم والبيئة	٤	%٦,٤
إدارة البيئة	٦	%٩,٧
التطوير البيئي	٥	%٨,٢
الزراعة والبيئة	٤	%٦,٤
المياه والبيئة	٦	%٩,٧
المياه العادمة والنفايات	٤	%٦,٤
التلوث البيئي	٣	%٤,٨
مواضيع متفرقة	٧	%١١,٢
تقييم الأثر البيئي	٥	%٨,٢
المجموع	**٦٢**	**%١٠٠**

أما النتائج المتعلقة بمتغير المستوى التعليمي للأب فقد جاء توزيع أفراد العينة على فئات هذا المتغير على النحو الآتي. ففي فئة من هم بدون تعليم كان عددهم (١٣٤) فَرْدٍ وبنسبة (١٨,٢٪)، أما فئة الحاصلين على التعليم الإلزامي فقد كان عددهم(١١٢) شخصٍ وبنسبة (١٥,٢٪)، وفي فئة الحاصلين على التعليم الثانوي كان عددهم (١٩١) مشمولٍ وبنسبة (٢٦٪). أما فئة الحاصلين على التعليم الجامعي فهم (٢٢٩) وبنسبة (٤٠,٦٪) .

أما توزيع عينة البحث حسب متغير الدخل الشهري فقد جاءت على النحو الآتي وحسب ترتيبها الجدولي. ففي الفئة الأولى فئة أقل من ١٤٩ دينار فقد كان عدد أفراد العينة ضمن هذه الفئة (١٦٥) فَرْدٍ وبنسبة (٢٢,٤٪)، أما الفئة التالية الواقعة بين (١٥٠-٢٩٩) دينار فقد جاءت في المرتبة الأولى حيث بلغ عدد أفرادها (٢٦٥) وبنسبة (٣٦٪)، في حين كان عدد أفراد العينة الذين يقع مستوى دخلهم ضمن الفئة (٣٠٠-٤٤٩) دينار فقد كان (١٢٣) وبنسبة (١٦,٧٪). أما الفئة التي يقع دخلها بين ٤٥٠ دينار فأكثر كان عدد أفرادها (١٨٣) وبنسبة (٢٤,٩٪).

ب- الإجابة عن أسئلة الدراسة:

للإجابة عن أسئلة الدراسة تم عرض نتائج التحليل الإحصائي الوصفي للبيانات، وهي قيمة المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والأهمية النسبية لجميع أبعاد الدراسة، بحيث كان (موافق بشدة ٥) و (موافق ٤) و(أحياناً ٣) و(غير موافق ٢) (غير موافق بشدة ١) وبناءً على ذلك قسمت استجابات أفراد العينة إلى ثلاث فئات (مرتفعة، ومتوسطة، ومتدنية). اعتمدت الدراسة الفئات الآتية لتصنيف استجابات أفراد العينة ضمنها:

١ - ٢,٤٩ مستوى التصورات متدنٍ.

٢,٥ - ٣,٤٩ مستوى التصورات متوسط.

٣,٥ - ٥,٠٠ مستوى التصورات مرتفع.

أما النتائج المتعلقة بمتغير المستوى التعليمي للأم فقد جاء توزيع أفراد العينة على فئات هذا المتغير على النحو الآتي. ففي فئة من هن بدون تعليم كان عددهن ٢٧٤ امرأة وبنسبة ٣٧,٢٪، أما فئة الحاصلات على التعليم الإلزامي فقد كان عددهن ٢٢٣ وبنسبة ٣٠,٣٪، وفي فئة الحاصلات على التعليم الثانوي كن ٧٦ مواطنة وبنسبة ١٠,٣٪. أما فئة الحاصلات على التعليم الجامعي فهن ١٦٣ وبنسبة ٢٢,١٪.

الجدول رقم(٤) خصائص عينة الدراسة

اسم المتغير	فئة المتغير	العدد	النسبة المئوية
المحافظة	عمان	٢٢٥	%٣٠,٦
	الزرقاء	١٩٣	%٢٦,٢
	إربد	١٦٨	%٢٢,٨
	الكرك	١٥٠	%٢٠,٤
الجنس	ذكر	٥١١	%٦٩,٤
	أنثى	٢٢٥	%٣٠,٦
مكان الاقامة	مدينة	٣٨٤	%٥٢,٢
	ريف	٢٧١	%٣٦,٨
	بادية	٨١	%١١,٠
المؤهل العلمي	ثانوية عامة فما دون	٨٥	%١١,٥
	دبلوم	٢٠٧	%٢٨,١
	بكالوريوس	٣٦٤	%٤٩,٥
	شهادة عليا	٨٠	%١٠,٩
مهنة الأب	قطاع عام	٢٦١	%٣٥,٥
	قطاع خاص	١٨٤	%٢٥,٠
	متقاعد	٩٧	%١٣,٢
	بلا عمل	١٩٤	%٢٦,٤
المؤهل العلمي للأب	أمي	١٣٤	%١٨,٢
	مرحلة إلزامية	١١٢	%١٥,٢
	مرحلة ثانوية	١٩١	%٢٦,٠
	جامعي	٢٩٩	%٤٠,٦
المؤهل العلمي للأم	أمية	٢٧٤	%٣٧,٢
	مرحلة إلزامية	٢٢٣	%٣٠,٣
	مرحلة ثانوية	٧٦	%١٠,٣
	جامعي	١٦٣	%٢٢,١
الدخل الشهري للمبحوث	أقل من ١٥٠ دينار	١٦٥	%٢٢,٤
	١٥٠-٢٩٩ دينار	٢٦٥	%٣٦,٠
	٣٠٠-٤٤٩ دينار	١٢٣	%١٦,٧
	٤٥٠ دينار فأكثر	١٨٣	%٢٤,٩

الجدول رقم (٦) المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والأهمية النسبية لإجابات أفراد العينة عن مدى تأثير وسائل الإعلام الأردنية في التوعية البيئية.

تسلسل الفقرات في الاستبانة	اسم البعد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الأهمية النسبية	الترتيب حسب النسبية	المستوى بالنسبة للمتوسط
١-٥	الاهتمام الشخصي	٣,٧٦	٠,٥٧٦	%٧٥,١٣	٥	مرتفع
٦-٩	فاعلية الإعلام البيئي	٣,٩٣	٠,٥٨٤	%٧٨,٦٧	٣	مرتفع
١٠-١٢	دور الصحف والندوات	٣,٩٧	٠,٦٢١	%٧٩,٣٣	١	مرتفع
١٣-٢١	دور الإعلام في التوعية البيئية	٣,٨١	٠,٤٩٦	%٧٦,١٩	٤	مرتفع
٢٢-٢٥	دور الإعلام في التثقيف البيئي	٣,٩٤	٠,٥٥٨	%٧٨,٨٥	٢	مرتفع
المتوسط الحسابي الكلي		٣,٨٨	٠,٤٨٤	%٧٧,٦٣	-	مرتفع

يتضح من الجدول رقم(٦) أن المتوسط الكلي لمدى تأثير وسائل الإعلام الأردنية في التوعية البيئية قد جاء مرتفعاً، بمتوسط حسابي(٣,٨٨) وبأهمية نسبية (٧٧,٦٣٪)، وقد جاء في المرتبة الأولى دور الصحف والندوات في التوعية البيئية بمتوسط حسابي (٣,٩٧)، وبأهمية نسبية (٧٩,٣٣٪)، تلا ذلك بُعد دور الإعلام في التثقيف البيئي بمتوسط حسابي (٣,٩٤) وبأهمية نسبية (٧٨,٨٥٪)، وجاء في المرتبة الثالثة فاعلية الإعلام البيئي بمتوسط حسابي (٣,٩٣) وبأهمية نسبية (٧٨,٦٧٪)، وأخيراً جاء دور الإعلام في التوعية البيئية في المرتبة الأخيرة بمتوسط حسابي (٣,٨١) وبأهمية نسبية (٧٦,١٩٪). وبشكل عام تدل النتائج في الجدول رقم (٦) أعلاه أن تأثير وسائل الإعلام الأردنية في التوعية البيئية كانت إيجابية مما يعني أن هنالك أثراً لوسائل الإعلام في التوعية البيئية بدرجة مرتفعة.

٣- الإجابة عن التساؤل ما مستوى الاهتمام الشخصي لدى أفراد العينة لمتابعة الإعلام البيئي؟

وفيما يلي نتائج الإجابة عن جميع أسئلة الدراسة:

١- الإجابة عن التساؤل: ما مصادر المعلومات البيئية من وجهة نظر الخاضعين للدراسة؟

الجدول رقم (٥)

توزيع مفردات العينة حسب متغير مصادر المعلومات البيئية.

المتغير	فئات المتغير	العدد	النسبة المئوية
مصادر المعلومات البيئية	التلفاز	١١١	%١٥,١
	الصحف	٢٣٩	%٣٢,٥
	الإذاعة	١٨١	%٢٤,٦
	الندوات والمحاضرات	١٦٥	%٢٢,٤
	المجلات	٤٠	%٥,٤
المجموع		٧٣٦	%١٠٠

أما توزيع عينة البحث حسب متغير مصادر معلومات البيئة فقد جاءت على النحو الآتي وحسب ترتيبها الجدولي. ففي الفئة الأولى التلفاز كان عددهم ضمن هذه الفئة ١١١ وبنسبة ١٥,١٪، أما الفئة التالية الصحف فبلغ عدد أفرادها ٢٣٩ وبنسبة ٣٢,٥٪، في حين كان عدد أفراد العينة الذين يستقون معلوماتهم من الإذاعة ١٨١ وبنسبة ٢٤,٦٪. أما بالنسبة للندوات والمحاضرات فقد كان عدد أفرادها ١٦٥ وبنسبة ٢٢,٤٪، أما المجلات فقد احتلت المرتبة الأخيرة حيث كان عدد أفرادها ٤٠ وبنسبة ٥,٤٪.

٢- الإجابة عن التساؤل ما مدى تأثير وسائل الإعلام الأردنية في التوعية البيئية ولكل بعد من أبعادها من وجهة نظر أفراد العينة؟

بين السلام والبيئة من جهة والمحافظة على البيئة من جهة أخري» بمتوسط حسابي (٣,٧٨) وبأهمية نسبية (٧٥,٥٧٪)، ثم جاءت في المرتبة الأخيرة الفقرة رقم (٢) «يشجعني الإعلام على محاولة نشر ثقافة المحافظة على البيئة من خلال السلوك الاجتماعي» وبمتوسط حسابي (٣,٦٣) وأهمية نسبية (٧٢,٦١٪).

٣- الإجابة عن التساؤل ما مستوى فاعلية الإعلام البيئي في متابعة قضايا الإعلام البيئي من وجهة نظر أفراد العينة؟

الجدول رقم (٨)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والأهمية النسبية لإجابات أفراد العينة عن فقرات فاعلية الإعلام البيئي في متابعة قضايا الإعلام البيئي.

رقم الفقرة في الاستبانة	محتوى الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الأهمية النسبية	الترتيب حسب النسبة	المستوى بالنسبة للمتوسط
٦	يؤكد الإعلام أن أي خلل في النظام البيئي العالمي يلحق الضرر بأية بيئة أينما وجدت	٣,٨٣	٠,٨٨	%٧٦,٦٨	٤	مرتفع
٧	يؤكد الإعلام أن المحافظة على البيئة قضية وطنية نحرص على الالتزام بها.	٣,٩١	٠,٨٩	%٧٨,٢١	٢	مرتفع
٨	تعلمت من الإعلام أن بيوتنا هي الأخرى معرضة للتلوث البيئي.	٤,٠٨	٠,٨٧	%٨١,٦٦	١	مرتفع
٩	تأكدت من خلال وسائل الإعلام أن الخطر الذي يهدد البيئة لا يعترف بالحدود.	٣,٩١	٠,٩٨	%٧٨,١٢	٣	مرتفع
	المتوسط الحسابي الكلي	٣,٩٣	٠,٥٨	%٧٨,٦٧	–	مرتفع

يبين الجدول رقم (٨) نتائج اختبار المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والأهمية النسبية لإجابات أفراد العينة عن فاعلية الإعلام البيئي في متابعة قضايا الإعلام البيئي، ويتضح من الجدول رقم (٨) أن المتوسط الكلي لفاعلية الإعلام البيئي في متابعة قضايا الإعلام البيئي مرتفع، حيث بلغ (٣,٩٣) وبأهمية نسبية

الجدول رقم(٧) المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والأهمية النسبية لإجابات أفراد العينة عن فقرات الاهتمام الشخصي لدى أفراد العينة لمتابعة الإعلام البيئي.

رقم الفقرة في الاستبانة	محتوى الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الأهمية النسبية	الترتيب حسب النسبة	المستوى بالنسبة للمتوسط
١	بحثاً عن الشهرة أتابع البيئة وقضاياها الإعلامية	٣,٨٢	٠,٩٣	%٧٦,٣٦	٢	مرتفع
٢	يشجعني الإعلام على محاولة نشر ثقافة المحافظة على البيئة من خلال السلوك الاجتماعي.	٣,٦٣	٠,٩٦	%٧٢,٦١	٥	مرتفع
٣	تركيز الإعلام على حماية البيئة من التلوث مسالة ذات أهمية بالغة.	٣,٧١	١,٠٥	%٧٤,١٣	٤	مرتفع
٤	لقد دفعني الإعلام إلى الشعور أن هنالك صلة وثيقة بين السلام والبيئة من جهة والمحافظة على البيئة من جهة أخرى.	٣,٧٨	٠,٩٣	%٧٥,٥٧	٣	مرتفع
٥	تعلمت من الإعلام أن سلامة البيئة مرتبطة بسلامة الإنسان ومستقبله	٣,٨٥	٠,٨٤	%٧٦,٩٨	١	مرتفع
	المتوسط الحسابي الكلي	٣,٧٦	٠,٥٨	%٧٥,١٣	-	مرتفع

يبين الجدول رقم (٧) نتائج اختبار المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والأهمية النسبية لإجابات أفراد العينة عن الاهتمام الشخصي لمتابعة الإعلام البيئي، ويتضح من الجدول رقم (٧) أن المتوسط الكلي للاهتمام الشخصي لدى أفراد العينة لمتابعة الإعلام البيئي مرتفع، حيث بلغ (٣,٧٦) وبأهمية نسبية (١٣, ٧٥٪)، واحتلت الفقرة رقم (٥) «تعلمت من الإعلام أن سلامة البيئة مرتبطة بسلامة الإنسان ومستقبله»، المرتبة الأولى، بمتوسط حسابي (٣,٨٥) وبأهمية نسبية (٧٦,٩٨٪)، وتلا ذلك في الأهمية الفقرة رقم (١) «بحثاً عن الشهرة أتابع البيئة وقضاياها الإعلامية» بمتوسط حسابي (٣,٨٢) وأهمية نسبية (٧٦,٣٦٪) ثم تلاها في ذلك الفقرة (٤) «لقد دفعني الإعلام إلى الشعور أن هنالك صلة وثيقة

الإعلام البيئي، ويتضح من الجدول رقم (٩) أن المتوسط الكلي لدور الصحف والندوات في متابعة قضايا الإعلام البيئي مرتفع، حيث بلغ (٣,٩٧) وبأهمية نسبية (٧٩,٣٣٪)، واحتلت الفقرة رقم (١٢) «أفادتني الندوات التي حضرتها أن عوادم السيارات من أخطر ملوثات الهواء»، المرتبة الأولى، بمتوسط حسابي (٣,٩٩) وبأهمية نسبية (٧٩,٧٠٪)، وتلا ذلك في الأهمية الفقرة رقم (١١) «تعلمت من مطالعتي الصحفية أن حرق البلاستيك والقمامة يؤدي إلى تلوث الهواء» بمتوسط حسابي (٣,٩٧) وأهمية نسبية (٧٩,٣٨٪) ثم جاءت في المرتبة الأخيرة الفقرة (١٠) «لفت انتباهي الندوات إلى أن الاهتمام بالمردود البيئي من أولويات برامج التوعية البيئية» بمتوسط حسابي (٣,٩٥) وبأهمية نسبية (٧٨,٩١٪).

٦- الإجابة عن التساؤل: ما دور الإعلام في التنبيه للمشكلات البيئية من وجهة نظر أفراد العينة؟

الجدول رقم (١٠) المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والأهمية النسبية لإجابات أفراد العينة عن فقرات دور الإعلام في التنبيه للمشكلات البيئية.

رقم الفقرة في الاستبانة	محتوى الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الأهمية النسبية	الترتيب حسب النسبة	المستوى بالنسبة للمتوسط
١٣	تعلمت من الإعلام أن الأرض قادرة على حماية نفسها حتى ولو تعددت ثقوب الأزون.	٣,٧٧	٠,٨٦	%٧٥,٣٣	٧	مرتفع
١٤	ساهمت وسائل الإعلام في تعليمي أن الهندسة الوراثية تساهم في الحصول على كميات أكبر من الأغذية.	٤,٠٢	٠,٨٢	%٨٠,٣٨	١	مرتفع
١٥	يؤكد الإعلام أن ما يسمى بارتفاع درجة حرارة الأرض يعد مشكلة بيئية.	٣,٩٠	٠,٨٦	%٧٧,٩١	٢	مرتفع
١٦	أفادتني وسائل الإعلام أن الدولة جادة في سن قوانين البيئة الأزمة لضمان حمايتها.	٣,٨٦	٠,٩٠	%٧٧,١٥	٤	مرتفع

(٧٨,٦٧٪)، واحتلت الفقرة رقم (٨) «تعلمت من الإعلام أن بيوتنا هي الأخرى معرضة للتلوث البيئي»، المرتبة الأولى، بمتوسط حسابي (٤,٠٨) وبأهمية نسبية (٨١,٦٦٪)، وتلا ذلك في الأهمية الفقرة رقم (٧) «يؤكد الإعلام أن المحافظة على البيئة قضية وطنية نحرص على الالتزام بها» بمتوسط حسابي (٣,٩١) وأهمية نسبية (٧٨,٢١٪) ثم جاءت في المرتبة الأخيرة الفقرة (٦) «يؤكد الإعلام أن أي خلل في النظام البيئي العالمي يلحق الضرر بأية بيئة أينما وجدت» بمتوسط حسابي (٣,٨٣) وبأهمية نسبية (٧٦,٦٨٪).

٤- الإجابة عن التساؤل: ما دور الصحف والندوات في متابعة قضايا الإعلام البيئي من وجهة نظر أفراد العينة؟

الجدول رقم (٩)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والأهمية النسبية لإجابات أفراد العينة عن فقرات دور الصحف والندوات في متابعة قضايا الإعلام البيئي.

رقم الفقرة في الاستبانة	محتوى الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الأهمية النسبية	الترتيب حسب النسبة	المستوى بالنسبة للمتوسط
١٠	لفت انتباهي الندوات إلى أن الاهتمام بالمردود البيئي من أولويات برامج التوعية البيئية.	٣,٩٥	٠,٨٩	%٧٨,٩١	٣	مرتفع
١١	تعلمت من مطالعتي الصحفية أن حرق البلاستيك والقمامة يؤدي إلى تلوث الهواء.	٣,٩٧	٠,٩٣	%٧٩,٣٨	٢	مرتفع
١٢	أفادتني الندوات التي حضرتها أن عوادم السيارات من أخطر ملوثات الهواء.	٣,٩٩	٠,٨٧	%٧٩,٧٠	١	مرتفع
	المتوسط الحسابي الكلي	٣,٩٧	٠,٦٢	%٧٩,٣٣	-	مرتفع

يبين الجدول رقم (٩) نتائج اختبار المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والأهمية النسبية لإجابات أفراد العينة عن دور الصحف والندوات في متابعة قضايا

٧- الإجابة عن التساؤل: ما دور الإعلام في التثقيف البيئي من وجهة نظر أفراد العينة؟

جدول رقم (١١) المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والأهمية النسبية لإجابات أفراد العينة عن فقرات دور الإعلام في التثقيف البيئي.

رقم الفقرة في الاستبانة	محتوى الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الأهمية النسبية	الترتيب حسب النسبة	المستوى بالنسبة للمتوسط
٢٢	ساهمت وسائل الإعلام في معرفتي أن استخدام المبيدات الحشرية بكثرة يؤدي إلى تلويث المياه.	٣,٧٩	٠,٩٥	%٧٥,٧٩	٤	مرتفع
٢٣	ساهمت البرامج التلفزيونية في معرفتي أن ضجيج الحفلات واستخدام مكبرات الصوت ومنبهات السيارات هي من المظاهر غير الحضارية وتسبب في تلويث البيئة.	٣,٩٣	٠,٨٥	%٧٨,٥٩	٢	مرتفع
٢٤	علمتني وسائل الإعلام أن تلويث البيئة مشكلة تواجه الأردن.	٤,١٢	٠,٨١	%٨٢,٤٥	١	مرتفع
٢٥	استطاعت المقالات المنشورة في الصحف أن تسهم في تنمية الوعي البيئي وإظهار القيم التي لها دور كبير في تغيير سلوكي نحو البيئة.	٣,٩٣	٠,٩٤	%٧٨,٥٨	٣	مرتفع
	المتوسط الحسابي الكلي	٣,٩٤	٠,٥٦	%٧٨,٨٥	-	مرتفع

يبين الجدول رقم (١١) نتائج اختبار المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والأهمية النسبية لإجابات أفراد العينة عن دور الإعلام في التثقيف البيئي، ويتضح من الجدول رقم (١١) أن المتوسط الكلي لدور الإعلام في التثقيف البيئي مرتفع، حيث بلغ (٣,٩٤) وبأهمية نسبية (٧٨,٨٥٪)، واحتلت الفقرة رقم (٢٤) «علمتني وسائل الإعلام أن تلويث البيئة مشكلة تواجه الأردن» بمتوسط حسابي (٤,١٢) وأهمية نسبية (٨٢,٤٥٪)، وتلا ذلك في الأهمية الفقرة رقم (٢٣) «أسهمت البرامج التلفزيونية في معرفتي أن ضجيج الحفلات واستخدام مكبرات الصوت

١٧	تعلمت من وسائل الإعلام أنه يجب تركيب مصاف لمداخن المصانع لصيانة الهواء من التلوث.	٣,٧٩	٠,٩٧	%٧٥,٧١	٥	مرتفع
١٨	أكد لي الإعلام أن هنالك علاقة بين الإسراف في استخدام الطاقة الكهربائية والتلوث البيئي.	٣,٦٣	٠,٩٨	%٧٢,٥٠	٩	مرتفع
١٩	بناءً على قراءة الصحف تعلمت أن تلوث البيئة بالإشعاع يأتي من استخدام الغازات في الحروب.	٣,٧٠	١,٠٦	%٧٣,٩٧	٨	مرتفع
٢٠	أكدت لي وسائل الإعلام أن النمو السكاني من مشكلات تلوث البيئة.	٣,٧٨	٠,٩٣	%٧٥,٥٢	٦	مرتفع
٢١	تعلمت من وسائل الإعلام أن أفضل طريقة للتخلص من فضلات المصانع هو إلقاؤها في مياه البحر	٣,٨٦	٠,٨٢	%٧٧,٢٦	٣	مرتفع
	المتوسط الحسابي الكلي	٣,٨١	٠,٥٠	%٧٦,١٩	–	مرتفع

يبين الجدول رقم (١٠) نتائج اختبار المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والأهمية النسبية لإجابات أفراد العينة عن دور الإعلام في التنبيه للمشكلات البيئية، ويتضح من الجدول رقم (١٠) أن المتوسط الكلي لدور الإعلام في التنبيه للمشكلات البيئية مرتفع، حيث بلغ (٣,٨١) وبأهمية نسبية (٧٦,١٩٪)، واحتلت الفقرة رقم (١٤) «أسهمت وسائل الإعلام في تعليمي أن الهندسة الوراثية تسهم في الحصول على كميات أكبر من الأغذية»، المرتبة الأولى، بمتوسط حسابي (٤,٠٢) وبأهمية نسبية (٨٠,٣٨٪)، وتلا ذلك في الأهمية الفقرة رقم (١٥) «يؤكد الإعلام أن ما يسمى بارتفاع درجة حرارة الأرض يعد مشكلة بيئية» بمتوسط حسابي (٣,٩٠) وأهمية نسبية (٧٧,٩١٪) ثم تلاها في ذلك الفقرة (٢١) «تعلمت من وسائل الإعلام أن أفضل طريقة للتخلص من فضلات المصانع هو إلقاؤها في مياه البحر» بمتوسط حسابي (٣,٨٦) وبأهمية نسبية (٧٧,٢٦٪)، ثم جاءت في المرتبة الأخيرة الفقرة رقم (١٨) «أكد لي الإعلام أن هنالك علاقة بين الإسراف في استخدام الطاقة الكهربائية والتلوث البيئي» وبمتوسط حسابي (٣,٦٣) وأهمية نسبية (٧٢,٥٠٪).

بالنسبة للدخل الشهري فكانت مصادر الفروق لصالح أفراد العينة ذوي الدخل الشهري (١٤٩ دينار فأقل) حيث بلغ متوسط إجابة هذه الفئة(٣,٩٨).

الجدول رقم (١٢) نتائج تحليل التباين الأحادي (ANOVA) لدرجة تأثير المتغيرات الديمغرافية في تصورات أفراد العينة لدور وسائل الإعلام في التثقيف البيئي.

اسم المتغير	فئة المتغير	درجات الحرية	المتوسط الحسابي	قيمة (F) المحسوبة	مستوى دلالة (F)
المحافظة	عمان	(٣، ٧٣٢)	٣,٨٦	**٠,٣٥	٠,٧٩
	الزرقاء		٣,٨٩		
	إربد		٣,٩١		
	الكرك		٣,٨٧		
الجنس	ذكر	(١، ٧٣٤)	٣,٩١	*٤,٣٧	٠,٠٤
	أنثى		٣,٨٣		
مكان الإقامة	مدينة	(٢، ٧٣٣)	٣,٩٥	*٤,٧٣	٠,٠١
	ريف		٣,٨٥		
	بادية		٣,٨١		
المؤهل العلمي	ثانوية عامة فما دون	(٣، ٧٣٢)	٣,٩٢	**٠,٦٥	٠,٥٨
	دبلوم		٣,٨٩		
	بكالوريوس		٣,٩١		
	شهادة عليا		٣,٨٦		
مهنة الأب	قطاع عام	(٣، ٧٣٢)	٣,٩١	*٣,١٣	٠,٠٣
	قطاع خاص		٣,٨٧		
	متقاعد		٣,٧٥		
	بلا عمل		٣,٩٣		
مستوى تعليم الأب	أمي	(٣، ٧٣٢)	٣,٨٦	**٠,٩٢	٠,٤١
	مرحلة إلزامية		٣,٩٥		
	مرحلة ثانوية		٣,٨٩		
	جامعي		٣,٨٦		
مستوى تعليم الأم	أمية	(٣، ٧٣٢)	٣,٩٠	**٠,٨٩	٠,٤٥
	مرحلة إلزامية		٣,٩٠		
	مرحلة ثانوية		٣,٨٢		
	جامعي		٣,٨٥		
الدخل الشهري	أقل من ١٤٩ دينار	(٣، ٧٣٢)	٣,٩٨	*٣,٧١	٠,٠١
	١٥٠-٢٩٩ دينار		٣,٨٨		
	٣٠٠-٤٤٩ دينار		٣,٨٤		
	٤٥٠ دينار فأكثر		٣,٨٣		

* ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (∝=٠,٠١)

** ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (∝=٠,٠٥)

ومنبهات السيارات هي من المظاهر غير الحضارية وتسبب في تلويث البيئة» بمتوسط حسابي (٣,٩٣) وأهمية نسبية (٧٨,٥٩٪) ثم جاءت في المرتبة الأخيرة الفقرة (٢٥) «استطاعت المقالات المنشورة في الصحف أن تسهم في تنمية الوعي البيئي وإظهار القيم التي لها دور كبير في تغيير سلوكي نحو البيئة» بمتوسط حسابي (٣,٩٣) وبأهمية نسبية (٧٨,٥٨٪).

٨- الإجابة عن التساؤل: لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين تصورات أفراد العينة لدور وسائل الإعلام في التثقيف البيئي، تعزى إلى المتغيرات الديموغرافية.

تشير المعطيات الإحصائية في الجدول رقم (١٢) إلى أنه لا يوجد فروق ذات دلالة إحصائية بين تصورات أفراد العينة، إزاء دور وسائل الإعلام في التثقيف البيئي، تعزى إلى متغيرات (المحافظة، والمؤهل العلمي، ومستوى تعليم الأب، ومستوى تعليم الأم)، استناداً إلى أن قيم (F) المحسوبة والتي هي للمحافظة (٠,٣٥) وللمؤهل العلمي (٠,٦٥) ولمستوى تعليم الأب(٠,٩٢) ولمستوى تعليم الأم(٠,٨٩) أقل من قيمتها الجدولية (٣,٨٧) على مستوى دلالة (∝= ٠,٠٥).

كما تشير المعطيات الإحصائية في الجدول رقم (١٢) إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين تصورات أفراد العينة إزاء دور وسائل الإعلام في التثقيف البيئي تعزى إلى متغيرات (الجنس، ومكان الإقامة، ومهنة الأب، والدخل الشهري)، بدليل ارتفاع قيم (F) المحسوبة، وهي للجنس(٤,٣٧)، عند قيمة (F) الجدولية (٣,٧٨)، ولمكان الإقامة (٤,٧٣)، عند قيمة (F) الجدولية البالغة (٢,٦١). ولمهنة الأب (٣,١٣)، عند قيمة (F) الجدولية البالغة (٢,٦١)، وللدخل الشهري (٣,٧١)، عند قيمة (F) الجدولية البالغة (٢,٦١).

كانت مصادر الفروق بالنسبة للجنس لصالح الذكور حيث بلغ متوسط إجابة الذكور(٣,٩١). ولمكان الإقامة فكانت مصادر الفروق لصالح سكان المدن حيث بلغ متوسط إجابة سكان المدن(٣,٩٥)، ولمهنة الأب فكانت مصادر الفروق لصالح العاملين في القطاع الحكومي حيث بلغ متوسط إجابة هذه الفئة(٣,٩١)، أما

٥- أشارت المعطيات الإحصائية إلى أن الاهتمام على الصعيد الشخصي لدى أفراد العينة لمتابعة الإعلام البيئي، جاءت بدرجة مرتفعة، حيث بلغ المتوسط الحسابي الإجمالي لهذا البُعد (٣,٧٦) وبأهمية نسبية (٧٥,١٣٪)، واحتلت الفقرة «تعلمت من الإعلام أن سلامة البيئة مرتبطة بسلامة الإنسان ومستقبله»، المرتبة الأولى، بمتوسط حسابي (٣,٨٥) وبأهمية نسبية (٧٦,٩٨٪).

٦- وفيما يتعلق بفاعلية الإعلام البيئي في متابعة قضايا الإعلام البيئي، فأشارت النتائج إلى أن المتوسط الحسابي الإجمالي بلغ (٣,٩٣) وبأهمية نسبية (٧٨,٦٧٪) وهو بدرجة مرتفعة، واحتلت الفقرة «علمت من الإعلام أن بيوتنا هي الأخرى معرضة للتلوث البيئي»، المرتبة الأولى، بمتوسط حسابي (٤,٠٨) وبأهمية نسبية (٨١,٦٦٪)، وتلا ذلك في الأهمية الفقرة «يؤكد الإعلام أن المحافظة على البيئة قضية وطنية نحرص على الالتزام بها» بمتوسط حسابي (٣,٩١) وأهمية نسبية (٧٨,٢١٪).

٧- دلت النتائج على أن هنالك دوراً مهماً للإعلام في التنبيه للمشكلات البيئية، وجاءت إجابات أفراد العينة عن هذا البُعد بدرجة مرتفعة، حيث بلغ (٣,٨١) وبأهمية نسبية (٧٦,١٩٪)، واحتلت الفقرة «ساهمت وسائل الإعلام في تعليمي أن الهندسة الوراثية تساهم في الحصول على كميات أكبر من الأغذية»، المرتبة الأولى، بمتوسط حسابي (٤,٠٢) وبأهمية نسبية (٨٠,٣٨٪)، وتلا ذلك في الأهمية «يؤكد الإعلام أن ما يسمى بارتفاع درجة حرارة الأرض يعد مشكلة بيئية» بمتوسط حسابي (٣,٩٠) وأهمية نسبية (٧٧,٩١٪).

٨- دلت النتائج على أن هنالك دوراً واضحاً للإعلام في التثقيف البيئي، وأن المتوسط الكلي لدور دور الإعلام في التثقيف البيئي جاء بدرجة مرتفعة، حيث

النتائج:

في ضوء ما تقدم تم التوصل إلى النتائج الآتية:

١- على الرغم من تنوع المواضيع البيئية المعروضة في الإذاعة والتلفزيون الأردني وشمولها، نرى أنه يؤخذ على القائمين بها أو على السياسة المتبعة حالياً عدم كفاية البرامج بسبب تباعد فترات البث لهذه المواضيع، إضافة إلى تركيز محتوى البرامج في قضايا بيئية بيولوجية كالحديث عن الكائنات الحية البحرية والبرية والطيور والحشرات، والكائنات الدقيقة.

٢- معظم البرامج التي يتم عرضها تنتجها شركات أجنبية وتكون بلغات أجنبية، وهذه قد تكون مترجمة أو مدبلجة بتعليق وترجمة عربية، ولا تخلو من الأخطاء الفنية غالباً، وقد يعزى ذلك إلى ضعف الإمكانات المادية اللازمة لإنتاج البرامج البيئية أو حتى شراء برامج أجنبية.

٣- أشارت النتائج إلى أن مصدر حصول أفراد العينة على معلوماتهم البيئية كانت الصحف اليومية بنسبة٣٢,٥٪، ولعل هذا مؤشر على دور الصحف في التثقيف البيئي وما يقع على عاتق هذه الصحف من دور مهم في تناول قضايا البيئة.

٤- دلت النتائج على أن تأثير وسائل الإعلام الأردنية في التوعية البيئية قد جاء مرتفعاً، بمتوسط حسابي(٣,٨٨) وبأهمية نسبية (٧٧,٦٣٪)، وقد جاء في المرتبة الأولى دور الصحف والندوات في التوعية البيئية بمتوسط حسابي (٣,٩٧)، وبأهمية نسبية (٧٩,٣٣٪)، وهذا يدل على أن لدى أفراد العينة اتجاهات إيجابية لدور وسائل الإعلام الأردنية في التوعية البيئية، مما يعني أن هنالك أثراً لوسائل الإعلام في التوعية البيئية وبدرجة مرتفعة، وبذلك تساهم البرامج الإعلامية في تعديل السلوك السلبي وتقوية السلوك الإيجابي عند المواطنين للمساهمة في حماية البيئة وتخفيف وطأة التلوث البيئي.

المراجع:

١. أبو العز، محمد صفي الدين، الإعلام العربي والقضايا البيئية، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٩١.

٢. أبو السعود، عطيات، البيئة والمسئولية، نحو نموذج معرفي وأخلاقي جديد للخروج من أزمة الإنسان مع بيئته، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت، عدد٧٢، سنة ١٨، ٢٠٠٠، ص٩٠.

٣. أبو سرحان، عطية وهماش، محمود محمد، التربية البيئية ودورها في مواجهة مشكلات البيئة في الأردن، ط١، عمان، ١٩٨٣، ص٧٣، ٢٢١.

٤. الحفار، سعيد محمد، بيئة من أجل البقاء، ط١، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدوحة، ١٩٩٩، ص٤١، ٤٢.

٥. السعود، راتب، البيئة: مفهومها، مشكلاتها وحمايتها، ط١، الشركة الجديدة للطباعة والتجليد، عمان، ٢٠٠١، ص٢٩٤.

٦. القضاة، علي منعم، مكانة البيئة في الإعلام، نموذج الصحافة الأردنية، ط١، مطبعة المصطفى، عمان، ١٩٩٦، ص١٧.

٧. المغربي، كامل محمد، الإدارة البيئية والسياسة العامة، ط١، مكتبة بغداد، عمان، ١٩٩٤، ص١٤٥.

٨. المؤسسة العامة لحماية البيئة، عمان، الأردن، بيانات غير منشورة، ٢٠٠٢.

٩. المؤسسة العامة لحماية البيئة، مجلة البيئة والحياة، عمان، الأردن، المجلد الثالث عشر، ٢٠٠٢.

١٠. توفيق، محسن عبد الحميد، الإدارة البيئية في الوطن العربي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، ١٩٩٣، ص١٩٥.

١١. جاسم، صالح عبد الله، الاتجاهات البيئية لدى طلبة وطالبات جامعة الكويت، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، جامعة الكويت، عدد١٠٢، أغسطس ٢٠٠١، ص٦٣، ٦٨، ٦٩.

١٢. دلاشة، أحمد، ورفاقه حسين ياسين، صالح الطيطي، وحيد الضامن، التربية البيئية ومشكلاتها، عمان، ط١، ١٩٨٣، ص١٠٥، ١٠٦.

١٣. سلامة، عبد الحافظ محمد، الاتصال وتكنولوجيا التعليم، ط١، منشورات دار البازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٢، ص١٦٣.

بلغ (٣,٩٤) وبأهمية نسبية (٧٨,٨٥٪)، واحتلت الفقرة «علمتني وسائل الإعلام أن تلويث البيئة مشكلة تواجه الأردن» بمتوسط حسابي (٤,١٢) وأهمية نسبية (٨٢,٤٥٪).

٩- أشارت النتائج إلى أنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية لتصورات أفراد العينة، إزاء دور وسائل الإعلام في التثقيف البيئي، تعزى إلى متغيرات (المحافظة، والمؤهل العلمي، ومستوى تعليم الأب، ومستوى تعليم الأم)، استناداً إلى أن قيم (F) المحسوبة تقل عن قيمتها الجدولية على مستوى دلالة (∝= ٠,٠٥). في حين دلت النتائج على وجود فروق ذات دلالة إحصائية لتصورات أفراد العينة إزاء دور وسائل الإعلام في التثقيف البيئي تعزى إلى متغيرات (الجنس، ومكان الإقامة، ومهنة الأب، والدخل الشهري)، بدليل ارتفاع قيم (F) المحسوبة، عن قيمها الجدولية.

التوصيات:

في ضوء النتائج السابقة توصي الدراسة بما يلي:

١- إجراء دراسات مشابهة تشمل كافة وسائل الإعلام الأهلية والحكومية.

٢- التركيز على حملات التوعية والتثقيف كأفضل وسيلة لمكافحة تلوث البيئة، وإجراء المزيد من البرامج الإعلامية ذات العلاقة بموضوع البيئة.

٣- إشراك المواطنين في القرارات المتعلقة بالبيئة، وتنظيم دورات تأهيلية لهم وللإعلاميين؛ لرفع الوعي الجماهيري بالبيئة ومشكلاتها.

٤- تعميم المحاضرات والورش والندوات، وفتح فروع لجمعيات حماية البيئة في كافة محافظات الأردن. وزيادة النشرات الخاصة عن البيئة الصادرة من الجمعيات البيئية المختلفة.

١٤. عبدالوهاب، أحمد، التربية البيئية، ط١، الدار العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٦، ص٧٥، ٧٦.

١٥. غرايبة، سامح، والفرحان، يحيى، المدخل إلى العلوم البيئية، ط٢، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٩٨، ص١٧.

١٦. مكويل، دينس، الإعلام وتأثيراته «دراسات في بناء النظرية الإعلامية»، ترجمة عثمان العربي، القاهرة، ط١، ١٩٩٢، ص١، ٢، ٣.

١٧. نصار، تركي، تاريخ الإعلام الأردني، ط١، ١٩٩٢، عمان، ص١.

١٨. وزارة التخطيط، الأردن، خطة العمل الوطنية للبيئة لعام ١٩٩٥. للمزيد يمكن الاطلاع على بحث «تأثير العولمة والتجارة الحرة على البيئة، الأردن نموذجاً»، باتر محمد علي وردم، المؤتمر البيئي الأردني الأول، تشرين ثاني ٢٠٠٢، نقابة الجيولوجيين الأردنيين بالتعاون مع الجامعة الأردنية، ص١٥٨ وما بعدها.

19. Crystal, D (Ed): The Cambridge Paperback Encyclopedia- Cambridge University press. 1994, p.253.
20. Edwards, P (Ed): Encyclopedia of Philosophy. London, Macmillan Publishers. 1983. V.5. Article Nature P.454.
21. Haymes, E, M, and Wells C, L. Environment and human performance. Human Kinetics Publishers. 1986.
22. Holden, A. Environment and tourism. Routledge. 2000.
23. Lovei, M, and Weiss, C. Environmental management and institutions in OECD countries, lessons from experience. World Bank. 1998.
24. Reeves, B, and Clifford, N. How people treat computers, televisions, and new media like real people and places. Cambridge University Press. 1996.
25. Tierney, W.G: The responsive university: restructuring for high performance. Johns Hopkins University Press. 1998.

Ecological Education From an Islamic Perspective

Dr. A. Al- Alatif Al- Mahmoud

Abstract

During the last decades of the 20th century, and the beginning of the 21st century, there has been an increased risk of pollution of the environment This is why local, regional and international organizations work with many countries in order to control pollution and plan to keep a safer environment fon the benefit of the coming generation (continuous environment).

The most responsible of such work the human being, upon whom the whole burden lies. But in order to respond to the needs of human kind, one needs psychological refining, creatve education and responsible upbringing.

It has been proved that religiors guidance has a great impact on the behavior of religiors people.

In Islamic religion there are many guidances and teachings that wge people to keep the environment safe and use it in beneficial, harmless ways.

This research has dealt with the definition of the environment; its comprehensive and balanced components; the risks it encounters; the international efforts made to fight against such risks; the relation between man and the environment; the Islamic juristic bases telated to ecological behavior; the Islamic instructions to people who are the users of environment; and the rules of using nature's components: water, animals, plants, earth and air.

The researcher has paid special attention ot the ecological education of a Muslim: in his beliefs, worships, his relation with his Muslim and non ñ Muslim brothers, and that wit the environmment's natural components.

The research concluded with the legislative principles that have bases in Islam and can be exploited in setting legislations for keeping the environment safe.

التربية البيئية
من وجهة نظر إسلامية

د. عبد اللطيف آل محمود *

الملخص

ازدادت مخاطر تلوث البيئة في العقود الأخيرة من القرن العشرين وأوائل القرن الحادي والعشرين، ولهذا تعمل المنظمات المحلية والإقليمية والدولية مع كثير من الدول؛ للحد من هذا التلوث، والتخطيط للمحافظة على سلامة البيئة؛ لتستفيد منها الأجيال البشرية المقبلة فيما يسمى بالبيئة المستدامة.

والمكلف الأول بهذا العمل هو الإنسان، وعليه يقع العبء كله، لكن الاستجابة لمتطلبات الإنسانية جمعاء تحتاج إلى تهذيب نفسي وتربية خلاقة وتنشئة مسئولة.

ولقد ثبت أن التوجيهات الدينية لها أثر كبير في تصرفات المتدينين.

وفي دين الإسلام توجيهات وتعاليم كثيرة تدعو للمحافظة على البيئة وحسن استغلالها بما ينفع الناس ولا يضرهم.

وقد تناول هذا البحث التعريف بالبيئة وعناصرها المتكاملة المتوازنة وما تتعرض له من مخاطر، وبيان الجهود العالمية لمكافحة الأخطار، وعلاقة الإنسان بالبيئة، والقواعد الفقهية الإسلامية التي تحكم تصرف الإنسان في بيئته، وتوجهات الإسلام لمستخدم البيئة وهو الإنسان، وقواعد استخدام عناصرها من الماء والحيوان والنبات والأرض والهواء.

واهتم الباحث بالتربية البيئية في عقيدة المسلم وعبادته وعلاقته بأخيه المسلم وغير المسلم وبعناصر البيئة الطبيعية.

واختتم البحث بالمبادئ التشريعية التي لها أسس في الإسلام يمكن أن يعتمد عليها في تشريعات حماية البيئة.

---

* *أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية، كلية الآداب، جامعة البحرين.*

هل الإنسان عنصر من عناصر البيئة؟

من هذه التعريفات يتبادر إلى الذهن سؤال مفاده هل يُعَدُّ الإنسان داخلاً في تعريف البيئة أو هو خارج عنها ؟

يبدو لأول وهلة من التعريف الأول أن الإنسان جزء من البيئة، ومن التعريفين الثاني والثالث أنه ليس جزءاً منها.

وبالإمعان في التعريفات الثلاثة أرى أنه لا تناقض بينها؛ إذ التعريف الأول يعرف البيئة كلاً متكاملاً، على هذا عُدَّ الإنسان جزءاً منها، أما التعريف الثاني والثالث فإنهما ركزا على البيئة التي يعيش فيها الإنسان وتحيط به، وعلى هذا الاعتبار عُدَّ الإنسان خارجاً من البيئة.

وحيثُ إننا نريد المعنى العام للبيئة في هذه الدراسة فإن الإنسان سيعتبر جزءاً من عناصرها.

عناصر البيئة؟

يمكن أن تقسم عناصر البيئة كما وردت في التعريفات الثلاثة إلى ما يلي:

١) ما على الأرض أو في باطنها من مكونات غير حية من جبال وهضاب وسهول وصحاري ووديان وصخور ومعادن وتربة ومياه.

٢) ما على الأرض أو في باطنها من مكونات حية من نباتات وحيوانات برية وبحرية وإنسان.

٣) الغازات المحيطة في حدود غلافها الجوي.

على أنه لا ينبغي أن ننسى ثلاثة عناصر أخرى مهمة من عناصر البيئة على الأرض لما لها من أثر كبير في مسيرة الحياة هي:

(أ) الطاقة الحرارية سواء التي تأتي من خارج الأرض إليها أو تصدر من الأرض.

(ب) الضوء.

تعريف البيئة

ما البيئة ؟

كلمة لها عدة دلالات لغوية منها[1]:

١) المنزل الذي يأوي إليه الكائن الحي، جاء في الحديث: (**في المدينة ههنا المتبوأ**).

٢) المكان المهيأ والمعد للاستخدام، قال الله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفاً تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ {٥٨}**﴾[2].

٣ المحيط.

٤) الحالة.

٥) المكان الذي تتوافر فيه العوامل المناسبة لمعيشة كائن حي أو مجموعة كائنات حية خاصة كالبيئة الاجتماعية، والبيئة الطبيعية، والبيئة الجغرافية.

أما من الناحية الاصطلاحية فنجد لهذه الكلمة عدة تعريفات منها:

١) البيئة مجموع النظام الفيزيائي الخارجي والبيولوجي الذي يعيش فيه الجنس البشري والكائنات الحية الأخرى كلا متكاملاً[3].

٢) البيئة هي كل ما هو خارج عن كيان الإنسان، وكل ما يحيط به من موجودات، فالهواء الذي يتنفسه الإنسان والماء الذي يشربه، والأرض التي يسكن عليها ويزرعها، وما يحيط به من كائنات حية أو من جماد هي عناصر البيئة التي يعيش فيها، وهي الإطار الذي يمارس فيه حياته ونشاطاته المختلفة[4].

٣) البيئة هي الأرض وما تضمه من مكونات غير حية ممثلة في مظاهر سطح الأرض من جبال وهضاب وسهول ووديان، وصخور ومعادن وتربة وموارد مياه، ومكونات حية ممثلة في النباتات والحيوانات البرية النشأة سواء كانت على اليابسة أو في الماء، وما يحيط بالأرض من غلاف غازي يضم الكثير من العناصر الأساسية اللازمة لوجود الحياة على سطح الأرض[5].

النباتات والحيوانات. وتُعَدُّ الجاذبية والإشعاع من بين العناصر الفيزيائية للعناصر الطبيعية غير الحية.

(انظر التكامل في لوحة تمثل جزءًا من شبكة غذائية برية)[٨].

ويمكن رؤية هذا التكامل في دورة الكربون؛ إذ يمتص النبات (**عنصر إنتاج**) غاز ثاني أكسيد الكربون من الهواء لصنع حاجته من الغذاء ويطلق غاز الأكسجين، وتستخدم الحيوانات المختلفة (**عنصر استهلاك**) غاز الأكسجين في عملياتها الحيوية؛ للحصول على الطاقة اللازمة، وتطلق غاز ثاني أكسيد الكربون إلى الهواء لتستخدمه عناصر الإنتاج مرة ثانية.

ومثل ذلك التكامل يرى بصورة أوضح في دورة الماء بين تبخر وتكثف ومطر، وكذلك دورة الأكسجين ودورة النيتروجين وغيرها.

ويحكم هذا النظام البيئي القاعدة الربانية ﴿**إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ** {٤٩}﴾[٩] وأيّ اختلال في عنصر من عناصر النظام البيئي يؤدي إلى اختلال متعاقب في العناصر التالية له في المنزلة.

التوازن بين عناصر البيئة

أهم ما يميـز البيئة الطبيعية كما خلقها الله تعالى التوازن الدقيق القائم بين عناصرها المختلفة، ويلاحظ العلماء أن التغيير في إحدى البيئات لظروف معينة قد يؤدي إلى حدوث تطورات فيها تعالج تلك الآثار وإن كان بعد أمد، من ذلك ما يلاحظ أن النار إذا دمرت جزءاً من إحدى الغابات فإنه بعد أعوام قليلة تكتسي تلك الأرض المحروقة بالحشائش والأعشاب ثم سرعان ما تنتشر فيها الأشجار مرة أخرى[١٠].

وهذا التوازن لا يشترط أن يكون مستمراً طول الوقت؛ لأن النظم الطبيعية تتعرض لتغييرات يومية وموسمية وسنوية، لكن التوازن موجود بصفة عامة. ففي المناطق الرعوية المحاطة بالجبال العالية من جميع الجهات والتي لا تستطيع الحيوانات الدخول إليها أو الخروج منها، ويعيش فيها أسود وغزلان، وفيها أعشاب رعوية إذا

(ج) الأشعة والموجات الصادرة من مصادر متعددة طبيعية أو صناعية.
(انظر لوحة عناصر البيئة)[٦].

التكامل بين عناصر البيئة

البيئة كما خلقها الله تعالى متكاملة يؤدي كل عنصر وظيفته لغيره حتى تتكامل عناصر البيئة في شكل دورات.

ولتيسير فهم هذا التكامل الدائري للنظام البيئي يقسم المختصون عناصر النظام البيئي إلى أربعة رئيسة[٧]:

(أ) **عناصر الإنتاج (كائنات حية منتجة)**

وتتكون من النباتات الخضراء بكل أنواعها من الطحالب الخضراء إلى الأشجار الضخمة المختلفة، وهذه تنتج غذاءها بنفسها.

(ب) **عناصر الاستهلاك (كائنات حية مستهلكة)**

وتتكون من الحيوانات المختلفة، وهذه تعتمد في غذائها على غيرها، فيتغذى بعضها بالنباتات والأعشاب، و بعضها يأكل لحوم الحيوانات الأخرى، والإنسان يستهلك من النباتات والحيوانات.

(ج) **عناصر التحلل (كائنات حية محللة)**

وتشمل كل ما يؤدي إلى تحلل عناصر الإنتاج وعناصر الاستهلاك أو تلفها كالبكتيريا والفطريات، وبعض أنواع الحشرات والخنافس التي تساعد الكائنات الحية الدقيقة على عملية تحليل المواد العضوية إلى ماء وغاز ثاني أكسيد الكربون ونترات وفوسفات وغيرها؛ لتُغْنِيَ العناصر الطبيعية غير الحية.

(د) **العناصر الطبيعية غير الحية**

وهي تشمل الماء والهواء بما فيها من غازات وضوء الشمس بإشعاعاتها الحرارية وفوق البنفسجية وبعض المواد المعدنية وبعض الأجزاء المتحللة من

نتج من التطور الصناعي من ظهور أصناف جديدة من المواد الكيماوية لم تكن معروفة من قبل، كل ذلك أثر في عناصر البيئة بما فيها الإنسان، وإن كان هذا التأثير قد تزايد في القرن العشرين بصورة مذهلة بحيث أصبح مشكلة تهدد الحياة على الأرض كلها. كما أن الحروب والأمراض والفقر والجوع كانت من المخاطر التي هددت البيئة والإنسان، ومنها ما كان من كسب يده.

وأهم المخاطر التي تهدد البيئة تتمثل فيما يلي(١٣):

(١) تلوث الهـواء

وهذا التلوث قد يكون بالعناصر الطبيعية كالبراكين والعواصف وحرائق الغابات وحبوب اللقاح في فصل الربيع والجراثيم وغيرها، وقد يكون بالعناصر الصناعية.

ومن هذا التلوث، التلوث بثاني أكسيد الكربون وثاني أكسيد الكبريت وأكسيد النتروجين، وأول أكسيد الكربون، والتلوث بعادم السيارات وبالرصاص وغيرها، ومن نتائجها التأثير في طبقة الأوزون.

(٢) تلوث المياه

سواء في ذلك مياه الآبار أو العيون أو الأنهار أو البحيرات أو الخُلْجان أو البحار والمحيطات.

ويتمثل هذا التلوث في التلوث الكيميائي والتلوث بالمبيدات الحشرية وبالمخصبات الزراعية ومخلفات البترول وبمياه الصرف وبالأمطار الحمضية وبالمياه الصناعية وبالمعادن الثقيلة.

(٣) المخلفات الصلبة والسائلة

وهي المخلفات التي تقذف بها المنازل والمصانع المختلفة من مياه المجاري والأطعمة والنفايات.

(٤) تدهور الأرض وتصحرها

قل هطول الأمطار إلى درجة كبيرة بحيث تؤثر في الأعشاب وتضعف الغزلان مما يتيح للأسود صيد الكثير منها ومن ثَمَّ يقل عدد الغزلان وتزداد أعداد الأسود. وعندما تسقط الأمطار في السنة الثانية وتنمو الأعشاب وتزداد كثافة الأعشاب تقوى الغزلان فتعاني الأسود من فترة حرجة فيقل عدد الأسود وتزداد أعداد الغزلان ثم يعود التوازن بين أعداد الغزلان والأسود، ويعود النظام إلى حالته المتوازنة(١١).

هذا التوازن نظام قائم بين العناصر البيئية ويعبر عنه باسم (**النظام البيئي**) وهو نظام متكامل تعيش فيه جميع عناصر البيئة في توازن تام يعتمد كل منها على الآخر في جزء من حياته واحتياجاته ويؤدي مهمته في الحياة(١٢).

المخاطر التي تهدد البيئة

يسعى الإنسان دائماً إلى الأفضل والتطور والاختراع، وهو في الغالب - **ما لم يكن ذا عقيدة تعطي الجماعة حقها عليه**- ينظر إلى نفسه أولاً ثم إلى الدائرة التي يعيش فيها من أهله وأهل مدينتــه ودولته ثم إلى الدائرة التي تحيط به من الدول المجاورة أو المتقاربة معه، ثم إلى الدائرة العالمية التي هي أوسع.

وفي إطار بحثه عن الأفضل اخترع الآلات وابتكر الطرق والأساليب والوسائل التي تحقق له غايته، وفي الغالب كان تحقيق الغنى المادي أو السيطرة على الآخرين هما الحافز إلى تلك الاختراعات والابتكارات، وفي سبيل الوصول إليهما لم يكن يبالي بنتائج عمله على بقية أفراد الإنسان وعلى الأرض والحيوان وبقية عناصر البيئة وإن بدا أنه يسعى إلى خدمة الإنسانية أحياناً في سعيه إلى إنتاج الأغذية وتيسير الخدمات لبني جنسه الذي تتزايد أعداده في تنامٍ مستمر بأعداد كبيرة خاصة وقد زاد متوسط حياته في العصر الحاضر نتيجة التقدم في المجال الصحي.

فمنذ أن بدأ الإنسان في التحكم في بيئته المحيطة به بتعلم الزراعة واكتشافه النار وإقامته القناطر والسدود على الأنهار، وإدخاله الآلات في الزراعة وإنتاج المحاصيل واختراعه الوسائل والمواصلات، واستخدامه للمواد الطبيعية الظاهرة والباطنة وما

القدرة على التركيز والإنتاجية.

(١١) الثغرة الواسعة بين الفقراء والأغنياء

إذا كان الفقر والغنى يرى بين الأفراد في بقعة واحدة فإنه يمكن علاجها بالحث على الإحسان والمساعدة، أما الفقر الذي أصبح خطراً على البيئة فهو الحادث بين الدول في العالم التي انقسمت إلى دول قليلة غنية يعيش أفرادها- الذين يبلغون ٢٠٪- من البشر في رغد من العيش، وإلى دول كثيرة فقيرة يغرق أفرادها- الذين يبلغون ٧٥٪- في الفقر والجوع والعوز وتستنزف ثروات بلادهم من قبل شركات الدول الغنية.

الجهود العالمية لمكافحة الأخطار التي تهدد البيئة

الإحساس بالمخاطر التي تهدد البيئة بدأت بصورة فردية من قبل بعض الفلاسفة والحكماء والعلماء في الحضارات القديمة، ولكنّ القرن التاسع عشر والعشرون شهد اهتماماً أكبر بهذه المشكلة وقامت الدول وبلديات المدن الكبيرة بوضع التشريعات لمكافحة تلك الأخطار(١٤).

غير أن تزايد المخاطر وتهديدها للبيئة على مستوى عالٍ وعالمي جعل الاهتمام بها يرتفع من مستوى الأفراد إلى مستوى المؤسسات والمنظمات الإقليمية والدولية.

ومن الجهود الدولية لمكافحة الأخطار التي تهدد البيئة دعوة الجمعية العامة للأمم المتحدة لعقد مؤتمر عالمي لبحث مشكلات البيئة على مستوى العالم في صيف عام ١٩٧٢م في مدينة استوكهولم.

وبموجب توصيات هذا المؤتمر اتخذت الجمعية العمومية للأمم المتحدة في كانون الأول (ديسمبر) ١٩٧٢م قرارها رقم ٢٩٩٧ القاضي بتأسيس برنامج الأمم المتحدة للبيئة (يونيب)(١٥).

وذلك بإزالة الغابات والأراضي الحراجية والإنتاج الزراعي المكثف باستخدام المواد الكيماوية لزيادة المحاصيل الزراعية الذي يؤدي إلى ضعفها وتدهورها.

(٥) **الخطر على حياة الحيوان (خسارة التنوع البيولوجي)**

فقد شهد العالم انقراض أنواع من الحيوانات بسبب الافتقار إلى البيئة الملائمة أو الاستغلال والصيد المفرط أو التلوث.

(٦) **الخطر على حياة الإنسان**

ويمثل الجوع والفقر والمرض والجهل والحروب والفتن أهم مسببات الخطر على حياة الإنسان.

(٧) **استنزاف الثروات الطبيعية**

سواء ما كان منها على سطح الأرض كالغابات، أو في باطنها كالبترول والمعادن، مما يخشى معه إفقار الأرض منها بالنسبة للأجيال القادمة.

(٨) **خطر النفايات الخطرة**

ومنها المواد الكيميائية السامة سواء المستخدمة في الصناعة، أو في الأسلحة الكيميائية والمبيدات الحشرية.

(٩) **خطر النفايات المشعة**

ومن أشدها التلوث بالإشعاع من المفاعلات النووية والقنابل الذرية والنووية والهيدروجينية والنيوترونية، على أن هناك أخطاراً من الأشعة تحت الحمراء وفوق البنفسجية وأشعة إكس وأشعة الليزر وغيرها.

(١٠) **خطر الضجيج والضوضاء**

وهي التي تصدر من المصانع والورش والمعامل وبعض أنواع المركبات والقطارات والطائرات وأجهزة البث الإذاعي من مذياع وتلفاز ومكبرات الصوت والفرق الموسيقية وغيرها، الذي يؤثر في حاسة السمع وفي الأداء الوظيفي للجسم، ومنها الارتباكات المعوية والتوتر العصبي الذي يؤثر في

٤) تعاون الدول والشعوب في استئصال شأفة الفقر كشرط لا غنى عنهُ للتنمية المستدامة.

٥) العمل على تخفيف أنماط الإنتاج والاستهلاك التي تضر بالبيئة.

علاقة الإنسان بالبيئة في مفهوم الإسلام

تقوم علاقة الإنسان في مفهوم الإسلام على الأسس الآتية[١٨]:

أولاً: الكون كله مخلوق لله تعالى

وهذا الأساس تجمع عليه كل الديانات السماوية، قال الله تعالى: ﴿**قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَاداً ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ {٩} وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاء لِّلسَّائِلِينَ {١٠} ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ {١١} فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاء أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظاً ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ {١٢}**﴾[١٩].

والخلق ابتداع الشيء على مثال لم يسبق إليه، وكل شئ خلقه الله فهو مبتدئه على غير مثال سُبق إليه[٢٠].

ثانياً: إن جميع ما في الكون مسخر لمنافع الإنسان

قال الله تعالى: ﴿اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ {٣٢} وَسَخَّر لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَآئِبَينَ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ {٣٣} وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ {٣٤}﴾[٢١].

والتسخير: التذليل بلا أجر ولا ثمن[٢٢].

كما عقد مؤتمر الأمم المتحدة للبيئة والتنمية في ريو دي جانيرو بالبرازيل في حزيران (يونيو) ١٩٩٢م سمي (قمة الأرض) وتبنت الدول المشاركة فيه ثلاث وثائق رئيسة هي[١٦]:

(أ) **جدول أعمال القرن ٢١**

وهو برنامج عمل دولي شامل لجميع حقول التنمية المستدامة ويركز على الإجراءات الضرورية لاستئصال الفقر والجوع، وتغيير الأنماط الاستهلاكية الهدرية والمدمرة، وفهم أفضل للطاقة السكانية مع إشراك الناس في التخطيط والسياسة العامة وصنع القرار، ويدعو للتركيز على الرعاية الصحية الأولية ومكافحة الأمراض المعدية وتقليص أخطار التلوث على الصحة، وحماية الجماعات الضعيفة كالأطفال والنساء والمسنين مع دعوة خاصة لتعبئة جهود جميع الدول للوقاية من مرض الإيدز (**العوز المناعي المكتسب**).

(ب) **إعلان الريـو**

ويضم مجموعة مبادئ تحدد حقوق الدول وواجباتها فيما يتعلق بالبيئة والتنمية.

(ج) **مجموعة مبادئ تشكل أساس إدارة مستدامة للغابات في العالم أجمع.**

وإن من أهم المبادئ القانونية غير الملزمة التي احتوتها وثيقة (**إعلان الريـو**) (٢٧مبدأ) ما يلي[١٧]:

١) الجنس البشري هو من صميم اهتمامات التنمية المستدامة، وله الحق في حياة صحية ومنتجة بانسجام مع الطبيعة.

٢) حق الدول السيادي في استغلال مواردها، وهي مسئولة عن ضمان عدم الإضرار ببيئة الدول الأخرى.

٣) الالتزام بشكل منصف بالحاجات الإنمائية والبيئية للأجيال الحالية والمقبلة.

فيهَا رَوَاسيَ وَأَنبَتْنَا فيهَا من كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُون {١٩} وَجَعَلْنَا لَكُمْ فيهَا مَعَايشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُ برَازقينَ {٢٠} وَإن مِّن شَيْءٍ إلاَّ عندَنَا خَزَائنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إلاَّ بقَدَرٍ مَّعْلُومٍ {٢١}﴾[٣٢].

سادساً: وجوب المحافظة على الإنسان وغيره

قال الله تعالى: ﴿منْ أَجْلِ ذَلكَ كَتَبْنَا عَلَى بَني إسْرَائيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْساً بغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ في الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَميعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَميعاً﴾[٣٣] وقال: **﴿وَلَكُمْ في الْقصَاص حَيَاةٌ يَاْ أُولِيْ الأَلْبَاب لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ {١٧٩}**[٣٤] **وقال: ﴿وَأَنفقُواْ في سَبيل اللّه وَلاَ تُلْقُواْ بأَيْديكُمْ إلَى التَّهْلُكَة وَأَحْسنُوَاْ إنَّ اللّهَ يُحبُّ الْمُحْسنينَ﴾ {١٩٥}﴾**[٣٥].

سابعاً: تحريم تخريب العمران وإفساد الأخلاق

قال الله تعالى: **﴿وَمنَ النَّاس مَن يُعْجبُكَ قَوْلُهُ في الْحَيَاة الدُّنْيَا وَيُشْهدُ اللّهَ عَلَى مَا في قَلْبه وَهُوَ أَلَدُّ الْخصَام {٢٠٤} وَإذَا تَوَلَّى سَعَى في الأَرْض ليُفْسدَ فيهَا وَيُهْلكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللّهُ لاَ يُحبُّ الفَسَادَ {٢٠٥} وَإذَا قيلَ لَهُ اتَّق اللّهَ أَخَذَتْهُ الْعزَّةُ بالإثْم فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبئْسَ الْمهَادُ {٢٠٦}﴾**[٣٦].

مسئولية الإنسان عن البيئة في مفهوم الإسلام؟

مسئولية الإنسان عن البيئة ناتجة من مكانته التي أرادها الله تعالى له في الكون فهو المستخلف في الأرض من الله تعالى، وهو يستمد تعاليمه من الله تعالى.

ومن هذا المنطلق نرى أن مسئولية الإنسان عن البيئة تتمثل فيما يلي:

(١) الإنسان مطالب بعمارة الأرض

فقد قال الله تعالى على لسان صالح عليه السلام لقومه: **﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فيهَا﴾**[٣٧] والاستعمار الإعمار، وهو يكون بالبناء أو الغرس أو الزرع[٣٨].

ثالثاً: إن الإنسان مستخلف في الأرض من الله تعالى

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[٢٣]. وإنما جعل الله الإنسان خليفة؛ لأنه يخلف الله في الحكم بين المكلفين[٢٤]، وهذا يستدعي منه أن يتبع أوامر الله تعالى ونواهيه وتوجيهاته في سلوكه الحياتي لنفسه أو لغيره.

رابعاً: إن الاستمتاع بما في الأرض من منافع عام لجميع من يحتاج إليها من مخلوقات الله تعالى على الأرض.

قضى الله أن الأقوات التي خلقها الله على الأرض هي حق لجميع الطالبين لذلك القوت فلا يحرم أحد من حقه، ولقد قال الله تعالى عن خلق الأرض: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاء لِّلسَّائِلِينَ {١٠}﴾[٢٥] أي وفق مراد طالب القوت ومن له حاجة إليه، وهو كل حيوان على وجه الأرض ... فالناس والحيوان جميعاً كلهم سائلون ربهم ما يحتاجون إليه من طعام وشراب ولباس ورداء سؤالاً طبيعياً مغروساً في جبلتهم[٢٦].

خامساً: إن كل شئ خلقه الله تعالى في الأرض لحاجة المخلوقات خلقه بقدر محدد.

قال الله تعالى: ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾[٢٧] أي خلق في الأرض القوى التي تنشأ منها الأقوات وخلق أصول أجناس الأقوات وأنواعها. ومن التقدير تقدير كل نوع بما يصلح له من الأوقات من حر أو برد أو اعتدال.

وهو تقدير لجميع من يحتاج إلى القوت، فللدواب أقوات، وللطير أقوات، وللوحوش أقوات، وللزواحف أقوات، وللحشرات أقوات، وجعل للإنسان جميع تلك الأقوات مما استطاب منها[٢٨].

وقد تكرر هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ {٤٩}﴾[٢٩] وقوله: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ {٨}﴾[٣٠]، وقوله: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ﴾[٣١]، وقوله: ﴿وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا

القواعد التي تحكم تصرف الإنسان في البيئة

أريد بالقواعد هنا القواعد الكلية الفقهية التي هي تعابير فقهية مركزة تعبر عن مبادئ قانونية ومفاهيم مقررة في الفقه الإسلامي تبنتها المذاهب الاجتهادية في تفريع الأحكام وتنزيل الحوادث عليها، وتخريج الحلول الشرعية للوقائع في جميع مناحي الشريعة من عبادات ومعاملات وجنايات وشئون أسرة وإدارة عامة وقضاء وغيرها. وهي صيغ إجمالية عامة من قانون الشريعة الإسلامية ومن جوامع الحكم المعبر عن الفكر الفقهي استخرجها الفقهاء في أزمنة متطاولة من دلائل النصوص الشرعية وصاغوها بعبارات موجزة جزلة(٥٠).

وهذه القواعد كثيرة، ولكني أقتصر على ذكر القواعد التي تحكم موضوع البيئة استخداماً ونتيجة، يمكن اعتمادها في المحافظة على البيئة والتربية المستدامة للمحافظة عليها(٥١).

ومن هذه القواعد(٥٢):

١) لا ضرر ولا ضرار.
٢) الضرر يدفع بقدر الإمكان.
٣) الضرر يزال.
٤) الضرر لا يزال بمثله.
٥) الضرر الأشد يزال بالضرر الأخف.
٦) يتحمل الضرر الخاص لدفع ضرر عام.
٧) الضرورات تبيح المحظورات.
٨) الضرورات تقدر بقدرها.
٩) إذا تعارضت مفسدتان روعي أعظمهما ضرراً بارتكاب أخفهما.
١٠) الأمر بالتصرف في ملك الغير باطل.
١١) التصرف بالرعية منوط بالمصلحة.

(٢) أنه يحرم عليه الإفساد في الأرض

قال الله تعالى: ﴿**وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا**﴾[٣٩] وهؤلاء الذين يفسدون في الأرض ملعونون من الله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُوْلَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ** {٢٥}﴾[٤٠] ويشمل الإفساد المحرم الإفساد المادي ومنه البيئي والإفساد المعنوي، وقد نعى الله على بني إسرائيل إفسادهم في الأرض حيث قال: ﴿**وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوّاً كَبِيراً** {٤}﴾[٤١] وقال للناس قاطبة: ﴿**فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ** {٢٢} **أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ**{٢٣}﴾[٤٢].

(٣) أن الفساد في الأرض إنما يكون بسبب الإنسان

قال الله تعالى: ﴿**ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ** {٤١}﴾[٤٣]، ولقد تأكد هذا المعنى في قوله سبحانه: ﴿**مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ** ﴾[٤٤].

(٤) يجب على الإنسان أن يعمل على دفع الفساد في الأرض بإصلاح ما فسد فيها، وإلا فإن الوبال والهلاك يأتي على الجميع.

قال الله تعالى: ﴿**وما كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ** {١١٧}﴾[٤٥].

(٥) العدل والإحسان هما أساس الحياة التي يرتضيها الله تعالى للإنسان في تصرفاته كلها.

قال سبحانه: ﴿**إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى**﴾[٤٦]، وقال: ﴿**وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ**﴾[٤٧]، وقال: ﴿**وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ** {٩}﴾[٤٨]، وقال: ﴿**اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى** ﴾[٤٩].

أولاً: الإنســان

تحسين سلوك الإنسان في حياته لنفسه ولغيره من بني جنسه، وفي استخدامه لعناصر البيئة تعتمد على معرفة الإنسان بحقائق ذاته ودلالته على معالجة سلبياته لينتفع بإيجابياته على الوجه الأفضل، وعلى وضوح الهدف من وجوده واتضاح مسيرته الكونية، وهذا ما نجده مبيناً في مصادر الإسلام، وأهمها ما يلي:

الهدف من خلق الإنسان عبادة الله وحده

قال سبحانه: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ** {٥٦} **مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ** {٥٧}﴾ **إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ** {٥٨}﴾[٥٤].

والمراد بالعبادة هنا معناها الأعم من إقامة الشعائر الدينية الشامل لطاعة الله في كل أوامره ونواهيه وتوجيهاته وإرشاداته بما فيها عمارة الأرض التي سبق ذكرها.

سعادة الإنسان

يبحث الإنسان عن سعادته، وسعادته في تعاليم الإسلام يجب أن تتحقق في الدارين، دار الدنيا والدار الآخرة. وقد دل الإسلام على السبيل إلى تحقيق سعادة الدارين فقال: ﴿**مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ** {٩٧}﴾[٥٥] فالإيمان والعمل الصالح هما سبيل سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة. وقد أكد هذا المعنى وأضاف إليه صفتي التواصي بالحق والتواصي بالصبر في قوله: ﴿**وَالْعَصْرِ** {١} **إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ** {٢} **إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ** {٣}﴾[٥٦].

١٢) الحاجة تنزل منزلة الضرورة عامة كانت أو خاصة.

١٣) درء المفاسد أولى من جلب المنافع.

١٤) الغرم بالغنم.

١٥) لا يجوز لأحد أن يتصرف في ملك الغير بلا إذنه.

١٦) يختار أهون الشرين.

١٧) كل تصرف جر فساداً أو دفع صلاحاً فهو منهي عنه.

١٨) كلَّما جاوز الأمر حده انعكس إلى ضده.

١٩) كل ما له مثل يرد مثله، فإن فات يرد قيمته.

٢٠) كل متصرف عن الغير فعليه أن يتصرف بالمصلحة.

٢١) ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

٢٢) منزلة الإمام من الرعية بمنزلة الولي من اليتيم.

عناصر البيئة في منظور الإسلام

يتميز الإنسان من بين عناصر البيئة بأنه الذي يتصرف فيما حوله من عناصر البيئة أو يؤثر فيها بأكثر مما يتصرف أي كائن حي آخر، بل إنه قد يعدو على بني جنسه أيضا، وإذا كانت بقية الكائنات الحية لا تتصرف إلا في حدود حاجتها - وحاجتها محدودة- فإن الإنسان يتجاوز حدود حاجته إلى ما لا نهاية إلا أن يجد نفسه عاجزاً عن تحقيق ما يريد أو يعتقد أن الواجب عليه أن يحد من هواه، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم القائل: (**لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغي ثالثا، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب**)[٥٣].

ولو قلنا: إن الله تعالى جعله سيد الأرض لما جاوزنا الحقيقة، وهذا ما يجعلنا نفرد الحديث عن الإنسان وما يتعلق بأحواله عن بقية عناصر البيئة.

(٥) الضعف أمام الشهوات والملذات والأهواء

قال سبحانه: ﴿وَاللّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلاً عَظِيماً {٢٧} يُرِيدُ اللّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفاً {٢٨}﴾[٦٣].

(٦) البخل والشح بالخير على الغير

قال تعالى: ﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذاً لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الإِنفَاقِ وَكَانَ الإنسَانُ قَتُوراً {١٠٠}﴾[٦٤]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً {١٩} إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً {٢٠} وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً {٢١} إِلَّا الْمُصَلِّينَ {٢٢} الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ {٢٣} وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ {٢٤} لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ {٢٥} وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ {٢٦} وَالَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ {٢٧} إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ {٢٨} وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ {٢٩} إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ {٣٠} فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاء ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ {٣١} وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ {٣٢} وَالَّذِينَ هُم بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ {٣٣} وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ {٣٤} أُوْلَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ {٣٥}﴾[٦٥].

(٧) الجــدل

قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً {٥٤}﴾[٦٦].

(٨) الطغيان عند الغنى

قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَى {٦} أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى {٧} إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى {٨}﴾[٦٧].

صفات الإنسان الذاتية

يتسم الإنسان بمجموعة من الصفات الذاتية، نشير إلى أهمها:

(١) الظلم

عندما يرى الإنسان نفسه قادراً على غيره تتحرك فيه نوازع الشر، قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ** {٣٤}﴾(٥٧).

(٢) الاستكانة عند الضعف والتجبر عند القوة

قال تعالى: ﴿**وَلَئِنْ أَذَقْنَا الإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ {٩} وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاء بَعْدَ ضَرَّاء مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ {١٠} إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ {١١}**﴾(٥٨).

(٣) التذلل وقت الشدة والاستكبار عند انتهائها

قال تعالى: ﴿**فَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ {٤٩}**﴾(٥٩)، وقال سبحانه: ﴿**هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا جَاءتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُاْ اللّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ {٢٢} فَلَمَّا أَنجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنفُسِكُم مَّتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَينَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ {٢٣}**﴾(٦٠).

(٤) العجلة في الأمر

قال تعالى: ﴿**خُلِقَ الْإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ {٣٧}**﴾(٦١)، وقال أيضاً: ﴿**وَيَدْعُ الإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الإِنسَانُ عَجُولاً {١١}**﴾(٦٢).

رسول الله. فقال له: فلا تفعل، صم وأفطر، وقم ونم، فإن لجسدك عليك حقا، وإن لعينك عليك حقاً، وإن لزوجك عليك حقاً، وإن لزورك (ضيفك) عليك حقاً] (٧٥).

(٥) **للمحتاجين حق في أموال المقتدرين**

فقد فرض الله الزكاة على أصحاب الأموال النامية أو النقود وجعل من أوجه صرفها الفقراء والمساكين والغارمين وابن السبيل، ومدح أولئك الذين يخصصون جزءاً من أموالهم للمحتاجين فقال عنهم: ﴿**وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ {٢٤} لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ {٢٥}**﴾(٧٦)، وقال: ﴿**وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ {١٩}**﴾(٧٧)، وقال أيضاً: ﴿**وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ**﴾(٧٨)، وقال: ﴿**وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُو الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُوْلِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**﴾(٧٩).

(٦) **للأجيال القادمة حق في المال العام**

من المال العام في التشريع الإسلامي أموال الفيء وهي التي ترد على خزانة الدولة نتيجة اتفاقيات الصلح بين المسلمين وغيرهم، أو التي تكون إيراداً من الأموال العامة. وعلى الرغم من أن الله عين مصارف أموال الفيء في قوله تعالى: ﴿**مَّا أَفَاء اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ**﴾(٨٠)، نجد أنه سبحانه جعل الحق في الفيء لجميع الأجيال القادمة، ففي سياق الآية نفسها السابقة ذكر الله حق المهاجرين والأنصار والذين يأتون من بعدهم في أموال الفيء فقال: ﴿**لِلْفُقَرَاء الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ...... وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ...... وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ...**﴾(٨١).

(٧) **العمل على أن يكون المال متداولاً بين جميع الناس غنيهم وفقيرهم**

فقد قال الله تعالى في قسمة الفيء على المذكورين سابقاً: ﴿**كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاء مِنكُمْ**﴾(٨٢).

توجيهات للحياة

أرشد الله تعالى الإنسان إلى بعض المبادئ السلوكية التي يحتاج إليها في حركته وحياته؛ لتكون حياته سوية راشدة. ومن هذه التوجيهات والإرشادات(٦٨):

(١) **ترشيد الإنفاق في المال**

قال تعالى في سياق ذكر صفات عباده: **﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً {٦٧}﴾**(٦٩)، وقال أيضاً في بيان السلوك الإسلامي: **﴿وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَّحْسُوراً {٢٩}﴾**(٧٠).

(٢) **الترشيد في الطعام والشراب والزينة**

قال تعالى: **﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ {٣١} قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّهِ الَّتِيَ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِي لِلَّذِينَ آمَنُواْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾**(٧١).

(٣) **الترشيد في العمل**

قال تعالى: **﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتاً {٩} وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاساً {١٠} وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشاً {١١}﴾**(٧٢)، وقال: **﴿وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ {١٠٥}﴾**(٧٣).

(٤) **الترشيد في العبادة**

قال الله تعالى: **﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِي لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ {٩} فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ {١٠}﴾**(٧٤) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبدالله بن عمرو: [***يا عبدالله، ألم أخبر أنك تصوم النهار وتقوم الليل! فقال: بلى، يا***

مُّخْتَلِفاً أَلْوَانُهُ﴾(٨٦)، وقال أيضاً: **﴿وَهُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِراً نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبّاً مُّتَرَاكِباً وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُواْ إِلِى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ {٩٩}﴾**(٨٧).

٢) **الماء حق للجميع**

قال تعالى على لسان صالح عليه السلام: **﴿وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاء قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ {٢٨}﴾**(٨٨)، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [***المسلمون شركاء في ثلاث في الكلأ والماء والنار***] (٨٩).

٣) **يجب بذل الفضل من الماء للزراعة**

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [***لا تمنعوا فضل الماء لتمنعوا به فضل الكلأ***](٩٠)، وقد قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أهل المدينة ألا يمنع فضل ماء ليمنع فضل الكلأ(٩١).

٤) **الطاعة والاستغفار من الذنوب وسيلة لإنزال الله الماء**

لقد نصح نوح عليه السلام قومه بالاستغفار من الذنوب والمعاصي عندما أصابهم الجدب والقحط لينزل الله عليهم المطر فقال الله تعالى حاكياً قوله: **﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً {١٠} يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَاراً {١١} وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَاراً {١٢}﴾**(٩٢).

٥) **ذهاب الماء في أغوار الأرض نتائج الكفر والذنوب**

قال الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم مخاطباً الكافرين ومبيناً قدرته: **﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْراً فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاء مَّعِينٍ {٣٠}﴾**(٩٣).

٦) **قدرة الله تعالى على جعل الماء العذب صالحاً**

قال تعالى مخاطباً أهل مكة من الكافرين بالإسلام وبنبيه صلى الله عليه وسلم: **﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاء الَّذِي تَشْرَبُونَ {٦٨} أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ**

(٨) **عدم تلويث الأماكن التي يستخدمها الناس**

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [***اتقوا اللعانين. قالوا: وما اللعانان يا رسول الله؟ قال: الذي يتخلى في طريق الناس أو ظلهم***] (٨٣)

(٩) **الاهتمام بالنظافة**

وهي شاملة لنظافة الجسد والثياب والأماكن، وقد فرض الله الوضوء للصلاة وفيها غسل الفم والأنف والوجه والرجل، وفرض الغسل من الجنابة ومن الحيض والنفاس ومن الأوساخ، قال تعالى: **﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَينِ وَإِن كُنتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرُواْ﴾**(٨٤).

وأمر بنظافة الأماكن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [***إن الله طيب يحب الطيب، نظيف يحب النظافة، كريم يحب الكرم، جواد يحب الجود، فنظفوا أفنيتكم ولا تشبهوا باليهود***](٨٥)

ثانياً: بقية عناصر البيئة؟

تحدثت مصادر الإسلام عن عناصر البيئة الظاهرة التي يتعامل الإنسان معها كالماء والحيوان والنبات والأرض والهواء، ونتناول كلاً منها على حدة.

(أ) الماء

ما نظرة الإسلام إلى الماء؟

١) **هو ضرورة للحياة**

الماء ضرورة من ضروريات الحياة النباتية والحيوانية والإنسانية، وقد تكفل الله بتزويد الأرض بالماء العذب من السماء [المطر] فتروى به الأرض ويستقر بعضه في خزانات جوفية ليعاد الانتفاع به في أزمان لاحقة، يقول تعالى: **﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً**

أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُواْ بَالِغِيهِ إِلاَّ بِشِقِّ الأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ {٧} وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ {٨}﴾[١٠٢].

علاقة الإنسان بالحيوان

تتمثل علاقة الإنسان بالحيوان فيما يلي:

(١) أن كل حيوان يمثل أمة من الأمم تؤدي مهمتها في الحياة يجب المحافظة عليه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [***قرصت نملة نبياً من الأنبياء فأمر بقرية النمل فأحرقت فأوحي الله إليه: أن قرصتك نملة أحرقت أمة من الأمم تسبح***][١٠٣]، وفي رواية [فهلا نملة واحدة][١٠٤].

(٢) **الإحسان إليه إذا كان في سلطة الإنسان**

فقد صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الكسوف فقال: [***دنت مني النار حتى قلت أي رب وأنا معهم، فإذا امرأة تخدشها هرة، قال: ما شأن هذه؟ قالوا: حبستها حتى ماتت جوعاً***] وفي رواية قال: [***عذبت امرأة في هرة حبستها حتى ماتت جوعاً فدخلت فيها النار، فقال والله أعلم: لا أنت أطعمتها ولا سقيتها حين حبستها ولا أنت أرسلتها فأكلت من خشاش الأرض***][١٠٥].

(٣) **إنقاذه إذا كان في محنة**

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [***إن رجلاً رأى كلباً يأكل الثرى من العطش فأخذ الرجل خفه فجعل يغرف له به حتى أرواه، فشكر الله له فأدخله الجنة***][١٠٦].

(٤) **استخدامه على النحو الذي سخره الله له**

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [***من قتل عصفوراً فما فوقها بغير حقها سأل الله عز وجل عنها يوم القيامة. قيل: يا رسول الله، فما حقها؟ قال: حقها أن تذبحها فتأكلها، ولا تقطع رأسها فيرمى بها***][١٠٧]، وقال: [من

الْمُنزِلُونَ {٦٩} لَوْ نَشَاء جَعَلْنَاهُ أُجَاجاً فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ {٧٠}﴾[٩٤]، والأجاج الماء المر من شدة الملوحة[٩٥].

٧) **المحافظة على الماء من التلوث**

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [***اتقوا الملاعن الثلاثة؛ البراز في الموارد وقارعة الطريق والظل***] [٩٦]، وقال أيضاً: [***لا يبولنّ أحدكم في الماء الدائم الذي لا يجري ثم يغتسل فيه***][٩٧].

٨) **الترشيد في استخدام الماء**

روى عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم مر بسعد وهو يتوضأ فقال: [***ما هذا السرف! فقال: أفي الوضوء إسراف؟ قال: نعم، وإن كنت على نهر جار***][٩٨]. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مثالاً للترشيد في استهلاك الماء حتى في أمور العبادة إذ كان يغتسل بصاع إلى خمسة أمداد[٩٩]، ويتوضأ بالمد كما يخبر بذلك خادمه أنس بن مالك رضي الله عنه[١٠٠].

(ب) الحيـوان

خلق الله الحيوان؛ ليؤدي مهمة في هذه الأرض يحتاج إليها الإنسان، فهو مسخر من الله تعالى، وهذه المهمة قد تكون مباشرة أو غير مباشرة، فمن الحيوان ما يركبه الإنسان ومنه ما يأكل لحمه ومنه ما يتخذه مالاً وزينة، ومنه ما يستخرج منه الدواء ومنه ما يستعان به على الصيد. ومن الحيوان ما يحيا بعيداً عن الإنسان في بيئة محددة ولكن نفعها يصل إلى الإنسان من طريق غير مباشر، لأن الله تعالى لم يخلق شيئاً في الوجود عبثاً، وصدق الله إذ يقول: ﴿**وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ {٣٨} مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ {٣٩}**﴾[١٠١] وقد ذكر لنا القرآن منافع بعض الحيوان فقال: ﴿**وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ {٥} وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ {٦} وَتَحْمِلُ**

(٩) قد يجعل الله بعض الحيوان وسيلة إنذار للطغاة

قال الله تعالى عن عذاب عذب به فرعون وقومه أيام موسى عليه السلام: ﴿**فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلاَتٍ فَاسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْماً مُّجْرِمِينَ {١٣٣}**﴾(١١٧).

(١٠) المعصية لأمر الله قد يذهب بركة الحيوان ويقلل وجوده

وضرب الله لذلك مثلاً عن جماعة من بني إسرائيل فقال تعالى: ﴿**وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعاً وَيَوْمَ لاَ يَسْبِتُونَ لاَ تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ {١٦٣}**﴾(١١٨).

(١١) جواز استخدام بعض الحيوانات للدفاع والكر والفر

قال الله تعالى: ﴿**وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ**﴾(١١٩).

(١٢) جعل لكل دابة على الأرض رزقاً خاصاً بها

قال الله تعالى: ﴿**وما مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ {٦}**﴾(١٢٠).

(١٣) قد يرحم الله الإنسان بسبب الحيوان

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [***ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يمطروا***](١٢١).

(ج) الزرع والشجر [النبات]

الزروع والأشجار [**النباتات**] هي المصدر الأول لحياة الكائنات الحية، وهي أساس الثروات التي يسعى الإنسان إلى الحصول عليها. وعلاقة الإنسان بالزروع والأشجار في مفهوم الإسلام تتمثل فيما يلي:

قتل عصفوراً عبثاً عج إلى الله يوم القيامة يقول: يارب، إن فلاناً قتلني عبثاً ولم يقتلني لمنفعة](١٠٨).

(٥) حرمة قتل الحيوان النافع

فقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل أربع من الدواب، النملة والنحلة والهدهد والصُّرَد [**نوع من الطيور**](١٠٩)، والضفدع(١١٠).

(٦) جواز قتل الحيوان المؤذي

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [***خمس فواسق يقتلن في الحل والحرم: الحية والغراب الأبقع والفأرة والكلب العقور والحديا***](١١١).

(٧) يجوز أكل بعض أنواع الحيوانات إذا ذكيت

قال الله تعالى: ﴿**أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ إِلاَّ مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ**﴾(١١٢). وبهيمة الأنعام هي الإبل والبقر والضأن والمعز، وحرم الخنزير وكل ما له ناب يعدو به من الدواب، وحرم من الطير كل ما له مخلب. كما حرم ما لم يتم تذكيته على الطريقة الشرعية بقطع الحلقوم والمريء والودجين فقال: ﴿**حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ**﴾(١١٣)، وقال: ﴿**أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعاً لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ**﴾(١١٤).

(٨) حرمة التمثيل بالحيوان وحرمة تعذيبه

قال الله تعالى حاكياً إضلالات الشيطان؛ لإبعاد عباد الله عن العمل بشرع الله: ﴿**وَلأُضِلَّنَّهُمْ وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأَنْعَامِ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللّهِ**﴾(١١٥)، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [***لا تتخذوا شيئاً فيه الروح غرضاً***]، [***كما لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من اتخذ شيئاً فيه الروح غرضاً***](١١٦) هدفاً للرمي.

٥) يُعَدُّ الزرع والثمر من الصدقة الجارية

فيكتب للزارع الأجر على قدر الفائدة التي قدمها للإنسان أو الحيوان أو الطير، سواء قصد ذلك أو لم يقصد وعلم من استفاد من عمله أو لم يعلم. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [***ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة***][١٣٠]، وقال: [***ما من مسلم يغرس غرساً إلا كان ما أكل منه له صدقة، وما سرق منه له صدقة، وما أكل السبع منه فهو له صدقة، وما أكلت الطير فهو له صدقة، ولا يرزؤه***[١٣١] ***أحد إلا كان له صدقة***] [١٣٢].

٦) وجوب الزكاة على ما تنتجه الأرض من المزروعات والمغروسات

قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفاً أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُواْ حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ{١٤١}﴾[١٣٣].

(د) الأرض

في تنظيم العلاقة بين الإنسان والأرض نرى في تعاليم الإسلام ما يلي:

(١) العمارة بالبناء صدقة جارية ما انتفع به

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: [***من بنى بنياناً من غير ظلم ولا اعتداء، أو غرس غرساً في غير ظلم ولا اعتداء كان له أجر جار ما انتفع به من خلق الله تبارك وتعالى***][١٣٤].

(٢) من أحيا أرضاً ميتة لا مالك لها فهي له

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: [***من أحيا أرضاً ميتة فهي له، وليس لعرق ظالم حق***][١٣٥]، خاصة تلك التي تكون خارج العمران، ويقول الرسول عليه الصلاة والسلام: [***من أحيا أرضاً دعوةً من المصْر أو رميةً من المصر فهي له***][١٣٦] وقال: [***من عمر أرضاً ليست لأحد فهو أحق بها***] [١٣٧].

١) **الإنبات هو من قانون الله تعالى**

قال الله تعالى: **﴿إِنَّ اللّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ {٩٥}﴾**(١٢٢)، وقال سبحانه: **﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ {٦٣} أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ {٦٤} لَوْ نَشَاء لَجَعَلْنَاهُ حُطَاماً فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ {٦٥}﴾**(١٢٣)، وقال: **﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ {٢٤} أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاء صَبّاً {٢٥} ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقّاً {٢٦} فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبّاً {٢٧} وَعِنَباً وَقَضْباً {٢٨} وَزَيْتُوناً وَنَخْلاً {٢٩} وَحَدَائِقَ غُلْباً {٣٠} وَفَاكِهَةً وَأَبّاً {٣١} مَّتَاعاً لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ {٣٢}﴾**(١٢٤).

٢) **اختلاف أصناف النبات لاختلاف المنافع والأذواق**

قال الله تعالى: **﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ {٧} إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ {٨} وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ {٩}﴾**(١٢٥)، وقال سبحانه: **﴿وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاء وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ {٤}﴾**(١٢٦).

٣) **لكل نبات خصائص معينة**

قال الله تعالى عن النخل على لسان صالح عليه السلام: **﴿أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ {١٤٦} فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ {١٤٧} وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ {١٤٨}﴾**(١٢٧)، وأنعم على يونس عليه السلام عندما خرج من بطن الحوت بما يعينه على تجاوز محنته: **﴿فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاء وَهُوَ سَقِيمٌ {١٤٥} وَأَنبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ {١٤٦}﴾**(١٢٨).

٤) **الاستمرار في زراعة الأرض حتى نهاية الحياة**

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: [***إن قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة فإن استطاع ألا يقوم حتى يغرسها فليفعل***] (١٢٩).

(٦) النهي عن الضوضاء والأصوات المرتفعة التي تؤذي

كان من وصية لقمان عليه السلام لابنه: ﴿**وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ {١٩}**﴾[١٤٦] وحتى الدعاء قال الله تعالى: ﴿**ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ {٥٥}**﴾[١٤٧] وقال: ﴿**وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاَتِكَ وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً {١١٠}**﴾[١٤٨].

(هـ) الهـــواء

الهواء هو غاز يغلف الكرة الأرضية، ولا تقل أهميته عن الماء؛ لاستمرار الحياة والمحافظة عليها، وقد أشارت المصادر الإسلامية إلى مجموعة من وظائفه، ومن ذلك[١٤٩]:

١) أن تصريفه آية من الآيات الدالة على وجود الله وعظمته.

قال تعالى: ﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخِّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ {١٦٤}**﴾[١٥٠].

٢) أن تحركه علامة على تغير الأجواء والمناخ ومجيء السحب والأمطار.

قال الله تعالى: ﴿**وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَاباً ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاء فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ**﴾[١٥١].

٣) وسيلة من وسائل تلقيح النباتات وتلاقح السحب.

قال الله تعالى: ﴿**وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ {٢٢}**﴾[١٥٢].

٤) هو وسيلة لتشكيل السحب وانتشارها.

قال الله تعالى: ﴿**اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ**

(٣) حرمة الاعتداء على الأرض المملوكة للغير

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [***من أخذ شبراً من الأرض ظلماً فإنه يطوقه يوم القيامة من سبع أرضين***][١٣٨].

(٤) يجوز للحاكم تخصيص محمية لصالح الضعفاء أو للصالح العام

قال رسول صلى الله عليه وسلم: [***لا حمى إلا لله ولرسوله***] [١٣٩] وقد حمى رسول الله صلى الله عليه وسلم النقيع وحمى عمر السرف والربذة، وقال عمر لعامله: يا هني، اضمم جناحك عن المسلمين، واتقِ دعوة المظلوم فإن دعوة المظلوم مستجابة، وأدخل رب الصريمة ورب الغنيمة، وإياك ونعم ابن عوف ونعم ابن عفان فإنهما إن تهلك ماشيتهما يرجعا إلى نخل وزرع، وإن رب الصريمة ورب الغنيمة إن تهلك ماشيتهما يأتيني ببنيه فيقول: يا أمير المؤمنين، أفتاركهم أنا لا أبا لك، فالماء والكلأ أيسر علي من الذهب والورق[١٤٠].
وحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين لابتي المدينة [***حرتا المدينة المنورة***]، يقول أبو هريرة: [***فلو وجدت الظباء ما بين لابتيها ما ذعرتها، وجعل اثني عشر ميلاً حول المدينة حمى***][١٤١].

(٥) الاهتمام بنظافة الأرض من العبادة المأجور عليها

قال رسول صلى الله عليه وسلم: [***الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق. والحياء شعبة من الإيمان***] [١٤٢] وسأل أبو برزة رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلاً: [***يا نبي الله، علمني شيئاً أنتفع به، قال: اعزل الأذى عن طريق المسلمين***][١٤٣] وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [***دخل عبد الجنة بغصن شوك على ظهر طريق المسلمين فأماطه عنه***][١٤٤] وقال: [***من زحزح عن طريق المسلمين شيئاً يؤذيهم كتب الله له به حسنة، ومن كتب له عنده حسنة أدخله الله بها الجنة***][١٤٥].

وينبغي أن نعلم أن ضمير المسلم كما يتشكل بعقيدته يجعل سلوك المسلم نابعاً من إيحاءاته الداخلية وليس خوفاً من سلطة إنسانية خارجية، ولذلك فإن المسلم يتبنى أخلاقيات ويدعو إليها دونما حاجة إلى تشريع أو تقنين أو ضغط خارجي، ولذلك فإنه من الضروري أن يتعلم الناس كيف يربون ضمائرهم في ظل العقيدة الإسلامية(١٥٩).

وأضيف أن العقيدة الإسلامية تتحول إلى سلوك عند المؤمن، ثم تصير تقليداً عند الجيل الجديد، ولا يصير التقليد عقيدة عنده إلا إذا ارتبطت صور السلوك بالنصوص من مصادرها بالتربية والتعليم وإلا بقيت تقاليد وعادات يرى الجيل الجديد أن من حقه أن يتحرر منها ومن الالتزام بها. وهذا يبين أهمية التربية المستدامة لتحقيق التنمية المستدامة.

وهنا نحاول أن نرى مجموعة من سلوكيات الإنسان المسلم في الحياة -إضافة إلى ما سبق بيانه في الحديث عن بقية عناصر البيئة- فيما له تعلق بالتربية البيئية. ونقسم الكلام فيها إلى أقسام:

(١) التربية البيئية في عقيدة المسلم.

(٢) التربية البيئية في عبادة المسلم.

(٣) التربية البيئية في علاقة المسلم بأخيه المسلم.

(٤) التربية البيئية في علاقة المسلم بغير المسلمين.

(٥) التربية البيئية في علاقة المسلم بعناصر البيئة الطبيعية.

ولا بد من الإشارة إلى أن التربية البيئية بحاجة إلى تعليم ومناهج تركز على أن هذا السلوك هو عبادة يؤجر الإنسان عليها، ويعاقب على تركها أو إهمالها أو العمل بضدها حتى تؤدي دورها في التنمية المستدامة.

١) التربية البيئية في عقيدة المسلم

بنيت عقيدة المسلم على ما يلي:

كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفاً فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ {٤٨}﴾(١٥٣).

٥) **وسيلة لحركة السفن وحركة أمواج البحار.**

قال الله تعالى: **﴿حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا جَاءتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ﴾**(١٥٤).

٦) **وسيلة لنقل المشمومات.**

قال الله تعالى عن يعقوب عليه السلام: **﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلاَ أَن تُفَنِّدُونِ {٩٤}﴾**(١٥٥).

٧) **وسيلة للطيران.**

قال الله تعالى: **﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ {١٩}﴾**(١٥٦).

٨) **وسيلة للنصر والهزيمة.**

قال الله تعالى عن غزوة الأحزاب: **﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً {٩}﴾**(١٥٧).

٩) **وسيلة للإهلاك والتدمير.**

قال تعالى عن عاد: **﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ {٥} وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ {٦} سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوماً فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ {٧} فَهَلْ تَرَى لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ {٨}﴾**(١٥٨).

التربية البيئية والتنمية البيئية

يقول أ.د./ كمال الدين البتانوني بحق: الفلسفة البيئية من منظور إسلامي لها وضع خاص، فإن روح العقيدة الإسلامية تمثل قيماً لأخلاقيات البيئة وفلسفتها.

الحرام أجابه ربه أن خيره ورزقه يكون لكل من خلق ولو كان كافراً: ﴿**وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَـَذَا بَلَداً آمِناً وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ** {١٢٦}﴾[١٦٥] ولقد بقيت معابد غير أهل الكتاب في غير الجزيرة العربية وبقي أهلها يمارسون طقوسهم دون إجبار لهم على اعتناق الدين الإسلامي أو إجبار على إزالة معابدهم.

(هـ) مسئولية الإنسان عن الجيل الحالي والجيل اللاحق في تحقيق المعاني الإيمانية: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ** {٦}﴾[١٦٦]، والنتيجة ما يقوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ** {٢١}﴾[١٦٧].

٢) التربية البيئية في عبادة المسلم

عبادة المسلم تتناول الجوارح والجسد والمال، وقد بنيت على ما يلي:

(أ) أن تكون خالصة لله رب العالمين، قال الله تعالى: ﴿**وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء**﴾[١٦٨]، وقال لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿**قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصاً لَّهُ الدِّينَ** {١١} **وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ** {١٢}﴾[١٦٩]، وقال رسول الله صلى عليه وسلم: [***إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى***][١٧٠]، وهذا نوع من الطهارة النفسية.

(ب) الطهارة الجسدية الحسية والمعنوية الشاملة للنظافة من النجاسات عند الاستعداد لأداء بعض العبادات كالصلاة والطواف بالبيت الحرام، على سبيل الوجوب أو الندب.

(أ) الإيمان بربوبية الله تعالى، فلا رب سواه، وهو الموجه الأول للإنسان، ويسير الإنسان وفق أوامره ونواهيه وإرشاداته، وهذا الاعتقاد يوحد المرجعية عند الاختلاف قال الله تعالى: ﴿**يأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً {٥٩}**﴾[١٦٠].

وربوبية الله تعالى لا تقتصر على الإنسان بل هو رب العالمين حيثُ يقول سبحانه: ﴿**فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ {٣٦} وَلَهُ الْكِبْرِيَاء فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ {٣٧}**﴾[١٦١]، وبهذا يصير التناسق في حياة الإنسان لوحدانية المرجعية.

(ب) الإيمان بألوهية الله تعالى، فلا معبود سواه، ولا خضوع على وجه الحقيقة والكمال إلا له سبحانه وتعالى، والكل خاضع له أياً كان موقعه في الحياة رئيساً أو مرءوساً، حاكماً أو محكوماً، رَبَّ عمل أو عاملاً، أباً أو أبناً، سيداً أو مسوداً، وهذا يتيح التحرر من العبودية لغير الله.

(ج) الإيمان بجميع الديانات السماوية التي أنزلها الله تعالى وبجميع أنبيائها ومرسليها كجزء من العقيدة الإسلامية: ﴿**آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ**﴾[١٦٢]، وهذا يتيح لجميع أصحاب الديانات احتراماً له لدى المسلم وفي بلاد المسلمين. ولقد وجد أتباع الديانات الأخرى في الدول الإسلامية احتراماً ورعاية لشئونهم لم يشهدوه تحت أي حكم.

(د) الإيمان بأن لا إكراه لأحد في اتباع الدين الإسلامي أو الإيمان به، قال الله تعالى: ﴿**وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ**﴾[١٦٣]، وقال تعالى: ﴿**لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ**﴾[١٦٤]، ولما سأل إبراهيم عليه السلام ربه أن يفيض الخير على من آمن من ذريته من سكنة البيت

(ب) وجوب الإصلاح بين المتخاصمين من المسلمين، قال الله تعالى: **﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ﴾**(١٧٤).

(ج) تحقيق التآلف بين قلوب المسلمين، قال الله تعالى: **﴿وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً﴾**(١٧٥)، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [***حق المسلم على المسلم ست، قيل: ما هن يا رسول الله؟ قال: إذا لقيته فسلم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصح له، وإذا عطس فحمد الله فشمته، وإذا مرض فعده، وإذا مات فاتبعه***] (١٧٦).

(د) الانضباط الاجتماعي في السلوك؛ لاستدامة الخير ومكافحة الشر، وهو المسمى بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال الله تعالى: **﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ﴾**(١٧٧).

(هـ) الدعوة إلى الخير وكل ما هو صالح للإنسان فرداً أو جماعة، قال الله تعالى: **﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾**(١٧٨).

(و) اتخاذ الشورى وسيلة وأسلوباً للإدارة في نطاق الأسرة أو المؤسسة أو الدولة، قال تعالى: **﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾**(١٧٩)، وجعل سبحانه وتعالى الشورى من أسباب استحقاق ثواب الآخرة حيث يقول سبحانه: **﴿فَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ {٣٦} وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ {٣٧} وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ {٣٨}﴾**(١٨٠)، وأمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بالاستمرار في استخدام الشورى مهما كانت النتائج حيث قال الله تعالى له بعد هزيمة يوم أحد: **﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ**

(ج) تحقيق التواصل الاجتماعي بين المسلمين من خلال الصلوات الجامعة والحج.

(د) تحقيق التكافل الاجتماعي بين المسلمين من خلال الزكوات المفروضة على الفقراء والمساكين.

(هـ) تحقيق التكافل الإنساني بين المسلمين وغيرهم من خلال الصدقات المتطوع بها.

(و) تحقيق التضامن الاجتماعي بين المسلمين بأداء ديون الغارمين لحاجة مشروعة وتحرير الأرقاء، ومساعدة أبناء السبيل لما يوصلهم إلى بلدانهم.

(ز) تحقيق الوحدة الإسلامية من خلال الاجتماع في الحج.

(ح) لا تفاضل بين المسلمين بعضهم على بعض إلا بالتقوى، والتقوى أمر قلبي لا يعرفه أحد إلا الله تعالى فلا يستطيع أحد أن يزكي نفسه ولا يجوز له ذلك، قال تعالى: ﴿**هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى {٣٢}**﴾[١٧١].

(ط) السيطرة على متطلبات الجسد والنفس ولو كانت مباحة عن طريق الصيام.

(ي) هذا فضلاً عن تعاليم الإسلام لتقليم الأظفار والختان وقص الشارب وحلق شعر العانة ونتف الإبط وتخليل أصابع اليدين والرجلين عند الوضوء وغسل اليدين قبل الأكل وبعده واستخدام السواك والاهتمام بنظافة شعر الرأس والغسل ليوم الجمعة والأعياد وللجنابة والحيض والنفاس وعند تغير رائحة الجسد، ونظافة البيوت والطرقات ومكافحة الطواعين والعلاج من الأمراض والحذر من استعمال آنية الحيوانات الأليفة وغير ذلك[١٧٢].

٣) التربية البيئية في علاقة المسلم بأخيه المسلم

بنيتُ هذه العلاقة على ما يلي:

(أ) الأخوة الإيمانية الجامعة لجميع المسلمين، قال الله تعالى: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ**﴾[١٧٣].

عليه وسلم أن يوفي لهم بعهدهم وأن يقاتل من ورائهم وألا يكلفوا فوق طاقتهم](١٨٨).

(ج) البر بهم والقسط لهم، قال الله تعالى: **﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ {٨}﴾**(١٨٩).

(د) لا تجوز موالاة الذين يقاتلون المسلمين لدينهم أو يخرجونهم من ديارهم أو الذين يعاونونهم على ذلك، قال الله تعالى: **﴿إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ {٩}﴾**(١٩٠).

(هـ) تحقيق التعارف بين شعوب العالم، قال الله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ {١٣}﴾**(١٩١).

(و) الإصلاح بين الناس فيما يختلفون فيه قال الله تعالى: **﴿وَلاَ تَجْعَلُواْ اللّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَانِكُمْ أَن تَبَرُّواْ وَتَتَّقُواْ وَتُصْلِحُواْ بَيْنَ النَّاسِ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ {٢٢٤}﴾**(١٩٢).

(ز) الكرامة لكل إنسان كائناً من كان، قال الله تعالى: **﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾**(١٩٣)، ولقد أعلنها عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما شكا إليه القبطي ابن واليه عمرو بن العاص: متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً.

(٥) التربية البيئية في علاقة المسلم بعناصر البيئة الطبيعية

تبنى هذه العلاقة على ما يلي:

(أ) التخطيط للمشروعات لما فيه مصلحة جميع الشعوب بما فيهم الشعب القادر على التخطيط. وفي قصة يوسف عليه السلام مع ملك مصر في تأويل رؤياه وتوليه رئاسة الخزانة لتنفيذ خطة إنقاذ مصر من القحط المتوقع مثال لهذا

لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ {١٥٩}﴾[١٨١].

(ز) العفو عن المخطئ عند القدرة، قال الله تعالى: ﴿**وَأَن تَعْفُواْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى**﴾[١٨٢]، وقال: ﴿**وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ {١٤}**﴾[١٨٣] وذكر من صفات من يستحق جنة عرضها السموات والأرض: ﴿**الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ {١٣٤}**﴾[١٨٤].

(ح) تدور الحياة في الإسلام أحكاماً وسلوكاً على أمور كلية خمسة وهي: المحافظة على الدين، والمحافظة على العقل، والمحافظة على المال، والمحافظة على النفس والمحافظة على العرض والنسب.

(٤) التربية البيئية في علاقة المسلم بغير المسلمين

تبنى هذه العلاقة على ما يلي:

(أ) وحدة الأصل الإنساني لجميع البشر، قال الله تعالى: ﴿**يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء**﴾[١٨٥].

(ب) تحقيق العدل لهم في جميع معاملاتهم ما داموا قد استظلوا برعاية الدولة الإسلامية، قال الله تعالى: ﴿**وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى**﴾[١٨٦]، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [***ذمة المسلمين واحدة فمن أخفر مسلماً (نقض عهده) فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل منه صرف ولا عدل***] [١٨٧]، ومن وصية عمر بن الخطاب رضي الله عنه لمن بعده ممن يعيش في بلاد المسلمين من غيرهم أو من كان بينهم وبين المسلمين عهد أو صلح: [***وأوصيه بذمة الله وذمة رسوله صلى الله***

المبادئ التشريعية لحماية البيئة

الأصل في حياة المسلم الانضباط الذاتي:

(أ) لأن من أسس العقيدة الإسلامية أن الله هو الذي سيحاسب الناس على أعمالهم وهو: **﴿لاَ يَخْفَىَ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء {٥}﴾**[٢٠٢]، **﴿قُلْ إِن تُخْفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ {٢٩}﴾**[٢٠٣].

(ب) وقانون الحساب يوم القيامة: **﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ {٧} وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ {٨}﴾**[٢٠٤].

(ج) من أساء إلى غيره لا بد أن يجازى على إساءته في الآخرة إن لم يؤخذ منه الحق في الدنيا، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [***أتدرون ما المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال: المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا، فيعطي هذا من حسناته وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار***][٢٠٥].

(د) ولا يمكن حماية البيئة للأجيال الحاضرة وحفظ حق الأجيال القادمة فيها [**البيئة المستدامة**] ما لم تركز المناهج التربوية والوسائل الإعلامية والمنابر الوعظية والثقافية والقوانين التشريعية على قضايا البيئة وتربطها بالجانب العقدي الديني.

وعبء حماية البيئة مشترك بين الأفراد والمؤسسات والدولة. وقد أصبح التشريع أمراً لازماً لحياة الأفراد والأهم لتنظيم شئون حياتهم وحماية المصالح العامة والمصالح الخاصة من غير أن تطغى إحداهما على الأخرى.

وفي مجال حماية البيئة يراعى في التشريع المبادئ الآتية[٢٠٦]:

التخطيط حيثُ يقول الله تعالى حكاية قول يوسف عليه السلام: ﴿**قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَباً فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تَأْكُلُونَ {٤٧} ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تُحْصِنُونَ {٤٨} ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ {٤٩}**﴾[١٩٤] وكان تخطيطه عليه السلام لمصلحة شعب مصر وما جاورها من بلاد الله، ولذلك جاء أهل فلسطين يستعينون بمخزون مصر من الحبوب لسد حاجتهم ومنهم إخوة يوسف عليه السلام.

(ب) المسئولية أمام الله تعالى عما يكون في حوزة الإنسان: ﴿**ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ {٨}**﴾[١٩٥] وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [***لا تزول قدم ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يسأل عن خمس، عن عمره فيم أفناه، وعن شبابه فيم أبلاه، وماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وماذا عمل فيما علم***][١٩٦].

(ج) الإصلاح في استعمال الموارد الطبيعية لتؤدي إلى عمارة الأرض، قال تعالى: ﴿**وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا**﴾[١٩٧]، وقال: ﴿**وَاللّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ**﴾[١٩٨]، وقال: ﴿**وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ {١١٧}**﴾[١٩٩]، وقال حكاية نصيحة قوم قارون له: ﴿**إِن تُرِيدُ إِلَّا أَن تَكُونَ جَبَّاراً فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ {١٩}**﴾[٢٠٠].

(د) منافع الأرض ليست خاصة بمن وجدت في أرضه بل هي عامة لجميع البشر يستفيد منها من وجدت عنده، ويفيض بالباقي على من هم بحاجة إليها من البشر بالتبادل أو الشراء أو الهبة والعطية، قال الله تعالى: ﴿**وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ {١٠} فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ {١١} وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ {١٢}**﴾[٢٠١].

(ط) تقدم المصالح الضرورية التي لا غنى عنها للبقاء على المصالح الحاجية التي في وجودها رفع الحرج والمشقة، وتقدم المصالح الحاجية على المصالح التحسينية التكميلية عند تعارض هذه المصالح؛ تقديماً للأهم على المهم.

(ي) تراعى مصالح الضعفاء وتتم حمايتها عند عدم قدرتهم على تحصيلها والدفاع عنها أو لعدم وجود ما يقوم بهم عند انعدامها؛ عملاً بقاعدة [***مصالح الفقراء أولى من مصالح الأغنياء***] وقاعدة [***دفع المفاسد عن الفقراء أولى من دفع المفاسد عن الأغنياء***][٢٠٨].

(ك) عندما يجلب تحقيق المصالح مفاسد أشد منها أو مماثلة لها فإن عدم تحقيق المصالح مقدم على تحقيقها؛ عملاً بالقاعدة الشرعية [درء المفاسد مقدم على جلب المصالح] ولأن درء المفسدة فيه مصلحة أيضاً.

(ل) تقام المؤسسات والهيئات والجمعيات والجماعات التي تعمل على حماية البيئة، وكان ولاية الحسبة في النظام الإسلامي تؤدي دوراً في حماية البيئة؛ انطلاقاً من واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وحماية الناس من الفساد والغش والتلاعب ونحوها.

(م) تفرض على الملوثين للبيئة استخدام ما يقلل من هذا التلوث، أو ينهيه على حسابهم؛ عملاً بقاعدة [***الغرم بالغنم***] وقاعدة [***لا ضرر ولا ضرار***]

(ن) يشجع الأفراد على إحياء الأراضي المواتِ بالحرث والاستصلاح والتعمير النافع بتمليكها لهم بعد إحيائها أو بإعطائهم الحق في الانتفاع بالأراضي لأزمنة طويلة أو غير ذلك من الوسائل المشجعة على الإحياء.

(أ) أن الله تعالى هو المالك الحقيقي للأرض وما عليها، وملكية الأفراد أو ملكية الدولة للموارد وعناصر البيئة ملكية تمكين واختصاص وانتفاع.

(ب) يتدخل ولي الأمر لتنظيم استعمال الحقوق العامة والخاصة بحيث لا يطغى بعضها على بعض في حدود ما يحقق المقاصد العامة للشريعة الإسلامية عملاً بالقاعدة الشرعية [**تصرف الإمام على الرعية منوط بالمصلحة**]

(ج) لا يجوز استعمال الموارد الطبيعية وعناصر البيئة استعمالاً ينفي أداء المنفعة التي خلقت من أجلها أو يستهلكها استهلاكاً يقضي عليها، وإلا كان ذلك من التعسف في استعمال الحق.

(د) لا يجوز استعمال الموارد الطبيعية وعناصر البيئة وغيرها من المنشآت استعمالاً يوقع الضرر على الآخرين أو على البيئة أو على النفس عملاً بقاعدة [***لا ضرر ولا ضرار***] وبالنهي الإلهي: ﴿**وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ**﴾[٢٠٧].

(هـ) هناك حقوق مشتركة بين الجميع لا يجوز حجرها لغير المنفعة العامة كالماء والكلأ والنار ومصادر الطاقة والغابات والحيوانات البرية والأسماك والأراضي العامة والهواء؛ لأنه لا غنى للناس عنها لضروريات حياتهم أو حاجاتهم.

(و) يتحمل من أوقع الضرر بغيره أو بالبيئة نتائج عمله وعليه إصلاح ما أفسد أو دفع تعويض مجز عما أفسد؛ عملاً بقاعدة [**الخراج بالضمان**] وقاعدة [**الضرر يزال**] وقاعدة [**المباشر ضامن وإن لم يتعمد**]

(ز) تقديم المصالح العامة على المصالح الخاصة عند تعارض المصلحتين عملاً بالقاعدة الشرعية [***يتحمل الضرر الخاص لدفع ضرر عام***] وقاعدة [***إذا تعارضت مفسدتان روعي أعظمهما ضرراً بارتكاب أخفهما***]

(ح) تقدم المصالح الحقيقية الواقعية القطعية على المصالح المتوقعة المشكوك فيها أو الظنية؛ لأن العبرة بالظاهر.

٢٧ سورة فصلت: ١٠

٢٨ تفسير التحرير والتنوير: ٢٤٤/٢٤

٢٩ سورة القمر: ٤٩

٣٠ سورة الرعد: ٨

٣١ سورة المؤمنون: ١٨

٣٢ سورة الحجر: ١٩-٢١

٣٣ سورة المائدة: ٣٢

٣٤ سورة البقرة: ١٧٩

٣٥ سورة البقرة: ١٩٥

٣٦ سورة البقرة: ٢٠٤-٢٠٦

٣٧ سورة هود: ٦١

٣٨ تفسير التحرير والتنوير: ١٠٨/١٢

٣٩ سورة الأعراف: ٥٦ و ٨٥

٤٠ سورة الرعد: ٢٥

٤١ سورة الإسراء: ٤

٤٢ سورة محمد: ٢٢-٢٣

٤٣ سورة الروم: ٤١

٤٤ سورة النساء: ٧٩

٤٥ سورة هود: ١١٧

٤٦ سورة النحل: ٩٠

٤٧ سورة القصص: ٧٧

٤٨ سورة الحجرات: ٩

٤٩ سورة المائدة: ٨

٥٠ شرح القواعد الفقهية [التقديم]: ٥م.

٥١ أشار أ.د./ كمال الدين البتانوني إلى بعض هذه القواعد في بحثه عن الفلسفة البيئية وأخلاقيات البيئة من منظور إسلامي: ٣٦٥-٣٦٧

٥٢ انظر كتاب شرح القواعد الفقهية، وكتاب القواعد الفقهية

٥٣ رواه البخاري، كتاب الرقاق، ح٥٩٥٦

الحواشي:

١ لسان العرب (بوأ)، والمنجد (بوأ)، والمعجم العربي الأساسي (ب و ء)
٢ سورة العنكبوت: (٥٨)
٣ الجمهور والبيئة: ١
٤ التلوث ومشكلة العصر: ٩
٥ البيئة من منظور إسلامي: ٢١
٦ اللوحة من إعداد الباحث
٧ التلوث: ٩-١١، المدخل إلى العلوم البيئية: ٣٣-٣٦
٨ من كتاب المدخل إلى العلوم البيئية: ٤٨
٩ سورة القمر: ٤٩
١٠ التلوث مشكلة العصر: ٩
١١ المدخل:٣٦-٣٧
١٢ التلوث: ٩
١٣ انظر كتب: التلوث، إنقاذ كوكبنا، ملوثات البيئة، ومقال الفلسفة البيئية وأخلاقيات البيئة
١٤ انظر جذور الحركة البيئية في الجمهور والبيئة: ٣-٦
١٥ نشرة الأمم المتحدة والبيئة : ٥
١٦ نشرة الأمم المتحدة والبيئة : ٨
١٧ نشرة الأمم المتحدة والبيئة: ٩
١٨ انظر حماية البيئة: ١-٤، البيئة من منظور إسلامي: ٢١-٢٧، الفلسفة البيئية: ٣٦٣
١٩ سورة فصلت: ٩-١٢
٢٠ لسان العرب [خلق] ٨٥/١٠
٢١ سورة إبراهيم: ٣٢-٣٤
٢٢ لسان العرب [سخر] ٣٥٣/٤
٢٣ سورة البقرة: ٣٠
٢٤ هذا أحد رأيين يذكرهما الرازي في تفسيره: ١٦٥/٢
٢٥ سورة فصلت: ١٠
٢٦ تفسير المراغي: ١١١/٢٤

٨٢ سورة الحشر: ٧
٨٣ رواه أبو داود، كتاب الطهارة، ح٢٣
٨٤ سورة المائدة: ٦
٨٥ رواه الترمذي، كتاب الأدب، ح٢٧٢٣
٨٦ سورة الزمر: ٢١
٨٧ سورة الأنعام: ٩٩
٨٨ سورة القمر: ٢٨
٨٩ رواه أبو داود، كتاب البيوع، ح٣٠١٦، ورواه ابن ماجة، كتاب الأحكام، ح٢٤٦٣
٩٠ رواه البخاري، كتاب المساقاة، ح٢١٨٣
٩١ رواه أحمد، ح٢١٧١٤
٩٢ سورة نوح: ١٠-١٢
٩٣ سورة الملك: ٣٠
٩٤ سورة الواقعة: ٦٨-٧٠
٩٥ تفسير الفخر الرازي: ٢٩/١٨٤
٩٦ رواه أبو داود، كتاب الطهارة، ح٢٤، وابن ماجة، كتاب الطهارة، ح٣٢٣
٩٧ رواه البخاري، كتاب الوضوء، ح٢٣٢
٩٨ رواه ابن ماجة، كتاب طهارة وسننها، ح٤١٩، ورواه أحمد، ح٦٧٦٨
٩٩ المد ربع صاع
١٠٠ رواه البخاري، كتاب الوضوء، ح١٩٤، ورواه مسلم، كتاب الحيض، ٤٩٠
١٠١ سورة الدخان: ٣٨-٣٩
١٠٢ سورة النحل: ٥-٨
١٠٣ رواه البخاري، كتاب الجهاد والسير، ح٢٧٩٦ ورواه مسلم، كتاب السلام، ح٤١٥٧
١٠٤ رواه البخاري، كتاب بدء الخلـــق، ح٣٠٧٢ ورواه مسلم، كتاب السلام، ح٤١٥٨
١٠٥ رواه البخاري، كتاب المساقاة، ح٢١٩١، ٢١٩٢
١٠٦ رواه البخاري، كتاب الوضوء، ح١٦٨
١٠٧ رواه النسائي، كتاب الضحايا، ح٤٣٦٩
١٠٨ رواه النسائي، كتاب الضحايا، ح٤٣٧٠
١٠٩ رواه أبو داود، كتاب الأدب، ح٤٥٨٣

٥٤ سورة الذاريات: ٥٦-٥٨
٥٥ سورة النحل: ٩٧
٥٦ سورة العصر: ١-٣
٥٧ سورة إبراهيم: ٣٤
٥٨ سورة هود: ٩-١١
٥٩ سورة الزمر: ٤٩
٦٠ سورة يونس: ٢٢-٢٣
٦١ سورة الأنبياء: ٣٧
٦٢ سورة الإسراء: ١١
٦٣ سورة النساء: ٢٧-٢٨
٦٤ سورة الإسراء: ١٠٠
٦٥ سورة المعارج: ١٩-٣٥
٦٦ سورة الكهف: ٥٤
٦٧ سورة العلق: ٦-٨
٦٨ انظر من أجل وعي بيئي خليجي: ١٢٩-١٣٠
٦٩ سورة الفرقان: ٦٧
٧٠ سورة الإسراء: ٢٩
٧١ سورة الأعراف: ٣١-٣٢
٧٢ سورة النبأ: ٩-١١
٧٣ سورة التوبة: ١٠٥
٧٤ سورة الجمعة: ٩-١٠
٧٥ رواه البخاري، كتاب الصوم، ح١٨٣٩، ورواه أحمد، ح٦٥٧١
٧٦ سورة المعارج: ٢٤-٢٥
٧٧ سورة الذاريات: ١٩
٧٨ سورة الإسراء: ٢٦
٧٩ سورة النور: ٢٢
٨٠ سورة الحشر: ٧
٨١ سورة الحشر: ٨-١٠

١٣٨ رواه البخاري، كتاب بدء الخلق، ح٢٩٥٩
١٣٩ رواه البخاري، كتاب المساقاة، ح٢١٩٧
١٤٠ رواه البخاري، كتاب الجهاد والسير، ح٢٨٣١
١٤١ رواه مسلم، كتاب الحج، ح٢٤٣٦
١٤٢ رواه البخاري، كتاب الإيمان، ح٤٦
١٤٣ رواه مسلم، كتاب البر، ح٤٧٤٧
١٤٤ رواه أحمد، ح٨٨٧٨
١٤٥ رواه أحمد، ح٢٦٢٠٧
١٤٦ سورة لقمان: ١٩
١٤٧ سورة الأعراف: ٥٥
١٤٨ سورة الإسراء: ١١٠
١٤٩ انظر دور الإسلام في حماية البيئة الصحراوية: ٩٣-١٠٤، حماية البيئة في الإسلام: ٨-٩
١٥٠ سورة البقرة: ١٦٤
١٥١ سورة الأعراف: ٥٧
١٥٢ سورة الحجر: ٢٢
١٥٣ سورة الروم: ٤٨
١٥٤ سورة يونس: ٢٢
١٥٥ سورة يوسف: ٩٤
١٥٦ سورة الملك: ١٩
١٥٧ سورة الأحزاب: ٩
١٥٨ سورة الحاقة: ٦-٨
١٥٩ الفلسفة البيئية: ٣٦١
١٦٠ سورة النساء: ٥٩
١٦١ سورة الجاثية: ٣٦-٣٧
١٦٢ سورة البقرة: ٢٨٥
١٦٣ سورة الكهف: ٢٩
١٦٤ سورة البقرة: ٢٥٦
١٦٥ سورة البقرة: ١٢٦

١١٠ في رواية ابن ماجة، ح٣٢١٤
١١١ رواه مسلم، كتاب الحج، ح٢٠٦٩، والحديا: الحدأة
١١٢ سورة المائدة: ١
١١٣ سورة المائدة: ٣
١١٤ سورة المائدة: ٩٦
١١٥ سورة النساء: ١١٩، والبتك: القطع
١١٦ رواهما مسلم، كتاب الصيد والذبائح، ح٣٦١٧، ٣٦١٩
١١٧ سورة الأعراف: ١٣٣
١١٨ سورة الأعراف: ١٦٣
١١٩ سورة الأنفال: ٦٠
١٢٠ سورة هود: ٦
١٢١ رواه ابن ماجة، كتاب الفتن، ح٤٠٠٩
١٢٢ سورة الأنعام: ٩٥
١٢٣ سورة الواقعة: ٦٣-٦٥
١٢٤ سورة عبس: ٢٤-٣٢
١٢٥ سورة الشعراء: ٧-٩
١٢٦ سورة الرعد: ٤
١٢٧ سورة الشعراء: ١٤٦-١٤٨
١٢٨ سورة الصافات: ١٤٥-١٤٦ واليقطين: القرع
١٢٩ رواه أحمد، ح١٢٥١٢
١٣٠ رواه البخاري، كتاب المزارعة، ح٢١٥٢
١٣١ أن ينقص حقه فيه
١٣٢ رواه مسلم، كتاب المساقاة، ح٢٩٠٠
١٣٣ سورة الأنعام: ١٤١
١٣٤ رواه أحمد، ح١٥٠٦٣
١٣٥ رواه أبوداود، كتاب الخراج، ح٢٦٧١
١٣٦ رواه أحمد، ح١٤٣٨٣
١٣٧ رواه أحمد، ح٢٣٧٣٧

١٩٤ سورة يوسف: ٤٧-٤٩

١٩٥ سورة التكاثر: ٨

١٩٦ رواه الترمذي، كتاب صفة يوم القيامة، ح٢٣٤٠

١٩٧ سورة الأعراف: ٨٥

١٩٨ سورة البقرة: ٢٢٠

١٩٩ سورة هود: ١١٧

٢٠٠ سورة القصص: ١٩

٢٠١ سورة الرحمن: ١٠-١٢

٢٠٢ سورة آل عمران: ٥

٢٠٣ سورة آل عمران: ٢٩

٢٠٤ سورة الزلزلة: ٧-٨

٢٠٥ رواه مسلم، كتاب البر والصلة، ح٤٦٧٨، والترمذي، كتاب صفة القيامة والرقاق والورع، ح٢٣٤٢ وأحمد، كتاب باقي مسند المكثرين، ح٧٦٨٦

٢٠٦ ينظر حماية البيئة في الإسلام: ١٩-٢٩

٢٠٧ سورة البقرة: ١٩٥

٢٠٨ نقل مؤلفو كتاب حماية البيئة في الإسلام القاعدتين عن كتاب عز الدين بن عبد السلام [قواعد الأحكام في مصالح الأنام]

المراجع:

(١) القرآن الكريم.

(٢) الإسلام والبيئة (٢) الحياة الحيوانية، د/ مصطفى محمود حلمي مجلس حماية البيئة، الكويت، ١٤٠٩هـ.

(٣) الإسلام والخضرة البيئية، د/ مصطفى محمود حلمي، مجلس حماية البيئة، الكويت، ١٤٠٧هـ.

(٤) إنقاذ كوكبنا: التحديات والآمال (حالة البيئة في العالم ١٩٧٢-١٩٩٢)، مصطفى كمال طلبة، مركز دراسات الوحدة العربية وبرنامج الأمم المتحدة للبيئة، بيروت، كانون الأول (ديسمبر) ١٩٩٢م.

١٦٦ سورة التحريم: ٦
١٦٧ سورة الطور: ٢١
١٦٨ سورة البينة: ٥
١٦٩ سورة الزمر: ١١-١٢
١٧٠ رواه البخاري، كتاب بدء الوحي، ح١ ومسلم، كتاب الإمارة، ح٣٥٣٠
١٧١ سورة النجم: ٣٢
١٧٢ المنهج الإسلامي لعلاج تلوث البيئة: ١٠١-١٠٩
١٧٣ سورة الحجرات: ١٠
١٧٤ سورة الحجرات: ٩
١٧٥ سورة آل عمران: ١٠٣
١٧٦ رواه مسلم، كتاب السلام، ح٤٠٢٣
١٧٧ سورة آل عمران: ١١٠
١٧٨ سورة آل عمران: ١٠٤
١٧٩ سورة البقرة: ٢٣٣
١٨٠ سورة الشورى: ٣٦-٣٨
١٨١ سورة آل عمران: ١٥٩
١٨٢ سورة البقرة: ٢٣٧
١٨٣ سورة التغابن: ١٤
١٨٤ سورة آل عمران: ١٣٤
١٨٥ سورة النساء: ١
١٨٦ سورة المائدة: ٨
١٨٧ رواه البخاري، كتاب الحج، ح١٧٣٧
١٨٨ رواه البخاري، كتاب الجنائز، ح١٣٠٥
١٨٩ سورة المتحنة: ٨
١٩٠ سورة المتحنة: ٩
١٩١ سورة الحجرات: ١٣
١٩٢ سورة البقرة: ٢٢٤
١٩٣ سورة الإسراء: ٧٠

(١٩) الفلسفة البيئية وأخلاقيات البيئة من منظور إسلامي، ا.د/ كمال الدين البتاتوني، المؤتمر الدولي الأول للفلسفة الإسلامية (الفلسفة الإسلامية والتحديات المعاصرة) ٢٠-٢٢ أبريل ١٩٩٦م، جامعة القاهرة، كلية دار العلوم، قسم الفلسفة الإسلامية.

(٢٠) لسان العرب، جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، ١٥ج، دار صادر، بيروت.

(٢١) المدخل إلى العلوم البيئية، د/ سامح غرايبة و د/ يحيى الفرحان، دار الشروق للنشر والتوزيع، الأردن.

(٢٢) مسند الإمام أحمد، (حسب القرص المدمج لشركة حرف لبرنامج: موسوعة الحديث الشريف، الإصدار الثاني، ١ و ٢).

(٢٣) المعجم العربي الأساسي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

(٢٤) ملوثات البيئة: أضرارها، مصادرها، وطرق مكافحتها، د/ محمد بن إبراهيم الحسن و د/ إبراهيم بن صالح المعتاز، ط. الأولى، مكتبة الخريجي، الرياض، ١٤٠٨هـ = ١٩٨٩م.

(٢٥) من أجل وعي بيئي خليجي، د/ إسماعيل محمد المدني، وزارة الإعلام، البحرين، ١٩٨٩م.

(٢٦) المنجد في اللغة والأعلام.

(٢٧) المنهج الإسلامي لعلاج تلوث البيئة، د/ أحمد عبد الوهاب عبد الجواد، ط. الأولى، سلسلة دائرة المعارف البيئية، الدار العربية للنشر والتوزيع القاهرة، ١٩٩١م.

(٢٨) نشرة الأمم المتحدة والبيئة، الذكرى الخمسون لإنشاء الأمم المتحدة، برنامج الأمم المتحدة للبيئة، المكتب الإقليمي لغرب آسيا - البحرين.

(٥) البيئة من منظور إسلامي، ا.د/ زين الدين عبد المقصود غنيمي، جامعة الكويت ومجلس حماية البيئة، ١٤١٠هـ = ١٩٩٠م.
(٦) تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، ٣٠ج، ط. الأولى، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.
(٧) تفسير الفخر الرازي (التفسير الكبير)، محمد بن عمر القرشي الطبرستاني الرازي، ٣٢ج، ط. الثانية، دار الكتب العلمية - طهران.
(٨) تفسير المراغي، أحمد مصطفى المراغي، ٣٠ج، ط. الثالثة، دار الفكر - بيروت، ١٣٩٤هـ = ١٩٧٤م.
(٩) التلوث مشكلة العصر، د/ أحمد مدحت إسلام، عالم المعرفة ١٥٢، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٤١١هـ = ١٩٩٠م.
(١٠) الجمهور والبيئة، حالة البيئة ١٩٨٨ / برنامج الأمم المتحدة للبيئة.
(١١) حماية البيئة في الإسلام، مصلحة الأرصاد وحماية البيئة (المملكة العربية السعودية) والاتحاد الدولي لصون الطبيعة والموارد الطبيعية (الاتحاد العالمي للصون)، ط. الثانية الموسعة، ١٤١٥هـ = ١٩٩٥م.
(١٢) دور الإسلام في حماية البيئة الصحراوية، بدر حمد أحمد بو رحمة (رسالة ماجستير) كلية العلوم التطبيقية، جامعة الخليج العربي، البحرين، ١٤١٤هـ = ١٩٩٤م.
(١٣) سنن الترمذي، (حسب القرص المدمج لشركة حرف لبرنامج: موسوعة الحديث الشريف، الإصدار الثاني، ١ و ٢).
(١٤) سنن أبي داود، (حسب القرص المدمج لشركة حرف لبرنامج: موسوعة الحديث الشريف، الإصدار الثاني، ١ و ٢).
(١٥) سنن ابن ماجة، (حسب القرص المدمج لشركة حرف لبرنامج: موسوعة الحديث الشريف، الإصدار الثاني، ١ و ٢).
(١٦) شرح القواعد الفقهية، أحمد الزرقاء، ط الأولى، دار الغرب الإسلامي، ١٤٠٣هـ = ١٩٨٦م.
(١٧) صحيح البخاري، (حسب القرص المدمج لشركة حرف لبرنامج: موسوعة الحديث الشريف، الإصدار الثاني، ١ و ٢).
(١٨) صحيح مسلم، (حسب القرص المدمج لشركة حرف لبرنامج: موسوعة الحديث الشريف، الإصدار الثاني، ١ و ٢).

Transformations of the Tunisian Society Marine Environment

Dr. Adel Belkhla

Abstract

Change in contemporary Arab society can be documented and analyzed by looking at beach culture as an emerging cultural phenomenon. The paper looks at Halq Elwed (la Goulette) beach as it was one of the first beaches in Tunisia. Recreational life at this beach went through profound changes. These started with the advent of Western-European style of beach recreation which ultimately led to the destruction of the traditional Tunisian swimming and swimming culture. After independence it underwent once again through the phase of the American-soft-sand-beach-culture. The Axis (The Avenue of Carthage) that was built by the French durinig occupation became later on known as the Avenue of Roosevelt, as representation of the American vision of reconstruction of the Arab World. The withdrawal of the Western-European colony culture represented a sharp demise for the modernist culture and psychology of Halq Elwed. The second impact affecting the destruction of this modernist culture of Helq Elwed came with the departure of the Jews, as a modernist group, from Tunisia.

في تحوّلات ثقافة البيئة البَحْرية بالمجتمع التّونسي

د. عادل بالكحلة *

الملخص

يمكننا أن نرصد التحولات الثقافية الحديثة بالمجتمع العربي في مرآة الشط، تلك الظاهرة الحديثة.

وقد اتخذنا (حلَق الواد) مثالا بوصفه أول شط بالمشهد الثقافي التونسي الحديث.

لقد مر هذا الشط بمرحلة الشط الأوروبي- الغربي الصلب تم فيها القضاء على الخصائص الرئيسة في نحلة العوم والاصطياف الأصيلة ومصالحة بعضها الآخر. وبعد «استقلال» البلاد عن المستعمر الفرنسي انخرط الفضاء ضمن الشط الأمريكي اللين حول محور شارع روزفلت فيزيائيا، وحول منظور «شرق أوسطي» أمريكي. بيد أن انشقاق الجالية الأوروبية- الغربية مثل شرخا عميقا في الهوام الحداثي لحلَق الواد.

وكانت الرضة الثانية المتمثلة في انشقاق أول طائفة حداثية بالبلاد (الطائفة اليهودية) علامة انهيار لوحدة هوام حلَق الواد الحداثي.

*** باحث اجتماعي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس.**

العاصمة، هم السّمّاكون، ومعهم الفئات المتماهية بهم، من الطبقات الدنيا والمتصوفة، فلقد كانت الطبقات العليا تعتبر «العَوْم» وغيره من الرياضات من الممارسات الدونية.

فلقد عدم البحّارة السلف المقدس والثروة، فكان من الضروري اعتمادهم على الجسد قبل كل شيء، لتأكيد الذات ولبناء ثقافة خاصة؛ وأوّل وسيلة لذلك في نظرهم هي السباحة. كما احتفظ المتصوفة والعرفانيون بتراث ضخم، غني، يمجّد البحر والماء ويجعلونهما رمزين رئيسين في حركتهم الاحتجاجية. وقد تمازجت الثقافتان البحّارية والتصوفية وتحالفتا طيلة قرون عديدة وخاصة ضمن الطريقة العيساوية، حتى إعلان نهاية القرصنة سنة ١٨١٦ ثم ظهور الجالية البحّارية الإيطالية.

والعوْم، ككل الرياضات والألعاب التقليدية موسميّ، ضمن سلم تصاعدي يبدأ خريفا برياضات وألعاب أقلّ حراكًا وإشراطات دينية، ليبلغ ذروته صيفا مع «سيدي أوسّو»، وهو وليّ/ زمان كائن بين ٢٤ يوليو و ٤ سبتمبر، كما اقتضى التقليد الأمازيغي العريق[٢]. وقد كان العوْم في النصف الأول من هذه الفترة عادة، أي «طُلُوعْ أوْسّو»، أي مرحلة ارتفاع الحرارة، لا في فترة «رْجُوعْ أوِسُّو» أي مرحلة تراجع الحرارة، لكنّ أوِسّو يسكن بقيّة الحوْل.

فهذا الزمان/الولي الذي يترافق مع ارتفاع درجة الحرارة الحولية، يعني ارتفاع درجة التّمثلن البحّاري-العيساوي ذي الحس العملي، إذ يحاول المحتفلون بأوسّو اختصار جسدهم وتكثيفه للانخراط في العروج الروحي، محاولين إرواء ظمئهم الأنطولوجي المتقادم وردم الهوّة التي فصلتهم عن المقدس قرونا بسبب الثقافة المركزية التمييزية، استنادا إلى الحركة الجسدية والذّكر اللاهث والموسيقى ذات الإيقاع الحاد المنتظم الثابت، والنشوة الفورية، والصلوات المتهدجة، في مقامات الأولياء المنتشرة على السواحل، الذين كانوا مرابطين ومجاهدي بحر. ويوجّه هذا النشاط فرق العيساوية القادمين من جمّال أو صفاقس أو سِيدي عامر أو غيرها. ويترافق ذلك مع العوم العائلي والجماعي. فلقد كان العوم عنصرا من تكاملٍ تربوي

المقدمة :

كتب دافيد لوبروتون قائلاً: «إن الجسد موضوع ملائم بشكل خاص للتحليل الأنثروبولوجي؛ لأنه ينتمي حقا إلى الأرومة التي تحدد هوية الإنسان»[1] فوجود الإنسان هو إلى حدّ كبيرٍ اختيارٌ جسديٌّ داخل فضاءات محدّدة اجتماعيا. من هذه الفضاءات، يَمْثُلُ الفضاء البحري-العَوْمِي، خاصة وهو فضاء يعمره عدد مهم ومتنوع من الناس موسميا.

فهل يمكننا أن نتلمسَ خُطَاطاتٍ لتاريخ الجسد/ والبحر بالبلاد التونسية ؟ وهل يمكن لهذا التاريخ أن يعكس، ولو نسبيا، دينامية المجتمع التونسي الشامل وتكاملاته وتناقضاته؟

في سبيل التأكّد من ذلك، استعملنا مصادر مكتوبة تتمثل في: (كتب تاريخية، وسِيَر ذاتية، ومدوّنة غنائية) تتقاطع مع الموضوع أو تصب فيه، واستخدمنا المقابلات نصف الموجهّة مع شيوخ وكهول وشبان، وإناث وذكور، وذهبنا إلى الميدان العَوْمِي-البحري المعيش راهنا، في بُوغْرَارَة والبلدات المينائيّة بالساحل التونسي، ونابل، وأرخبيل قَرْقَنَة، والمَرْسَى. ثمّ ركّزنا على مثال **حلق الواد والْكَرَمْ**، لأننا اكتشفنا أنه المثال الذي رسم القطيعة الثقافية بين التقليدي والحداثي في ثقافة السباحة البحرية بالبلاد التونسية منذ سنة ١٩٠٨، محاولين تفهّم هذه النقلة واستتباعاتها.

وذلك ضمن الخطة الآتية:

١- خصائص الثقافة العوميّة التونسية الأصيلة.

٢- ميلاد **الشط** في الثفافة السباحية الغربية.

٣- ميلاد **الشط** في الثقافة السباحية التونسية وتحولاتها بحلق الواد والْكَرَمْ.

١- خصائص الثقافة العوميّة التونسية الأصيلة :

كان أكثر الممارسين للعَوْم («الْعُوم») قبل سنة ١٩٠٨، وربّما بعد خارج منطقة

ويبدأ تعليم العوم، بتلقين الطفل طقسية الدخول، وضرورة عدم ممارستها بعد الأكل، ثم يعلّم الاستلقاء على الماء والاطمئنان إليه دون أن يتسرّب إلى الأنف والفم. ثم يعلّم «التَّوْزِيعْ» وهو تحريك اليدين والساقين للتقدم، ثم كيفيات العوم والغطس.

وأهم أساليب السباحة ثلاثة :

أ- السباحة الظهرية: ويعتبرونها أسهل من غيرها؛ ولذلك تلقّن قبل غيرها. وهو أسلوب ذكوري.

ب- السباحة الجانبية : يكون السابح مستلقيا أفقيا على أحد جانبيه، وتكون يداه ممتدّتين إلى الأمام، واحدة بالأسفل تجذب الماء السفلي، وأما اليد العليا فتتنزل من الفضاء لتغرف الماء وتكون أسرع حركة من الأخرى. وأما حركة الساقين، فتكون مِقَصّية، وتمارس الإناث هذا الأسلوب، ولكنه ليس أفقيا عنهن، بل قطري.

ت- السباحة العمومية: تكون اليد اليمنى أسفل الماء يمينا تجذب الماء. واليد الأخرى ممتدة عكس ذلك تجذب الماء أيضا. وتكون الساقان البعيدتان عن القاع مكونتين شكلاً معيّناً، لتنطلق اليمين في اتجاه اليسار في الوقت نفسه، فيتقدم السابح. وهذا الأسلوب يستعمله الجنسان.

ونلاحظ في الأسلوبين الأولين اختيارا متماهيا بحركة السمكة ذات البعد الرمزي المهم في الثقافة البحّارية، فهي عنوان البركة والحظ والابتعاد عن الأرواح الشريرة. أما في الأسلوب الثالث، فنلاحظ اختيارا متماهيا بحركة النوارس التي تعتبر لدى البحارة بشير أسماك أو نذير أنواء فيتّقونها. ونلاحظ هيمنة الأسلوب الجانبي لأنه العملي أثناء اضطرار البحّار إلى النزول إلى البحر أثناء المصائد، إذ يحمل الشبكة باليمين و«يْوَزَّع» (=يُوَزِّع) باليسار؛ ولأنهم يعتبرونه الأسرع؛ إذ السرعة مفيدة للعمل وللخلاص من الأنواء، كما أنه متماهٍ بأسلوبهم في الرقاد؛ إذ يعتبرون البحر مهدهم ودارهم الكونية.

حولّي، لا ينفك عن عناصر متزامنة، خادما أهدافا ثقافية-داخلية محدّدة، ولم يكن منفكا عن مجرى الحياة، أو عن اللباس اليومي، أو عن جسد الثقافة الأهلية.

فبهذا العوم يقتلع المحتفلون داءهم الأنطولوجي وأوجاعهم الثقافية والذُّنُوبِيّة والاجتماعية المتراكمة عبر سيرورتهم التاريخية، مثلما يستشفون في اعتقادهم من أمراض الجلد والعظام والتنفس، فقد كانوا ينادون بخشوع وهم يلتحمون ببحر أُوِسُّو: «يا بْحَرْ أُوِسُّو! نحّي لي الدّا إلّي نْحِسّو!» (انزع عني دائي الذي أحسه!).

السباحة في هذه الثقافة، لا تكون إلا عندما يكون البحر باردا. ويكون ذلك لدى الرجال صباحا، وعند النساء مساء، فقاعدتهم تقول: «عَنْدْ الرْجَالْ: عُومِةْ الصْبَاحْ فْلاَحْ، وْعُومِةْ الْقْوَايِلْ عْلاَيِلْ، وْعُومِةْ الْعْشِيَّة رْزِيَّة»، إذ العوم في الظهيرة يورث العلل الخطيرة ومزعج لراحة الكائنات البحرية آنئذ، ممّا يقلص الثروة السمكية في نظرهم؛ أما عوم الرجال في العشية- وهو زمن مخصص لعوم النساء- فهو نقيصة أخلاقية وتلصصية تتنافى ورجولة البحّار وأمانته، وتتناقض مع تمثلنية موسم أُوِسُّو الدينية.

ودخول البحر، ينبغي أن يكون هادئا وبالبسملة. فالزمان مقدّس (أوسّو)، وكذلك المكان؛ إذ البحر «ظْهَرْ ملك»، فهو ملاك طاهر يملأ الماء ورأسه السماء، وهو الأول في الخلق الإلهي وهو الأخير عند نهاية الكون، وهو «النعمة الهيّنة للفقراء عندما يعدمون كل شيء»، كما يؤكدون في مقابلاتهم. وربّما خصّصت بعض الأماكن من الشطوط عائليا؛ نظرا لأنّ مزارعها العريضة كانت أمامها، وربما كان بعضها مستعملا أكثر من غيرها؛ لأنها أكثر عمقا ضمن بحيرة شاطئية. ولكن في أكثر الأحيان، يكون مجال العوم حول مقام ولي، أو غير بعيد عنه إذا كان عائليّا. ففي نابل، بالشمال الشرقي، مثلا، تعوم النساء عشية أو بُعيد الفجر عند «سِيدِي سْلِيمَانْ»، بعد زيارته، أما الرجال فيعومون عند «سِيدِي المَحْرْسِي» البعيد عن المقام الآخر قرابة ٢ من الكيلومترات.

٢- ابتكار الشط:

طيلة قرون، اعتُبر البحرُ لدى الأوروبيين-الغربيين[٤] «الوعاء السحيق لبقايا الطوفان»، موضوعا للنفور ومصدرا للجزع. فالشط الجغرافي، بهذا المخيال، يُطْرِد ويخيف.

ومنذ منتصف القرن الثامن عشر، بدأت نظرة مختلفة -جذريا- عن الطبيعة والجسد في التكون بأوروبا الغربية. وببطء بدأت، تلك النظرة، تتجه نحو الضفة البحرية، وتُحوّل التمثل الاجتماعي عن الأماكن. فقد أصبح البحر معبر العظمة الإمبريالية التي لا تغرب عنها الشمس، باعتبار أن الإنكليز المستعمرين «اليهود الجدد» يَعْبُرون اليَمّ، حسب صريح المِلَّة (=الإيديولوجيا) الاستعمارية البريطانية منذ النشأة[٥].

البداية كانت بإنكلترا. فبعد أن كان البحر لدى الإنكليز مصدر شر ووهن، اتُّخِذَ منظرا طبيعيا في نهاية القرن الثامن عشر. ثم اتخذ مجالا للفضائل العلاجية لدى الاستقراطية، بفضل التجديد في المعرفة الطبية، فأصبح فضاء علاجٍ امتيازي-ارستقراطي. لكنْ مع رفض الشط، إذ بنت هذه الطبقة فنادق على السواحل تتلقى ماء البحر في مغاطس.

ظهرت الطبقة المتوسطة الحضرية بإنكلترا بفضل عائدات التوسع الاستعماري، متميزةً بمدخول معتبر ووقت مخصّص للترفيه، وتساوق ذلك مع تحسن المواصلات وتسهّلها خاصة بظهور سكك الحديد. وضمن هذا السياق ابتكرت هذه الطبقة ثقافة الشط، مدشنة تنقل الجماهير نحو السواحل هاربة من المدن الداخلية، مراكز التحضر والسلطة اتّباعيا منذ قرون، وقد أفرز ذلك تبلور «المدينة الاستحمامية». فالشط هو الذي ولد هذه المدينة، وأصبح من ثمة **تعلّة للاجتماعية** الصيفية، ذات الأشكال الجديدة من الترفيه والتشارك في الأكل والشرب، وأعطى تجمعا سُوقيا ذا مركز محوري على مقربة من البحر[٦]. وبذلك انتقل البحر الأوروبي-الغربي من السّجل العلاجي إلى السجل اللَّعِبي. وكان المنطلق البورجوازي-الإنكليزي بداية

أما الغطسة، فهي آخر ما يُتعلّم، ويوصي الكبارُ الصغَارَ بعدم الغطس الذي يسبق الرأس أو البطن. وتتميّز بتسبيق اليدين ممتدتين، وتكون ركبة كل ساق مثنية قليلا. ولكن بالقدم اليمنى لا نجد إلا الأصابع مثبتة. ثم ينثني الجسد باتجاه الماء، مع المحافظة على توازي الذراعين، بحيث يكون الرأس بينهما، ويرتمي مع ثني الربلتين نحو الفخذين قليلا.

وفي كل تلك الأساليب تفرّدات ثقافيّة تتميز من ثقافة عومٍ أخرى في العالم.

وتنظم بين السابحين مسابقات في السرعة أو البقاء تحت الماء دون تنفس دون حراك أو مع العوم. وقد كان بعضهم من الغوّاصين لاستخراج الإسفنج، أو لاستخراج بقايا قنابل الحرب الإمبريالية الثانية التي لم تنفجر، أو بقايا السفن العسكرية الغارقة والتي تصلح لهم. وقد استجلبوا تلك المفرقعات؛ لاستعمالها في حركة يناير ١٩٥٢ ضد المحتل الفرنسي.

إن هذه السباحة ليست استعراضية؛ إذ هي ملتصقة بالحياة والمهنة والمقدس والأسرة. وليست تفاخرية أو تدميرية تجاه الآخر، أو استعلائية مثل الرياضات التنافسية–البطولية. ولذتها ليست لذة مستقلة، كلذة السباحة الغربية الحديثة، بل هي جزء ضروري من كلية ثقافية متكاملة العناصر. وهي ليست زينة، أو إضافة، أو فرجة، أو مجالا تلصصيا. ولا نجد فيه تقليد «الشَّط»، أو «حمام الشمس» أو «التسمير». وهي ليست فردية، بل لا يمكن أن تكون إلا جماعية، ضمن الاحتفال العيساوي وضمن العائلة.

وهي ليست منفصلة عن الحياة الجارية بلباس خاص. فالرجُل يرتدي سروالا قديما مستعملا، وإذا لم يجد يرتدي «كَدْرونًا» أو «بلُوزَة مَدوّرَة»، أو يتحزّم برداء أو إزار، وينبغي أن يكون ملوّنا «لأن للأبيض شفافية عند الابتلال بالماء»، كما أكدوا في مقابلاتنا. وهذا الحرص على التستر، هو مع الإناث أكثر إذ يعُمّن بملاءة قديمة. وقد كانت السباحة عنصرا رمزيّا في إنتاج الفتوة البحّارية التي كان لها دور كبير في حركة مقاومة الاستعمار الفرنسي بالسواحل[٣].



٣- ظهور الشط اللّيّن : الشط الأمريكي:

الشط الغربي الأول، هو اختيار أوروبا الإمبريالية-البورجوازية المنتصرة الصراعية، أما الشط الثاني فهو اختيار البورجوازية الأمريكية، البعيدة نسبيا عن صراع الإمبرياليات المتراخية المزهوّة بتفوقها المعاشي (=الاقتصادي) ثم العسكري، «المنقذة» لأوروبا الغربية من الطوق الألماني-الهتلري. هذا الشط اللين والمطواع، لم يهيمن على أوروبا الغربية إلا منذ بداية النصف الثاني من القرن العشرين. كانت ثقافة «المنقِذ» الأمريكي، تغزو المؤسسات الصناعية وأنماط التفكير ومدارس العلوم الانسانية والإنتاج الموسيقي والتشكيلي والسينمائي. وديناميات الجسد، بوصفها نحلة غالب يتمثلها «المغلوب» «المنقَذ» لتشمل أيضا تحويل الشط الأوروبي-الغربي.

والشط الجديد، هو شط الرمل المَحْلُوم به، فاكًّا سحر الأمكنة، رمل حارّ وليّن، من أجل جسد متراخ يجرّب الجمود الضروري للإدراك الحسي.

ولا يعني ذلك انقراض المرجعية الأولى، بل بقيت تمرينها على الشطوط، سباحةً وألعابَ «راحات»[٩] وكرات. ولكنه أصبح تمريناً أقلّويّا جدا مقارنة بالاتجاه المعاكس أي الفتور الساكن للجسد المستوعب للأحاسيس[١٠].

بيْدَ أنه، ينبغي انتظار الابتكار الاجتماعي للتشمّس والتسمير حتى يهيمن الرمل اللين نهائيا على الرمل الصلب.

٤- حلق الواد : بقايا ماض :

حلق الواد قرية ضاحوية قديمة، من ضواحي مدينة قرطاج[١١]. كانت تجمع عددا صغيرا من البحّارة، كانوا يمونون حاجة قرطاج البونية ثم الرومانية، ثم حاجة مدينة تونس العربية-الإسلامية، من السمك. وكثيرا ما كانت هذه القرية ملاذا للعرفانيين والمتصوفة. فمحيي الدين بن عربي نفسه، أقام فيها مدّة. ولما

تحول ثقافي عالمي في المخيال السباحي متساوقًا مع الإمبريالية العسكرية والمعاشية (=الاقتصادية).

لقد انطلق التحول من إنكلترا الفكتورية، حيث يخضع الجسد البروتستانتي للمحظورات العظمى. فكان من الضروري أن تعلن البورجوازية تمردها الثقافي، ومن عناصره العَوْمُ مَعًا، أي بين العموم، مع ضمان خصوصية الجسد وحميميته، متعلقا بالخاص. ففي غضون هذا الطور من نمو الثقافة الرأسمالية كان الخاص والعام منفصلين. وفي القرن التاسع عشر، قرن الآلة بامتياز، كانت تَأْلِيَةُ الشط أيضا، فكان اختراع «آلة الاستحمام» وهي عربة نقالة مجرورة بالبقر، تدخل البحر وتوفر الاستحمام في حميمية منزلية، ثم تعود للشط حيث طائفة المستحمين لابسون ثيابهم العادية.

كانت صورة الشط هي نفسها صورة البورجوازية الأوروبية-الغربية عن الطبيعة، «مجالَ فراغ» دون ضغوط معيارية، خالقةً وَهْمَ «الرُّوبِنْسُونيّة» وعزلة الجسد في مواجهة الآخرين. وبنقطة الالتقاء المثالية هذه، بين الجسد والبحر والرمل والريح والشمس والفراغ، تتبلور خصوصية الفضاء و«سحر الأمكنة»، بإثارة رغبة الضفة البحرية.(٧)

وقد كانت مرجعية الشط الأوروبي-الغربي الأولى مرجعية البِحَار الباردة والرمل الصلب والجسد القوي.

إذن، كان الشط أحد التعابير الثقافية للرأسمالية المنتصرة في القرن التاسع عشر. ففي إنكلترا، قلب الرأسمالية، نشأ الشط، على بحر الشمال. ثم انتشر لدى بورجوازية فرنسا وإيطاليا، بسواحل البحر الأبيض المتوسط(٨) الشمالية، لتنتشر في ما بعد على سواحل البحر الأبيض المتوسط الجنوبية المحتلَّة، بمستعمرات إنكلترا (مصر...) وفرنسا (البلاد الجزائرية، البلاد التونسية...)...

سعدون»، وذي الخدم الكثيرين، الذين إحداهم سوداء مُختَطَفة من بورنيو[١٨].

لقد كتبت بنت المنطقة جَاكْلِين بِزْمُوتْ اليهودية عن الكازينو: «كازينو حلق الواد هو موعد العالم جميعا. لا شيء يسلّيني أكثر من تأمّل الشارع في هذا الموسم، وأن أغطس في هذا الجوّ الذي لا نجده خارج هذا المكان أبدا (...) استقررت في أحد هذه الكراسي الطويلة النادرة التي مازالت بعد شاغرة (...) وبداية من الخامسة مساء، يستطيع المرء دائما أن يشبّك نفسه لكي يجد أين يضع ردفيه على هذا الرصيف (...) لاحظتُ منذ الأمس، أنّهم أداروا اللافتة المعلّقة على سلسلة قديمة دُهنت زرقاء بإبهام عند زاوية هذا الهيكل الأبيض الكبير: «غرف للكراء»، لتغيّر بـ : «مكتمل» (...) نادل ذو قميص مبقّع متصبّب عرقا، ينحني عليّ واهبا إيّاي تكرّما قطرات عابرة مقرفة ويقول: «للاّ[١٩] ماذا أناولك: فنطا أم بوقاسيدر أم شايا أم قهوة؟» (...)[٢٠]

ومن أجل هذه التعبئة الثقافية أيضا، كان آنئذ صالون الكُونْتِيسَة رَفُّو، ابنة السِّير الإنكليزي ريتشارد وُود، وزوجها الإيطالي ذي «الوظائف العالية لدى الباي». ويحضر الصالون موظفو الباي والأعيان وكبار المترفين، من التونسيين، مع قناصل الدول الغربية، للأكل والشراب والرقص الأوروبي المعاصر[٢١] والتحادث بالفرنسية. وبذلك كان الصالون فضاء تذوب فيه الثقافة لتتعولم فيه الثقافة الفرنسية. وقد كان منزل الزوجين على شط خير الدين، بضاحية حلق الواد.

وللتعبئة التحديثية للطبقات الدنيا نحو ثقافة الشط، كان الانتشار المتسارع للحانات والمواخير بمنطقة حلق الواد منذ سنة ١٩٠٨ باعتبار رخص خدماتها النسبي بالمقارنة مع أسعار خدمات الكازينوات المقتصرة على الطبقات القادرة من أجانب وتونسيين. ولكنّ ملاصقة حانة «بِيسْتْرُو»[٢٢] أو «بار كينِدي» لمسجد وليّ حلق الواد «سِيدِي الشّرِيف» أثارت حنق بعض الأهالي.

كان مستلقيا على سفينة ذات ليلة قمراء تجلى له الخضر، نبي المتصوفة، ليدعوه إلى الهجرة إلى مكة.[١٢]

لقد كان العرب المسلمون وحدهم بالمنطقة أصبحوا أقليّة ديمغرافية بعد تدفّق الإيطاليين بدعم من الباي أواسط القرن التاسع عشر، قبل تدفّق الفرنسيين. وأصبحنا نقف على ثقافة بحر خليطة، جمعت عناصر من ثقافة البحر التقليدية الأصيلة ومن ثقافة الشط الغربية المعولمة، جامعا بين القدسية والمنفعية. وقد ساهم افتتاح الخط الحديدي الكهربائي «التِّي جي آمْ»[١٣] عام ١٩٠٨[١٤] في تدفق سكان العاصمة على شط حلق الواد صيفا...

وإذا كان «ينبغي على التّرك والإسبان والإيطاليين والفرنسيين وغيرهم أن يقضوا على حلق الواد للاستيلاء على مدينة تونس»[١٥] عسكريّا، فالأمر نفسه كان على مستوى الاستيلاء الثقافي على البلاد التونسية كلها، وكذلك على مستوى تغيير الثقافة السباحية وصورة البحر وعالم الاصطياف.فالترفيه الشطي بتونس ليس مستجدا وإنما حديث، و «المخيال الشطي هو جزء من نمو الاستهلاكية» ضمن ثقافة غربية منتصرة، تماما كالحالة المصرية[١٦]

ومن أجل التعبئة الثقافية التحديثية للسكان المترفين الأصليين نحو تقليد الشط، فتح كَازِينُو جديد عند افتتاح الخط الحديدي الكهربائي، بعد حلق الواد الجْديدْ، على يد برْنَارْ وسُرْنَاكْ، لتدشين موسم الأوبيراتات والكوميديات والمنوَّعات. وهناك تمجّدت «الجميلة سِرًّانا المغنّية الرّقَّاصة الإسبانية التي أدارت الرؤوس جيدا، وكانت النساء الحوامل يأتين لتأملها حتى يكون الأطفال الذين يحملنهم مشابهين لها...»[١٧]

والكازينو قريب من دار الكونت هولن «المنحدر المباشر من جنرال الإمبراطورية»؛ ودار الهادي الجيلاني «الرجل القارئ المزدوج اللغة، وباعث الحرف التقليدية التونسية، والمنشئ أوَّلَ ورشة لصناعة الجلد المحلي والخزف الفني بنهج باب

البحر، كان مسموحا بتهديمها... ولكن لبناء صومعة للمسجد، كان الأمر يبدو مستحيلا! ولإغلاق حانة معفّنة كان الأمر مستحيلا أيضا! آه، هؤلاء الناس الذين يقتلون روح المدينة ولا يدافعون كثيرا عن شرفها!...» (...) «زلق الإمام نظرة جافة، ماكرة، من تحت زوجي النظارة، وهزّ رأسه بوقار وأجاب بصوت كالإعصار: «ما كنتَ تقوله خطير، بل خطير جدّا ! أنتَ تَهْجُرُ أم ماذا ؟... هل تجرؤ على نقد اختيارات السلطات ؟ أنت تخاطر بأمر عظيم !». (قال العم محمود حانقا): «(...) أصحاب القرار فعلوا ما يريدون فعله، وقد يندمون يوما! ولكنني أردت أن أقول فقط، باعتبارك صديقهم، وربّما مستشارهم، لماذا لا تقترح عليهم غلق خمّارة تفوح منها الخمر مجاورة لمسجدنا؟». (قال الإمام): «لماذا الخمّارة ؟ (...) ولكنّك أخطأت العنوان ! هذا ليس من شأني (...) ومن ناحية ثانية، لي عدّة مشاغل أخرى. وإلى هنا، ما أعرفه أنّني إمام مسجد ولست إمام حانة! (...) لست الوالي ولا رئيس البلدية لأقرّر! لا تجعل من نفسك صلاح الدين الأيوبي جديدا (...)». (ولكنّ العم (محمود) يواصل اعتراضه قائلا لمستمعيه): «إمام باع روحه للشيطان (...) سأواصل الاحتجاج والانتقاد حتّى يتغيّر هذا. فللإمام مَدَاخِلُه لدوائر أصحاب القرار ويمكنه التحرّك (...) ولكنّه لا يفكّر إلاّ في مستقبله السياسي، فهو يطمح إلى منصب وال (...) ناسيا أنّ العالم ليس له إلاّ (والٍ واحد)... نعم، فلا والي إلاّ الله» (لكن الإمام الذي (تصله) هذه «الغيبة» يضبط نفسه أمام من يصفه بـ) «عجوز ليس من هذا العصر، وصلاح دين سلاطة» (...)».[٢٥]

وبالكازينوات والبَارَات (=الحانات)، كان الامتزاج الرمزي بين هذه الطوائف والقوميات المتعددة، فظهرت أسطورة أن مختلف السكان كانوا في نهاية القرن التاسع عشر يُشربون رُضَّعَهم حليبا خليطا من «مرضعات أجنبيات مختلفات، معتقدين أن «أخوة الحليب» هذه تستطيع أن تخلق، في بداية هذا النوع من القرابة، احترام الأطفال الآخرين ومحبتهم».[٢٦] فكوّنت في الجميع «روحا جمعية» تنزع إلى

كتب ابن المنطقة نور الدين الجيلاني عن عام ١٩٦٧[٢٣]: «الحانة تدعى أيضا «بار كيندي»، لأنّ بورتريهاً كبيرا للرئيس كيندي معلّق بمدخلها، تبعث أحيانا موسيقى صاخبة تخنق صوت المؤذّن، وتترك رائحة المُحَمَّضَاتْ من خمر ومقليّات تحطّم أريج فيض صمغ جاوة من المسجد. العم محمود، الذي كان معاديا بشراسة لهذا التساكن بين المسجد والبار (...) لكنّ الإمام كان يرى دائما أنّ هذا الحقد المسلّط على كلّ الذين يرتادون البار هو في نهاية الأمر غير مبرّر: «ينبغي أن نكون متسامحين وعقلاء. إنّ النميمة والرياء هما الشرّان اللذان ينخران الإيمان حتما. سنواصل الصلاة بكلّ هدوء حتّى وإن حُوِّل صحن المسجد إلى حانة» (...) ذهب العم محمود هذا المساء إلى مسجد سِيدِي الشّرِيف (...) بعد بضع دقائق من الصلاة، غادر العم محمود المسجد متمتما بآيات من القرآن. ألقى نظرة عابرة، ولكنها فظة، على حانة، وزفر زفرة طويلة. تساءل عابسا: «هذه الحانة الملعونة مصدر إزعاج لجميع الذين تبنّوا طريق الله. فمتى تغلق أبوابها إلى الأبد ؟ متى يا إلهي؟».. توقّف فجأة، تراجع ووقف من جديد مقرّرا أن يدفع إمام المسجد وأن يضغط عليه من أجل أن يتدخّل لدى من يعنيه الأمر حتّى يُغلق «وكر الصعاليك هذا» دون تأجيل. مرّت بضع دقائق، ليظهر الإمام في لباس أسمر فاتح سيّء التفصيل، على عتبة باب العربات بالمسجد. دنا العم محمود منه، وهو يكظم تنهّداته التي تكاد تفجّر بطنه واضعا أصابعه على حُقّيه: «هل رأيت هذه الثقبة؟ أن تكون هنا، قريبة جدّا من المسجد، هو هجوم حقيقي على الله ومؤمنيه! السماكون والبحارة المالطيون والإيطاليون واليهود والعرب يزدردون السائل الدنيء ولا يحترمون قطّ مكان عبادتنا! باعتبارك إماما، كان عليك أن تتحرّك لكي تضمحلّ هذه الحانة وهؤلاء (السكّيرين)! لكن لا شيء من ذلك حدث! يا للغرابة! لكي تضمحل القناة القديمة الواصلة البحر بالبحيرة كان الأمر ممكنا، -ورغم أنّ هذه القناة ذات ألف سنة- كان جميلا جدّا ورائعا جدّا ! و«لاَجُوتِيه»[٢٤] الأكثر أصالة في مطاعم حلق الواد والتي كانت متقدّمة بشموخ داخل

أصبحتا رمزين للترف والديار الفخمة لدى «عشرات الأجيال» التي «تقاطرت» على سينما راكس. وقد أثر الخطاب السينمائي المصري عن الشط في بلورة المخيال الشطي بالمنطقة[٣٧].

وهنا، نقف على أن «شَطّ حَلَقْ الوَاد» لا يمكن تفهمه إلا ضمن هذه المُرْفولوجيا المتكاملة العناصر، من ماء وضفة وكازينوات وبارات ودور سينما ومواخير، تندرج ضمن حداثة نحليّة منتصرة استغلّت التفوّق الديمغرافي في الأوروبي-الغربي لإيجاد شعور بالانسحاق لدى أهل الضاحية عمّق الإحساس المتعاظم بالهزيمة أمام الإمبريالية الغربية.

٥- ذاكرة حلق الواد التلصّصيّة:

لقد أثّرت العرائيّة النسبيّة للمصطافين الفرنسيين والإيطاليين بحلق الواد في كثير من المحرومين من الطبقات السفلى والنازحين منذ بداية القرن العشرين. وقد انعكس ذلك في غنائهم منذ العشرينات على الأقل :

هيّوا هيّوا لبنات	**ما تلوموا عليّ**
حرقت قلبي	**ومشات بالفنطزيّة**
خيار القعدة في الشط	**بشاكر وافط**
موجة تقلب وتحط	**وليّد وبنيّة**

فالشاعر النازح يعتذر لبنات قبيلته من تغيّر اتّجاه عاطفته، فأصبح لا يميل إليهنّ بل إلى جسد الإيطالية أو الفرنسية التي تتسمّر على الشطّ. وبهذه التلصصيّة يريد رجال الطبقات السفلى أن يعوّضوا عن هزيمتهم الريفيّة (إعدام الدغباجي سنة ١٩٢٤) أمام الدولة الحسينيّة والاستعمار الفرنسي وكذلك عن هزيمتها الحضريّة (قمع انتفاضة الجلاّز ١٩١١)، وذلك بالاستغلال الجسدي للإناث المهمّشات في الفضاء الحضري، وبتملّي الفتيات الأوروبيّات الغربيّات.

«فرحة الحياة»[٢٧] ومغرمة بـ«الليبرالية، كما بالاستقلال» الفرداني[٢٨]، كما لاحظ دَرْمُون. وقد عمّقت نحلة الاصطياف الغربية هذا الهوام بهذه المدينة، إذ «كلّ الناس يتّخذون مكانا فيها، حتّى يكون فصل الصيف فصل فرحة الحياة كالعادة. لا يهمّ الدين! مسلمون ويهود ومسيحيّون أحبّوا حلق الواد دائما، ومازالوا متعلقين بالحياة معا»، إلى حدّ تكوّن هوام «الصفاء والانسجام الكاملين»، كما كتب ابن المنطقة نور الدين الجيلاني[٢٩]. ولذلك كان من السهل قضاء السلطات الاستعمارية على المنظمة الشيوعية الإيطالية «دُوبُو لافورُو»[٣٠]. ولذلك كانت الحركة الوطنية بالمنطقة ضعيفة جدا، ولم يعرف الأهليون مصادمات مع الاستعمار، كما حدث في المدينة العتيقة ورادس وحمام الأنف.

لكن حتى بداية القرن العشرين، لم يكن شط حلق الواد «مخصصا حصرا للنسل البشري». فنحو العاشرة صباحا كان بإمكان المالطي والعربي أن يسوق دوابه نحو الماء[٣١]. وكان لباس العوم آنئذ محتشما، «وكان الرجال يتمنطقون بفوطة»[٣٢] وكانت «الطّارِمَة» ميزة للأكثر غنى وتدعى «بيتْ الْبْحَرْ» وهي بناء مستدير يسمح «بالنزول مباشرة في الماء بباب قلاّب ومزلاج. وأهم المنشآت كانت: «بيتْ الْبْحَرْ الْكْبِيرَة»، و«حمّامات نِقْرِتُّو»، المجعولة للعائلات، و «شِي لامَارْ هَنَّا»[٣٣] المخصصة للنساء فحسب. وكانت أخلاقية صارمة تسود في كل مكان»[٣٤].

وإحدى «بْيُوتْ الْبْحَرْ» هذه، كانت على ملك «دَايْدَا» اليهودي، وكانت ذات «ركح مسرحي بدائي، أين تحت إدارة ميشال سْتْرِينُو، مع خمسة عازفين وستة مغنين، قُدِّمت جيدا أعمالٌ رائعة من الأوبرا الإيطالية»[٣٥].

كما وقع تركيز دور سينما على طول شريط الضاحية في العهد الاستعماري، وأهمّها «راكس»[٣٦] في وسط حلق الواد أو «مركز العالم» بتعبير جَاكْلِين بِزْمُوتْ التي تذكر في روايتها المذكورة آنفا أنّ سينما راكس كانت تعرض أفلاما هندية ومصرية ووسترن وغيرها. وتذكر أنّ الممثلتين سامية جمال (الرقّاصة) وجاكلين صاصار

وعن طريق شط حلق الواد كانت بعض أولى الزواجات التونسية من أجنبيات في القرن العشرين، فهو فضاء تعارف بين الجنسين في الثقافة الغربية الحديثة.

كتب نور الدين الجيلاني في «شهادته المعيشة» عن عام ١٩٦٧: «(...) وفجأة، وعلى بعد مترين من الصخرة الصغيرة، مرّ وجه ذو سحنة مخمليّة وفتنة تقطع الأنفاس، متموّجا بكامله، أمام عينيه الصنّاريّتين. تابع ناصر هذه الرشيقة ذات المشية الزورقيّة، التي كانت باتجاه واقية من الشمس، ثمّ استلقت على فوطة رمادية مثل ترغلّة، مبقّعة بأصفر قشديّ؛ وكانت ذراعاه مهتزّتين وفمه مفتوحا (...) ناصر كأنّه مسحور، لا يكفّ نظره إلى هذه الرشيقة النشيطة التي في ظرف بضع دقائق تغادر الشطّ لابسة فستانا قصيرا معقودا من رقبته ومزرّرا من ظهره، متبوعة بسمراء ذات عشرين سنة، من المحتمل أن تكون خادمتها. كانت نظراته خجولا وساذجة أحيانا، وغلميّة أحيانا أخرى (...) بحث ناصر (المسلم) أياما وأياما عن الفتاة (اليهودية) صاحبة النظرات ذات المخمل الأسود والبطن السخيّ... وتوصّل أخيرا إلى اكتشاف اسمها: جُوال! (...)(بعد بضعة أيّام) (...) خرجت جوال من بيتها، شعرها في الهواء، نظّارة الشمس على عينيها وكيس من كتّان بيدها. ناصر الذي ينتظرها بجانب البيعة، حدّق فيها بعينيه المستديرتين البرّاقتين، وابتسامة مشعّة تغمر وجهه. ودون أن يبطئ في تملّي جوال أكثر وهي تنطلق نحو حمّام شمسها الطقسيّ، خيّر أن يسبقها إلى الشطّ... أخذ بيده زوجي حذائه ذوي السيور المكسّرة، واخترق شارع روزفلت جريا، واتّخذ نهجا صغيرا أدّى به مباشرة ومن جديد إلى الشطّ. من بعيد ميّز الرشيقة (...) سيرى عن قرب شمسها التي تسخّن قلبه وتأخذه نحو عالم كامل من الجمال واللذّة (...) قدمت أخيرا. بسطت بعناية فوطة بيضاء (...) على الرمل الذي أصبح حارقا أكثر فأكثر. خلعت فستانها الوصّاف الشفّاف وذهبت لملاقاة الموجات الصغيرة (...) كان عاجزا عن الانفكاك عن نظره المتأثّر نحو جوال التي يبدو أنّها فضّلت نضح الذراعين والرجلين على الغطس. ومثل

أمّا المطرب اليهودي «الشيخ العفريت» (١٨٩٧-١٩٣٨) فيغنّي :

إنت سكنت قدا الشّط … خلّيت ناري لهيبة
عزّك في كبدتي حط … ودموع عيني سكيبة
يا لحقش الخال فرّاط … يا طم هاذي الغريبة!



يا سمرا يا خمّوريّة … يا للّت الملاح
على خدّك وردة تركيّة … على سدرك تفّاح
إيذا نحوزك ع الصّبحيّة … نربح بين النّاس



يا ضوّاية العين … يا سعد العازب إلّي شافك
نارو في الكنين … في الدّنيا ما فمّ خلافك
مثلك ما فمّاش

إنّنا نلاحظ هنا تشييئا للمرأة، فهي «تفّاح» أي مأكول، وذلك يعني علاقة قضم وعدوانيّة تعويضا عن الهزيمة الذكوريّة سياسيّا ومعاشيا وتعويضا عن فقدان المكانة الاجتماعية. فالسباحة الحديثة باستعرائيّتها («على سدرك تفّاح») تقوّي نزعة العدوانيّة الذكوريّة ورغبة التملّك للأنثى بوصفها سبيّة مغتصبة : «نحوزك»، بطريقة لصوصيّة فجرا: «ع الصبحيّة»، وذلك من أجل تعويض فقدان الملكيّة القبليّة التي منحت للمعمّرين الفرنسيين والإيطاليين وفقدان الشغل؛ إذ تصبح المرأة سلعة تربح في السوق الاجتماعية في زمن الخسارة الطبقيّة والوطنيّة والليل الاستعماري: «نربح بين النّاس».

الضاحية الشمالية للعاصمة التونسية واختلاقها لصورة نساء حداثيّات بفضل الاصطياف الغربي على شط أمريكيّ ليّن، مكنّيا إياهنّ بـ«الغزلان» المتهتكات لا يخفن تحدّي ثقافة الحياء الأصلانية، إذ لم يعدن سمراوات بل أصبحن «بيضاوات» أي كالأوروبيات-الغربيات ثقافيّا :

تونس أيا خضرا	**يا حارقة الأكباد**
غزلانك البيضا	**تصعب على الصياد**
غزلانك في المرسى	**ولاّ في حلق الواد**
على الشطوط تعوم	**ما تخاف صيد المي**

٦- التحولات الكبرى في شط حلق الواد والكرم من ستينيات القرن العشرين إلى تسعيناته:

يكتب نور الدين الجيلاني: «كان الشط قد غصّ بعد، والقطارات تواصل دون انقطاع سوق الجماهير الغفيرة والخليطة حتى حلق الواد. رجال ونساء وأطفال يحملون الواقيات من الشمس والقفاف والكرات وشمّاما وبطيخا أحمر من الحجم الكبير... يتوجهون على جناح السرعة نحو الشط، ملامحهم مبتهجة ومفتونة»[٤٢]. إنّها «مدينة لا تنام أبدا زمن الصيف، الكل يتغيّر والكل يتحرّك، الكل يستنشق ويتنفّس»[٤٣]، حتى غدت حلق الواد هوامياً رمزا وحيدا للنسيم ولكن للقفر والفراغ والخواء في الآن نفسه، إذ نجد في المأثور: «النّسْمَة وحَلْقْ الوَادْ».

إنّ السلوك الاصطيافي في الضاحية الشمالية يكتسب طابعا خصوصيا يُستمدّ أساسا من طبيعة المضمون الثقافي «للشط»، هذا الفضاء الذي لا يقف عند كونه مكانا لممارسة السباحة بما هي نشاط جسدي موسمي، بل هو شامل لثقافة اصطياف حديثة معقّدة العناصر.

ولدراسة ذلك، اتّصلنا بسكّان عريقين بالمنطقة.



حورية، مرّت على بعد بضعة أمتار من ناصر الذي فتح منخريه ليستنشق مليّا بلذّة رائحة عطر زكيّة (...) مايوهها الساتاني الأصفر ذو التخديدات الناعمة الزرقاء، منحتها هي أيضا روعة أكثر. أحسّت أنّ غلافها يزول بالنظرات الثاقبة التي تتابعها فتعرّيها وتفترسها. لكن باعتبار وعيها بمفاتنها وتأثيراتها، انتهت إلى التعوّد على كلّ هذه النظرات المعجبة والتصالح معها. فمن الممكن أن تزعجها، ولكنها تفتنها أحيانا أخرى». وقد أعجب ناصر بسباحتها، على عكس ضحكه على سباحة جميلة المسلمة التي «تتخبّط». ولكنّ جميلة تساعده على التقرّب من جوال فيدخل بيتها معها في عيد ميلادها. ويصف الجيلاني مشهدا آخر من حمّام شمس جوال، فيقول: «غطّت جوال ساقيها وذراعيها بمرهم شمس أمدّها بإحساس شهوانيّ بالنضارة. نشّفت يديها، ثمّ فكّت سدّادة قارورة ترمس حمراء، لترتوي. فشعر ناصر بقلق لا يوصف...»[٣٧].

كما اكتشف الأهليّون طقسيات حداثية أخرى مثل عيد الميلاد تمتّن العلاقات الحداثية بين الجنسين، وقد ساهم الاصطياف الحداثي في اكتشافه. يروي نور الدين الجيلاني خبر عيد ميلاد جوال اليهودية الذي حضره محبّها المسلم ناصر. وقد ترافق مع مظاهر تلصصيّة: «فجأة، ظهرت جوال في بيكيني أسود. وضعت بيك-آب[٣٨] على إسكملة، ثمّ غابت لتظهر بسرعة مع أسطوانة كبيرة بيدها وضعتها بلطف على الالكتروفون[٣٩] (...) تفجّر صوت أزنافور وتفرّق في الحديقة العطرة النيّرة. وجوال، بوجهها الفاتن وكتفيها الفخورين والبطن السمين والضحكة البلورية، بدأت ترقص. وكانت نظرة ناصر ملتهبة (...) الماء يجري وأنريكو ماسياس[٤٠] يهدل. وجوال، شهية كأنها رمل المَنَاقِع، تتلوّى، تهزّ ساعديها وتمدّ ساقيها... شعر ناصر، الذي كانت نظراته متعلقة بها، لأوّل مرّة برغبة حارقة في جس جسدها وفي تقبيل يديها بشغف، وفي ملامسة جلدها الناعم، الصقيل، اللامع، الحار حرارة الشمس، بنهم»[٤١].

لقد مجّد المغنّي فريد الأطرش في مقطع من أغنية بساط الريح تلصصيّة

ويطاف بها في حلق الواد محاطة بالشموع. وتاريخ خروجها مؤشّر لنهاية موسم العَوْم. وهذا الخروج يجعل البحر «يَتْقلَبْ ويكْحَالْ». ومن يغامر بالسباحة بعد خروج المادونّا يعرّض حياته -حسب المعتقد- للخطر، لأن المادونّا تعلن بخروجها انتهاء حمايتها للسابحين. قالت إحدى المبحوثات : «المادونّا خارجة من ذمّتهم» (إنها بريئة منهم).

وفي موكب خروجها، يقع التضرّع للمادونّا وتقديم النذور لها. وقد أكّد المبحوثون أنّها «تقضي الحوايج» مثل الأولياء المسلمين. وعند قضاء الحاجة، تُكَافَأ بالزهور والشموع التي تبعث مع إيطاليّ أو فرنسي إلى الكنيسة.

وبذلك خلطت الأقلية[٤٤] المسلمة بحلق الواد معتقداتها الأصلية بمعتقدات إيطاليي المنطقة. ولم يتقلّص ذلك، ثم ينقرض، إلا عندما هاجرت الأكثرية الإيطالية بعد الاستقلال.

٢) صبغة المنفعية للبحر في المخيال الجمعي :

أ/ ❖ البحر شفاء :

- إنّه شفاء للأمراض التنفسية والصدرية والجلدية، حسب اعتقادهم. ويحملون أطفالهم المختونين إلى البحر؛ لاعتقادهم في أن ماءه يعالج جرحهم.

- يعتقدون أنّ دفن الجسم في رمال الشطّ الحارّة مفيد لأمراض العظام والمفاصل.

- أما نفسانيا، فالبحر يشكّل فضاء راحة يعتقدون أنّه يحقق بعض التوازن النفسي والشعور بالهدوء والامتداد. لذلك يعمد الكثيرون لاعتبار البحر مكانا «لتفريغ القلب» أي التداعي الحر. ويرى بعضهم أنّه قوّة خارقة تمنح الشعور بالتعويض. كما يمكن على الشط ممارسة عدّة أنشطة ترفيهيّة. كتب نور الدين الجيلاني متذكّرا عام ١٩٦٧: «تستيقظ المدينة فتبدأ الاستحمامات الأولى، ويعيد هوّاة الصيد بالخيط كشف الصنّارات. ويقضّي الأطفال الذين يمنحون العطلة

١/ من بداية الستينات إلى نهاية السبعينات: خليط الشط الغربي والرواسب الأصيلة:

١) صبغة القدسية في المخيال الجمعي:

نجدها تتجسّم في:

أ/ ❖ الاعتقاد في «سيدي البحري» و«رِّجَال البَحـر»: يعتبرونهم من أولياء الله الحالّين بالبحر. وليلة الخميس يشعلون لهم الشموع أو يجددون «الوَعْدَة» أو الوفاء بها عندما تقضى حاجة الواعد؛ وعادة ما تتمثّل في فاكهة أو زبيب أو حلوى أو حنّاء أو رمي ديك مذبوح في ماء البحر.

- وهناك ورد يومي يقال عند الذهاب «للبَحر» وهو التسبيح وقراءة سورة الإخلاص ١١ مرّة والقول: «صباح الخير يا رجال البحر! يا رجال الدّالة! يا رجال النساء والرجّالة! يا سيدي نصرة أنقذني وقت الغصرة!. ويعتقدون في بركتهم ويخافون إيذاءهم. إحدى المستجوبات قالت في قالب دعاء: «ربّي ينفعنا ببركتهم ويبعد علينا شوكتهم».

ب/ ❖ الاعتقاد في قدسية ماء البحر: يعتقدون أنّ رشّه في المنزل وعلى الفراش وعلى العتبة يطرد الأرواح الشريرة ويبطل مفعول السحر. وهو كذلك مجلبة للرزق يطرد الكساد من الدكاكين.

ج/ ❖ الاعتقاد في حكمة السباحة في «أوسو» : قالت إحدى المبحوثات أنّهنّ يدعين: «أوسو نحيلي إلي نحسم». وأضافت أنّه يجب العوم سبع «عومات» متتاليات وفي ذلك حكمة إذ إنّ هذه «السبعة عومات» تخرج المرض من كل الجسم؛ لأن في أوسو «تكون العظام محلولة». وقد اتفق على ذلك كل المبحوثين.

د/ ❖ الاعتقاد في خروج «المادونّا» (في ١٥ أغسطس من كل حوْل):

وهو موعد دأب عليه الإيطاليون والفرنسيون (النصارى) إذ يُخرجون صنم السيدة مريم (سانتا مريا) من كنيسة حلق الوادي بحومة سيسيليا الإيطالية.

كما كان يكرى اللباس السباحي الرجالي («المَيُّو»[٥١])، و«الأدواش» (=المشنّات) ويكرى أيضا مكان حراسة الأدباش و«البرارك»[٥٢]. كما كان يظهر السقّاؤون يبيعون الماء في القلال، وكان «الحلاّب» من الماء في الستينات والسبعينات بخمسة مليمات. وكانت تباع «الحِلْبَة» مثلّجةً وكذلك «الأقمي» (وهما مشروبان تونسيّان) والمشروبات الغازية التي تكون قواريرها في السطل. ويظهر باعة «مَشْمُومْ الفِلْ». وعدد كبير من هؤلاء الباعة منحدرون من قبيلة المْثَالِيثْ (شمال جهة صفاقس)... كما تظهر المَشْرَبَات هنا وهناك...

كتب نور الدين الجيلاني عن عام ١٩٦٧ : «واصل الشط في الامتلاء أكثر. والباعة المتجوّلون لدوّار الشمس والفول السوداني واللوز المملّح، بجيوبهم الممتلئة جيّدا، يشقّون المواضع دون تعب. أمّا باعة المثلّجات فيحملون المْثَلّجَاتْ ذات الألوان المبرقشة بالحمّالات ويعلنون : «فْرِيقُولُو، فْرِيقولو... إفريقولو جيّد التثليج، إفريقولو...» وصبيان ذوو أجساد ضعيفة ومسمّرة بالشمس يقترحون على العائمين قسطلات بحر: «توتياء بحر، توتياء بحر... إنّها طريّة... إنّها صحيّة (...)»..[٥٣].

٣) تمايز الفعل الاصطيافي:

أ/ علاقة الأهليين المستقرين بـ«البرّاني الخلايعي» (= الدخيل المصطاف):

هي علاقة تواصل وقطيعة، تحددها معايير وتمثلات اجتماعية، وأفكار مسبقة، ومواقف معينة.

فلفظة «برّاني» لا تعتمد للدلالة على الأجنبي، الغريب عن «أولاد المنطقة» أو «أولاد البلاد» أو «أولاد البونْ لِيُو»[٥٤]، بل هي لفظة مضمّخة بمرجعية دونية تدل على «النازح» «القعر» (المتقعّر) تطلق على الذين يفدون على شط الكْرَمْ وحلق الواد من الأحياء الشعبية: (المَلاَّسِينْ، السَّيْدَة...) وكذلك من أبناء الكرم الغربي.

لقد أفادنا مبحوثونا في الكرم (الشرقي) أنّها كانت منطقة قاحلة إلا من نباتات شوكية وأشجار «الكرموس» (التين)، ويرون أنّ تسمية الكرم جاءت من هنا، حين

الكبيرة أوقاتا ممتعة على ضفّة البحر، بحثا عن الأخطبوط والحبارى والسرطان...»؛ صيحات وضحكات وكلمات مبهمة يطلقها المستحمّون الذين يتناقشون أو يتساءلون بالعربية والعبريّة والفرنسية[٤٥] (...) «موجات صغيرة تدور على الضفاف المكتظّة بالناس، وترقص على إيقاع أهوية الموسيقى العربية والفرنسية المتفجّرة في كلّ مكان»[٤٦]. كما نلاحظ بعض المطالعين في كتب جيب وجرائد خاصة في الصباح.

ب/ البحر فضاء للأعمال اليومية في المواسم:

❖ في عيد الأضحى: عقب هذا العيد تلجأ مجموعات كبيرة من النساء إلى البحر لغسل جلود الخرفان أو غسل الصوف المنتوف ونفشه بالعصا.

❖ في عاشوراء: كان البحر فضاء لإحياء هذه الذكرى إذ يقع إشعال الحطب والقفز عليه، وتلك النار تسمّى «اللُّهَيْبِيَة». كما توزّع الفواكه على الأطفال، إضافة إلى نشاطات أخرى تحيى هذا الموسم.

ت/ البحر فضاء لإحياء التجارة الصغيرة :

كان «الشط» فضاء لجملة من النشاطات تبثّ فيه حيوية في فصل الصيف. ولكن انقرض أكثرها. فقد كنّا نجد دكاكين «فطايريّة» يعدّون الوجبات التقليدية الخفيفة: «الفطاير» و«البمْبَلُوني» و«الفريكاسيه»[٤٧]. كما تباع الفواكه الجافة (دَوَّار الشمس...)، و«الكَكي» وحلوى «الكَرَمَال» ومثلج «الفريقولو»[٤٨] وأنواع العصير. وجلّ الباعة منحدرون من غمراسن بالجنوب التونسي.» (...) تجّار الفواكه المتجولون يسترجعون جولاتهم، مغنّين حلاوة التين وطراوة الزعرور الجرماني«؛»... شيخ نحيل وجاف يعوم داخل قَنْدُورة[٤٩] بهت لونها بتطاول الزمن. كان ميزان روماني بإحدى يديه، وقفّة سَوْحَر بأخرى، وكان يغنّي على العناب والزعرور: «مِسْكِي يَا عَنَّابْ... زَعْرُورْ، زعرور... خَمْرِي العَنَّابْ... زعرور... إِيجَا مِنَّا، وْذُوقْ البِنَّة... زعرور»(...)[٥٠]



كانت الشرقي يوصله، وإذا كان الغربي رفض ذلك الكثير منهم؛ وهناك من يتذمّر ويقول: «نْقَرّبِكْ وِمَا نُدَخْلِش»، وخاصة بعد المغرب.

والسلوك السباحي «للبرّاني» غير مرغوب فيه لدى الأصلانيّين. ذلك أنهم يكادون يجمعون على تمثله جاهلا بفنون السباحة «فهو يكتفي بالطفو فوق الماء على الظهر أو الوجه أو يبقى في الماء كالبطّ ويقفز كالقارورة، أو يجلس على حافة الشط ويصبّ الماء على رأسه«.» فعند «البرّاني» لا يمكن أن نتحدّث عن سباحة بل عن عملية «تبريد لحم»، وكثيرا ما يسبحون بثيابهم». ويضيف أحد المبحوثين مستهزئا: «مشتاقين للبحر. مساكن! في الشتا مغروقين، وفي الصيف محروقين!».

ينزل «جماعة تونس» و «أولاد الكرم الغربي» إلى البحر عادة في أيام العطل ونهاية الأسبوع. لذلك لا ينزل «أولاد الكرم وحلق الواد» البحر تفاديا في تلك الفترة للاختلاط بهم وتفاديا لسلوكهم السباحي «المضحك» وللخيام التي يعدونها «بالسفاسر» و«الملية» و«الملاحف»،[55] وتفاديا لرؤية الكسكسي والبطيخ الأحمر والأصفر والمآكل الدسمة التي يجلبونها معهم فيلوّثون الشط».

فالقطيعة واضحة بين الأصلانيّ و«البرّاني». أما لفظة «خلايعي» فهي تسمية تطلق على المصطافين الذين يفدون على شاطئ الكرم من «قلب العاصمة» (باب سويقة والقصبة وباب الخضراء وباب الجديد...) أو حمام الأنف والذين يكترون منازل «للخلاعة»، وقد يكونون من الأعيان يسكنون تونس شتاء ويصطافون بالكرم في منازلهم صيفا تفاديا للرطوبة. وعادة ما تكون العلاقة بهم علاقة تواصل وتفاعل قد تمتدّ لتكون علاقة متواصلة لا موسمية، فسلوكهم السباحي مقبول لديهم، وكذلك تصرفهم على الشط «فلهم اهتمام حتى بمتممات السباحة».

ولفظة «أولاد البلاد»: تطلق على «أولاد الكرم» الأصليين فنجد فيهم الأهليين/ الأعيان إضافة إلى الأجانب من إيطاليين وفرنسيين ويهود. ويرى المبحوثون أنّ الأجانب كانوا «يحفّلون الكرم وحلق الواد» وأنهم كانوا متعايشين معهم، فيساعدون

استقرّ بها بعض الأعيان في القرن التاسع عشر. وأنّ منطقتهم هي «الكرم» وحدها دون إضافة نعت جغرافي، فالكرم الغربي كرم غير حقيقي وملحق، غير معترف به لديهم.

فضمن صراع الرئيس الحبيب بورقيبة مع معارضيه اليوسفيّين(٥٥) أواسط الخمسينات، كلّف عضده عُمُرَ شَاشِيَّة بتوطين عدد من العُمِيرِيَّة (من سكان أرياف العميرات ذات الأصل الهلالي بجهة المكنين بالساحل التونسي، منطقته ومجاله العصبي) في غرب الكرم الأصلية، ليستخدمهم في ضرب معارضيه في شبه حرب أهلية، الذين بعضهم من أهل الساحل الحضر أنفسهم؛ خاصة وأنّه يعلم أنّ ريفيّي الساحل يحملون موجدة على حضره لإقصائهم لهم تاريخيّا في أعقاب الغزوة الهلاليّة. ولكنّ الموطَّنين تكاثروا وجلبوا معهم الكثير من أقربائهم زيادة على مساكنة بعض الفراشيش (من جهة الوسط الغربي) لهم. وقد بقي الموطّنون دون «نمط حياة مُوَلّد للمرور أو للانتقال لنمط حياة «حضري».(٥٦) فقد بقوا خارج الاندماج بالمدينة المهمّشة لهم.

لقد حافظ النازحون على عاداتهم وحاولوا التأقلم مع أبناء الكرم(الشرقي)، لكنّ التّنافر لازال قائما إلى اليوم، حتى أن البلدية دعّمت هذا التوجه فقسّمت الكرم (إداريا) إلى شرقي وآخر غربي، لكليهما دار ثقافة وبلدية ومكتبة عمومية ومركز أمن. وظهرت عدّة تسميات شفويّة تكرّس هذه التفرقة: ٥ ديسمبر/عميرة/ورا البلايك (ما وراء علامات الطريق)/ورا لنقار (ما وراء محطة القطار). فالحيّ سمّته الإدارة ٥ ديسمبر، على حين ينعته الشرقيون بنعوت إقصائية، فهم وراء علامات المرور ووراء السكّة التي تفصل بين الفضاءين.

هذه النظرة الدونية جعلت من الكرم الغربي إحالة على كلّ ما هو مشين (خصومات/تسيّب/انحراف)؛ حتى أنّ بعض سائقي التاكسي إذا سألوا الحريف عن وجهته وقال: «إنها الكرم»، يسألونه على الفور : «الشرقي (أم) الغربي؟». فإذا

أمّا الفتيان فيبدأ نشاطهم السباحي مع دخول فصل الصيف أي من شهر يونيو إلى أغسطس، وعادة ما يتوقّف بخروج المادونا إذ يمنعهم أولياؤهم. وينزلون طيلة أيام الأسبوع عدا نهايته (الويكاند) وأيام العطل؛ تفاديا للاختلاط مع «جماعة تونس» و«أولاد الكرم الغربي».

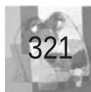
أمّا الفتيات فينزلن البحر من العاشرة صباحا حتى الثانية عشرة أو بعدها بسويعات، ويكنّ مرافقات بالأمهات والأخوات وزمرة من الصديقات وبنات الجيران. وقد يرتدين فستانا أو «كاش ميّمو»(٥٦) لباسا خارجيّا، ومن تحته «الكسوة»، وهو لباس محتشم. فيدخلن بالفستان، وفي عمق البحر يكلّفن أحد الأطفال أو إحدى الصديقات بإخراج الفستان لتسبح في زيّها بارتياح. وعند خروجهنّ من الماء يرتدين الفستان أو يتدثّرن بفوطة خاصة.

والنشاط السباحي للفتيان لا يعرف قيودا أو رقابة من أوليائهم فهم في البحر من الصباح إلى المساء، ينزلون دون رقيب، يرتدون تبّاناً من الجينز أو زياً خاصّاً. وعموما لا يخاف الشباب من الدخول إلى العمق، وهم يعرفون فنّ الغطس والسباحة على الصدر وعلى الظهر (سباحة حرّة) على الطريقة الغربية الحديثة. وما يلاحظ أن حمام الشمس كان يتم لديهم بالتعرض للشمس مع غياب الانبطاح أو وضعية الامتداد على الرمال، ومع استعمال مرهم مصنوع في البيت مكوّن من زيت وعصير ليمون. ونلاحظ غياب الاهتمام بمتممات السباحة أو نقصه.

٤) الأنشطة الممارسة في فضاء البحر :

إنّ السباحة بوصفها نشاطا أساسيا يشمل الجميع من أطفال وشبّان ومسنّين.

وأمّا الصيد الذي يمارسه الذكور عادة فيتم بوسائل تقليدية، سواءا لصيد الوزف أو الأخطبوط، أو لجمع الزواحف البحرية والرخويّات. وأمّا ممارسة «الفولي بول» (الكرة الطائرة) التي انتشرت بواسطة المعاهد الثانوية خاصة، فتكون مختلطة أو يمارسها كل جنس على حدة.



اليهود مثلا على إتمام طقوسهم الدينية «لِيلِةْ الشَّبَّات» أي ليلة السبت إذ يمتنعون أثناءها عن لمس النار فيشعلون لهم المواقد ويفتحون لهم النور الكهربائي... إنّهم يمدحون السلوك السباحي للأجانب ويصفونه بالاعتناء الممتاز بالسباحة وبمتمماتها من حمام شمس وتركيز مضادات شمس، واتخاذ لباس ذكوري و إناثي خاص بالعوم.

وقد أكّدوا لي أنّ الأهليين المستقرّين لم يلبسوا ما هو غير محتشم من لباس «الروامة» (الأجانب الأوروبيون)، لكنهم يضيفون أنّ بعض بنات الأعيان منهم لبسن «الميو» و«البيكيني» والنظارات الشمسية وقمن بـ«بْرُنْزَاج» (تسمير) ودهنّ أجسامهنّ بعقاقير مستوردة للغرض وفّرها أولياؤهنّ في كثير من الأحيان.

ب/ السلوك السباحي للمستقرين الأهليين :

لقد تبيّنا أنّ السلوك السباحي يخضع لإشراط عموديّ، (يحدده موضع الفرد في الطبقات الاجتماعية وكذلك يحدّده المنحدر الجهوي)، كما يخضع لإشراط أفقيّ يحدّده عاملا السنّ والجنس.

فلدى كبار السنّ تكون السباحة عادة في الصباح الباكر (حدود الخامسة أو السادسة صباحا) و«لأوسو» وقع كبير في تحديد السلوك السباحي إذ يتكثّف نشاطهم السباحي (غاية علاجية) ويتوقف هذا النشاط بمجرد خروج المادونا إذ لهم اعتقاد كبير في تأثيرها.

ولباس السباحة لدى كبار السن لباس محتشم. فالمرأة تحمل فستانا مع غطاء رأس (مَنْديلَة). أمّا الرجل فيتّخذ تبّانا حتى الركبة أو سروالا تقليديّا (سروال عربي).

وممارستهم لفنون السباحة محدودة لا تتعدّى النوم على الظهر، والطفو فوق الماء مع تحريك الرجلين إلى الأمام أو الخلف، والغطس مع حبس التنفّس عادة، والسباحة على «الحاشية» أو بعدها بقليل إذ لديهم هاجس الخوف من الدخول للعمق.

القديمة، أو ربط علاقات جديدة تتواصل حتى في فصل الشتاء. من مظاهر هذه العلاقة السهرات العائلية على الشط وتناول فطور الصباح معا.

ومنذ أوائل الثمانينات حتى نهايتها، كان الشط فضاء للحوار الديني أو السياسي سواء بين العائلات أو بين المصطافين عموما، نظراً لتأثّره بالصراع الملّي (= الإيديولوجي) والسياسي السائد في تلك الفترة.

II- في التسعينات من القرن العشرين :

إذا أردنا البحث في الثابت والمتحوّل في السلوك الشطّي الاصطيافي بالكرم وحلق الواد سنتبيّن :

١) أنّ هناك محافظة على ثنائية : القدسية/المنفعيّة فإلى اليوم مازال الاعتقاد في «رجال البحر» وفي قدسية مائه وفي الحكمة من السباحة في «أوسّو». لكنَّ هناك تقلّصا في الاعتقاد في خروج المادونا إذ يتواصل موسم السباحة إلى شهر سبتمبر. وذلك لهجرة المؤثّر (الجالية الإيطاليّة) وصيرورة الأقليّة العربيّة المسلمة أكثريّة مطلقة.

وهناك اعتقاد في البحر بوصفه شافياً من عدّة أمراض. وقد تدعّم هذا الاتجاه بالتشجيع على العلاج الطبيعي. ولازال البحر يحافظ على وظيفته النفسانيّة؛ إذ يقع اللجوء إليه لتحقيق التوازن النفسي. وكثيرا ما نجد فردا يجلس على حجارة يتأمل البحر أو تلميذا أو طالبا يطالع على حافة الشط. ويقصده الكثير من العشّاق والخطيبين...

٢) لم يعد «الشط» فضاء تجارة بالشكل الذي كان عليه قبل. فلا نجد دكاكين قارة في الشط بل مشربات موسمية، متنقّلة، مع باعة الفواكه الجافة المتنقلين. وقد انقرضت نشاطات ككراء زي السباحة...

٣) طبيعة العلاقة مع «البرّاني» بقيت هي، وصورته المشوّهة هي نفسها، وكذلك علاقة الكرم (الشرقي) بالغربي.

وأمّا التعبّد وخاصة التسبيح وصلاة الضحى، وكذلك التقرّب والتضرّع لـ «رجال البحر» والوفاء «بالوعدة»، فهو أمر يشمل المسنّين خاصّة، إلاّ التسبيح لدى عدد قليل من الشباب. ويكون الترفيه والسهرات العائلية مع شرب الشاي وطبخه على الكانون وفوقه شيء من اللوز الأخضر. وعموما، وعلى ضوء ما تقدّم، يمكن أن نضبط روزنامة صيفية للأهليّين المستقرين :

الصباح (٥ صباحاً => ١٠ صباحاً)	منتصف النهار (وبعده)	المساء والسهرة
تلاوة ورد «رجال البحر» والتسبيح وصلاتا الصبح والضحى ❖ تناول فطور الصباح («فْطَايِرْ بِالْكَرْمُوسْ»+ قهوة + «بَرْيُوش»[٥٧]) مع الجيران والأحباب. ❖ سباحة المسنين والفتيات.	❖ سباحة ❖ ممارسة أنشطة أخرى (فولي بُول/ صيد) ❖ ركوب الخيل والجمل بمقابل (٢٠ مي -> ٢٥٠ مي)	❖ سهرات عائلية ❖ ترفيه ❖ ركوب الخيل والجمل

٥) طبيعة العلاقات القائمة :

أ/ بين الجنسين : تسود فكرة حرمة «بنت الحومة»، فابن الحومة يتكفل بحمايتها من «البرّاني» وحتى من «الخلايعي». فالقضيّة هي شرف الحومة اعتمادا على عصبيّة الأحياء. لكن هذا لا يمنع من وجود اختلاط بين الجنسين ومن ربط علاقات، مع خضوع لشروط سرية إذ تكون بعيدة عن أعين الرقباء وخاصة منهم حماة الإناث من إخوة ذكور وأولاد حومة وجيران. ويتمّ التعارف بوسائل محتشمة من نظرات وسلام وتقديم عقد من الفلّ أو «مشموم» من الياسمين...

ب/ بين العائلات: نلاحظ علاقة تفاعل وانسجام سواء بين الجيران أو مع «الخلايعية القدم» أو «القدم/الجدد»، إذ يكون الصيف فرصة لإحياء العلاقات

للحماية المدنية وأعوان الشرطة.

٧) نلاحظ أن العلاقة بين الجنسين أصبحت مرنة إلى حدّ كبير، فهناك بعض الجرأة في ربط العلاقات والتواصل العلني، كما أصبح زيّ العوم مكشوفا أكثر فأكثر.

استنتاجات:

هوام حلق الواد : صعود وانهيار :

١) يلاحظ لوبروتون أن ثقافة الجسد الغربية المعاصرة ثقافة النظرة والتلصصية أكثر منها ثقافة سمع أو شم[٥٩]؛ لتصنع جسدا بارزا/مَخْفِيا في الآن نفسه إذ تنزع إلى جعله عموميّا-غُفْلِيّا، ومن ثمّة يمّحي ويثقّف، ليكون محرّرا تجزيئيا ومقطوعا عن الحياة اليومية.
وإن «حيلة من حيل الحداثة أن تسعى إلى تمرير ما هو مديحٌ للجسد الشاب، السليم، الفارع، والصحي، على أساس أنه تحرير للأجساد»[٦٠]، ولكن النموذج الجسدي الذي تفرضه مصادرُ التعبئة الثقافية نادرا ما يجد مصاديقه العملية. ولذلك يخلص لوبروتون إلى أن التحرر الجسدي » لن يكون فعليا إلا عندما يختفي همّ الجسد».

٢) إن الجسد محلّ صراعات ثقافيّة، وتأطيره البحري كذلك. وفي هذا السياق كانت تحولات ثقافة العَوْم.
وقد تبيّن لنا أن فضاء الجسد/البحر يمكنه أن يكشف خصائصنا الثقافيّة الكلية بالمجتمع الشامل، وتناقضاتنا الاجتماعية والثقافية، بل لعل التحديث الثقافي بتونس بدأ بشط حلق الواد، مؤديا إلى نسيج ثقافي غير متجانس».

٣) لم تعد الصُّوّة الفيزيائية (المرجعية الفضائية) بشاطئ حلق الواد هي مقام الولي (سِيدِي نَصْرَة، سِيدِي الشرِيفْ)، بل أصبحت هي الكازينو. فظهرت

٤) أصبح لكثير من الناس وعي بفنّ السباحة الغربي، ووعي بالشط بوصفه فضاء تعارف، وترفيه، وإبراز للأناقة والمفاتن، وحرص على إيجاد «الإكسسوارات» واهتمام بالسلوك السباحي وتأطيره، باعتماد مراهم ومواد تجميل خاصة، لدى الكثير من الذكور والإناث.

٥) نلاحظ تركّز رياضات غربيّة المنشأ انطلقت مع الجالية الأجنبيّة وانتشرت بواسطة مادة الرياضة بالمدارس الابتدائية والثانويّة بعد الاستقلال، كـ «الفوت بول» و«الفولي بول» والصحن الطائر و«البيتش» والألواح الشراعية؛ في غياب تام للرياضات التونسية. يتذكّر نور الدين الجيلاني عام ١٩٦٧: «ناصر هو بعدُ بالشطّ منذ ساعتين طويلتين، منتظرا قدوم جوال، يتابع (...) بصحبة جمال والتوءم اليهودي الصغير (...) مباراة في الفولي بول من نوع خاص جدّا. إنّها مباراة دون حكم ودون صفّارة، ودون شبكة ولا رهان، حيث الميدان ليس إلاّ فضاء ضيّقا على حافة البحر. فتيات صغيرات، وأطفال وعجائز يتدافعون ويدوسون أقدام بعضهم (البعض) حول «الميدان» لمشاهدة اللاعبين الأفاضل لفريق حلق الواد، عن قرب، وهم يقفزون، ويثبون، وينقضّون، ويدورون محوريّا، ويضربون ساحقا، ويتمرّغون... الصغير روبار قز»، مغرم كبير بالفولي بول يصفّق لكلّ تمريرة أو ضربة ساحقة دقيقة ؛ وبفخر عارف، يكبّ على أذن ناصر ليصدقه : «أعرف كل لاعبي نجم حلق الواد التي هي من أفضل فرق البلاد... اللاعبون مسلمون ويهود... وأعرف بعد الإخوة الثلاثة سميوني ألبار وصوفار وريتشارد... وهؤلاء اللاعبون الثلاثة على اليمين هم جلبار بالعايش، وسيدني للّوش، وماكس فيتوسي... والذي يحمل كَسْكَاتا[٥٨] مقلوبة وصدرة حمراء هو عز الدين المدّب... وعلى يساره بيارّو بكّارة... أرأيت إنني أعرف كلّ الفوليبوليّين الموهوبين !«...»

٦) أصبح البحر بوصفه فضاء عاما يخضع لعناية البلديات ووزارة البيئة لمراقبة التلوّث، وتنظيم عملية الاصطياف، كما تكثّف وجود أعوان الإنقاذ التابعين

ضجيج المنبّهات وأصوات أزنافور وأدمو وأنريكو ماسياس»[٦١] تتقاطع مع أصوات أم كلثوم وفيروز وتمنح لآلاف المتفسحين خليطا جميلا من الأغاني والموسيقَيَات. هذا التنافر الرائع مصحوب بخليط من الروائح تنبعث هي أيضا من كل مكان...»؛ إذ إنّ «صيف حلق الواد يوحّدهم جميعا» مسلمين ويهودا ومسيحيين[٦٢]، ضمن وحدة بشرائط روزفلتية - «شرق أوسطية» خاصة ...

ولكن فجأة تكون الصدمة الثانية التي تدمّر هوام حلق الواد. فهذا نور الدين الجيلاني في «شهادته المعيشة» عن عام ١٩٦٧ يروي أنّ دافيد اليهودي ابن الحاخام وأخا جوال يستفزّ صالح بائع الثمار. لقد سأل دافيد صالح عن إمكانيّة معرفته لنجمة داود، فلما أجابه بالنفي قال: «سينتهي العرب إلى معرفتها والاعتراف بها... هذه النجمة. حتى هذا المغرور الرئيس ناصر». فلما تشبّث صالح بجهله بالصراع الدائر أضاف دافيد : «وهؤلاء العرب... قارورة مبيد حشرات وهوب ! سيتلاشون كلّهم». هنالك قال صالح الأمّي: «إذن هنالك، لن أبيع الثمار أبدا... سأذهب مباشرة لقطع لسانك العفن». وبدأ الشجار العنيف بين الرجلين تحت أنظار الجميع[٦٣].

لقد انهار هوام حلق الواد الحداثي بانشقاق أوّل طائفة حداثيّة بالبلاد (الطائفة اليهودية). وهيّأت ظروف صدمة عام ١٩٦٧ الضاحية لتحقيقٍ رمزيّ لطلب ظاهرة «العم محمود» التي تنتشر بالمنطقة في نهاية السبعينات وبداية الثمانينات، على الرغم مما في ذلك التحقيق من محتوى مأزقي وآفاق إحباطية مسدودة.

لقد انهار هوام حلق الواد الحداثي «وغزلانها» الأطرشية الخاضعة «للصياد» الغربي ثقافيّا[٦٤].

محطة القطار المدعوّة: محطة حلق الواد-كازينو، ومن ثمّة إفراز ضاحية تكوّنت حول هذا الكازينو، وما يتبع ذلك من فاعلين جدد كالفنادق والحانات والمواخير القانونية وغير القانونية...

وذلك لأنّ المرجعية الرمزية لم تعد المقدّس محضا (زمن أوسّو، والأولياء، ومجاهدو البحر) إذ اختلطت بمرجعيّات رمزيّة وفدت مع الأكثرية الديمغرافية الأوروبية-الغربية بحلق الواد.

٤) كان الهوام السائد في حلق الواد وعنها إمكانية تذويب الاختلاف الثقافي من أجل ثقافة غير تعصبيّة/انحيازية. لكنْ كان الشرخ في هذا الهوام عند الخروج المفاجئ للجالية الأوروبية-الغربية منها ومن كامل البلاد في بداية الاستقلال دون مبرّرات إقصاء داخلية ممّا تسبّب في انهيار معاشيّ. ثمّ كانت صدمة التحوّل اليهودي المفاجئ أكثريّا نحو الحركة الصهيونيّة رغم التعايش السلمي عموما طيلة قرون عديدة ورغم حماية المسلمين لليهود طيلة الوجود الألماني بالبلاد أثناء الحرب الإمبريالية الثانية، ورغم الوجود اليهودي المعتبر في هيكلة حكومة الاستقلال، فلم يبرز حتى مجرّد احتجاج من حاخامات البلاد وأعيان الطائفة وجل مثقفيها على تأسيس دولة إسرائيل عام ١٩٤٨ ولا على اضطهاداتها للسكان الأصليين. وقد بدأ انحياز اليهود التونسيين للغرب نحليّا منذ تغيير الكثير من أسمائهم العبرية والعربية إلى فرنسية منذ عقود عديدة قبل الاستقلال.

كان شارع روزفلت يبشّر في النصف الأوّل من ستينات القرن العشرين بزمن أمريكي، زمن شطّ ليّن يليّن صلابات النِّحّلات: «كان شارع روزفلت، الذي كان يدعى شارع قرطاج (إذ خطّطت الإرادة الاستعمارية لإحياء الماضي ما قبل العربي-الإسلامي) حافلاً. كانت السيارات في طابور هندي، تتقدّم ببطء شديد (...) وكانت المقاهي والمطاعم والمخازن التجارية تعيش إيقاع صيف في أوجه (...) كان

(١٥) انظر : راؤول درمون، مصدر سابق (ص٤٣).

(١٦) انظر Walter armbrust : bourgeois leisure and Egyptian media fontaisies,in: D.Eickelman and J.W.Andersons:new media in the muslim world ,the emerging puplic sphere , Indiana university press ,Bloomington , Indiana ,U.S.A,1999 (PP126,127)

(١٧) راؤول درمون، مصدر سابق (ص٤٣).

(١٨) المصدر السابق (ص ٤٢ و٤٣).

(١٩) للّا: سيدتي في لهجات بلاد المغرب، وهي كلمة أمازيغيّة (موجودة في النصّ الأصلي).

(٢٠) Jacqueline Bismuth : La Goulette, Quelle histoire cette histoire, S.E., Tunis 1999.

(٢١) المصدر السابق (ص ٤٤).

(٢٢) Bistrot

(٢٣) كتبت هَايْدِي تَمْزَالِي عن روايته: «إنها فعلا شهادة معيشة» (ص١٣٦ من الكتاب). و هي يهودية كانت من سكان المنطقة .

(٢٤) La Jetée (أي : المَكْسر)

(٢٥) نور الدين الجيلاني : La Goulette, La déchirure, sans éditeur, Tunis, 1996 (P. 16-17)

(٢٦) المصدر السابق (ص ٤٨).

(٢٧) المصدر السابق (ص ٤٨ أيضا).

(٢٨) المصدر السابق (ص ٤٤).

(٢٩) نور الدين الجيلاني La Goulette, La déchirure, sans éditeur, Tunis, 1996 (P. 6)

(٣٠) "Dopo Lavoro"

(٣١) انظر : راؤول درمون، مصدر سابق (ص٤١).

(٣٢) المصدر السابق (ص٤١ أيضا).

(٣٣) التسمية كانت فرنسية اللغة : Chez la mère Henna (=عند الأم حنَّة).

(٣٤) المصدر السابق (ص ٤٢).

(٣٥) المصدر السابق (ص ٤٢ أيضا).

(٣٦) Rex (المصدر السابق، ص١٤)

(٣٧) انظر تحليل هذا الخطاب في مقال: W. Armbrust (p.106)

(٣٧) نور الدين الجيلاني : La Goulette, La déchirure, sans éditeur, Tunis, 1996 (P. 7,8 et 10)

(٣٨) هو لاقط الصوت.

(٣٩) آلة لإدارة الأسطوانات وإسماع ما يسجّل فيها.

الحواشي:

(١) انظر دافيد لوبروتون : أنثربولوجيا الجسد والحداثة، ترجمة محمد عرب صاصيلا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت ١٩٩٣ (ص٥).

(٢) انظر لُويجي سارّة :

A propos de la mer et la fête d'Awusu chez une population berbère de la méditerranée, in: l'homme méditerranéen et la mer, éd. Salammbo, Tunis 1985. (P. 53)

(٣) انظر: عادل بالكحلة ورمضان بن ريّانة: طُبُلْبَة: التقليدية والحداثة في المجتمع العربي، الجزء ٣، د.ن.، تونس ٢٠٠٣.

وانظر: عادل بالكحلة: في سيرورة الفعل السباحي التونسي، مجلة كتابات معاصرة، بيروت، شباط/آذار ١٩٩٩.

(٤) أوروبا قارّتان على الأقل. فالغربية منها هي المقصودة بحديثنا هنا. ومن عدم الدقة إطلاق كلمة «أوروبا» دون تحديد جغرافي، على الأقل.

(٥) انظر: منير العكش: أمريكا والإبادات الجماعية؛ رياض الريس للكتب والنشر، بيروت ٢٠٠٢ (ص١٢٣).

(٦) انظرعمل رضا بوكراع غير المنشور ضمن ملتقى: المتوسط والمتوسطيون بتنظيم فريق البحوث حول المتوسط :

Naissance de la plage dans la méditérranée arabo-islamique ; analyse à partir du cas de la baie de Hanimamet, 1997.

(٧) Kaufman : Corps des femmes, Regards des hommes : Sociologie des seins nus, Nathan, Paris, 1998 (P.33).

(٨) «البحر الأبيض» هو التسمية التركية-الأناضولية-العثمانية. أما «البحر المتوسط»، فهو التسمية الأوروبية-الغربية. ولكنّ البكري سبق الأوروبيين الغربيين إلى هذه التسمية.

(٩) "Raquette"" كلمة من أصل عربي «راحة». انظر قاموس لاروس، باريس، ١٩٤٨.

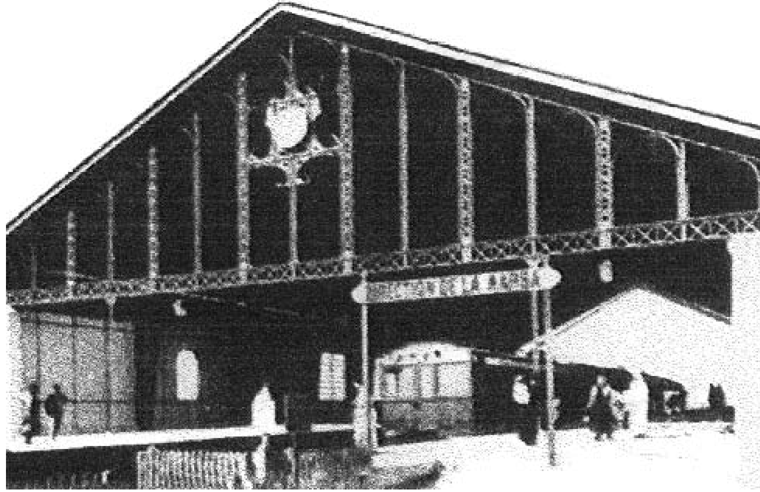
(١٠) انظر : كوفمان، م. س (ص٣٤).

(١١) انظر : Raoul Darmon: La Goulette et les Goulettois (Notules), Société tunisienne de diffusion, Tunis, 1968 (P. 8)

(١٢) انظر سيرة ابن عربي الذاتية في الجزء الثاني من الفتوحات المكية، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٢

(١٣) الاستعمال السائد هو نقل عن الفرنسية : T.G.M، أي تونس وحلق الواد والمَرْسى.

(١٤) نور الدين الجيلاني: La Goulette, La déchirure, sans éditeur, Tunis, 1996 (P. 5)



حلق الواد في بداية القرن العشرين: محطة القطار الوحيدة التي كانت تقريباً مغطاة كلها. نلاحظ شكل المثلث إحالة إلى ديانة التثليث، وشكل الصليب البازيليكي، وفي ذلك دلالة على إرادة التغيير النصراني - الإمبريالي لنحلة الضاحية الشمالية الشرقية.



بطاقة بريدية من عام ١٩٢٤: كازينو حلق الواد: نلاحظ تونسيا مترفا يتحادث مع أوربي- غربي، ونلاحظ أن الكازينو أدى إلى إحداث شط ومحطة قطار وضاحية باسمه.

(٤٠) لا نجد طبعا موسيقى وغناء عربيين أو تونسيين !
(٤١) نور الدين الجيلاني : La Goulette, La déchirure, sans éditeur, Tunis, 1996 (P. 77)
(٤٢) المصدر السابق، ص١١٦.
(٤٣) المصدر السابق، ص٨.
(٤٤) أصبحت أقلية باستيطان الإيطاليين هناك منذ أواسط القرن التاسع عشر ليكوّنوا حومة سمّوها سيسيليا أي صقلية.
(٤٥) نسي الكاتب الإيطالية...
(٤٦) نور الدين الجيلاني La Goulette, La déchirure, sans éditeur, Tunis, 1996 (P. 7, 9 et 10)
(٤٧) الكلمتان الأخيرتان إيطاليّتان-فرنسيّتان.
(٤٨) Frigolo
(٤٩) «يعوم» كناية عن الفضفاضية. و«القَنْدُورة» لباس رجالي صوفي أصيل.
(٥٠) المصدر السابق، ص٧ وص٩١ (الصيحات موجودة في النص الأصلي بلهجتها الدارجة).
(٥١) من الفرنسية :Maillot
(٥٢) مفردها برّاكة وهي الكوخ الخشبي.
(٥٣) نور الدين الجيلاني La Goulette, La déchirure, sans éditeur, Tunis, 1996 (P. 53)
(٥٤) بون ليو : Banlieue [IL] أي الضاحية.
(٥٥) أغطية خارجية نسائية في الأصل.
(٥٦) الأصل فرنسيّ : "Cache maillot" (مُخْفِي المَيُّو).
(٥٧) الكلمة فرنسيّة : Brioche
(٥٨) Casquette (طاقية بحافة، وهي غربية الأصل).
(٥٩) دافيد لوبروتون، مصدر سابق (ص١٠٠).
(٦٠) مصدر سابق (ص١٣٣).
(٦١) مغنّون يهود استقروا بأوروبا الغربية.
(٦٢) نور الدين الجيلاني، مصدر سابق، ص٩٦ و٩٧.
(٦٣) المصدر السابق، ص١٠٩.
(٦٤) إحالة إلى مقطع من مقاطع أغنية فريد الأطرش (بساط الريح) الممجدة للثقافة التلصصية/الشطية بالضاحية.

العقود	1970 - 1960	1980 - 1970	1990 - 1980
♀ . J تدرّج (مع تغيّر جذري)	(كسوة 1) (كسوة 2)	30 / 20	لباس ذو قطعتين
♀ . V استقرار مع تغيّر نسبي	(منديلة) منديلة بغطاء رأس	(منديلة)	(منديلة)
♂ . V استقرار تركيز على ستر عورة الرّجل (من السرّة إلى الركبة)	تبّان إلى الركبة "سروال عربي"	تبّان إلى الركبة (سروال عربي)	تبّان إلى الركبة (عادة أبيض)
♂ . J تغيّر (مراوحة بين نموذجين)		تبّان إلى الفخذ	تبّان إلى الركبة

مجلة العلوم الإنسانية
مجلة دورية محكمة تصدر عن كلية الآداب - جامعة البحرين

قراءات ومراجعات

قراءات ومراجعات

- دلالة العلم الحديث في المشروع الحضاري العربي

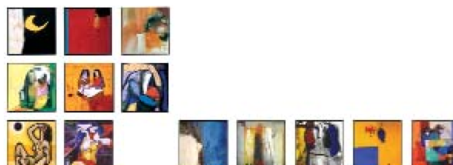
أ.د الغالي أحرشاو

- المثقف العربي في مواجهة التبدلات الثقافية لعصر العولمة

د. مسعود ضاهر

- البحث عن المتاعب في النظرية

د. إسماعيل عثماني





دلالة العلم الحديث في المشروع الحضاري العربي

أ.د الغالي أحرشاو *

لا جدال في أن العلم بمفهومه الحديث أصبح يشكل أحد المقومات الأساسية للتقدم الحضاري الشامل. فهو وحده القادر على تجسيد إبداعات العقل البشري وعلى توسيع آفاق معارفه وعلى تحقيق مطامحه وتطلعاته. فبفعل اتجاهه نحو المستقبل، قصد التنقيب عن الحقيقة والبحث عن كل ما هو جديد، نجده في حالة نمو وتطور متجددين، يخاطب باستمرار الطبيعة والتاريخ والإنسان، ويكثف بانتظام من اختراعاته ومنجزاته في كنف محيط اجتماعي مدني، هو الذي يدعمه ويؤطره عن طريق مؤسسات علمية أنشئت خصيصا لهذا الغرض. ومن هنا أصبح الاقتناع السائد هو أن المعادلة بين التقدم العلمي والتطور الحضاري صحيحة ومؤكدة، خاصة وأن العلم الحديث لم يعد كما كان في السابق علما نخبويا، بل أضحى يمثل نشاطا جماعيا عاما له أبعاده الإنسانية ووظائفه الحضارية.

على أساس هذا التحديد المقتضب لأهمية العلم الحديث ووظيفته الحضارية، سنعمد في هذا الفصل إلى مقاربة موضوع «دلالة العلم الحديث في المشروع الحضاري العربي»، مقاربة تركيبية تزاوج بين تقرير وقائع وحقائق وبين تقديم آراء وأفكار كلها تشخيص وتجسيد لموقع العلم الحديث في المجتمع العربي ولدوره في تحقيق بعض مظاهر المشروع الحضاري العربي المنتظر. ولضرورات منهجية صرفة، رأينا ضرورة توزيع مضامين هذه المقاربة على ثلاثة مستويات للتحليل:

---

* رئيس مسلك علم النفس، جامعة محمد بن عبد الله، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، المغرب.

وعلى استيعاب مضامينها ومسايرة تطوراتها المتتالية ومستجداتها المتنامية. ومن هنا كان اللجوء وما يزال إلى الخبرة الأجنبية حتى في أبسط المشكلات، بحيث أصبح هناك نوع من الانفصام الواضح بين قطاع الإنتاج والقاعدة العلمية المحلية، ومن ثَمَّ تهميش البحث العلمي العربي الذي لا تتجاوز نسبة المبالغ المالية المخصصة له من الدخل القومي العربي (٠,٥ ٪)، في حين أن النسبة التي تفردها الدول المتقدمة لهذا الغرض تتجاوز (٢٪) (سلمان: ١٩٩٣، ١٣).

٣- فضلا عن المؤشرين السابقين، يمكن الإقرار بأن العلم كأداة للتقدم الحضاري، ما يزال بعيدا كل البعد عن أداء وظائفه العلمية والعملية في البلاد العربية. ففي الوقت الذي يتكاثر فيه عدد الجامعات والمعاهد العلمية ويتزايد فيه عدد حاملي الشهادات العلمية العليا، وفي الوقت الذي تخصص فيه لبرامج التعليم والتكوين ميزانيات ضخمة ولنقل التكنولوجيات المتطورة مبالغ مالية هائلة، في الوقت نفسه نجد مساهماتنا الفعلية في الثورة العلمية ومنجزاتها التكنولوجية ضئيلة وضئيلة جدا، إن لم نقل منعدمة. وهكذا يبقى الحلم الذي كان وما يزال يراودنا نحن العرب، أعني حلم تحقيق التقدم العلمي والتطور الحضاري، بعيد المنال دون أن ندري متى وكيف سيتحقق؟.

١,١,٢. على مستوى التأصيل والتوظيف:

صار من المؤكد أن ازدهار العلم في أي مجتمع كان يشكل نتيجة حتمية لازدهار ظروف إنتاجه وشروطه. فكلما كانت الظروف الاجتماعية والاقتصادية مناسبة أكثر وكلما كانت الشروط السياسية والثقافية ملائمة أكثر، زاد احتمال بناء علم أكثر فاعلية وأكثر مردودية. فالمعادلة بين نجاعة هذه الظروف والشروط وبين فاعلية الاختيارات التي تحكمها وتؤطرها أصبحت بمثابة الشرط الرئيس الذي تستند إليه كل المجتمعات المتقدمة لتحقيق معادلة أسمى بين التطور العلمي والتقدم الحضاري.

١,١,١. على مستوى التأسيس والممارسة :

ما مظاهر استيطان العلم الحديث في البلاد العربية ؟ وما احتمالات تأسيسه وممارسته على الوجه المطلوب؟

كثيرة هي المقاييس الموضوعية التي أصبح الاعتماد عليها شرطا أساسيا لمعرفة مدى تغلغل العلم الحديث في مجتمع من المجتمعات، وفي مقدمتها: عدد الاختراعات والاكتشافات المنجزة وعدد المعاهد والمراكز العلمية ثم عدد المؤسسات والجمعيات الممولة للبحث، فضلا عن عدد المساهمات الإبداعية.

وفي الواقع أن كل هذه المقاييس تشير إلى أن مقومات العلم الحديث وإجراءاته الأساسية لم تترسخ بعد في المنطقة العربية. والقرائن التي توضح هذا الأمر كثيرة ومتنوعة، يكفينا أن نمثل لها بالمؤشرات الثلاثة الآتية:

١- رغم مرور ما يزيد على قرن ونصف على انفتاحنا عن العلم الحديث، ورغم أن إرسال بعثات الباحثين إلى الدول الغربية قصد التكوين، قد بدأ منذ أوائل هذا القرن ومايزال مستمرا إلى اليوم، فالملاحظ أن الجامعات والمعاهد التي تدرس هذا العلم ماتزال في شبه عزلة عن الواقع الاجتماعي وعن مقوماته الأساسية. فهي ماتزال عاجزة عن تدريسه وتوظيفه في معالجة بعض المشكلات التي يواجهها الإنسان العربي، بمعزل عن الاستشارة الأجنبية وخبرتها العلمية المتطورة. والحقيقة أن مَرَدَّ هذا القصور يتجلى في أحد جوانبه في غياب التخطيط التربوي الدقيق، المدعم بالبرامج والمناهج التعليمية التي تساير مستجدات التقدم العلمي المعاصر.

٢- رغم مرور عدة عقود على تعرف الدول العربية على التكنولوجيا العلمية كأداة إنتاجية متطورة، حيث اختارت طريق نقلها من الغرب عوض العمل على إنتاجها محليا، والكل يعرف المبالغ المالية الهائلة التي كانت وماتزال تنفق في هذا الإطار، إلا أن هذا التعرف المشروط بالنقل قد واجهته صعوبات شتى وعلى رأسها: الافتقار إلى القاعدة العلمية القادرة على ملاءمة هذه التكنولوجيا مع حاجيات البيئات المحلية

عبر العودة اللامشروطة إلى التراث العربي الخالد وإرثه العلمي الزاهر. ويؤكد أصحاب ثانيها على أن الانتقال بالعلم العربي من مرحلة جموده وعقمه إلى مرحلة حيويته ونشاطه، يستدعي سن سياسة اقتصادية محكمة؛ لأن توفير المال اللازم هو الكفيل بتحقيق هذا الانتقال. أما أصحاب الموقف الثالث فيرون أن زرع العلم الحديث في الوطن العربي أمر مشروط أولا وأخيرا بنهج سياسة تربوية مضبوطة، قوامها تطوير البرامج والمناهج التعليمية وإنشاء المؤسسات والمراكز العلمية الكفيلة باحتواء العلم الحديث واستثمار نتائجه.

ورغم ما قد يبدو من وجاهة للمبررات التي يقدمها دعاة كل موقف من هذه المواقف الثلاثة، خاصة وأن الهدف واحد ألا وهو بناء العلم العربي المأمول، إلا أن الشيء المزعج الذي لا يمكن قبوله هو الاعتقاد في أن استحضار منجزات التراث العلمي العربي، أو المراهنة على سن سياسة اقتصادية محكمة، أو التعويل على نهج سياسة تربوية مضبوطة، سيضمن شرط الإقلاع العلمي الحقيقي، المشبع بروح الاكتشاف والإنتاج، والهادف إلى تحقيق التطور والتقدم المنشودين. نقول هذا لأننا ندرك حق الإدراك أن كل من يرى في توظيف أحد هذه المواقف، الشرط الملائم لزرع العلم الحديث في المجتمع العربي، إنما يعتقد في تحقيق وهم زائف أو سراب خادع. فالبناء العلمي الحقيقي والازدهار العلمي الفعلي، وكما سبقت الإشارة إلى ذلك، لا يتحققان إلا بتوفير الظروف والشروط اللازمة لذلك والتي تتحدد أساسا في نهج سياسة علمية واضحة المعالم، تحكمها اختيارات وقرارات حاسمة المفعول، يتفاعل فيها كل ما هو سياسي واجتماعي واقتصادي وثقافي، وإن كلا من العاملين السياسي والثقافي يحظيان بمقعد الشرف في هذا النطاق.

٢- ومؤدى ثانيتها أنه إذا كان العلم الحديث يعني أساسا الاتجاه نحو المستقبل والبحث عن كل ما هو جديد، ومن ثَمَّ التوغل في أعماق الطبيعة والتاريخ والإنسان قصد تحقيق التقدم الحضاري المرغوب فيه، فإن هذا التحديد ما يزال غير وارد في

ومن هنا تأتي أهمية طرح السؤال حول إلى أي حد نجحت الدول العربية في تهييء مثل هذه الظروف والشروط قصد تأصيل العلم الحديث وتوظيف منجزاته في خدمة التقدم الحضاري المرغوب فيه؟.

لا نسعى من طرح هذا السؤال المحوري، الدخول في متاهات الاستنطاق المكثف لمجمل التفاصيل المرتبطة بالظروف والشروط السابقة الذكر؛ إذ إنه حتى وإن حاولنا ذلك فإن الهدف المحدد للقضية المطروحة في هذا المستوى لن يسمح بذلك. لهذا فإن مسعانا لن يتجاوز في هذا النطاق حدود الاستحضار المقتضب لبعض الأفكار التي نرى فيها إمكانية التشخيص الدقيق للشروط والاختيارات واللازمة لتأصيل العلم الحديث وتطوير مضامينه وأبعاده، وهي أساسا ثلاث أفكار رئيسة:

١- مفاد أولاها أن العلاقة بين ازدهار العلم والظروف المجتمعية المطابقة لتأصيله وتطويره كانت ولا تزال علاقة وطيدة. فهذه مسألة لا يجادل فيها أحد؛ إذ إن المستوى الهائل الذي بلغته الدول المتقدمة في هذا المجال، أعني مجال التقدم العلمي، لم يكن نتيجة قرار عشوائي أو موقف اعتباطي، بل هو حصيلة اختيار مدروس، قوامه أن الدخول إلى غمار ممارسة العلم الحقيقي يستلزم أولا وقبل كل شيء توفير عدد من الظروف والشروط المتفاعلة والمتكاملة، وفي مقدمتها: الرقي الاجتماعي والرخاء الاقتصادي ثم الاختيار السياسي والازدهار الثقافي.

ولو نظرنا في ظل هذا التحديد إلى موقع العلم الحديث في المجتمع العربي، فإن أبرز قضية ستواجهنا، وربما أطرفها، هي التذبذب في الآراء والأفكار المسبقة التي يتطوع البعض من حين إلى آخر بترويجها والدعوة إلى تبنيها قصد الانتقال بالسياسة العلمية العربية من مرحلة الجمود والاتكال والاستهلاك إلى مرحلة النشاط والاستقلال والإنتاج. وهي الآراء والأفكار التي نجدها تتوزع وفق اتجاهات متباينة المنطلقات والتصورات ومحدودة الآفاق والأبعاد، تترجمها بشكل خاص ثلاثة مواقف أساسية. ينص أصحاب أولها على أن بناء العلم العربي الحديث يجب أن يتم

١,١,٣. على مستوى العوائق والحلول:

على الرغم من أن اهتمامنا في التحليل السابق بمحاولة تشخيص أبرز الظروف والشروط اللازمة لتأصيل العلم الحديث وتوظيفه في البلاد العربية، لم يكن بدافع الوصول إلى التحديد النهائي لأهم الإجراءات وأنجع الوسائل المطابقة لذلك، نجد أن الخلاصة الأساسية التي يمكن الخروج بها من ذلك التحليل هي أن هناك ارتباطا من نوع سببي كبير بين محدودية تلك الظروف والشروط وبين فشل السياسة العلمية العربية في تحقيق بعض ملامح الثورة العلمية العربية المنشودة وفي تجسيد بعض مظاهر المشروع الحضاري العربي المنتظر. وبالاستناد إلي مضامين هذه الخلاصة التي تشكل نوعا من الإقرار الصريح بوجود عدد من العوائق والصعوبات التي تواجه السياسة العلمية العربية وتحد من حركيتها وفاعليتها، سنعمد في المستوى الثالث والأخير من هذا الفصل إلى البت في فحوى هذه العوائق وفي احتمالات تجاوزها، وذلك من خلال التركيز علي بعدين اثنين:

١- أولهما يتعلق بالواقعة التي مفادها أن العلم الحديث، ولكي يتغلغل في مجتمع ما ويتجذر في بنياته وقطاعاته ومؤسساته، لابد له من عقلية مطابقة قائمة أولا وقبل كل شيء على خطة علمية رصينة. فكل المجتمعات التي قطعت أشواطا مهمة في مجال ممارسة العلم الحقيقي وتسخير اختراعاته ومنجزاته للتقدم الإنساني والتطور الحضاري، أبانت في وقت من الأوقات أن السبيل إلي ذلك يتجلى أولا وأخيرا في نهج خطة علمية مضبوطة، تؤطرها إرادة سياسية محكمة القرارات والاختيارات، جاعلة من مسألة توطين العقلية العلمية المنتجة وكل ما يرافقها من تحولات على مستوى التصرفات والممارسات والذهنيات، هدفها الأول ومبتغاها الأمثل.

والسؤال المطروح هو: ما موقع السياسة العلمية العربية من هذه الأساليب والخطط ومن هذه الاختيارات والقرارات؟

استعمالنا نحن العرب لمفهوم العلم ولممارستنا له ولتوظيفنا لنتائجه. فالعلم عندنا ما يزال ينظر إليه كنظام من الأفكار والمعارف أو كنسق من المعلومات والأخبار التي تستوجب التدريس قصد الحفظ أو التطبيق قصد المران، ومن ثَمَّ فإن الأمر لا يستحق منا تجاوز هذه الحدود، لأن العلم الحقيقي بجميع منتجاته ومنجزاته التكنولوجية وبمختلف معداته وأجهزته المخبرية أصبح في متناولنا وبإمكاننا أن نستهلكه ونوظفه دون أن نكلف أنفسنا عناء إبداعه وإنتاجه. وقد كان لهذا التوجه في النظر إلى مفهوم العلم ودلالته آثاره العميقة في تعزيز الذهنية الاستهلاكية التواكلية وفي تعميق الخلل الذي كان وما يزال يحيط بواقع العلم عندنا، ويحد من احتمالات تأسيسه ونشره ومن إمكانات ممارسته واستثماره.

٣- وقوام ثالثتها أن ازدهار العلم الحديث، ومنذ ثورة غاليليه العلمية وما رافقها من اكتشافات وتطورات هائلة في مجال العلوم الفيزيائية والبيولوجية والرياضية والإعلامية، وهو ينمو ويتطور في كنف محيط اجتماعي مدني، هو الذي يؤطره ويدعمه عن طريق مؤسسات علمية مطابقة لأهدافه الحاضرة وتوجهاته المستقبلية. فالتقدم العلمي، وخاصة في بعده التجريبي، كان وما يزال، في كل المجتمعات المتقدمة التي تمارس العلم الحق وبالنسبة لكل الأنظمة السياسية التي جعلت من العلم هدفها الأول والأخير، مشروطا بحدود معقولة من التمدين والتثقيف والعقلنة، وهي التي تعطيه معناه الحقيقي وتفسح المجال أمامه لبلوغ الأهداف المرسومة لممارسته وتوظيفه. وفي غياب هذه الحدود، كما هو الحال بالنسبة للدول العربية، حيث يطغى النشاط العلمي الفردي على النشاط العلمي الجماعي، ويتغلب الجو الثقافي الشعبي علي الجو الثقافي المدني وتتفوق العقلية الخرافية الاستهلاكية على العقلية العلمية الإنتاجية، يصبح العلم والدعوة إلى التسلح بالعقل العلمي مجرد شعار فضفاض، عديم الفاعلية والمردودية، على الرغم من كل ما يستنزف من مبالغ مالية هائلة على مستوى نقل مبتدعاته ومنجزاته التكنولوجية.

- وثانيهما يرتبط بالفكرة التي سبقت الإشارة إليها، وهي أن العلم الحديث ولكي يستوطن مجتمعا ما ويتغلغل في بنياته وقطاعاته وهياكله، لابد له من محيط اجتماعي مدني، هو الذي يؤطره ويغذيه عن طريق مؤسسات علمية عريقة، وهو الذي يتخذ من منجزاته، ويجعل من اختراعاته الأداة الفعالة في نشر المعرفة العلمية وفي صياغة الذهنية المطابقة، والقادرة على التغيير، وعلى تحقيق النقلة الحضارية المرغوب فيها.

في إطار هذا التحديد يمكن التساؤل: هل المجتمع العربي في بعده المدني مستعد اليوم لتشييد مؤسسات علمية قابلة لاستيعاب مضامين العلم الحديث ولنشر معارفه ومن ثَمَّ الاستفادة من نتائجه؟ قد يكون من باب المغالطة المكشوفة لو ذهبنا إلى القول: إن هذا الاستعداد أصبح قائم الذات، وذلك لسبب بسيط وواضح هو أن المجتمع العربي، ورغم كل ما يعرفه من ازدهار في مجال البناء والعمران ومن تطور في مجال تشييد المدن الضخمة التي تضاهي أحيانا مدن بعض الدول المتقدمة، لا زال بعيد التهيؤ والاستعداد لتأسيس مؤسساته العلمية المستقلة القادرة على الانتقال به من الممارسة العلمية الترفيهية إلى الممارسة العلمية الفعلية، ومن العقلية الخرافية الاستهلاكية إلى العقلية العلمية الإنتاجية. فهو ما يزال بعيد الاستعداد والتهيؤ للدخول بالإنسان العربي في متاهات المعرفة العلمية الحقة التي أضحت تشكل وبدون منازع الرهان الفعلي والضروري لكل تقدم حضاري.

المراجع:

- سلمان، رشدي سلمان (١٩٩٣)، أزمة البحث العلمي في الوطن العربي، شئون عربية، العدد: ٧٥.
- العروي، عبدالله (١٩٨٣)، ثقافتنا في ضوء التاريخ، بيروت، المركز الثقافي العربي.
- بدران، إبراهيم (١٩٨٨)، حول مفاهيم العلم في العقلية العربية، المستقبل العربي العدد: ١١٦.

في الواقع أن كل الدلائل والمؤشرات تؤكد أن هذه السياسة ما تزال دون المستوى الذي يؤهل المجتمع العربي لاحتواء العلم الحديث واستيعاب مفاهيمه، وإنشاء المؤسسات العلمية المطابقة لتوطينه والاستفادة من منجزاته واختراعاته. ومن هنا تتبدى وتتبخر آمال وأحلام كل الذين يعتقدون أن مسألة توطين العلم الحديث في المجتمع العربي موقوفة بالدرجة الأولى على نهج سياسة تربوية هادفة، قوامها إنشاء المؤسسات التعليمية والتكوينية القادرة علي تلقين العلوم والمعارف وعلى تغيير التصرفات والممارسات وعلى تعديل السلوكات والعقليات. فالمهم، ليس في توجيه كل الجهود إلى إنشاء أكثر ما يمكن من هذه المؤسسات، وما أكثرها عندنا، بل الأهم يتحدد فيما تعتمده هذه الأخيرة من مضامين علمية وما تنشره من معارف ثقافية. فإذا كانت محدودة الغايات والأهداف، ترجح العقلية الخرافية الاستهلاكية التواكلية علي العقلية العلمية الإنتاجية المستقلة، أصبحت عائقا أمام إنتاج العلم وتوظيف مبتدعاته، أما إذا كانت واضحة الأغراض والأبعاد، تنبني على العقلية العلمية الإنتاجية المستقلة عوض العقلية الخرافية الاستهلاكية التواكلية، فإن العوائق التي تواجه عملية توطينها للعلم والاستفادة من منجزاته، قد لا تتعدى حدود بعض الصعوبات ذات الطابع الإنساني الذاتي العام والتي لا يتميز فيها مجتمع من آخر إلا بفعل مدى استعداد باحثيه وعلمائه لممارسة العلم وتوظيفه (العروي: ١٩٨٣، ١٤٨-١٤٩). ويعني هذا أن مسألة زرع العلم الحديث في المجتمع العربي ليست مشروطة في الأصل بنهج السياسات التربوية القائمة علي التشييد المتتالي لمؤسسات التعليم والتكوين وعلى النقل المتوالي للأجهزة والمعدات التكنولوجية الحديثة؛ إذ مهما بنينا من مؤسسات ومعاهد، ومهما جلبنا من أجهزة مخبرية ومعدات تكنولوجية، فإن كل ذلك لن يشكل البديل عن سن سياسة علمية دقيقة المنطلقات والاختيارات وواضحة الآفاق والأهداف، تحكمها إرادة قوية لبناء المشروع العلمي الطموح القادر على تغذية وتطعيم المشروع الحضاري العربي المأمول (بدران: ١٩٨٨، ٣٧-٣٨).

المثقف العربي في مواجهة التبدلات الثقافية لعصر العولمة

د. مسعود ضاهر *

تعريف بالدراسة والمنهج

نشير بداية إلى صعوبة تحديد مفهومي الثقافة والمثقف .وقد رصدت بعض الدراسات العلمية الرصينة عددا كبيرا من التعريفات يمكن الرجوع إليها للوقوف على السمات الأساسية لهذين المفهومين. ما يعنينا في هذه الدراسة هي الثقافة الإنسانية من حيث هي رؤية شمولية للعالم. فكل إبداع ثقافي، فرديا كان أو جماعيا، رافد من روافد تلك الثقافة الإنسانية التي تتفاعل فيما بينها باستمرار عبر مختلف الحقب التاريخية. فالقيم الثقافية هي بالضرورة قيم إنسانية، وهي تختلف جذريا عن مظاهر السلوك الاجتماعي التي ترتدي أشكالا خاصة في التطبيق العملي داخل كل مجتمع، وذلك تبعا لعاداته وتقاليده الموروثة، وليس تبعا لقيمه الثقافية .تتناول هذه الدراسة بعض مشكلات المثقف والثقافة عبر تشابك النقاط المنهجية الآتية:

- **المثقف العصري والتراث العقلاني العربي.**
- **واقع الثقافة العربية في المرحلة الراهنة.**
- **المثقف العربي وهاجس البحث عن مشروع نهضوي جديد وحلول عملية لمشكلات العرب.**

---

* باحث من لبنان.

تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على مقولات التنمية الثقافية التي تساهم في التخفيف من الاستغلال البشع للموارد الطبيعية عن طريق تطوير للمهارات البشرية بشكل مستمر، وتحرير الطاقات الخلاقة لدى الإنسان لكي يوظفها في الإنتاج والإبداع .والتساؤل المشروع في نهاية الدراسة عما إذا كان العرب مستعدين لأخذ الدروس والعبر من نماذج التحديث الناجحة لدى النمور الأسيوية والدول الإسكندينافية لإطلاق مشروع نهضوي جديد يقوم على المثقف الحر، والتنمية الثقافية المستدامة، والإبداع الثقافي في عصر العولمة، وثوراتها العلمية والتقنية والبيولوجية والإعلامية المتسارعة.

المثقف العصري والتراث العقلاني العربي:

إن دراسة علمية متأنية للمقولات العقلانية التي نشرها رواد التراث العربي تظهر أنهم لم يغادروا حتى الآن فضاء الثقافة المعاصرة ومقولاتها على الرغم من مرور قرون طويلة على وفاة هؤلاء الرواد، وفي طليعتهم ابن رشد، وابن سينا، وأبو العلاء المعري، وابن خلدون، وغيرهم . فما زالت بعض المقولات التراثية في هذا المجال تبدو أكثر عقلانية من غالبية المقولات المسيطرة الآن على الساحة الثقافية في معظم الدول العربية .وبما أن المشروع الثقافي النهضوي العربي قد تعثر طوال القرنين الماضيين، فإن من الأسباب الأساسية لذلك التعثر أنه لم يتم التأسيس على التراث العقلاني العربي الذي يضم مقولات على درجة عالية من الدقة والصواب لا تزال تحتفظ بصدقية واضحة. لقد فشلت جميع محاولات المثقفين العرب لإطلاق مشروع نهضوي جديد؛ لأن قلة ضئيلة منهم فقط قد استفادت من التراث العقلاني العربي لتطوره في عصر النهضة، ونخص بالذكر منهم رفاعة الطهطاوي، وخير الدين التونسي، وجمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده، ورشيد رضا، وعبد الرحمن الكواكبي، وطه حسين، وعبد الرحمن بن باديس، وعلال الفاسي، ومالك بن نبي وكثير غيرهم.

- المثقفون العرب في مواجهة المركزية الثقافية لعصر العولمة.

- المثقف العربي والتطورات الثقافية المرتقبة في العقد الأول من القرن العشرين.

لقد أبدت خطط التنمية العربية اهتماما متزايدا بالثقافة من حيث هي الركيزة الأساسية للتنمية وتطوير أحوال الناس الصحية، والتربوية، والمعيشية، والبيئية، والسياسية وغيرها. وتقوم التنمية الشمولية على أساس أن الإنسان المثقف هو موضوعها وغايتها. وبما أن التنمية تنظر إلى الإنسان ككائن متجدد فإن أفضل أشكال التنمية الملائمة لتجدده هي التنمية الثقافية التي تساعد على التواصل العقلاني ما بين الأجيال المتعاقبة. فالتنمية الشمولية لا تقف عند تلبية الاحتياجات المادية للناس بل تتعداها باستمرار لتلبية حاجاتهم الروحية والثقافية والفنية، وتعميق القيم الإنسانية التي تؤمن التواصل الحضاري عبر مختلف المراحل التاريخية. ولا بد من اعتماد المساءلة والشفافية في العلاقة المتبادلة بين الأجيال لوضع أسس واضحة وصحيحة لتحديد مسئولية الحكام في هدر الطاقات والإمكانات بدل تحقيق تنمية مستمرة تقود إلى خير الإنسانية كلها وتحمي كوكبنا من التدمير الذاتي . وقد أدى هدر إمكانات عربية كبيرة دون جدوى اقتصادية وثقافية واجتماعية في العقود الماضية إلى فشل جميع خطط التنمية التي لم تفرد للتنمية الثقافية سوى نسبة ضئيلة في موازناتها. فنتج من ذلك تخلف مريع في البحث العلمي، والإنتاج الثقافي الإبداعي، وتراجع أو ركود العلوم العصرية في جميع الدول العربية. فشهدت الدول العربية نزيفا حادا في هجرة سنوية لآلاف الأدمغة العربية التي تستقر الآن في الخارج، ومنها من يتبوأ أعلى المراكز العلمية وحصل على جوائز عالمية. وتبدو الحاجة ملحة إلى خطط علمية مدروسة للتنمية الثقافية؛ لأنها المدخل الموثوق به لا بل الوحيد القادر على إطلاق مشروع نهضوي في جميع المجالات، مع الحرص على إبقاء الطاقات الإبداعية العربية داخل الوطن العربي، والسعي إلى استعادة قسم من الأدمغة المهاجرة والمستقرة في الخارج.

وقد بالغ في مدح العقل: «إذا رجع العاقل إلى عقله تهاون بالشرائع وازدراها»، **وفضَّل العقل على التدين الشكلي الذي يضع الدين في موقع التعارض مع العقل.** واعتبر ابن رشد فيلسوف العقلانية العربية. فهو، بين فلاسفة العرب، أول من أقدم على فحص الأمور الإلهية بالمقياس العقلي. ودافع **السهروردي** عن التهم... فلا يقاس شيء من أحوال العمران على آخر، فكما اشتبها في أمر واحد، فلعلهما اختلفا في أمور... **الحضارة هي غاية العمران**». وميز **رفاعة الطهطاوي** بين العلماء ورجال الدين بقوله: «لا تتوهم أن علماء الفرنسيس هم علماء دين؛ لأن القسوس إنما هم علماء الدين فقط، وأما من يطلق عليه أسماء العلماء فهو من له معرفة في العلوم العقلية... العلوم الشرعية بمعنى القانونية، والأحكام القانونية ليست مستنبطة من الكتب السماوية، إنما مأخوذة من قوانين أخرى، أغلبها سياسي... **الحرية هي الوسيلة العظمى لإسعاد أهالي الممالك**، فإذا كانت الحرية مبنية على قوانين حسنة عدلية، كانت واسطة عظمى في راحة الأهالي وإسعادهم في بلادهم، وكانت سببا في حبهم لأوطانهم».

ورأى **عبد الرحمن الكواكبي** أن «**الاستبداد مفسد للدين** في أهم قسميه: الأخلاق. وأن بين الاستبداد السياسي والاستبداد الديني مقارنة لا تنفك، ومتى وجد أحدهما في أمة جرَّ الآخر إليه، وإذا صلح أحدهما صلح الآخر...إذا ألزمت أمة بالحرية دون وعي تشقى». وينتهي الكتاب بخطاب موجه من الكواكبي إلى بني قومه من العرب: «**يا قوم، قاتل الله الغباوة، أليست هي التي جعلتكم تخافون من ظلكم وترهبون من قوتكم، وتجيّشون منكم عليكم جيوشا ليقتل بعضكم بعضا؟ فيا قوم، وأريد شباب اليوم، ورجال الغد، شباب الفكر رجال الجد، أعيذكم من الخزي والخذلان بتفرقة الأديان. دعونا ندبر الدنيا، ونجعل الأديان تحكم في الأخرى. وقد علمتم يا نجباء، من طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد جملا كافية للتدبر فاعتبروا بها**». إنها لدعوة صريحة وجهها الكواكبي إلى شباب اليوم، رجال الغد،

فمراكز الأبحاث العربية، ومعها أجيال متعاقبة من الشباب العربي، لم تزاوج بشكل خلاق بين المقولات التراثية العقلانية والعلوم الحديثة لتوليد جيل نهضوي عربي جديد يكمل ما بدأه جيل الرواد. وبادرت غالبية الأنظمة السياسية في الوطن العربي إلى مصادرة كتب بعض الرواد، وحذف أسمائهم من المناهج والكتب المدرسية، وعدم الاستفادة من مقولاتهم في الأبحاث الجامعية. علما بأن رواد التراث العقلاني العربي شكلوا نماذج تحتذى لمن جاء بعدهم من العقلانيين العرب.فبدت أسماؤهم حلقات متصلة من المقولات الحية التي تقدم الدليل القاطع على أن التراث العربي يختزن فكرا عقلانيا لا يقل أهمية عن أي فكر عقلاني في جميع الدول المتطورة . لكن الفارق النوعي بين الأنظمة العربية وتلك الدول أن الأولى تنكرت لتراث العرب العقلاني، وحاصرت تراث الرواد، في حين أن الثانية استفادت إلى الحدود القصوى من تراث روادها، وجعلته حجر الزاوية في بناء صرحها الثقافي القائم على العلوم العصرية، والعقلانية، والليبرالية، والديموقراطية، واحترام حق الاختلاف والرأي المختلف.

لقد حفل تراث العرب بمقولات عقلانية لم تفقد بريقها حتى الآن، وتشكل ركائز صالحة لبناء دولة عصرية تستند إلى العقلانية. **يقول ابن المقفع**: «**العقل! أفضل ما رزق الله العباد هو العقل** الذي هو قوة لجميع الأشياء. فما يقدر أحد على إصلاح معيشته واجترار منفعة ولا دفع مضرة إلا به... **إن أشد الفاقة عدم العقل، ولا مال أفضل من العقل**». وقد أوجز **الجاحظ** تجاربه الشخصية في الحياة بقوله: «للأمور حكمان: حكم ظاهر للحواس، وحكم باطن للعقل، **والعقل هو الحجة**».

ويرى **أبو حيان التوحيدي** في العقل: «أنه الملك المفزوع إليه، والحكم المرجوع إلى ما لديه، في كل حال عارضة، وأمر واقع، عند حيرة الطالب». ورفع **أبو العلاء المعري** العقل إلى المرتبة العليا بقوله: «إن الإنسان إذا سمع ما يخالف الشرع دله العقل على الفضل فكأنه إمام له».

واقع الثقافة العربية في المرحلة الراهنة

تُعَدُّ المقولات الثقافية لعصر النهضة نتاج تفاعل بين العرب والأوروبيين. فقد حاول المثقفون العرب، كغيرهم من مثقفي الشعوب الأخرى، الاستفادة من تفوق الغرب التكنولوجي الواضح في القرن التاسع عشر. وانقسم مثقفو عصر النهضة ما بين فئة تحبذ الاقتباس السريع لتكنولوجيا الغرب لكنها ترفض مسبقا غالبية قيمه الثقافية تحت ستار الحفاظ على الأصالة، وفئة تحذر من فصل التكنولوجيا عن القيم الثقافية التي أنتجتها؛ لأن هذا المنحى يقود إلى التغريب والتبعية، وليس إلى الحداثة.

لقد كتبت آلاف الدراسات حول هذا الموضوع أشرت إلى الكثير منها في كتابي «النهضة العربية والنهضة اليابانية: تشابه المقدمات واختلاف النتائج» (الكويت ١٩٩٩)، وكتابي «النهضة العربية المعاصرة: الدروس المستفادة عربيا» (بيروت ٢٠٠٢). ومن خلال تكثيف شمولي، يمكن القول: إن مقولات النهضة العربية قد أجهضت تحت وطأة التناقضات الداخلية من جهة، والضغوط الأجنبية المكثفة من جهة أخرى. فخلفت وراءها أزمات حادة ما زالت تعاني منها حركة الإنتاج الثقافي في غالبية الدول العربية.ويمكن إيجاز أبرز تلك الأزمات على الشكل الآتي:

١ - في المرحلة الراهنة، ما زال الإنتاج الثقافي الإبداعي في الوطن العربي ضعيفا للغاية، ويصنف في خانة الدول النامية التي تستهلك ثقافات الغير أكثر مما تقدم إضافات نوعية إلى الثقافة الكونية في عصر العولمة. وعلى الرغم من وفرة الإنتاج الثقافي المعد للاستهلاك المحلي في كل دولة عربية نجد تغييباً ملحوظاً للثقافة القومية العربية الجامعة. ونتج من ذلك انحسار واضح لدور المؤسسات الثقافية القومية، وفي طليعتها اتحادات الكتاب والمؤرخين والسينمائيين والإعلاميين والمسرحيين وغيرها من الاتحادات العربية ذات الطابع القومي.

بالانصراف إلى دراسة التراث العقلاني العربي لبناء نهضة عربية جديدة على أسس عقلانية لا تقيم التعارض بين العقل والدين، ولا تطمس التراث العقلاني العربي تحت كثافة الموروث الغيبي الذي يكاد يلغي التراث باسم الدين.

إن المثقف العقلاني ركيزة أساسية في التراث العربي، في مختلف حقبه. وهناك كوكبة كبيرة من المفكرين العرب قل نظيرها في تراث الشعوب الأخرى كانت على درجة عالية جدا من العقلانية، ولم تستطع آلة القمع السلطوية الحد من تأثيرهم في الفكر العربي والعالمي طوال قرون عدة. وقد استند المثقفون النهضويون العرب دوما إلى تراث من سبقهم وتفاعلوا معه، وأضافوا إليه. فشكل هؤلاء تراثا عربيا عقلانيا على درجة عالية من التكامل. وما زال هذا التراث حيا وفاعلا، لا بل الأكثر رسوخا والأكثر تأثيرا في الفكر العربي الحديث والمعاصر. لكن عدم الاستفادة من هذا التراث وتوظيفه في بناء دول عصرية مؤشر واضح على هيمنة القوى غير العقلانية في العالم العربي. ولن يستقيم مسار النظم السياسية العربية على قاعدة العدالة والحرية والمساواة إلا بوضع التراث العقلاني العربي في موقعه الذي يستحق، أي بتحويله إلى تراث حي قادر على تثقيف العرب، حكاما وشعوبا، بثقافة عقلانية أصيلة هي نتاج مفكريهم الكبار الذين اختزنوا في أعمالهم أفضل ما في التراث الإنساني من مقولات عقلانية. وهذه مسألة في غاية الأهمية؛ لأنها من الأسباب المباشرة التي أوصلت الثقافة العربية إلى المأزق الكبير الذي تعيشه الآن على جميع المستويات، والذي يختصر بهيمنة ثقافة التقليد والاستهلاك على الثقافة العقلانية الإبداعية، وإلى الغياب الملحوظ للمثقفين العرب عن ساحة الإبداع الثقافي. فالثقافة المأزومة والمثقف الفاقد القدرة على الإبداع سببان جوهريان لما نشهده من إخفاقات عربية رافقها قمع منظم للثقافة العقلانية على امتداد الوطن العربي، ويأتي التنكر للتراث العقلاني وعدم الاستفادة منه ومحاربته، في طليعة أسباب الفشل المستمر للمشروع النهضوي العربي طوال القرنين التاسع عشر والعشرين.

أن الثقافة السائدة، في مختلف المجالات، لا تحتمل الرأي الناقد أو المختلف لدرجة أن كثيرا من المجتمعات العربية تفتقر بشدة إلى وجود رأي ناقد لا يعرض صاحبه للقتل أو السجن، أو النفي. فالرأي السائد يلاحق الرأي الناقد في حياتنا اليومية ليطرده بقسوة، أو ليفرض على صاحبه نوعا من الرقابة الذاتية التي تصل أحيانا إلى أسوأ درجات القمع؛ لأنها تقتل الطاقة الإبداعية في المثقف وتحيله إلى كاتب نص هزيل وبائس. كما أن غالبية الأنظمة العربية قد حدّت كثيرا من هامش الحرية الفكرية حتى استحال المشهد الثقافي فيها إلى مشهد باهت يتكرر يوميا دون إبداع.

٦- إن جيل الشباب مغيَّب بشكل غير طبيعي من دائرة الإنتاج أو الإبداع الثقافي على امتداد الوطن العربي. علما بأن تطور التعليم في المجتمعات والخدمات الكبيرة التي قدمتها جامعات ومعاهد الدولة إلى جانب الجامعات الخاصة المنتشرة في الوطن العربي ساهمت في إحداث تغييرات جذرية في البنية الثقافية لدى الجيل العربي الجديد الذي يمتلك قسم مهم فيه ثقافة عصرية، ويتميز بالانفتاح المتزايد على اللغات والثقافات العالمية .وقد تجاوزت معظم الدول العربية تراث مرحلة التعليم التقليدي المستند إلى التلقين، وهي تنشر الآن ثقافات عصرية وتولي اهتماما متزايدا بالقطاع الثقافي وبالتطلعات المستقبلية للشباب العربي. لكن المعضلة الأساسية في هذا المجال أن الدول العربية لا تفرد مكانة خاصة للأجيال الشابة في برامج التحديث والتنمية، ولا تفسح لهم المجال للمشاركة الفاعلة في تسيير شئون الدولة، ولا تحتضن الطاقات الشابة من المتميزين في مختلف حقول الإبداع الثقافي والفني والعلمي.

إن عجز الدولة والمؤسسات الثقافية ذات التوجهات الوطنية والقومية عن القيام بدورها في استقطاب النخب الجديدة من ذوي الطاقات الإبداعية المتميزة لدى الأجيال الشابة، قاد إلى تهميش النخب الثقافية الشابة التي تتخذ مواقف سلبية متشنجة ضد الدولة ومؤسساتها الثقافية، كما هو حاصل الآن في جميع الدول

٢- إذا كان تنشيط حركة الإنتاج الثقافي في كل دولة عربية أمراً مشروعاً ومستحباً، إلا أنه لا يبرر تنامي الاتجاهات الثقافية التي تنمي الشعور القطري الضيق عند عدد كبير من المثقفين العرب على حساب الشعور القومي الشمولي. وهذا ما يؤكده تراجع دور المؤسسات الثقافية ذات التوجه القومي والتي تساهم في تنامي الوعي الثقافي الشمولي وتستفيد من تزايد عدد الباحثين والمبدعين العرب المنتشرين في جامعات ومعاهد ومؤسسات الثقافة والإعلام والفنون العربية؛ لتحويل التراكم الكمي إلى تراكم ثقافي نوعي يوظف لإطلاق مشروع نهضوي جديد.

٣- يلاحظ أن الإنتاج الثقافي العربي الراهن هو، في الغالب، أسير الثقافة الاستهلاكية لعصر العولمة التي تعمل على تهميش جميع الثقافات المحلية والقومية. فالحضور الطاغي لثقافة العولمة في جميع وسائل الإعلام العربية يشكل تحديا كبيرا لقدرة الثقافات المحلية، الوطنية والقومية، على الاستمرارية ومواجهة التحديات. وباتت علاقة الداخل بالخارج في غاية التعقيد مع سيطرة وسائل الإعلام الحديثة، وشبكات الإنترنت، وأجهزة لاقطة لمحطات إرسال فضائية غير محلية.

٤- يتجه العالم الآن نحو مرحلة متقدمة جدا تؤسس لثقافة كونية تتجاوز كل الحدود الجغرافية، وهو ما يعرف بظاهرة «الخيمة الثقافية في القرية الكونية». ولم يعد بمقدور المثقف العربي أن يبقى أسير حدود محلية أو قومية ضيقة بعد أن تداخلت في وعيه جميع الثقافات بشكل لا مثيل له في السابق. وينمو الآن جيل جديد من المثقفين العرب الذين يتشكل وعيهم اليومي عن طريق مقولات الثقافة الاستهلاكية لعصر العولمة.

٥- تكمن أبرز معضلات الثقافة العربية في مطلع القرن الحادي والعشرين في تغليب ثقافة التبرير على ثقافة التغيير. فالغالبية الساحقة من المثقفين العرب تنتمي إلى ثقافة تبرير ما هو سائد من مقولات ثقافية في مختلف المجالات، وهي تخشى مخاطر الانتماء إلى الثقافة النقدية التي تعرضها للقمع والاضطهاد. مرد ذلك إلى

العربي، وفي توليد أجيال متعاقبة من المثقفين العرب. ونشير هنا إلى أسماء كوكبة من المثقفين العرب الذين نشروا أبحاثا جدية وافرة؛ لإطلاق مشاريع نهضوية جديدة، ومن مواقع سياسية وثقافية متناقضة أحيانا. لكنها تلتقي جميعها على نشر وعي ثقافي معمق بهدف استنهاض الأمة العربية من المأزق الذي تعيش فيه. ولعل ابرز أصحاب المشاريع الثقافية المتميزة في هذا المجال: ساطع الحصري، وعبدالله العلايلي، وقسطنطين زريق، وسيد قطب، وحسين مروة، وعبدالله العروي، وعبد العزيز الدوري، ومحمد أركون، وهشام جعيط، ومحمد جابر الأنصاري، والطيب تيزيني، وناصيف نصار، وصادق جلال العظم، وبرهان غليون، وإدوارد سعيد وغيرهم. وقد لعبت كتاباتهم دور الريادة الحقيقية في إغناء الفكر العربي بمضامين إنسانية.

وهي تدعو إلى تحرير الأراضي العربية من الاحتلال الأجنبي ومعه تحرير الإرادة العربية من التبعية والاستلاب. وبسبب التحديث المشوه الذي ما زال مستمرا منذ مطلع القرن التاسع عشر لم ينتقل العرب من دائرة نقل التكنولوجيا الغربية إلى توطينها والمشاركة في إنتاجها عن طريق تحرير الإنسان العربي القادر على الإبداع بحرية. وقد نَبَّهَ بعضهم على مخاطر الفهم الأحادي الجانب للتراث العربي وتوظيفه لأهداف سياسية ضيقة.

إن أي مشروع نهضوي قابل للحياة يجب أن يهتم بالمشكلات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي تعانيها المجتمعات العربية. فالمشروع النهضوي الحقيقي ليس مجرد دعوة للتحرر السياسي فحسب، بل حركة تغيير شامل تطول كل ركائز المجتمع، بدءا بتحرير إرادة الإنسان العربي من قيود التخلف والجهل وصولا إلى تحرير الأرض العربية والإرادة العربية من كل أشكال التسلط، والتبعية، والقهر، والاستغلال. ويدرك كل مثقف عربي معني بتحرر أمته من التبعية والتخلف أن البشرية تمر الآن بمرحلة بالغة الدقة والخطورة في تاريخها المعاصر، أو ما يعرف

العربية. وقد تصاب بعض النخب الشابة بالإحباط على المستوى الشخصي، أو يأخذ بعضها طريق الهجرة إلى الخارج للاستقرار هناك. ومع هذا النزوح الكثيف للمبدعين العرب الشبان تتضاءل الفرص العملية للنهوض الثقافي، ويفقد المثقفون القدرة على التأثير الإيجابي في توليد مشروع نهضوي جديد يعيد للعرب موقعهم المفقود في الإبداع الثقافي على المستويين المحلي والعالمي.

المثقف العربي وهاجس البحث عن مشروع نهضوي جديد وحلول عملية لمشكلات العرب

نرمز بمصطلح المثقف العربي في هذه الدراسة إلى كل مثقف أخلص لتاريخه وتراثه الحضاري، وهو حريص على مستقبل أمته من خلال تقديم خلاصة آرائه في السياسة الواجب اعتمادها لتجديد الفكر العربي انطلاقا من القلق الإيجابي على مصير أمة عريقة ذات تراث إنساني مميز، ولها مساهمات مهمة في تطور الحضارة الإنسانية الشمولية. وخير نموذج على المثقف العربي الحامل لهواجس أمته هو المفكر القومي العربي البارز قسطنطين زريق الذي وصف المؤثرات التي لعبت الدور الأساسي في نشأته وتكوينه الثقافي بقوله: «**إذا أردت أن أجمع القول في مختلف آثار نشأتي إلى نهاية تحصيلي الجامعي وبداية ممارستي المهنية لخصتها في توجهات أربعة: الاختيار العلمي والتعليمي، والانتهاج الليبرالي الديموقراطي، والانتماء القومي العربي، والإحساس بالمسئولية في تفكيري وعملي**».

لقد آمن المثقف النهضوي بأن التعليم، خاصة في المرحلة الأكاديمية، يساعد المثقف على بلورة آرائه الإصلاحية من طريق التأثير المباشر في أجيال متعاقبة من طلاب جامعيين يشاركون لاحقا في قيادة دفة الحكم وعجلة الإدارة والمؤسسات الخاصة والعامة. وكان للمثقف النهضوي دور متميز في تنشيط الفكر القومي

تفاديه؛ لأن بعضها يحمل الكثير من الإيجابيات التي يمكن الاستفادة منها في تنمية الحس القومي العربي وإرساء الصيغ المستقبلية للعمل الوحدوي العربي على قواعد جديدة من الليبرالية، والعقلانية، والديموقراطية، والانفتاح على تجارب الغير الناجحة في التحديث والتجديد النهضوي، وبشكل خاص الاستفادة من تجارب التحديث في دول جنوب آسيا وشرقها، وفي طليعتها اليابان. يضاف إلى ذلك أن المثقف النهضوي العربي ينطلق من مقولة علمية ترى أن التربية، وبشكل خاص في المرحلة الجامعية، لا تقوم على تلقين المعلومات، بل على تفاعل العقول في نقاش وحوار حر يتعدى مادة الدراسة نفسها؛ لينفتح على شئون الحياة الواسعة والاهتمامات القومية والإنسانية.

وهو يؤمن إيمانا راسخا بأن الاحتلال الصهيوني للأراضي العربية إلى زوال أكيد وأن نهاية الصراع ستأتي لمصلحة العرب؛ نظرا لثقلهم العددي ولأهمية مواردهم المادية شرط أن يعرف قادتهم كيف يديرون الصراع بحنكة تساعد على إحقاق حقهم المشروع على أراضيهم.

ومن واجب المثقفين العرب الرد على التحديات الخطيرة التي تجابههم برفض اليأس، والإصرار على المواجهة؛ إذ لا يليق بالأجيال العربية الطالعة أن تستكين إلى الذل، وأن تقبل بأقل من الوحدة القومية والمشاركة في التاريخ العالمي من موقع الفاعل، وليس المتلقي لسلبيات العولمة. في هذا الجانب تبرز أهمية السؤال النهضوي المستمر حتى الآن: «**ما دور المثقف العربي في مواجهة التحديات التي تواجهها الأمة العربية؟**». وهو سؤال محوري وضعه كل مثقف نهضوي في رأس اهتماماته البحثية وهواجسه الثقافية؛ لأن لديه أملا راسخا بتبدل حال المجتمعات العربية نحو الأفضل انطلاقا من نظرة تفاؤلية بمستقبل العرب لا يجوز أن يتخلى عنها حتى في أحلك الظروف التي تحيط بالأمة العربية. لكن المثقف النهضوي العربي لا يبشر بمستقبل زاهر للأمة العربية انطلاقا من نظرة تفاؤل خادعة، بل من إيمان راسخ

بعصر العولمة.

لكن الإيجابيات الكثيرة التي حفلت بها الساحة الثقافية على المستوى الكوني وما رافقها من اكتشافات علمية وثورات تكنولوجية وإعلامية وبيولوجية وفضائية مذهلة لا يجوز أن تحجب عن المثقف النهضوي الدور السلبي المحتمل للثقافة الكونية في عصر العولمة والذي يهدد بضرب الركائز البنيوية للثقافات المحلية والقومية على امتداد الدول النامية، ومنها الدول العربية. وقد نبه المثقفون العرب على خطورة النتائج السلبية المرتقبة لثقافة العولمة التي تنشر مقولات إيديولوجية خاطئة واستفزازية حول صراع الحضارات وإخضاع جميع الثقافات التاريخية العريقة قسريا إلى ثقافات عصر العولمة وسلعها الاستهلاكية. مع ذلك، وعلى الرغم من خطورة هذه الدعوات، فالمثقف العربي مطالب باعتماد النقاش الهادىء والعميق مع أصحاب المقولات الثقافية الغربية التي تناولت بالتحليل والنقد مختلف جوانب التراث، والتاريخ والثقافة عند العرب. وهو مطالب كذلك برفض السجال معهم انطلاقا من مقولات إيديولوجية لا تعبر بدقة عن روح الحضارة الغربية بدليل كثرة الانتقادات العميقة التي وجهت إليهما من جانب الغالبية الساحقة من المثقفين الغربيين أنفسهم. فنقد مقولات عصر العولمة والسيطرة الأميركية الوحيدة الجانب على العالم يقتضي الجمع ما بين الإيمان الراسخ بالتراث العربي ودوره في صياغة الكثير من المقولات العلمية الرصينة المستمرة حتى الآن، والانفتاح على الثقافات الإنسانية والتطلع إلى المستقبل بنظرة إنسانية شمولية صائبة. وذلك يتطلب من المثقف العصري العربي أن يكون على معرفة علمية دقيقة بأصول الثقافات الغربية من منابعها، وبلغاتها الأصلية.

ولعل أبرز الاستنتاجات التي توصل إليها المثقفون النهضويون العرب في سعيهم الدءوب إلى رسم ملامح المستقبل العربي في القرن الحادي والعشرين أن الثقافات الغربية الحديثة والمعاصرة، ومنها ثقافات عصر العولمة، ليست شرا مطلقا يجب

وتساهم كتاباته العلمية في استشراف المستقبل العربي على مشارف القرن الحادي والعشرين، كما تساهم في رفع مستوى الخطاب القومي العربي وتنقيته من المقولات الضيقة. وينطلق المشروع النهضوي العربي أولا من نقد التخلف العربي، ويحث المواطن العربي على التحرر من نقائصه الذاتية ومن عقدة الدونية تجاه الغرب المتفوق.

بعبارة أخرى، ينطلق التحرر الشمولي بجهود ذاتية في الدرجة الأولى. أما الارتقاء بالوعي العربي إلى التأثير في الحضارة الكونية فيتطلب الكثير من العمل العقلاني العربي المشترك، في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية كافة، لإطلاق مشروع عربي نهضوي جديد طال انتظاره. ومن أهم سمات هذا المشروع الجديد الجمع ما بين ثقافة إنسانية مشبعة بروح التراث العربي ورؤية مستقبلية نفاذة تحث الفكر العربي على التقدم. فالمفكر العربي النهضوي الأصيل هو المفكر المشبع بالمقولات العقلانية في الثقافة العربية والإسلامية، لكنه أيضا عميق الانتماء إلى كل ما هو إيجابي في الثقافات الإنسانية على امتداد العالم كله. والمثقف العربي النهضوي الأصيل هو المثقف القلق على مستقبل أمته في عصر التبدلات العالمية المتسارعة.

وقد ميز شيخ النهضويين العرب، قسطنطين زريق، ما بين القلق السلبي الذي يدمر صاحبه من الداخل وبين القلق الإيجابي الذي يساعد على ترقية حال الأمة. يقول في ذلك: «**ويل لأمة لا تقلق، إذ إنها تبقى في أوضاعها التوحشية. وويل أيضا لها إذا سرى القلق في ثناياها فأوقعها في سلبية القنوط واليأس، أو في السلبية الشنعاء، سلبية استغلال الفرص للإيقاع بالغير والإفادة من شقائه**». والمطلوب، في رأيه، «**انطلاق العقول والنفوس من القلق السلبي إلى قلق إيجابي يظل يبعث التمرد على النقص ويثير التوق إلى الاكتمال والاهتداء، (وبالتالي) إلى اكتساب حظوظ جديدة من التحرر والتحضر**». فليس من خيار أمام العرب للانتقال من

بأن النكبات تساعد على اختبار الشعور القومي الحقيقي كما تساعد النار على صهر الذهب لتنقيته مما علق به. لقد رحل الاستعمار المباشر، في مختلف أشكاله، عن جميع الدول، وبات على العرب التخلص من سلبيات المرحلة الاستعمارية الطويلة والانخراط في عملية التوحيد القومي حتى يتم القضاء على الاختراق المستمر الذي يمارسه الاستعمار الجديد بأشكال مختلفة. وعليهم كذلك تجاوز السلبيات الكثيرة التي بثتها ثقافات الدول الاستعمارية في بلادهم والانخراط في دراسة الثقافات الإنسانية الشمولية التي تساهم في تعميق الصلات الحضارية ما بين ماضي العرب ومستقبلهم من جهة، وبين الثقافة العربية والثقافات الإنسانية الشمولية من جهة أخرى. وآن الأوان لخروج العرب من دائرة الاستفادة السريعة من تقدم التكنولوجيا الغربية مقابل البطء الشديد في استفادتهم من النظم العقلانية والليبرالية التي أنتجت تلك التكنولوجيا. وعليهم التنبه لمخاطر التقدم التكنولوجي الغربي الذي يمكن الاستفادة منه بحكمة ودراية مع الإصرار المسبق على رفض كل أشكال الانحطاط الخلقي التي تدمر الشبيبة العربية، وتزيد من تخلف المجتمعات العربية. وبات من واجبهم الوطني والقومي والإنساني التنبه لمخاطر تعثر التنمية الشمولية، وهدر الإمكانات الكبيرة التي لا تعوض بعد نفاذ الموارد الطبيعية العربية .لقد نبه كثير من المثقفين النهضويين العرب باستمرار على مساويء تغليب التراكم الكمي على النوعية في الثقافة والإدارة ومختلف جوانب الحياة السياسية والاجتماعية وغيرها . فتغليب الكمي على النوعي يساعد على نشر الفساد، والرشوة، ويضعف الروح الوطنية والقومية، كما يقود إلى اليأس والإحباط لدى الأجيال العربية الطالعة.

خلاصة القول، أن المثقف العربي النهضوي هو بالضرورة مثقف مؤمن بعدالة قضايا أمته العربية بقدر ما هو مؤمن بالثقافة الإنسانية الشمولية القادرة على حل مشكلات الناس، دون تمييز بين ألوان بشرتهم، وأعراقهم، وميولهم السياسية.

لذا تحتاج المعالجة الجدية لعلاقة العرب بالغرب إلى تضافر جهود الباحثين العرب، المقيمين منهم داخل الوطن العربي أو المشردين في خارجه، للحوار من موقع الندية مع الباحثين الغربيين. وقد نال هذا الموضوع الاهتمام الكافي؛ نظرا لكثرة ما عقد حوله من مؤتمرات وندوات علمية ضمت مئات الباحثين من العرب وغير العرب المهتمين بدراسة تطور العلاقات العربية مع الغرب في مختلف جوانبها. كما أن غالبية المجلات العربية أصدرت ملفات عدة متخصصة تناولت مقولات عصر النهضة وأثر الغرب فيها، بالإضافة إلى المقولات الغربية الجديدة في عصر العولمة الأميركية والتي تمحورت بشكل خاص حول مقولتي فوكوياما: «نهاية التاريخ والإنسان الأخير»، وصموئيل هانتينغتون: «صدام الحضارات».

في الغالب، كانت ردود الفعل على هاتين المقولتين سلبية للغاية في مختلف الدول الأوروبية والأميركية وفي دول جنوب وشرق آسيا، فتم سحبهما من التداول في مختلف مراكز الإنتاج الثقافي في العالم. لكن معظم المثقفين العرب، ومعهم عدد كبير من مثقفي دول العالم الثالث، ما زالوا يستذكرونهما يوميا لتجديد الهجوم على الغرب. وما يؤخذ الآن على الأعمال العربية الجديدة والملفات الصحفية التي تناقش مسألة التفاعل بين الحضارات والثقافات، وما إذا كانت حوارية أو صراعية، أنها لم تعد تخرج عما هو متداول ومكرر من أفكار في هذا المجال.

لقد حفلت الدراسات العربية حول مقولات عصر النهضة بآراء مهمة جدا حول التفاعل الثقافي الإيجابي بين العرب والغرب، والمثاقفة والاختلاف الثقافي، وصورة الغرب التي ارتسمت في أذهان العرب من خلال انطباعات الرحالة العرب الأوائل خاصة الذين زاروا أوروبا في القرن التاسع عشر. ونشر بعض النهضويين العرب بجرأة نادرة كثيرا من المقولات الفلسفية الغربية التي تناولت علاقة العلم بالدين، الفرد بالدولة، والحاكم بالمحكوم، وقضايا الحريات العامة التي تنظمها قوانين مدونة، وممارسة الشعب لحقوقه الأساسية التي يكفلها القانون دون تدخل من

القلق السلبي إلى القلق الإيجابي إلا باعتماد العقلانية - الخلقية التي تقوم على الموضوعية، والنقد، وروح المثابرة. وعلى قاعدة هذا الخيار العقلاني - الخلقي تساهم الثقافة العصرية العربية، في الثقافة الكونية، لا من موقع الخوف على الماضي الذهبي للأمة العربية، بل انطلاقا من الإيمان بقدرتها على التجدد الدائم في الحاضر والمستقبل كأمة عريقة كان لها دور مميز في الحضارة الإنسانية. ومن واجب المثقفين العرب إطلاق مشروع عربي نهضوي جديد، يعيد للأمة العربية دورها المميز في صياغة التاريخ الكوني، والحضارة الإنسانية الشمولية.

المثقفون العرب في مواجهة المركزية الثقافية لعصر العولمة

بدأ أثر مقولات الغرب في المجتمعات العربية كموضوع سجال ثقافي منذ عصر النهضة ولم يتوقف حتى الآن. فقد تناول بعض الرواد بالتحليل الأسباب التي أدت إلى تأخر العرب وتقدم الغربيين حتى بات الغرب حاضرا بقوة في صياغة مقولات عصر النهضة التي تبلورت بوضوح تام عبر شعارات حركات التحرر الوطني في جميع الدول العربية. وفي حين ساهمت بعض المقولات الثقافية الغربية في صياغة فكر النهضة العربية فإن الأنظمة الغربية ساندت القوى التسلطية والأنظمة الديكتاتورية على امتداد الوطن العربي، وهذا ما جعل صورة الغرب ملتبسة جدا في غالبية الندوات والدراسات العربية. فصورة الغرب ليست تجسيدا لأفكار الثورات التحررية الأوروبية والأميركية حول حقوق الإنسان، والعدالة، والإخاء، والمساواة. إنها الآن تجسيد للسيطرة الاستعمارية على الدول العربية والتي كان آخر تجلياتها قيام دولة إسرائيل على أرض فلسطين، ومرابطة أكثر من مائة ألف جندي أميركي على أرض العراق، وفي الخليج العربي. هذا بالإضافة إلى عشرات القواعد العسكرية، وعدد لا يحصى من قطع الأساطيل الأميركية التي تجوب البحار المحيطة بالأراضي العربية.

في هذا الإطار تحديدا، ليست العولمة إلغاء للثقافات المحلية لأي شعب من الشعوب بل تعويض عن النقص الحاد في انعدام الطاقات الإبداعية لديها. فالعولمة مرحلة تاريخية تعمل على خلق مجتمع كوني جديد لا مكان فيه إلا للقوى القادرة على الإنتاج والإبداع. وهي تتطلب شكلا أرقى من التحالفات السياسية والمالية والإدارية تكون قادرة على حماية الإبداع وتعميم الانتاج الثقافي أو فرضه على العالم.

بعبارة أخرى، ليست العولمة سوى مرحلة جديدة من مراحل تطور النظام الاقتصادي والسياسي والثقافي العالمي أو الكوني الذي بات قادرا على التحكم بمصير جميع الشعوب، الغنية منها والفقيرة على حد سواء. ومخاطر العولمة بارزة وجلية على الفقراء في المجتمعات التي تنتج سلعا ثقافية معادية للاستهلاك كما هي بارزة وجلية على جميع فقراء العالم . وليس تفكيك الهويّات المحلية غاية بحد ذاتها لأنها ستنهار من تلقاء نفسها إذا كانت عاجزة عن الإبداع الثقافي . وتبدو مقولة الأصالة أو التمسك بالخصوصيات التراثية خادعة طالما أنها عاجزة عن حماية الذات من مخاطر العولمة وثقافاتها الاستهلاكية. وحدها الهويات المبدعة هي القادرة على الصمود عبر التضامن الاجتماعي المستند إلى الدولة الديموقراطية العقلانية، ومؤسسات المجتمع المدني، والتمسك بالثقافة القومية المنفتحة على الثقافات الإنسانية.

بقي أن نشير إلى أن الصورة المتبادلة ليست صورة الشرق على حقيقته ولا الغرب على حقيقته، بل صورة كل منها في مخيلة الطرف الآخر. وهي صورة فيها تمثل واختراع.

ولأنها كذلك فهي تحيل إلى المخيال الذهني أكثر مما تحيل إلى واقع الآخر على طبيعته.

وأخطر ما في حوار العرب مع الغرب أن العرب وجدوا في الحضارة الغربية استكمالا لما بدءوا به من قرون طويلة قبل أن يتوقفوا عن الإبداع ويدخلوا مراحل

الحاكم، ورفض مقولات الاستبداد، والتحكم بالمال العام، واحتكار السلطة، وغيرها.

وتعبر هذه العناوين عن غنى وتنوع كبيرين لمقولات كوكبة من أفضل الباحثين العرب المجددين في هذا المجال، وهي تقدم معرفة معمقة بالعلاقات التاريخية المستمرة بين المجتمعات العربية بالغرب. إلا أن وجهات نظر المثقفين العرب حول مقولات عصر النهضة كانت تتباعد باستمرار طوال القرن العشرين. وذلك يستدعي ضرورة فتح حوار معمق لتقريب وجهات النظر فيما بينهم؛ لكي يكون الحوار مع «الآخر» الغربي مفيدا وعلميا.

لقد آن الأوان لمراجعة مواقف المثقفين العرب عن الغرب ولإعادة النظر في المسلمات الراسخة في أذهان البعض منهم عنه؛ عل في ذلك ما يساعد على بناء صور جديدة تساهم في تقديم معرفة عقلانية وليس عاطفية أو انفعالية عن مقولات عصر النهضة. فهناك صورة ثابتة للغرب في أذهان الغالبية الساحقة من المثقفين العرب وهي الصورة التي رسختها الممارسة الاستعمارية البشعة، وأشاعت مناخا من الصدام والمواجهة بين الشرق والغرب. فالغرب هو المنتصر دوما؛ لأنه الأقوى سياسيا واقتصاديا وعسكريا ومعرفيا. ورد المثقف العربي أن تفوق الغرب لا يبرر سيطرته على الشعوب الأخرى وتشويه ثقافاتها المحلية والقومية. لذلك انتقد المثقفون العرب بعنف مقولات العولمة الجديدة، وفي طليعتها «نهاية التاريخ»، و«صراع الحضارات»، و«ما بعد الحداثة «وغيرها؛ لأنها تعبر فقط عن مقولات الثقافة الإمبريالية المنتصرة. من ناحية أخرى، تبدو العولمة حركة مستمرة لا ارتداد فيها لتوحيد العالم بمختلف الوسائل. وكل دولة أو ثقافة تخاف من العولمة تتقوقع على ذاتها دون أن تكون قادرة على حماية نفسها من مخاطر العولمة التي تحولت إلى تيار عالمي لا بد من الدخول فيه من موقع الفاعل أو المتلقي. والقلق الذي يثيره ضغط العولمة في بعض الأوساط الثقافية العربية يقدم الدليل على تراجع عملية الإبداع الثقافي لدى العرب مما يجعلهم مستهلكين لثقافات الغير.

المشاريع من النهضويين العرب هو الجهر بآرائهم النظرية بجرأة، وتحررهم من عقد الخوف التي تطبع أعمال كثير من المثقفين في تعاطيهم مع ما يسمى بمقدسات التراث العربي. فالمثقف النهضوي صاحب منهج علمي متماسك يحتل سلم الأولويات فيه هاجس البحث عن أسرار تقدم العلوم العصرية مع مواصلة التفكير في إشكاليات التخلف العربي وضرورة تطوير المقولات العقلانية التي أطلقها رواد عصر النهضة، ثم جرى الالتفاف عليها أو القطيعة معها بأشكال متعددة مما أفضى سلفية متجددة وموغلة في التقليد، ونشر أحلام خادعة حول استعادة ماضي العرب الذهبي. انطلقت مقولات النهضويين العرب من معاينة موضوعية لحركة تطور المجتمعات العربية طوال القرن العشرين، والتي تمتاز بغلبة التقليد والتخلف على التجديد والتنمية الشمولية.

في هذا الجانب، يجادل بعض المثقفين العرب النهضويين بأن خط التخلف هو الطاغي على مسيرة العرب في هذه المرحلة، وأن بعض الظاهرات الإيجابيات لا يعتد بها؛ لأنها إما سطحية أو ليست عميقة الجذور في هذه المجتمعات، وإما لأنها مرحلية أو ظرفية، وهي تتعرض دوما للنكوص والارتداد. كما أن تجليات حركة الفكر العربي المعاصر ،في مختلف أقطار الوطن العربي، تؤكد أن دخول العرب في التاريخ العالمي أو الكوني في القرن العشرين كان انخراطا تبعيا فيه الكثير من الاقتباس والتقليد والتغريب والقليل من الإبداع والتجديد والحداثة الشمولية غير القابلة للارتداد. وقد تمحورت أعمال معظم النهضويين العرب المعاصرين، وبشكل أساسي أصحاب المشاريع المتكاملة، حول دراسة المفاهيم الأساسية في الثقافة العربية المعاصرة من حيث تفاعلها مع الثقافة الكونية المتبدلة باستمرار.

وأبرز تلك المفاهيم:نقد الإيديولوجيا، ونقد التخلف، ونقد التبعية، وتعميم مفاهيم الحرية، والدولة، والعدالة، والمساواة، والعقلانية، والليبرالية، والحداثة، والأصالة، والهوية.

الانحطاط الطويلة. لذلك رأوا في الغرب صورة الأنا العربية المتطورة أو مرآة للأنا بالقوة لا بالفعل على حد تعبير أرسطو. وما يلفت الانتباه أن الثقافة العربية ما زالت تنظر إلى نفسها كثقافة كبرى، وترفض الاعتراف بالضعف الذي أصابها ، ولا تتحمل بسهولة، نقدا للذات أو نقد الآخر لها. هكذا تبدو الصورة المتبادلة بين العرب والغرب من بناء المخيال حيث اخترع المثقف الغربي صورة نمطية مشوهة عن العرب، فرد عليه المثقف العربي باختراع صورة نمطية مشوهة للغرب، كل من موقعه، وكل بطريقته وآلياته. وإذا كانت السمة الغالبة في الخطاب العربي المعاصر هي رفض الصورة التي يرسمها الغرب عن العرب مع البحث لها عن سياقات ودوافع، فإن هذا الرفض يقابله تساؤل مشروع عن الصورة التي يبنيها العرب عن الغرب وعن علاقتهم به كما هو في الواقع وليس في المخيال. نتيجة لذلك يَتَشَكَّى العرب دوما من تشويه الغرب لصورتهم، إلا أنهم يتجاهلون أن صورة الغرب لديهم ليست أقل تشويها لا في المخيال ولا في الخطاب السياسي اليومي.

نخلص إلى القول في هذا الجانب أن الاختلاف الثقافي ليس سببا مقنعا للنزاعات الثقافية، على الرغم من أن بالإمكان استغلاله لتأجيج حروب مدمرة غالبا ما تكون أسبابها غير ثقافية. والمطلوب تطوير الحوار الثقافي بين الباحثين العرب أولا بمقدار تعزيز الحوار مع الباحثين الغربيين.

المثقف العربي والتطورات الثقافية المرتقبة في العقد الأول من القرن الحادي والعشرين

استمر تشكل المقولات النظرية أو بالأحرى هواجس المثقفين العرب المعاصرين الفكرية انطلاقا من إشكالية تأخر العالم العربي، وهي إشكالية لا تزال فاعلة لدى غالبية المثقفين العرب منذ عصر النهضة ومحورها الإجابة عن سؤال منهجي مشروع : «لماذا تأخر العرب وتقدم غيرهم ؟». ولعل أهم ما يميز أعمال أصحاب

الآسيوية. لذلك نبه العروي على مخاطر الهجوم غير المبرر على القيم الثقافية الغربية تحت ستار الحفاظ على نقاوة الثقافة العربية باسم الأصالة والخصوصية الخادعة. فقال: «**إن إنكار الثقافة الغربية لا يستطيع أن يشكل في حد ذاته ثقافة، والرقص المسعور حول الذات المفقودة لن يجعلها تنبعث من رمادها**».

من ناحية أخرى، تمحورت مقولات أصحاب المشاريع النهضوية من المثقفين العرب المعاصرين حول الإجابة عن إشكاليات منهجية متنوعة، أبرزها الإشكالية الآتية: كيف يتمكن العرب من امتلاك ما يقودهم إلى المعاصرة الحقيقية، أو بالأحرى كيف يمتلكون القوة والوحدة والتقدم للمساهمة في الانتاج والإبداع من أجل إيقاع تاريخي جديد يفك كل أشكال الحصار المضروب على العقول والقلوب ويحرر الإنسان العربي من كل القيود التي تكبله؟ للإجابة العلمية عن هذا السؤال المنهجي المعقد ينصح بعضهم باعتماد نقد الثقافة السائدة كمدخل للمجادلة حول مقولات الإيديولوجيا العربية المعاصرة وذلك بهدف امتلاك أسس المعاصرة أي امتلاك العقلانية والتكنولوجيا العصرية، والمساهمة في التاريخ الكوني من موقع الفاعل المبدع وليس المنفعل التابع .فنقد المقولات السائدة يفتح المجال لتطوير الثقافة النقدية على امتداد الوطن العربي. وبعد أكثر من قرن من هيمنة الثقافة السلفية من جهة ، والثقافة الانتقائية من جهة أخرى ما زال العالم العربي يفتقر إلى مشروع ثقافي يساهم في تجاوز التخلف التاريخي، ويؤسس لنهضة عربية طال انتظارها بعد أن نجحت شعوب أخرى في بناء نهضتها الثقافية، وأقامت التصالح مع ذواتها عبر الحفاظ على خصوصياتها مع تمثل للمنجزات الثقافية المعاصرة التي تم إنجازها خارج بلادهم.

أخيرا، يرى معظم المثقفين النهضوين المعاصرين بحق أن النموذج الإنساني الأرقى يقع أمامنا وليس وراءنا. فالتقدم ثمرة من ثمار العلم الذي يوضع في خدمة تطور الإنسانية جمعاء، وليس نتاج العقم الثقافي الذي يؤدي إلى تحجر الذهنية العربية والعقل العربي، ويزيد من اتساع هوة التخلف ما بين واقع المجتمعات العربية

لقد وجه أصحاب المشاريع النهضوية من المثقفين العرب المعاصرين جل اهتمامهم لنشر مقولات علمية تثقيفية تبرر دفاعهم عن التراث العقلاني العربي من جهة، كما تؤكد ضرورة الاستفادة أو التعلم من الثقافة الغربية التي نجحت في تحقيق نهضة مستمرة ومتصاعدة باستمرار من جهة أخرى .فالفكر النهضوي المتجدد لدى المثقف العربي العصري مسلح بهاجس التغيير الجذري، ومتجه نحو بلورة نقد إيديولوجي ينبع من منظور جديد في الإصلاح السياسي ويتوخى تطوير الثقافة العربية بالدفاع عن المثاقفة التي لا ترى في المشروع الحضاري الغربي مجرد مشروع في الاستعمار والغزو. ففي الحضارة الغربية أيضا ملامح لعلاقات إنسانية مستقبلية مشتركة، علاقات قادرة على النظر إلى ذاتها وإلى الآخرين من زوايا مختلفة لا تحبذ لغة العداء مع الحضارات الأخرى . أما مقولة صراع الحضارات لا تحمل إلا العداء للعرب، ولا تساعدهم على تجاوز تخلفهم المزمن، وبؤسهم الاقتصادي والاجتماعي، وازدواجيتهم الثقافية. والمثقف النهضوي الفاعل في مجتمعه العربي لا يمكن إلا أن يتبنى المنهج النقدي الذي يسعى دوما إلى الدفاع عن الحداثة وتأصيلها انطلاقا من الدفاع عن التراث العقلاني في الثقافة الإنسانية الشمولية، أي الدفاع عن مبدأ استيعاب ما هو متاح من الجوانب الإيجابية في الثقافة الكونية واعتبار ذلك خطوة ضرورية لتجاوز التخلف التاريخي الذي يعيشه العالم العربي .وبما أن العرب قد حرموا من المشاركة الفاعلة في صياغة التاريخ الكوني الحديث والمعاصر، لأسباب ذاتية وأخرى خارجة عن إرادتهم، فهم مطالبون باستيعاب دروس ذلك التاريخ من أجل غرس بذور وقيم الحداثة الفعلية بدل الاكتفاء بالتقليد، والاقتباس السهل الذي يجعلهم معاصرين في الظاهر أو الشكل فقط، دون أن يدركوا الهوة العميقة التي تفصلهم عن الحداثة المنجزة أي غير القابلة للارتداد. وذلك يتطلب من المثقف العربي العصري الانخراط العملي في معركة الدفاع عن الحداثة الحقة التي لا تقود إلى التغريب. وهذا ما نجح فيه مثقفون يابانيون وكثير من مثقفي دول جنوب آسيا وشرقها التي تعرف بالنمور

حداثة حقيقية غير قابلة للارتداد أو الانتكاس. وقد تنوعت آراء المثقفين العرب وتعددت اتجاهاتهم الفكرية في النظر إلى أسباب التخلف العربي والسبل الواجب اتباعها لتطوير الثقافة العربية في المرحلة الراهنة، وإطلاق مشروع نهضوي عربي جديد .فالنهضة حركة مستمرة ودائمة، وليست حدثا تاريخيا عابرا . وبقدر ما يتدرب المواطنون على التفكير الحر، وعلى احترام الرأي الآخر بقدر ما يساهمون بشكل متواصل في إحداث نهضة جديدة.

ولعل أول مقولة علمية مهمة يجب تعميمها في هذا المجال أن الفكر الحر هو المقدمة الضرورية للحداثة وتجديد النهضة باستمرار. وهناك تلازم أكيد ما بين الفكر الحر والحداثة، وعبثا يفتش العرب عن حداثة محققة طالما أن الحريات الأساسية للإنسان غير محترمة، وليست في حمى القانون كما تنص بعض الدساتير العربية في موادها المقتبسة من الدساتير والنظم الغربية.

أما الصراع الدائر على الساحة الثقافية العربية منذ عصر النهضة حتى الآن فلا يمكن أن يصنف في خانة الصراع ما بين الحداثة والأصالة، ما بين المجدد والسلفي، بل ما بين مقولات ترى الحداثة في استعادة الماضي لتوظيفه في الحاضر أو استمراره فيه، ومقولات ترى الحداثة في معالجة شئون الحاضر بأدوات عصرية دون أن تتنكر للماضي أو تقطع صلاتها به. أي إن حقل الصراع هو سياسي إيديولوجي بامتياز، ويهدف إلى تأبيد سيطرة القوى السياسية القائمة على امتداد الوطن العربي أو إزاحتها عنها بكل الوسائل الممكنة.

بقي أن نشير إلى أن الحداثة هي أولا نتاج مقولات يصوغها المثقفون العرب؛ لتعبر عما يريده العرب لأنفسهم حتى يلحقوا بركب الحضارة العالمية من موقع الفاعل فيها، وليست اقتباسا سهلا لمقولات يصوغها الفكر الغربي؛ لإلحاق العرب بالعولمة من موقع التابع لها.

وهذا ما عبر عنه هشام شرابي بقوله: «**إن علاقتنا بالغرب، وخاصة بأميركا، ما زالت علاقة تضاد واختلاف. الغرب اليوم وأكثر من أي وقت سابق، ما زال**

المعاصرة والمجتمعات المتطورة. وفي هذا الجانب بالذات يبرز فقر الإيديولوجيا العربية السائدة واكتفاء منظريها بهاجس الدفاع عن هوية مطلقة أو مغلقة، أو انتقائية تقوم على التقليد السطحي وتنتهي بالتغريب التام .لذلك يشدد هؤلاء على استراتيجية طويلة الأمد تستند إلى إيمان راسخ بدور المثقف العربي ورجل الدولة في تحويل المجتمع والتاريخ، وذلك من خلال فتح باب الصراع الإيديولوجي على مصراعيه في جميع الدول العربية. وعلى المثقف العربي الجديد تجاوز مقولات كل من المثقف السلفي والمثقف الانتقائي معا. وهو مطالب بفتح سجال مستمر لزعزعة المقولات السائدة، وخاصة المقولات التي تتعبد بالتاريخ، وتحاول إحياء الماضي في الحاضر، أو تتعبد بالغرب فتقتبس مقولاته الجاهزة والموصلة إلى الاستلاب.

لقد أطلق المثقفون العرب عددا كبيرا من المشاريع الثقافية لكنهم عجزوا عن توليد تيار ثقافي شمولي يتبنى مقولات الثقافة العقلانية لإطلاق مشروع نهضوي عربي جديد. لكن الكثير من الهواجس الثقافية التي انطلقوا منها ما تزال مستمرة، وبشكل خاص هواجس الإصلاح السياسي. وما انفك بعضهم يدعو إلى ضرورة التعلم من دروس الحداثة الغربية؛ لأنها مهدت الطريق أمام ثقافة كونية ذات بعد مستقبلي .فقد بنيت الثقافة الغربية على النقد الدائم بهدف تصويب مسيرتها، وهي تتعرض لانتقادات حادة من جانب المثقفين الغربيين أنفسهم.

وهناك شكوك كبيرة حول مدى صلاحية ثقافة واحدة في التحول إلى ثقافة كونية يريدها البعض المثال الوحيد لجميع الثقافات الأخرى في العالم. ودلت تجارب التحديث الناجحة في اليابان والصين ودول جنوب شرق آسيا، بالإضافة إلى ثقافات الدول الإسكندنافية التي لم تدرس بشكل جدي من قبل المثقفين العرب، على أن المثقفين العرب بحاجة ماسة إلى دراسة جميع تجارب التحديث الناجحة في العالم بهدف الاستفادة منها لبناء نهضة عربية جديدة طال انتظارها. ولعل نماذج التحديث التي نشرتها المركزية الأوروبية وامتدادها الأميركي عبر الولايات المتحدة الأميركية هي أقل النماذج التي تقدم دروسا وعبرا يستفيد منها العرب في بناء

العلوم العصرية، والتكنولوجية، والثورات الإعلامية. وهي على تماس مباشر بكل مرحلة من مراحل البشرية وما ينتج خلالها من تراكم معرفي وثقافات تستفيد منها جميع الشعوب بدرجات متفاوتة.لكن العداء السافر للعولمة من موقع الرفض المطلق لمقولاتها الثقافية بهدف الحفاظ على الأصالة والتراث الذهبي قد انتهى إلى فشل ذريع؛ لأن ثقافات العولمة قادرة على اختراق كل الحواجز والحدود الجغرافية القومية واللغوية.

لذا لا بد من المشاركة في عصر العولمة بهدف الاستفادة القصوى من الإيجابيات المرافقة لها، والتقليل من مخاطر السلبيات الكثيرة التي تتزامن مع ولادة وتطور الظاهرات الاجتماعية الكبرى في التاريخ الكوني. فليس صحيحا القول بأن العولمة هي نتاج الهيمنة الأميركية على العالم بعد انهيار الاتحاد السوفيتي والكتلة الاشتراكية التي كانت تدور في فلكه، بل الصواب أن الموقع القوي للولايات المتحدة الأميركية في النظام العالمي الجديد، على مختلف الصعد، هو الذي جعلها في قيادة عصر العولمة. وليس ما يؤكد أن هذه القيادة ستستمر دون منافسة حادة من أطراف ذلك النظام. وقد جوبهت الهجمة الأميركية الشرسة للسيطرة على العالم بعد أحداث ١١ أيلول ٢٠٠١ بمعارضة عنيفة من جانب المفكرين الليبراليين في الغرب نفسه.

وأبرز هؤلاء، وبكثير من التهكم والسخرية، أن مقولات العولمة الأميركية التي تمجد فلسفة القوة والسيطرة العسكرية تحمل أفكارا بدائية لا تتقبلها عقول الباحثين المبتدئين.

والسبب في ذلك أن الحضارات تتفاعل ولا تتصارع، وينتج من تفاعلها ثقافة إنسانية شمولية. أما الصراع فهو الحقل المفضل للعقائد السياسية وما يستتبعها من أحزاب وتنظيمات تتصادم فيما بينها بهدف الوصول إلى السلطة، وقيادة الدولة وليس بدافع نشر الحضارة الكونية أو إغناء الثقافات الإنسانية الشمولية.

إن المثقف العربي معني بعصر العولمة انطلاقا من الهاجس الذي أطلق عليه المفكر القومي العربي قسطنطين زريق سمة «**القلق الإيجابي**» على مستقبل الأمة العربية،

يريد لنا غير ما نريده لأنفسنا. نحن نريد الحداثة، وهو يرد لنا التحديث. نحن نريد السيادة والاستقلال وهو يجبرنا على التبعية. نحن نصبو إلى التحرر والوحدة، وهو يدعم الأنظمة البدوية التي تقف في وجه التحرر والديموقراطية وتمنع الوحدة».

إن قراءة جديدة ومعمقة لنتاج المثقفين النهضويين العرب، وبشكل خاص أصحاب المشاريع الثقافية منهم، تفرض على الباحثين أن يحرروا أنفسهم من تبني الأفكار الإيديولوجية الجاهزة، واستنباط مقولات علمية جديدة، وتجاوز ما يتكرر يوميا من نقد غير علمي «للذات العربية»، و«للعقل العربي» لإطلاق مشروع نهضوي عربي جديد.

بعض الملاحظات الختامية

إن غالبية المثقفين العرب في المرحلة الراهنة على قناعة تامة من أن المقولات الإيديولوجية لعصر العولمة لا تعبر عن حقيقة الاتجاهات الأساسية في التاريخ الكوني الذي يحمل في طياته مقولات ثقافية أخرى ذات منحى إنساني شمولي تقوم على الحوار الثقافي، والتفاعل الخلاق بين الثقافات؛ لنشر حضارة كونية إنسانية على أسس جديدة . لذا لم يعد مبررا انصراف غالبية المثقفين العرب إلى تناول ظاهرة العولمة من موقع العداء السافر المقرون بدعوة صريحة إلى محاربتها بكل الوسائل المتاحة بهدف الحفاظ على القيم العربية والتراث العربي من الاختراق أو التشويه المتعمد. فمثل هذا العداء السافر يفترض بالضرورة أن العولمة هي الحاضن الطبيعي للثقافات السلبية فقط، كنشر المخدرات، وانحدار القيم الأخلاقية، وفرض الثقافة الاستهلاكية الرخيصة، وتعميم نمط الحياة الأميركية على العالم كله وغيرها. كما يفترض في الوقت نفسه أن التراث التقليدي المحلي هو الحاضن الأمين للأخلاق الحميدة، والطهرانية، والفضائل. إلا أن واقع الثقافة الكونية في المرحلة الراهنة لا يشير إلى مثل هذا الانقسام الحاد. فالعولمة ظاهرة تاريخية مستمرة بفعل تطور

غير ممكنة كما أن عدم التفاعل معها يقود إلى نتائج مدمرة على الحاضر والتراث معا.

إن العولمة سيرورة تاريخية تتلاقى فيها جميع الشعوب والثقافات والحضارات من مواقع الفعل أو رد الفعل، لكن التفاعل معها أمر حيوي ومحسوم؛ لبناء مرحلة أرقى في تاريخ الكون، وجميع شعوب الأرض، ومنهم العرب، مدعوة للمشاركة في بناء هذا التاريخ. ولن يكون بمقدور الشعوب العربية دخول العولمة من موقع الندية والمساواة والمساهمة في بناء نظام عالمي جديد ما لم تطور مشروعا نهضويا جديدا يرتقي بها نحو الأفضل في مختلف المجالات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والإدارية والتربوية وغيرها. وإذا ما استمرت الشعوب العربية تحمل على أكتافها أوزار تاريخ طويل من التخلف، والاستبداد، والسيطرة الاستعمارية، والاضطهاد، وانعدام الحريات الأساسية، والإنسان المقهور، وتبديد الموارد الطبيعية، وانتشار الفقر والمرض والأمية على نطاق واسع، فإنها ستهمش دورها إلى الحدود الدنيا في التاريخ الكوني الذي تتم صياغته يوميا. في الوقت عينه، تدخل شعوب أخرى عصر العولمة بكثير من الغنى المادي، والتقدم العلمي والتقني، والتماسك الداخلي على قاعدة مكتسبات وطنية وقومية منجزة، مع احترام الحريات الأساسية للإنسان فيها حتى يمارس كل أشكال الإبداع الفردي والفعل الثقافي، ومزودا بأحدث أشكال التكنولوجيا العصرية والإعلام المتطور.

ختاما، نعيد التذكير بعبارة أطلقها المفكر العربي عبدالله العروي في ختام بحثه المنشور في كتاب «**عصر النهضة**» الصادر في بيروت عام ٢٠٠٠، والتي جاء فيها: «**نحن بحاجة إلى استعادة روح رجال النهضة وما تميزوا به من جرأة وصدق وتفاؤل**». وتشكل هذه الدعوة مدخلا علميا مفيدا لجميع المثقفين النهضويين العرب من أجل تجديد البحث النظري في مقولات النهضة العربية؛ لتوليد مشروع نهضوي عربي جديد يتفاعل مع جميع الحضارات والثقافات الإنسانية الشمولية من جهة، والتصدي للمقولات الإيديولوجية التي تبثها أجهزة العولمة الأمريكية بهدف السيطرة على النظام العالمي الجديد من جهة أخرى.

وتاريخها، وتراثها، في عصر التحولات العالمية الكبرى .وذلك يتطلب تجديد البحث النظري في مقولات عصر النهضة؛ لتوليد مشروع نهضوي جديد غير مقطوع الجذري مع تاريخ العرب الحديث والمعاصر. وذلك يتطلب التفاعل مع الحضارات العالمية بما يسمح بتوليد مقولات جديدة تتناول الشراكة المعرفية ما بين العرب والغرب، ونقد الصور المتخيلة بينهما، وهي بالتأكيد صور مشوهة ومجتزأة. وكان أحرى بمثقفي العرب تجديد هذا الحقل المعرفي؛ منذ زمن طويل؛ لأن مقولات عصر النهضة ما زالت فاعلة بقوة.وهذا ما يبرر كثرة الندوات والملفات والدراسات التي تتناوله دوريا دون أن تقدم إضافات علمية متميزة في معظم الأحيان.

إن كثيرا من مقولات عصر النهضة حول التفاعل بين الحضارات والثقافات ما تزال تشكل مادة ثقافية جديرة بالدراسة والنقد بهدف الارتقاء بالمشروع النهضوي إلى مرحلة جديدة من المواجهة مع مقولات العولمة والتحدي الحضاري لبناء نهضة عربية جديدة .ولا بد من الاعتراف في هذا المجال بأن وجهات نظر المثقفين العرب لا تزال متباعدة جدا في كثير من جوانب الحوار الثقافي حول المقولات الثقافية الواجب اعتمادها لقيام النهضة العربية الثانية على أسس جديدة. ومن ثَمَّ، لا بد من فتح حوار نقدي وبنَّاء بين المثقفين العرب أنفسهم؛ لتقريب وجهات النظر فيما بينهم، والمساهمة في إخراج هذا الموضوع الشائك والمعقد من دائرة التبسيط والمقولات الإيديولوجية الجاهزة إلى دائرة الفكر النقدي المعمق، وتشجيع الأبحاث الميدانية والموثقة في مختلف المجالات .

أخيرا، ليس المثقفون العرب موحدين في نظرتهم إلى ظاهرة العولمة، ولم يرسموا استراتيجية الحد الأدنى للحوار البنَّاء معها من موقع الندية ولا من موقع القبول أو الرفض. ولن يكون الحوار مع ثقافة العولمة سهلا كما يتوهم البعض عبر إطلاق تعميمات تلغي العلم التاريخي وسط ضجيج خادع من مقولات الإيديولوجيا السلفية المأزومة، وحملة الأكفان، وتبرير الدعوة إلى قتل الأجانب. فليست العولمة شرا مطلقا يجب تفاديه بأي ثمن، أو التذكير الدائم بسلبياته التي لا حصر لها؛ لأن العزلة عنها